

أبو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

الْبِدَائِيَّةُ وَالنَّهَائِيَّةُ

٥٣٥

الجزء السابع

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

مكتبة المعارف

بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَنَةُ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ

استهلت هذه السنة والصديق عازم على جمع الجنود ليبعثهم إلى الشام ، وذلك بعد مرجه من الحج عملاً بقوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين] . وبقوله تعالى [قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر] الآية . واقتداء برسول الله (ص) ، فإنه جمع المسلمين لغزو الشام - وذلك عام تبوك - حتى وصلها في حر شديد وجهد ، فرجع عامه ذلك ، ثم بعث قبل موته أسامة بن زيد موله ليغزو تخوم الشام كما تقدم ولما فرغ الصديق من أمر جزيرة العرب بسط يمينه إلى العراق ، فبعث إليها خالد بن الوليد ثم أراد أن يبعث إلى الشام كما بعث إلى العراق ، فشرع في جمع الأمراء في أماكن متفرقة من جزيرة العرب . وكان قد استعمل عمرو بن العاص على صدقات قضاة معه الوليد بن عقبة فيهم ، فكتب إليه يستنفره إلى الشام : « إني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاك رسول الله (ص) مرة ، وسماه لك أخرى ، وقد أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه ، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك » فكتب إليه عمرو بن العاص : إني سهم من سهام الاسلام ، وأنت عبد الله الرامي بها ، والجامع لها ، فالنظر أشدها وأخشأها فارم بي فيها . وكتب إلى الوليد بن عقبة

بمثل ذلك ورد عليه مثله ، وأقبلا بعد ما استخلفا في عملهما ، إلى المدينة . وقدم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن فدخل المدينة وعليه جبة ديباج ، فلما رآها عمر عليه أمر من هناك من الناس بتحريقها عنه ، فغضب خالد بن سعيد وقال لعلي بن أبي طالب : يا أبا الحسن ! أغلبتم يابني عبد مناف عن الأمرة ؟ فقال له علي : أمغالبة تراها أو خلافة ؟ فقال لا يغالب على هذا الأمر أولى منكم قتل له عمر بن الخطاب : أسكت فض الله فاك ، والله لا تنزال كاذباً تخوض فيما قلت ثم لا تنصر إلا نفسك . وأبلغها عمر أبا بكر فلم يتأثر لها أبو بكر . ولما اجتمع عند الصديق من الجيوش ما أراد قام في الناس خطيباً فأتى على الله بما هو أهله ، ثم حث الناس على الجهاد فقال : ألا لكل أمر جوامع ، فمن بلغها فهي حسبه ، ومن عمل لله كفاه الله ، عليكم بالجد والقصد فان القصد أبلغ ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا إيمان لمن لا خشية له ، ولا عمل لمن لا نية له ، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله للمؤمنين للمسلم أن يحب أن يخص به ، هي النجاة التي دل الله عليها ، إذ نجى بها من الخزي ، وألحق بها السكامة .

ثم شرع الصديق في تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات ، فيقال إن أول لواء عقده لخالد بن سعيد بن العاص ، فجاء عمر بن الخطاب فثناه عنه وذكره بما قال . فلم يتأثر به الصديق كما تأثر به عمر ، بل عزله عن الشام وولاه أرض « تيماء » يكون بها فيمن معه من المسلمين حتى يأتيه أمره . ثم عقد لواء يزيد بن أبي سفيان ومعه جمهور الناس ، ومعه سهيل بن عمرو ، وأشباهه من أهل مكة ، وخرج معه ماشياً يوصيه بما اعتمده في حربه ومن معه من المسلمين ، وجعل له دمشق . وبعث أبا عبيدة بن الجراح على جند آخر ، وخرج معه ماشياً يوصيه ، وجعل له نياحة حمص . وبعث عمرو بن العاص ومعه جند آخر وجعله على فلسطين . وأمر كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر ، لما لحظ في ذلك من المصالح . وكان الصديق اقتدى في ذلك بنبي الله يعقوب حين قال لبنيه [يابني] لا تدخلوا من باب واحد ودخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتكول المتوكلون] . فكان سلوك يزيد بن أبي سفيان على تبوك . قال المدائني بإسناده عن شيوخه قالوا : وكان بعث أبي بكر هذه الجيوش في أول سنة ثلاث عشرة . قال محمد بن إسحاق عن صالح بن كيسان : خرج أبو بكر ماشياً ويزيد بن أبي سفيان راكباً فجعل ، يوصيه ، فلما فرغ قال : أقرئك السلام وأستودعك الله ، ثم انصرف ومضى يزيد وأجد السير . ثم تبعه شرحبيل بن حسنة ، ثم أبو عبيدة مدداً لهما ، فسلخوا غير ذلك الطريق . وخرج عمرو بن العاص حتى نزل العرصات من أرض الشام . ويقال إن يزيد بن أبي سفيان نزل اللقاء أولاً . ونزل شرحبيل بالأردن ، ويقال ببصرى . ونزل أبو عبيدة بالجالية . وجعل الصديق يدمم بالجيوش ، وأمر كل

واحد منهم أن ينضاف إلى من أحب من الأمراء . ويقال إن أبا عبيدة لما مر بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه وكان أول صلح وقع بالشام

ويقال إن أول حرب وقع بالشام أن الروم اجتمعوا بمكان يقال له العربية من أرض فلسطين، فوجه إليهم أبا أمامة في سرية فقتلهم وغنم منهم ، وقتل منهم بطريقاً عظيماً . ثم كانت بعد هذه وقعة مرج الصفراء استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص وجماعة من المسلمين . ويقال إن الذي استشهد في مرج الصفراء ابن لخالد بن سعيد ، وأما هو ففر حتى انحاز إلى أرض الحجاز فآله أعلم ، حكاه ابن جرير . قال ابن جرير : ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تباء اجتمع له جنود من الروم في جمع كثير من نصارى العرب ، من غيرا ، وتنوخ ، وبنى كلب ، وسليح ، ونلم وجذام ، وغسان ، فتقدم إليهم خالد بن سعيد ، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه ودخل كثير منهم في الاسلام ، وبعث إلى الصديق يعلمه بما وقع من الفتح ، فأمره الصديق أن يتقدم ولا يحجم ، وأمه بالوليد بن عتبة وعكرمة بن أبي جهل وجماعة ، فسار إلى قريب من إيلياء فالتقى هو وأمير من الروم يقال له ماهان فكسره ، ولجأ ماهان إلى دمشق ، فلحقه خالد بن سعيد ، وبادر الجيوش إلى لحوق دمشق وطلب الخطوة ، فوصلوا إلى مرج الصفراء فانطوت عليه مسالح ماهان وأخذوا عليهم الطريق ، وزحف ماهان ففر خالد بن سعيد ، فلم يرد إلى ذي المروة . واستحوذ الروم على جيشهم إلا من فر على الخيل ، وثبت عكرمة بن أبي جهل ، وقد تقهر عن الشام قريباً وبقى رداءً لمن نفر إليه ، وأقبل شرحبيل بن حسنة من العراق من عند خالد بن الوليد إلى الصديق ، فأمره على جيشه وبعثه إلى الشام ، فلما مر بخالد بن سعيد بندي المروة ، أخذ جمهور أصحابه الذين هربوا معه إلى ذي المروة . ثم اجتمع عند الصديق طائفة من الناس فأمر عليهم معاوية بن أبي سفيان وأرسله وراء أخيه يزيد بن أبي سفيان . ولما مر بخالد بن سعيد أخذ من كان بقي معه بندي المروة إلى الشام . ثم أذن الصديق لخالد بن سعيد في الدخول إلى المدينة وقال : كان عمر أعلم بخالد .

وقعة اليرموك

على ما ذكره سيف بن عمر في هذه السنة قبل فتح دمشق ، وتبعه على ذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله . وأما الحافظ ابن عساكر رحمه الله فانه نقل عن يزيد بن أبي عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبي معشر أنها كانت في سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق . وقال محمد بن إسحاق : كانت في رجب سنة خمس عشرة . وقال خليفة بن خياط قال ابن الكلبي : كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس ماضين من رجب سنة خمس عشرة . قال ابن عساكر ، وهذا هو المحفوظ و [أما] ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه .

قلت : وهذا ذكر سياق سيف وغيره على ما أورده ابن جرير وغيره . قال : ولما توجهت هذه الجيوش نحو الشام أفزع ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً ، وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر . فيقال إنه كان يومئذ بمحص ، ويقال : كان حج عامه ذلك إلى بيت المقدس . فلما انتهى إليه الخبر . قال لهم : ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد ، وإنهم لا قبل لأحد بهم ، فأطيعوني وصالحوهم بما تصلحونهم على نصف خراج الشام ويبقى لكم جبال الروم ، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم . فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش كما هي عادتهم في قلة المعرفة والرأى بالحرب والنصرة في الدين والدنيا . فعند ذلك سار إلى حصص ، وأمر هرقل بخروج الجيوش الرومية صحبة الأمراء ، في مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف ، فبعث إلى عمرو بن العاص أخاله لأبويه « تدارق » في تسعين ألفاً من المقاتلة . وبعث جرجه بن بوزيها إلى ناحية يزيد بن أبي سفيان ، فمسك بارائه في خمسين ألفاً أو ستين ألفاً . وبعث الدراقص إلى شرحبيل بن حسنة . وبعث الليقار ويقال القيقلان - قال ابن إسحاق وهو خصي هرقل نسطورس - في ستين ألفاً إلى أبي عبيدة بن الجراح . وقالت الروم : والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا . وجميع عساكر المسلمين أحد وعشرون ألفاً سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل . وكان واقفاً في طرف الشام ردةً للناس - في ستة آلاف - فكتب الأمراء إلى أبي بكر وعمر يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم ، فكتب إليهم أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً والقوا جنود المشركين ، فأنتم أنصار الله والله ينصر من نصره ، وخاذل من كفره ، ولن يؤتى مثلكم عن قلة ، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها ، وليصل كل رجل منكم بأصحابه . [وقال الصديق] : والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد . وبعث إليه وهو بالعراق ليقدم إلى الشام فيكون الأمير على من به ، فإذا فرغ عاد إلى عمله بالعراق ، فكان ماسئداً كره . ولما بلغ هرقل ما أمر به الصديق أمراءه من الاجتماع ، بعث إلى أمراءه أن يجتمعوا أيضاً وأن ينزلوا بالجيش منزلاً واسع العطن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ، وعلى الناس أخوه بندارق ، وعلى المقدمة جرجه ، وعلى المجنبتين ماهان والدراقص ، وعلى البحر القيقلان .

وقال محمد بن عائذ عن عبد الأعلى عن سعيد بن عبد العزيز : إن المسلمين كانوا أربعة وعشرين ألفاً ، وعليهم أبو عبيدة ، والروم كانوا عشرين ومائة ألف عليهم ماهان وسقلاب يوم اليرموك . وكذا ذكر ابن إسحاق أن سقلاب الخصي كان على الروم يومئذ في مائة ألف ، وعلى المقدمة جرجه - من أرمينية - في اثني عشر ألفاً ، ومن المستعربة اثني عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم : والمسلمون في أربعة وعشرين ألفاً ، فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قاتلت النساء من ورأيهم أشد القتال . وقال الوليد

عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير قال : بعث هرقل مائتي ألف عليهم مائة الأرمي . قال سيف : فسارت الروم فنزلوا الواقصة قريبا من اليرموك ، وصار الوادي خندقا عليهم . وبعث الصحابة إلى الصديق يستمدونه ويعلمونه بما اجتمع من جيش الروم باليرموك ، فكتب الصديق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق وأن يقفل بمن معه إلى الشام ، فاذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم . فاستناب المنذر بن حارثة على العراق وسار خالد مسرعا في تسعة آلاف وخمسمائة ، ودليله رافع بن عميرة الطائي ، فأخذ به على السباق حتى انتهى إلى قراقر ، وسلك به أراضى لم يسلكها قبله أحد ، فاجتاز البراري والقفار ، وقطع الأودية ، وتصعد على الجبال ، وسار في غير مهيع ، وجعل رافع يدلم في مسيرهم على الطريق وهو في مفاوز معطشة ، وعطش النوق وسقاها الماء عللا بعد نهل ، وقطع مشافرها وكعما حتى لا تحتز رحل أدبارها ، واستاقها معه ، فلما قدوا الماء نحرها فشربو ما في أجوافها من الماء ، ويقال بل سقاها الخيل وشربو ما كانت تحمله من الماء وأكلوا لحومها . ووصل والله الحمد والمنة في خمسة أيام ، فخرج على الروم من ناحية تدمر فصالح أهل تدمر وأركه ، ولما مر بمنزلة أبيها وغنم لفسان أموالا عظيمة وخرج من شرق دمشق ، ثم سار حتى وصل إلى قناة بصرى فوجد الصحابة تحاربها فصالحها صاحبها وسلمها إليه ، فكانت أول مدينة فتحت من الشام والله الحمد .

وبعث خالد بأخماس ما غنم من غسان مع بلال بن الحرث المزني إلى الصديق ثم سار خالد وأبو عبيدة ومرثد وشرجيل إلى عمرو بن العاص - وقد قصده الروم بأرض العربا من المعور - فكانت وأقعة أجنادين . وقد قال رجل من المسلمين في مسيرهم هذا مع خالد :

لله عينا رافع أتى اهتدى * فوَزَّ من قراقر إلى نوى

خسأ إذا ماسارها الجيش بكى * ماسارها قبلك إنسي أرى

وقد كان بعض العرب قال له في هذا المسير : إن أنت أصبحت عند الشجرة الفلانية فنجوت أنت ومن معك ، وإن لم تدركها هلكت أنت ومن معك ، فسار خالد بمن معه وسروا سرورة عظيمة فأصبحوا عندها ، فقال خالد : عند الصباح يحمد القوم السرى . فأرسلها مثلا ، وهو أول من قالها رضي الله عنه . ويقول غير ابن إسحاق كسيف بن عمرو وأبي نجيف وغيرهما في تكيل السياق الأول : حين اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقصة وانتقل الصحابة من منزلهم الذي كانوا فيه فنزلوا قريبا من الروم في طريقهم الذي ليس لهم طريق غيره ، فقال عمرو بن العاص : أبشروا أيها الناس ، فقد حصرت والله أروم ، وقلما جاء محصور بخير . ويقال إن الصحابة لما اجتمعوا للشورة في كيفية المسير إلى الروم ، جلس الأمراء لذلك فجاء أبو سفيان فقال : ما كنت أظن أني أعر حتى أدرك

قوماً يجتمعون لحرب ولا أحضرهم ، ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء ، فيسير ثلثه فينزولون تجاه الروم ، ثم تسير الأتقال والذراري في الثلث الآخر ، ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأتقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا في مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل إليهم البرد والمدد . فامتلأوا ما أشار به ونعم الرأي هو .

وذكر الوليد عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير أن الروم نزلوا فيما بين دير أيوب واليرموك ، ونزل المسلمون من وراء النهر من الجانب الآخر ، وأذرعأت خلفهم ليصل إليهم المدد من المدينة . ويقال إن خالداً إنما قدم عليهم بعد ما نزل الصحابة تجاه الروم بعد ما صابروهم وحاصروهم شهر ربيع الأول بكامله ، فلما انسلك وأمكن القتال ^(١) لقلة المساء بعثوا إلى الصديق يستمدونه فقال : خالد لها ، فبعث إلى خالد فقدم عليهم في ربيع الآخر ، فعند وصول خالد إليهم أقبل ماهان مدداً للروم ومعه القساسة ، والشماسة والرهبان يحثونهم ويحرضونهم على القتال لنصر دين النصرانية ، فتكامل جيش الروم أربعون ومائتا ألف ثمانون ألفاً مسلسل بالحديد والجبال ، وثمانون ألفاً فارس ، وثمانون ألفاً راجل . قال سيف وقيل بل كان الذين تسلسلوا كل عشرة سلسلة لثلاثين ألفاً ، فالثلاثين ألفاً إلى قال سيف وقدم عكرمة بن معه من الجيوش فتكامل جيش الصحابة ستة وثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً .

وعند ابن إسحق والمدائني أيضاً أن وقعة أجنادين قبل وقعة اليرموك وكانت وقعة أجنادين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، وقتل بها بشر كثير من الصحابة ، وهزم الروم وقتل أميرهم القيقلان . وكان قد بعث رجلاً من نصارى العرب يحبس له أمر الصحابة ، فلما رجع إليه قال : وجدت قوماً رهباناً بالليل فرساناً بالنهار ، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه ، أوزنى لرجوه . فقال له القيقلان : والله لئن كنت صادقاً لبطن الأرض خير من ظهرها . وقال سيف بن عمر في سياقه : ووجد خالد الجيوش متفرقة فجيش أبي عبيدة وعمر بن العاص ناحية ، وجيش يزيد وشرحبيل ناحية . فقام خالد في الناس خطيباً . فامرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف . فاجتمع الناس وتضافوا مع عدوم في أول جمادى الآخرة وقام خالد بن الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، وإن هذا يوم له ما بعده لوردناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردم ، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبداً ، ففعلوا فلنتعاور الامارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعوني اليوم أليكم ، فامروه عليهم وهم يظنون أن الأمر يطول جداً فخرجت الروم في تعبته لم

(١) كذا في النسختين ، الحلبية والمصرية ، والظاهر أن فيه سقطاً .

يرملها قبلها قط وخرج خالد في تعبته لم تعبها العرب قبل ذلك . فخرج في ستة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين كل كردوس ألف رجل عليهم أمير ، وجعل أبا عبيدة في القلب ، وعلى الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة ، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان . وأمر على كل كردوس أميراً ، وعلى الطلائع قباب بن أشيم ، وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود والتقاضى يومئذ أبو الدرداء وقاصم الذي يظلمهم ويحزنهم على القتال أبو سفيان بن حرب وقارهم الذي يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد المقداد بن الأسود . وذكر إسحاق بن يسار بأسناده أن أمراء الأرباع يومئذ كانوا أربعة ، أبو عبيدة وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، وخرج الناس على راياتهم وعلى الميمنة معاذ بن جبل وعلى الميسرة فثانة بن أسامة الكنانى ، وعلى الرجالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى الخيالة خالد بن الوليد وهو المشير في الحرب الذي يصدر الناس كلهم عن رأيه . ولما أقبلت الروم في خيلائها وغرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء يصيحون بصوات مرتفعة ورهبانهم يتلون الإنجيل ويحزنونهم على القتال ، وكان خالد في الخيل بين يدي الجيش فساق بفرسه إلى أبي عبيدة فقال له : إني مشير بأمر ، فقال : قل ما أمرك الله أسمع لك وأطيع . فقال له خالد : إن هؤلاء القوم لا بد لهم من حملة عظيمة لا محيد لهم عنها ، وإني أخشى على الميمنة والميسرة وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين وأجعلها وراء الميمنة والميسرة حتى إذا صدموهم كانوا لهم رداءً فتأتيهم من ورائهم . فقال : له نعم ما رأيت . فكان خالد في أحد الخيلين من وراء الميمنة وجعل فيس بن هبيرة في الخيل الأخرى وأمر أبا عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله لكي إذا رآه المنهزم استحي منه ورجع إلى القتال ، فجعل أبو عبيدة مكانه في القلب سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنهم ، وساق خالد إلى النساء من وراء الجيش ومعهن عدد من السيوف وغيرها ، فقال لمن من رأيتموه مولياً فاقتلوه ، ثم رجع إلى موقفه رضى الله عنه

خطبهم مرة أخرى

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال : عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار ، ولا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدأوهم بالقتال وشرعوا الرماح واستثروا بالدرق والزموا السمات إلا من ذكر الله في أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى . قالوا : وخرج معاذ بن جبل على الناس فجعل يذكرهم ويقول يا أهل القرآن ، ومتحفظى الكتاب وأنصار الهدى والحق ، إن رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق ألم تسمعوا لقول الله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم الآية . فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم في قبضته وليس لكم ملتحذ من دونه ولا عز بغيره .

وقال عمرو بن العاص : يا أيها المسلمون غضوا الأبصار ، واجثوا على الركب ، واشرعوا الرماح ، فاذا حملوا عليكم فأمهلهم حتى إذا ركبوا أطراف الاسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد ، فوالذي يرضى الصدق { ويشيب عليه ويمتت الكذب ويجزى بالاحسان إحساناً ، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كغفراً كغفراً وقصراً قصراً ، فلا يهولكم جموعهم ولا عددهم ، فانكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل .

وقال أبو سفيان : يا معشر المسلمين أنتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأندام المسلمين ، وقد والله أصبحتم بازاء عدو كثير عدده ، شديد عليكم حنقه ، وقد وترتوهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، ألا وإنها سنة لازمة وإن الأرض وراءكم ، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبرارى ، ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معول ، فامتنعوا بسيفوكم وتعاونوا ولتكن هي الحصون . ثم ذهب إلى النساء فوصاهن ثم عاد فنادى : يا معاشر أهل الاسلام حضر ماترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم . ثم سار إلى موقفه رحمه الله .

وقد وعظ الناس أبو هريرة أيضاً فجعل يقول : سارعوا إلى الحوز العين وجوار ربكم عز وجل في جنات النعيم ، ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن ، ألا وإن للصابرين فضلهم . قال سيف بن عمر اسناده عن شيوخه : إنهم قالوا كان في ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة منهم مائة من أهل بدر . وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول : الله الله إنكم دارة العرب وأنصار الاسلام ، وإنهم دارة الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك . قالوا : ولما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد : ما أكره الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد : ذاك ، أتخوفني بالروم ؟ إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجهه ، وأنهم أضغفوا في المدد . وكان فرسه قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق . ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعهما ضرار بن الأزور ، والحارث بن هشام ، وأبو جنبد بن سهيل ، وفادوا : إنما نريد أميركم لنجتمع به ، فأذن لهم في الدخول على تذارق ، وإذا هو جالس في خيمة من حرير . فقال الصحابة : لانتحل دخولها ، فأمر لهم بفرش بسط من حرير ، فقالوا : ولا نجلس على هذه . فجلس معهم حيث

أحبوا وتراضوا على الصلح ، ورجع عنهم الصحابة بعد مادعومهم إلى الله عز وجل فلم يتم ذلك .

وذكر الوليد بن مسلم أن ماهان طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعان في مصلحة لهم فقال ماهان : إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع ، فهللوا إلى أن أعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم ، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمنلها فقال خالد : إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت ، غير أننا قوم نشرب الدماء ، وأنه بلغنا أنه لادم أطيب من دم الروم ، فحجنا لذلك . فقال أصحاب ماهان : هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب . قالوا ثم تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو - وهما على مجنبتى القلب - أن ينشأ القتال ، فبدر ابرنجزان ودعوا إلى البراز ، وتنازل الأبطال ، وتجاولوا وحى الحرب وقامت على ساق . هذا وخالد مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف ، والأبطال يتصاولون من الفريقين بين يديه ، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل ، ويدبر أمر الحرب أتم تدبير .

وقال إسحاق بن بشير عن سعيد بن عبد العزيز عن قدماء مشايخ دمشق ، قالوا : ثم زحف ماهان فخرج أبو عبيدة ، وقد جعل على الميمنة معاذ بن جبل ، وعلى الميسرة قباب بن أشيم الكناني ، وعلى الرجالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى الخيل خالد بن الوليد ، وخرج الناس على رأيهم ، وسار أبو عبيدة بالمسلمين ، وهو يقول : عباد الله أنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، يامعاشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ، ومدحضة للعار ، ولا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدؤهم بالقتال ، واشرعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزمو الصمت إلا من ذكر الله . وخرج معاذ بن جبل فجعل يذكركم ، ويقول : يا أهل القرآن ، ومستحفظي الكتاب ، وأنصار الهدى والحق ، إن رحمة الله لا تنال ، وجنته لا تدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا للصادق المصدق ، ألم تسموا لقول الله عز وجل [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات] إلى آخر الآية ؟ فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم ، وأنتم في قبضته ، وليس لكم ملتحد من دونه . وسار عمرو بن العاص في الناس وهو يقول : أيها المسلمون غضوا الأبصار واجثوا على الراكب ، واشرعوا الرماح ، فاذا حملوا عليكم فأمهلهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا وثبة الأسد ، فوالذى يرضى الصدق ويثيب عليه ، ومقت الكذب ويمجى الاحسان إحساناً . لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفراً وكفراً وقصراً وقصراً ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فانكم لو صدقتموهم الشد لنتايروا وتاير أولاد الحجل . ثم تكلم أبو سفيان فأحسن وحث على القتال فأبلغ في كلام طويل . ثم قال حين تواجه الناس : يامعشر أهل

أما
ففيه
بعض
الصعب

الاسلام حضر ماترون ، فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم ، وحرص أبو سفيان النساء فقال : من رأيته فاراً فاضربنه بهذه الأحجار والعصى حتى يرجع .

وأشار خالد أن يقف في القلب سعيد بن زيد ، وأن يكون أبو عبيدة من وراء الناس ليرد المنهزم . وقسم خالد الخيل قسمين فجعل فرقة وراء الميمنة ، وفرقة وراء الميسرة ، لتلايفر الناس وليكونوا رداء لهم من ورأيهم . فقال له أصحابه : افعل ما أراك الله ، وامثلوا ما أشار به خالد رضي الله عنه . وأقبلت الروم رافعة صلبانها ولهم أصوات مزعجة كالرعد ، والقساوسة والبطارقة تحرضهم على القتال وهم في عدد وعدد لم ير مثله ، فالتفت المستعان وعليه التكلان .

وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام ، وهو أفضل من هناك من الصحابة ، وكان من فرسان الناس وشجعانهم ، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا : ألا تحمل فنحمل معك ؟ فقال : إنكم لا تثبتون ، فقالوا : بلى ! فحمل وحملوا فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه . ثم جاؤا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى ، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه ، وفي رواية جرح . وقد روى البخاري معنى ما ذكرناه في صحيحه . وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القيسيين والرهبان يقول : اللهم زلزل أقدامهم ، وأرعب قلوبهم : وأنزل علينا السكينة ، وأنزلنا كلمة التقوى ، وجيب إلينا اللقاء ، وأرضنا بالقضاء . وخرج ماهان فأمر صاحب الميسرة وهو الدبريجان ، وكان عدو الله متنسكا فيهم ، فحمل على الميمنة وفيها الأزد ومذحج وحضرموت وخولان ، فثبتوا حتى صدقوا ^(١) أعداء الله ، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال . فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب ، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر ، وثبت صور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت رايتهم ، وانكشف زييد . ثم تنادوا فتراجعوا وحملوا حتى نهضوا من أمامهم من الروم وأشغلهم عن اتباع من انكشف من الناس ، واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة وجعلت خولة بنت ثعلبة تقول :

يا هارباً عن نسوةٍ تقيّاتُ فن قليلٍ ماترى سبيّات

* ولا حصيّاتٍ ولا رضيّات *

قال : فتراجع الناس إلى مواقعهم . وقال سيف بن عمر عن أبي عثمان الغساني عن أبيه . قال قال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك : قاتلت رسول الله ص ، في مواطن وأفر منكم اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايعه عه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين

(١) كذا في النسخ . ولعله صدوا .

وفرسانهم ، قاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعا جراحا ، وقتل منهم خلق منهم ضرار بن
الازور رضى الله عنهم . وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء فجئ
إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فلما دفعنا إليه نظر
إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعا ولم يشربها
أحد منهم ، رضى الله عنهم أجمعين .

سكان
نهم

ويقال إن أول من قتل من المسلمين يومئذ شهيدا رجل جاء إلى أبي عبيدة فقال : إني قد نهيأت
لأمرى فويل لك من حاجة إلى رسول الله سر ؟ قال : نعم ، تقرئه عنى السلام وتقول : يا رسول الله
إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً . قال : فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله . قالوا : وثبت كل قوم
سلى رأيهم حتى سارت الروم تدور كأنها الرحا . فلم تربوم اليرموك (إلا) مخا ساقطاً ، ومعصما
نادراً ، وكفأ طائفة من ذلك الوطن . ثم حمل خالد بمن معه من الخيالة على الميسرة التي حملت على
مينة المسلمين فأز الوهم إلى القلب فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف منهم ثم قال : والذي
نفسى بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم ، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم . ثم
اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فواصل إليهم حتى انفض جمعهم ، وحمل
المسلمون عليهم حملة رجل واحد ، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم .

قالوا : وبيناهم في جولة الحرب وحومة الوغى والأبطال يتصاولون من كل جانب ، إذ قدم البريد
من نحو الحجاز فدفع إلى خالد بن الوليد فقال له : ما الخبر ؟ فقال له - فيما بينه وبينه - : إن الصديق
رضى الله عنه قد توفى واستخلف عمر ، واستناب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح . فأسرّها
خالد ولم يبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن في تلك الحال ، وقال له والناس يسمعون : أحسنت ،
وأخذ منه الكتاب فوضعه في كنانته واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة ، وأوقف الرسول
الذى جاء بالكتاب - وهو منجمة بن زئيم - إلى جانبه . كذا ذكره ابن جرير بأسانيد .

قالوا أخرج جرجه أحد الأثراء الكبار من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى
ختلفت أعناق فرسهما ، فقال جرجه : يا خالد أخبرني فاصدقني ولا تكذبني ، فإن الحر لا يكذب ،
ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاه
فلا تسله على أحد إلا هزمتهم ؟ قال : لا ! قال : فبم سميت سيف الله ؟ قال : إن الله بعث فينا نبيه
فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنت
فيمين كذبه وباعده ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبإيعناه ، فقال لى : أنت سيف من

سيوف الله ماله الله على المشركين . ودعا الى بالنصر ، فسببت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين .

فقال جرجه : يا خالد إلى ما تدعون ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله والاقرار بما جاء به من عند الله عز وجل . قال : فمن لم يحبكم ؟ قال : فالجزية ونعنعهم . قال : فان لم يعطها قال : نؤذنه بالحرب ثم نقاتله . قال : فما منزلة من يحبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم ؟ قال منزلتنا واحدة فما افترض الله علينا ، شريفنا ووضعنا وأولنا وآخرنا . قال جرجه : فلن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما اسكن من الأجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل . قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ فقال خالد : إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من المعجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا ؟ فقال جرجه : بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ؟ قال : تالله لقد صدقتك وإن الله ولى ما سألت عنه . فعند ذلك قلب جرجه الترس ومال مع خالد وقال : علمني الاسلام ، فقال به خالد إلى فسطاطه فسن عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين . وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فازالوا المسلمين عن مواقعهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام . فركب خالد وجرجه معه والروم خلال المسلمين ، فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقعهم وزحف خالد بالمسلمين حتى تصالحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجه من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب . وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء ، وأصيب جرجه رحمه الله ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضى الله عنهما . وضعضعت الروم عند ذلك . ثم نهذ خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الروم ، فعند ذلك هربت خيالاتهم ، واستندت بهم في تلك الصحراء ، وأفرج المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا . وآخر الناس صلاتي العشاءين حتى استقر الفتح ، وعمد خالد إلى رحل الروم وهم الرجالة ففصلوهم عن آجرهم حتى صاروا كأنهم حائط قد هدم ثم تبعوا من فر من الخيالة واقتحم خالد عليهم خندقهم ، وجاء الروم في ظلام الليل إلى الواقصة ، فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحد منهم سقط الذين معه . قال ابن جرير وغيره : فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفاً سوى من قتل في المعركة . وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم ، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن : أين تنهبون وتدعوننا للعلاج ؟ فاذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال .

قال وتجلل القيقلان وأشرف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا : إذا لم تقدر على نصر دين

النصرانية فلنمت على دينهم . فجاء المسلمون فقتلهم عن آخرهم . قالوا : وقتل في هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو ، وسلعة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وأثبت خالد بن سعيد فلا يدرى أين ذهب وضرار بن الأزور ، وهشام بن العاص وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي ، وحقق الله رؤيا أبيه يوم اليمامة . وقد أتلّف في هذا اليوم جماعة من الناس انهزم عمرو ابن العاص في أربعة حتى وصلوا إلى النساء ثم رجعوا حين زجرهم النساء ، وانكشف شرحبيل بن حسنة وأصحابه ثم تراجعوا حين وعظهم الأمير بقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآية .

وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقاتل قتالا شديداً ، وذلك أن أباه مر به فقال له : يا بني عليك بتقوى الله والصبر فانه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين الا محفوفاً بالقتال ، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين ؟ أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة ، فائق الله يا بني ولا يكون أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجراً على عدو الاسلام منك . فقال : أفعل إن شاء الله . فقاتل يومئذ قتالا شديداً وكان من ناحية القلب رضى الله عنه ،

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال : هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول : يا نصر الله اقترب ، الثبات الثبات يامعشر المسلمين ، قال : فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد . وأكمل خالد ليلته في خيمة تدارق أخى هرقل - وهو أمير الروم كلهم يومئذ - هرب فيمن هرب ، وباتت الخيول تجول نحو خيمة خالد يقتلون من مر بهم من الروم حتى أصبحوا وقتل تدارق وكان له ثلاثون سرادقا وثلاثون رواقاً من ديباج بما فيها من الفرش والحرير ، فلما كان الصباح حازوا ما كان هنالك من الغنائم . وما فرحوا بما وجدوا بقدر حزنهم على الصديق حين أعلمهم خالد بذلك ولكن عوضهم الله بالفاروق رضى الله عنه .

وقال خالد حين عزى المسلمين في الصديق : الحمد لله الذى قضى على أبي بكر بالموت ، وكان أحب إلى من عمر ، والحمد لله الذى ولى عمر وكان أبغض إلى من أبي بكر والأزنى حبه

وقد اتبع خالد من انهزم من الروم حتى وصل إلى دمشق فخرج إليه أهلها فقالوا : نحن على عهدنا وصلحنا ؟ قال : نعم . ثم اتبعهم إلى ثنية العقاب فقتل منهم خلقاً كثيراً ثم ساق وراءهم إلى حمص فخرج إليه أهلها فصالحهم كما صالح أهل دمشق . وبعث أبو عبيدة عياض بن غنم وراءهم أيضاً فساق حتى وصل بملطية فصالحه أهلها ورجع . فلما بلغ هرقل ذلك بعث إلى مقاتليها فحضرُوا بين يديه وأمر بملطية فخرقت وانتهت الروم منهزمة إلى هرقل وهو بمحمص والمسلمون في آثارهم يقتلون ويأسرون ويغنمون . فلما وصل الخبر إلى هرقل ارتحل من حمص وجعلها بينه وبين المسلمين وترس بها وقال

هرقل : أما الشام فلا شام ، وويل للروم من المولود المشتوم .

ومما قيل من الأشعار في يوم اليرموك قول القمقاع بن عمرو :

أَلَمْ تَرَنَا عَلَى الْيَرْمُوكِ فُرْنَا * كَمَا فُرْنَا بِأَيَّامِ الْعِرَاقِ
وَعِذَاءِ الْمَدَائِنِ قَدْ فَتَحْنَا * وَمَرْجِ الصَّفَرِ ... عَلَى الْعِتَاقِ
فَتَحْنَا قَبْلَهَا بَصْرَى وَكَانَتْ * مُحَرَّمَةُ الْجَنَابِ لَدَى النِّعَاقِ
قَتَلْنَا مَنْ أَقَامَ لَنَا وَفِينَا * نِهَابَهُمْ بِأَسْيَافِ رِقَاقِ
قَتَلْنَا الرُّومَ حَتَّى مَا تَسَاوَى * عَلَى الْيَرْمُوكِ مَعْرُوقُ الْوَرَاكِ
فَضَضْنَا جَمْعَهُمْ لَمَّا اسْتَجَالُوا * عَلَى الْوَاقُوصِ بِالْبِتْرِ الرِّقَاقِ
غَدَاةً تَهَافَتُوا فِيهَا فَصَارُوا * إِلَى أَمْرِ يَعْضُلُ بِالذَّوَاكِ

وقال الأسود بن مقرن التميمي :

وَكَمْ قَدْ أَغْرَنَا غَارَةٌ بَعْدَ غَارَةٍ * بَوْمًا وَبَوْمًا قَدْ كَشَفْنَا أَهْوَالَهُ
وَلَوْلَا رَجَالُ كَانَتْ عَشْوُ غَنِيمَةٍ * لَدَى مَا قَطَرَجَتْ عَلَيْنَا أَوَائِلَهُ
لَقَيْنَاهُمُ الْيَرْمُوكَ لَمَّا تَضَايَقَتْ * بَيْنَ حَلٍّ بِالْيَرْمُوكِ مِنْهُ حَمَائِلُهُ
فَلَا يَعِدُ مَنْ مَنَا هِرْقَلُ كِتَابَةً * إِذْ أَرَامَهَا رَامَ الَّذِي لَا يَحَاوِلُهُ

وقال عمرو بن العاص :

الْقَوْمُ لَحْمٌ وَجَذَامٌ فِي الْحَرْبِ * وَنَحْنُ وَالرُّومُ بِمَرْجٍ نَضْطَرِبُ
فَإِنْ يَعُودُوا بِهَا لَا نَضْطَحِبُ * بَلْ نَعْصِبُ الْفَرَارَ بِالضَرْبِ الْكَرْبِ

وروى أحمد بن مروان المالكي في المجالسة : ثنا أبو إسحاق الترمذي ثنا أبو معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله (ص) لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على انطاكية لما قدمت منهزمة الروم : ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرًا مثلكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن . قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أننا نشرب الخمر ، ونزني ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط ونهبي عما يرضى الله ونفسد في الأرض . فقال : أنت صدقتني .

وقال الوليد بن مسلم : أخبرني من سمع يحيى بن يحيى النسائي يحدث عن رجلين من قومه قالا : لما نزل المسلمون بناحية الاردن ، تمحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك ،

فبينما نحن فيها إذ أرسل إلينا بطريقها فجثناه فقال : أنما من العرب ؟ قلنا نعم ! قال : وعلى النصرانية ؟ قلنا : نعم . فقال : ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم ، وليثبت الآخر على متاع صاحبه . ففعل ذلك أحدهما ، فلبث ملياً ثم جاءه فقال : جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيولاً عتافاً أما الليل فرهبان ، وأما النهار ففرسان ، يريشون النبل ويبرونها ، ويتقفون القنا ، لو حدثت جليساك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر . قال فالتفت إلى أصحابه وقال : أنا كم منهم مالا طاقة لكم به .

انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبي عبيدة

بعد وقعة اليرموك

وصيرورة الأمرة بالشام إلى أبي عبيدة ، فكان أبو عبيدة أول من سعى أمير الأمراء . قد تقدم أن البريد قدم بموت الصديق والمسلمون مصافو الروم يوم اليرموك ، وأن خالداً كنتم ذلك عن المسلمين لثلايق وهن ، فلما أصبحوا أجلى لهم الأمر وقال ماقال ، ثم شرع أبو عبيدة في جمع الغنيمة وتحميسها ، وبعث بالفتح والخمس مع قباب بن أشيم إلى الحجاز ، ثم نودي بالرحيل إلى دمشق ، فساروا حتى نزلوا مرج الصفر ، وبعث أبو عبيدة بين يديه طليعة أبا أمامة الباهلي ومعه رجلان من أصحابه . قال أبو أمامة : فسرت فلما كان ببعض الطريق أمرت الآخر ^(١) فكن هناك وسرت أنا وحدي حتى جئت باب البلد ، وهو مغلق في الليل وليس هناك أحد ، ففزت وعرزت رمحي بالأرض ونزعت لجام فرسي ، وعلقت عليه مخلاته ونمت ، فلما أصبح الصباح قت فتوضأت وصليت الفجر ، فاذا باب المدينة يققع فلما فتح حملت على البواب فطعنته بالرمح فقتلته ، ثم رجعت والطلب ورأى فلما انتهينا إلى الرجل الذي في الطريق من أصحابي ظنوا أنه كمين فرجعوا عني ، ثم سرنا حتى أخذنا الآخر وجئنا إلى أبي عبيدة فأخبرته بما رأيت ، فأقام أبو عبيدة ينتظر كتاب عمر فيما يعتمد منه من أمر دمشق ، فجاءه الكتاب يأمره بالمسير إليها ، فساروا إليها حتى أحاطوا بها . واستخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب في خيل هناك .

وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد إلى الشام

وذلك أن أهل فارس اجتمعوا بعد مقتل ملكهم وابنه على تملك شير يار بن أردشير بن شير يار واستغنوا غيبة خالد عنهم فبعثوا إلى نائبه المثني بن حارثة جيشاً كثيفاً نحواً من عشرة آلاف عليهم هرمز بن حادويه ، وكتب شير يار إلى المثني : إني قد بعثت إليك جنداً من وحش أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ، ولست أقاتلك إلا بهم . فكتب إليه المثني : من المثني إلى شير يار

(١) كذا في الأصلين ولعل فيه سقطاً .

إنما أنت أحد رجلين إما باغ لذلك شرلك وخير لنا ، وإما كاذب فأعظم الكاذبين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوكة ، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فانكم إنما اضطرتهم إليهم ، فالحمد لله الذي رد كيدهم إلى رعاة الدجاج والخنازير . قال : فجزع أهل فارس من هذا الكتاب ، ولا موا شهر يار على كتابه إليه واستهجنوا رأيه . وسار المثنى من الحرة إلى بابل ، ولما التقى المثنى وجيشهم بمكان عند عدوة الصراة الأولى ، اقتتلوا قتالا شديداً جداً ، وأرسل الفرس فيلاً بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين ، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله ، وأمر المسلمين فحملوا ، فلم تكن إلا هزيمة انفرس فقتلهم قتلاً ذريعاً ، وغنموا منهم مالا عظيماً ، وفرت الفرس حتى انتهوا إلى المدائن في شرخالة ، ووجدوا الملك قد مات فملكوا عليهم ابنة كسرى « بوران بنت أبرويز » فأقامت العدل ، وأحسنّت السيرة ، فأقامت سنة وسبع شهور ، ثم ماتت ، فملكوا عليهم أختها « آرميدخت زنان » فلم ينتظم لهم أمر ، فملكوا عليهم « سابور بن شهر يار » ، وجعلوا أمره إلى الفرخاذ بن البندوان فزوجه سابور ابنة كسرى « آرميدخت » فكرهت ذلك وقالت : إنما هذا عبد من عبيدنا . فلما كان ليلة عرسها عليه هموا إليه فقتلوه ، ثم ساروا إلى سابور فقتلوه أيضاً ، وملكوا عليهم هذه المرأة وهي « آرميدخت » ابنة كسرى . ولعبت فارس بملكها لعباً كثيراً ، وآخر ما استقر أمرهم عليه في هذه السنة أن ملكوا امرأة وقد قال رسول الله (ص) : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . وفي هذه الواقعة التي ذكرنا يقول عبدة بن الطيب السعدي ، وكان قد هاجر لمهاجرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل هذه ، فلما آيسته رجع إلى البادية وقال :

هل حبلُ خولة بعد البين موصولٌ أم أنت عنها بعيدُ الدار مشغولٌ
وللأحبة أيامٌ تذكرها وللنوى قبل يوم البين تأويلٌ
حلت خويلة في حي عهدتهم دون المدينة فيها الديك والفيل
يقارعون رؤس العجم ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل

وقد قال الفرزدق في شعره يذكر قتل المثنى ذلك الفيل :

وبيتُ المثنى قاتلُ الفيل عنوةً بينابل إذ في فارس ملكُ بابل

ثم إن المثنى بن حارثة استبطأ أخبار الصديق لتشاغله بأهل الشام ، وما فيه من حرب اليرموك المنتقم ذكروه ، فسار المثنى بنفسه إلى الصديق ، واستناب على العراق بشير بن الخصاصبة ، وعلى السلاح سعيد بن مرة العجلي ، فلما انتهى المثنى إلى المدينة وجد الصديق في آخر مرض الموت . وقد عهد إلى عمر بن الخطيب ، ولما رأى الصديق المثنى قال لعمر : إذا أنا مت فلا تمسح حتى تنسب

الناس لحرب أهل العراق مع المنفى ، وإذا فتح الله على أمراءنا بالشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فانهم أعلم بحربه .

فلما مات الصديق ندب عمر المسلمين إلى الجهاد بأرض العراق لقلّة من بقي فيه من المقاتلة بعد خالد بن الوليد ، فانتدب خلقاً وأمر عليهم أبا عبيدة بن مسعود ، وكان شاباً شجاعاً ، خبيراً بالحرب والمكيدة . وهذا آخر ما يتعلق بخبر العراق إلى آخر أيام الصديق وأول دولة الفاروق .

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كانت وفاة الصديق رضي الله عنه في يوم الاثنين عشية ، وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته ، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوماً ، وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه فيها بالمسلمين ، وفي أثناء هذا المرض عهّد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب ، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان ، وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا ، فكانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر ، وكان عمره يوم توفى ثلاثاً وستين سنة ، للسن الذي توفى فيه رسول الله (ص) ، وقد جمع الله بينهما في التربة ، كما جمع بينهما في الحياة ، فرضى الله عنه وأرضاه . قال محمد بن سعد عن أبي قطن عمرو بن الهيثم عن ربيع بن حسان الصائغ . قال : كان نقش خاتم أبي بكر « نعم القادر الله » . وهذا غريب وقد ذكرنا ترجمة الصديق رضي الله عنه ، وسيرته وأيامه وماروى من الأحاديث ، وماروى عنه من الأحكام في مجلد والله الحمد والمنة . فقام بالأمر من بعده أتم القيام الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وهو أول من سمى بأمر المؤمنين . وكان أول من حياه بها المغيرة بن شعبة ، وقيل غيره كما بسطنا ذلك في ترجمة عمر بن الخطاب وسيرته التي أفردناها في مجلد ، ومسند والآثار المروية مرتباً على الأبواب في مجلد آخر والله الحمد .

وقد كتب ب وفاة الصديق إلى أمراء الشام مع شداد بن أوس ، ومحمد بن جريح ، فوصلوا والناس مصافون جيوش الروم يوم اليرموك كما قدمنا . وقد أمر عمر على الجيوش أبا عبيدة حين ولاه وعزل خالد بن الوليد . وذكر سلعة عن محمد بن إسحاق أن عمر إنما عزل خالداً لكلام بلغه عنه ، ولما كان من أمر مالك بن نويرة ، وما كان يعتمد في حربه . فلما ولي عمر كان أول ما تكلم به أن عزل خالداً ، وقال : لا يلي لي عملاً أبداً . وكتب عمر إلى أبي عبيدة إن أ كذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه ، وإن لم يكذب نفسه فهو معزول ، فانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين . فلما قال أبو عبيدة ذلك لخالد قال له خالد : أمهلني حتى أستشير أختي ، فذهب إلى أخته فاطمة . وكانت تحت الحارث بن هشام . فاستشارها في ذلك ، فقالت له : إن عمر لا يحبك أبداً ، وإنه سيعزلك وإن كذبت نفسك . فقال لها : صدقت والله . فقاسمه أبو عبيدة حتى أخذ [إحدى] نعليه وترك له الآخرة ،

وخالد يقول سمعاً وطاعة لأمر المؤمنين .

وقد روى ابن جرير عن صالح بن كيسان أنه قال : أول كتاب كتبه عمر إلى أبي عبيدة حين ولاه وعزل خالداً أن قال : « وأوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ماسواه ، الذى هداانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد قم بأمرهم الذى يحق عليك ، لا تقدم المسلمين هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مآناه ، ولا تبعث سرية إلا فى كنف من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين فى الهلكة ، وقد أبلاك الله بنى وأبلانى بك ، فغض بصرى عن الدنيا ، وأله قلبك عنها ، وإياك أن تهلكك كما أهلكك من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم . وأمرهم بالمسير إلى دمشق » ، وكان بعد ما بلغه الخبر بفتح اليرموك وجاءته به البشارة ، وحمل الخمس إليه . وقد ذكر ابن إسحاق أن الصحابة قاتلوا بعد اليرموك أجنادين ثم بفحل من أرض الغور قريباً من بيسان يقال له الردغة سعى بذلك لكثرة ما لقوا من الأوحال فيها ، فأغلقوها عليهم ، وأحاط بها الصحابة . قال : وحينئذ جاءت الامارة لأبى عبيدة من جهة عمر وعزل خالد ، وهذا الذى ذكره ابن إسحاق من مجئ الامارة لأبى عبيدة فى حصار دمشق هو المشهور .

فتح دمشق

قال سيف بن عمر لما ارتحل أبو عبيدة من اليرموك فنزل بالجنود على مرج الصفر وهو عازم على حصار دمشق إذ أناه الخبر بقدم مددهم من حصص ، وجاء الخبر بأنه قد اجتمع طائفة كبيرة من الروم بفحل من أرض فلسطين ، وهو لا يدرى بأى الأمرين يبدأ . فكتب إلى عمر فى ذلك ، فجاء الجواب أن يبدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت مملكتهم ، فانهد لها واشغلوا عنكم أهل فحل بخيول تكون تلقاهم ، فان فتحها الله قبل دمشق فذلك الذى يحب ، وإن فتحت دمشق قبلها فسر أنت ومن معك واستخلف على دمشق ، فاذا فتح الله عليكم فحل فسر أنت وخالد إلى حصص واترك عمراً وشرحبيل على الأردن وفلسطين .

قال : فسر ح أبو عبيدة إلى فحل عشرة أمراء مع كل أمير خمسة أمراء وعلى الجميع عمارة بن مخشى الصحابى ، فساروا من مرج الصفر إلى فحل فوجدوا الروم هناك قريباً من ثمانين ألفاً ، وقد أرسلوا المياه حولهم حتى أردغت الأرض فسموا ذلك الموضع الردغة ، وفتحها الله على المسلمين فكانت أول حصن فتح قبل دمشق على ماسياتى تفصيله . وبعث أبو عبيدة جيشاً يكون بين دمشق وبين فلسطين ، وبعث ذا الكلاع فى جيش يكون بين دمشق وبين حصص ، ليرد من رد إليهم من المدد من جهة هرقل . ثم سار أبو عبيدة من مرج الصفر قاصداً دمشق ، وقد جعل خالد بن الوليد

في القلب وركب أبو عبيدة وعمر وبن العاص في المجنبتين ، وعلى الخليل عياض بن غنم ، وعلى الرجالة شرحبيل بن حسنة ، فقدموا دمشق وعليها نسطاس بن نسطوس ، فقتل خالد بن الوليد على الباب الشرقى وإليه باب كيسان أيضاً ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير ، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب الجابية الصغير ، ونزل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة على بقية أبواب البلد ونصبوا المجانيق والدبابات ، وقد أُرصد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش بهرزة يكونون رداء له ، وكذا الذي بينه وبين حمص وحاصروها حصاراً شديداً سبعين ليلة ، وقيل أربعة أشهر ، وقيل ستة أشهر ، وقيل أربعة عشر شهراً فإله أعلم . وأهل دمشق ممتنعون منهم غاية الامتناع ، ويرسلون إلى ملكهم هرقل - وهو مقيم بحمص - يطلبون منه المدد فلا يمكن وصول المدد إليهم من ذى الكلاع ، الذي قد أُرصد أبو عبيدة رضى الله عنه بين دمشق وبين حمص - عن دمشق ليلة - فلما أيقن أهل دمشق أنه لا يصل إليهم مدد أبلسوا وفشلوا وضعفوا ، وقوى المسلمون واشتد حصارهم ، وجاء فصل الشتاء واشتد البرد وعسر الحال وعسر القتال ، فقدر الله الكبير المتعال ، ذو العزة والجلال ، أن ولد لبطريق دمشق مولود في تلك الليالي فصنع لهم طعاماً وسقاهم بعده شرباً . وباتوا عنده في وليته قد أكلوا وشربوا وتعبوا فناموا عن مواقعهم ، واشتغلوا عن أماكنهم ، وفطن لذلك أمير الحرب خالد بن الوليد فانه كان لا ينام ولا يترك أحداً ينام ، بل مراصد لهم ليلاً ونهاراً ، وله عيون وقصائد يرفعون إليه أحوال المقاتلة صباحاً ومساءً . فلما رأى حمدة تلك الليلة ، وأنه لا يقاتل على السور أحد قد أعد سلاطين من حبال فجاء هو وأصحابه من الصناديد الأبطال ، مثل القعقاع بن عمرو ومنذعور بن عدي ، وقد أحضر جيشه عند الباب وقال لهم : إذا سمعتم تكبيرنا فوق السور فأرقوا إلينا . ثم نهدهم وأصحابه فقطعوا الخندق سباحة بقرب في أعناقهم ، فنصبوا تلك السلام وأثبتوا أعاليها بالشرفات ، وأكدوا أسافلها خارج الخندق ، وصعدوا فيها ، فلما استولوا على السور رفعوا أصواتهم بالتكبير ، وجاء المسلمون فصعدوا في تلك السلام وانحدر خالد وأصحابه الشجعان من السور إلى البوابين فقتلهم ، وقطع خالد وأصحابه أغاليق الباب بالسيوف وفتحوا الباب عنوة ، فدخل الجيش الخالدى من الباب الشرقى . ولما سمع أهل البلد التكبير ناروا وذهب كل فريق إلى أماكنهم من السور ، لا يدرون ما الخبر ، فجعل كلما قدم أحد من أصحاب الباب الشرقى قتله أصحاب خالد ، ودخل خالد البلد عنوة فقتل من وجده . وذهب أهل كل باب فسألوا من أميرهم الذي عند الباب من خارج الصلح - وقد كان المسلمون دعومهم إلى المشاطرة فيأبون عليهم - فلما دعومهم إلى ذلك أجابهم . ولم يعلم بقية الصحابة ما صنع خالد . ودخل المسلمون من كل جانب وباب فوجدوا خالداً وهو يقتل من وجده فقالوا له : إنا قد أمناهم ، فقال : إني فتحتها عنوة . والتقت الأمراء في وسط البلد عند كنيسة المقدس بالقرى من

درب الريحان اليوم . هكذا ذكره سيف بن عمر وغيره وهو المشهور أن خالداً فتح الباب قسراً .
وقال آخرون : بل الذى فتحها عنوة أبو عبيدة وقيل يزيد بن أبى سفيان ، وخالد صالح أهل
البلد فعكسوا المشهور المعروف والله أعلم .

وقد اختلف الصحابة فقال قائلون هى صلح - يعنى على ما صالحهم الأمير فى نفس الأمر وهو
أبو عبيدة - . وقال آخرون : بل هى عنوة ، لأن خالداً افتتحها بالسيف أولاً كما ذكرنا ، فلما أحسوا
بذلك ذهبوا إلى بقية الأمراء ومعهم أبو عبيدة فصالحوهم ، فاتفقوا فيما بينهم على أن جعلوا نصفها صلحاً
ونصفها عنوة ، فلك أهلها نصف ما كان بأيديهم وأقروا عليه ، واستقرت يد الصحابة على النصف .
ويقوى هذا ما ذكره سيف بن عمر من أن الصحابة كانوا يطلبون إليهم أن يصالحوهم على المشاطرة
فيأبون ، فلما أحسوا باليأس أنابوا إلى ما كانت الصحابة دعوهم إليه فبادروا إلى إجابتهم . ولم تعلم
الصحابة بما كان من خالد إليهم والله أعلم ،

ولهذا أخذ الصحابة نصف الكنيسة العظمى التى كانت بدمشق وتعرف « بكنيسة يوحنا »
فاتخذوا الجانب الشرقى منها مسجداً ، وأبقوا لهم نصفها الغربى كنيسة ، وقد أبقوا لهم مع ذلك أربع
عشرة كنيسة أخرى مع نصف الكنيسة المعروفة « بيوحنا » ، وهى جامع دمشق اليوم . وقد
كتب لهم بذلك خالد بن الوليد كتاباً ، وكتب فيه شهادته أبو عبيدة وعمر بن العاص ويزيد
وشرحيل : إحداها كنيسة المفسلات التى اجتمع عندها أمراء الصحابة ، وكانت مبنية على ظهر
السوق الكبير ، وهذه القناطر المشاهدة فى سوق الصابونيين من بقية القناطر التى كانت تحتها ، ثم
بادت فيما بعد وأخذت حجارتها فى العمارات . الثانية : كنيسة كانت فى رأس درب القرشين وكانت
صغيرة ، قال الحافظ ابن عساكر : وبعضها باق إلى اليوم وقد تشعثت . الثالثة : كانت بدار البطيخ
العتيقة . قلت : وهى داخل البلد بقرب الكوشك ، وأظنها هى المسجد الذى قبل هذا المكان
المذكور ، فانها خربت من دهر والله أعلم . الرابعة : كانت بدرب بنى نصر بين درب الحبالين
ودرب التيمى . قال الحافظ ابن عساكر : وقد أدركت بعض بنيانها ، وقد خرب أكثرها . الخامسة :
كنيسة بولص ، قال ابن عساكر : وكانت غربى القيسارية الفخرية وقد أدركت من بنيانها بعض
أساس الخنية . السادسة : كانت فى موضع دار الوكالة وتعرف اليوم بكنيسة القلانسين . قلت :
والقلانسين هى الحواحين اليوم . السابعة : التى بدرب السقيلى اليوم وتعرف بكنيسة حميد بن درة
سابقاً ، لأن هذا الدرب كان أقطاعاً له وهو حميد بن عمرو بن مساجق القرشى العامرى ، ودرة أمه ،
وهى درة ابنة هاشم بن عتبة بن ربيعة ، فأبوها خال معاوية . وكان قد أقطع هذا الدرب فنسبت هذه
الكنيسة إليه ، وكان مسلماً ، ولم يبق لهم اليوم سواها ، وقد خرب أكثرها . واليعقوبية منهم كنيسة

داخل باب توما بين رحبة خالد - وهو خالد بن أسيد بن أبي العيص - وبين درب طلحة بن عمرو بن مرة الجهني، وهي الكنيسة الثامنة، وكانت لليعقوبيين كنيسة أخرى فيما بين درب التنوي وسوق علي. قال ابن عساكر: قد بقي من بنائها بعضه، وقد خربت منذ دهر. وهي الكنيسة التاسعة وأما العاشرة فهي الكنيسة المصلبة قال الحافظ ابن عساكر: وهي باقية إلى اليوم بين الباب الشرقي وباب توما بقرب النبطن عند السور. والناس اليوم يقولون النبطون. قال ابن عساكر: وقد خرب أكثرها هكذا قال. وقد خربت هذه الكنيسة وهدمت في أيام صلاح الدين فاتح القدس بعد الثمانين وخمسمائة بعد موت الحافظ ابن عساكر رحمه الله.

الحادية عشرة: كنيسة مريم داخل الباب الشرقي. قال ابن عساكر وهي من أكبر ما بقي بأيديهم. قلت: ثم خربت بعد موته بدهر في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري على ماسياني بيانه

الثانية عشر: كنيسة اليهود التي بأيديهم اليوم في حارتهم، ومحملها معروف بالقرب من الجبر وتسميه الناس اليوم بستان القط وكانت لهم كنيسة في درب البلاغة لم تكن داخلة في العهد فهدمت فيما بعد وجعل مكانها المسجد المعروف بمسجد ابن السهر وردي، والناس اليوم يقولون درب الشاذوري. قلت: وقد أخرجت لهم كنيسة كانوا قد أحدثوها لم يذكروا أحد من علماء التاريخ لا ابن عساكر ولا غيره، وكان إخراجها في حدود سنة سبع عشرة وسبعائة ولم يتعرض الحافظ ابن عساكر لذكر كنيسة السامرة بمرّة. ثم قال ابن عساكر: وما أحدث - يعني النصاري - كنيسة بناها أبو جعفر المنصور بن قطيطة في الفريق عند قناة صالح قريبا من دارها وارمن اليوم^(١)، وقد أخرجت فيما بعد وجعلت مسجداً يعرف بمسجد الجنيق وهو مسجد أبي اليمن. قال وما أحدث كنيسة العباد إحداهما عند دار ابن الماشلي وقد جعلت مسجداً. والأخرى التي في رأس درب النقاشين وقد جعلت مسجداً. انتهى ما ذكره الحافظ ابن عساكر الدمشقي رحمه الله. قلت: وظاهر سياق سيف بن عمر يقتضي أن فتح دمشق وقع في سنة ثلاث عشرة ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور من أنها فتحت في نصف رجب سنة أربع عشرة. كذا حكاه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عائذ القرشي الدمشقي عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصين بن غلاق عن يزيد بن عبيدة قال: فتحت دمشق سنة أربع عشرة. ورواه دحيم عن الوليد. قال: سمعت أسيحا يقولون إن دمشق فتحت سنة أربع عشرة. وهكذا قال سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر ومحمد بن إسحق ومعمر والأُموي وحكاه عن مشايخه وابن الكلبي وخليفة بن خياط وأبو عبيد القاسم بن سلام، إن فتح دمشق كان في سنة (١) هكذا في الاصلين من قوله كنيسة بناها إلى قوله وارمن اليوم.

أربع عشرة . وزاد سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر والأموى : وكانت اليرموك بعدها بسنة . وقال بعضهم : بل كان فتحها في شوال سنة أربع عشرة . وقال خليفة : حاصرهم أبو عبيدة في رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح في ذى القعدة . وقال الاموى في مغازيه : كانت وقعة أجنادين في جمادى الاولى ، ووقعة فحل في ذى القعدة من سنة ثلاث عشرة — يعنى ووقعة دمشق سنة أربع عشرة — وقال دحيم عن الوليد : حدثني الاموى أن وقعة فحل وأجنادين كانت في خلافة أبي بكر ثم مضى المسلمون إلى دمشق فقتلوا عليها في رجب سنة ثلاث عشرة يعنى ففتحوها في سنة أربع عشرة . وكانت اليرموك سنة خمس عشرة ، وقدم عمر إلى بيت المقدس سنة ست عشرة .

فصل في أخبار اليرموك

واختلف العلماء في دمشق هل فتحت صلحاً أو عنوة ؟ فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها على الصلح ، لأنهم شكوا في المتقدم على الآخر أفنت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة ، أو فتحت صلحاً ، أو اتفق الاستيلاء من الجانب الآخر قسراً ؟ فلما شكوا في ذلك جعلوها صلحاً احتياطاً . وقيل بل جعل نصفها صلحاً ونصفها عنوة ، وهذا القول قد يظهر من صنع الصحابة في الكنيسة العظمى التي كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها وتركوا لهم نصفها والله أعلم . ثم قيل : إن أبا عبيدة هو الذي كتب لهم كتاب الصلح ، وهذا هو الأنسب والأشهر ، فان خالداً كان قد عزل عن الامرة ، وقيل بل الذي كتب لهم الصلح خالد بن الوليد ، ولكن أقره على ذلك أبو عبيدة فأنه أعلم .

وذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر أن الصديق توفي قبل فتح دمشق ، وأن عمر كتب إلى أبي عبيدة يعزيه والمسلمين في الصديق ، وأنه قد استنابه على من بالشام ، وأمره أن يستشير خالداً في الحرب ، فلما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة كتبه من خالد حتى فتحت دمشق بنحو من عشرين ليلة ، فقال له خالد : يرحمك الله ، ما منعك أن تعلمني حين جاءك ؟ فقال : إني كرهت أن أكسر عليك حربك ، وما سلطان الدنيا أريد ، ولا للدنيا أعمل ، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنما نحن إخوان وما يضر الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه .

ومن أعجب ما يذكرون ههنا ما رواه يعقوب بن سفيان الفسوي : حدثنا هشام بن عمار ثنا عبد الملك ابن محمد ثنا راشد بن داود الصنعاني حدثني أبو عثمان الصنعاني شراحيل بن مرثد ، قال : بعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى أهل البصرة ، وبعث يزيد بن أبي سفيان إلى الشام ، فذكر الراوى فقال خالد لأهل البصرة إلى أن قال : ومات أبو بكر واستخلف عمر فبعث أبا عبيدة إلى الشام فقدم دمشق فاستمد أبو عبيدة عمر فكتب عمر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى أبي عبيدة بالشام ، فذكر مسير

خالد من العراق إلى الشام كما تقدم وهذا غريب جداً فان أنذى لا يشك فيه أن الصديق هو الذي بعث أبا عبيدة وغيره من الامراء إلى الشام ، وهو الذي كتب الى خالد بن الوليد أن يقدم من العراق إلى الشام ليكون مدداً لمن به وأميراً عليهم ، ففتح الله تعالى عليه وعلى يديه جميع الشام على ما سذكركه إن شاء الله تعالى .

وقال محمد بن عائذ : قال الوليد بن مسلم : أخبرني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أن المسلمين لما افتتحوا مدينة دمشق بعثوا أبا عبيدة بن الجراح وأفدا إلى أبي بكر بشيرا بالفتح قسم المدينة فوجد أبا بكر قد توفي واستخلف عمر بن الخطاب فأعظم أن يتأمر أحد من الصحابة عليه فؤلاه جماعة الناس فقدم عليهم فقالوا : مرحباً بمن يريدنا فقدم علينا أميراً ،

وقد روى الليث وابن لهيعة وحيوة بن شريح ومفضل بن فضالة وعمر بن الحارث وغير واحد عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن الحكم عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أنه بعثه أبو عبيدة يريد دمشق قال : فقدمت على عمر يوم الجمعة فقال لي : منذ كم لم تنزع خفيك ؟ فقلت من يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة . فقال : أصبت السنة

قال الليث : وبه نأخذ ، يعني أن المسح على الخفين للمسافر لا يتأقت ، بل له أن يمسح عليهما ما شاء ، وإليه ذهب الشافعي في القديم . وقد روى أحمد وأبو داود عن أبي بن عمار مرفوعاً مثل هذا ، والجمهور على ما رواه مسلم عن علي في تأقت المسح للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن ، وللمقيم يوم وليلة . ومن الناس من فصل بين البريد ومن في معناه وغيره ، فقال في الأول لا يتأقت ، وفيما عدها يتأقت لحديث عقبة وحديث علي والله أعلم .

فَضْلُ

ثم إن أبا عبيدة بعث خالد بن الوليد إلى البقاع ففتحها بالسيف . وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون ، وعلى الروم رجل يقال له « سنان » تحدر على المسلمين من عقبة بروت فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون « عين ميسنون » عين الشهداء . واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان كما وعده بها الصديق . وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر في سرية ليمهدوا أسرها . وبعث أبا الزهراء القشيري إلى البثينة وحواران فصالح أهلها .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله : افتتح خالد دمشق صلحاً ، وهكذا سائر مدن الشام كانت صلحاً دون أرضها . فعلى يدي يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبي عبيدة . وقال الوليد بن مسلم : أخبرني غير واحد من شيوخ دمشق بينهم على حصار دمشق إذ أقبلت خيل من

عقبه السلمية مخمرة بالحريز فتار إليهم المسلمون فالتقوا فيما بين بيت لها والعقبه التي أقبلوا منها ، فبهزمهم وطردوهم إلى أبواب حمص ، فلما رأى أهل حمص ذلك ظنوا أنهم قد فتحوا دمشق فقال لهم أهل حمص إنا نصلحكم على ما صالحتم عليه أهل دمشق ففعلوا .

وقال خليفة بن خياط حدثني عبدالله بن المغيرة عن أبيه قال افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فان أهلها صالحوه . وهكذا قال ابن الكلابي . وقال بعث أبو عبيدة خالفاً فغلب على أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً . وقال ابن المغيرة عن أبيه وصالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، ووضع الخراج . وقال ابن إسحاق وغيره وفي سنة أربع عشرة فتحت حمص وبعلبك صلحاً على يدى أبي عبيدة في ذي القعدة قال خليفة ويقال في سنة خمس عشرة

وقعة فحل^(١)

وقد ذكرها كثير من علماء السير قبل فتح دمشق وإنما ذكرها الامام أبو جعفر بن جرير بعد فتح دمشق وتبع في ذلك سياق سيف بن عمر فيما رواه عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني وأبي حازمة القيسي قالوا : خلف الناس يزيد بن أبي سفيان في خيله في دمشق وسار نحو فحل وعلى الناس الذين هم بالغور شرحبيل بن حسنة وسار أبو عبيدة وقد جعل على المقدمة خالد بن الوليد وأبو عبيده على الميمنة وعمرو بن العاص على الميسرة ، وعلى الخليل ضرار بن الأزور ، وعلى الرجالة عياض بن غنم فوصلوا إلى فحل وهي بلدة بالغور وقد انحاز الروم إلى بيسان ، وأرسلوا مياه تلك الأراضى على هنالك من الأراضى فحال بينهم وبين المسلمين ، وأرسل المسلمون إلى عمر بن الخطاب بما هم فيه من مصابة عدوهم وما صنعه الروم من تلك المكيدة ، إلا أن المسلمين في عيش رغيد ومدد كبير ، وهم على أهبة من أمرهم . وأمير نذا الحرب شرحبيل بن حسنة وهو لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبته . وظن الروم أن المسلمين على غرة ، فركبوا في بعض الليالي لبيبتهم ، وعلى الروم سقلاب بن خرق ، فجمعوا على المسلمين فنهضوا إليهم نهضة رجل واحد لأنهم على أهبة دائماً ، فقاتلهم حتى الصباح وذلك اليوم بكامله إلى الليل . فلما أظلم الليل فر الروم وقتل أميرهم سقلاب وركب المسلمون أكتافهم وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحل الذي كانوا قد كادوا به المسلمين ففرقهم الله فيه ، وقتل منهم المسلمين بأطراف الرماح ما قارب الثمانين ألفاً لم ينج منهم إلا الشريد ، وغنموا منهم شيئاً كثيراً . واللاجز يلا . وانصرف أبو عبيدة وخالد بن ميمما من الجيوش نحو حمص كما أمر أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب . واستخلف أبو عبيدة على الأردن شرحبيل بن حسنة ، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص فحاصر بيسان فخرجوا إليه فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم صالحوه على مثل ما صالحت عليه

(١) بكسر الفاء . وقيل والحاء . والصحيح تسكينها .

دمشق، وضرب عليهم الجزية والخراج على أراضيهم وكذلك فعل أبو العود السلمي بأهل طبرية سواء،

ما وقع بأرض العراق آنذاك من القتال

وقد قدمنا أن المثنى بن حارثة لما سار خالد من العراق بمن صحبه إلى الشام وقد قيل إنه سار بتسعة آلاف، وقيل بثلاثة آلاف، وقيل بسبعمائة وقيل بأقل، إلا أنهم صناديد جيش العراق، فاقام المثنى بمن بقي فاستقل عددهم وخاف من سطوة الفرس لولا اشتغالهم بتبديل ملوكهم وملاكتهم، واستبطاً المثنى خبر الصديق فسار إلى المدينة فوجد الصديق في السياق، فأخبره بأمر العراق، فأوصى الصديق عمر أن يندب الناس لقتال أهل العراق. فلما مات الصديق ودفن ليلة الثلاثاء أصبح عمر فندب الناس وحثهم على قتال أهل العراق، وحرضهم ورغبهم في الثواب على ذلك، فلم يبق أحد لا من الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم، وشدة قتالهم. ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث فلم يبق أحد وتسكلم المثنى بن حارثة فأحسن، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدى خالد من معظم أرض العراق، ومالهم هنالك من الأموال والأموال والأمتعة والزاد، فلم يبق أحد في اليوم الثالث فلما كان اليوم الرابع كني أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي ثم تتابع الناس في الاجابة، أمر عمر طائفة من أهل المدينة وأمر على الجميع أبا عبيد هذا ولم يكن صحابياً، فليل لعمر: هلا أمرت عليهم رجلا من الصحابة؟ فقال: إنما أؤمر أول من استجاب، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين، وإن هذا هو الذى استجاب قبلكم. ثم دعاه فوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله (ص)، (وأن يستشير سليط بن قيس فإنه رجل باشر الحروب) ^(١) فسار المسلمون إلى أرض العراق (وهم سبعة آلاف رجل) ^(٢) وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق (فجهز عشرة آلاف عليهم هاشم ابن عتبة وأرسل عمر جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفة ثم خرج منها فواقع هرقران المدار فقتله وانهزم جيشه وغرق أكثرهم في دجلة) ^(٣) فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم، وآخر ما استقر عليه أمرهم أن ملكوا عليهم «بوران» بنت كسرى بعد ما قتلوا التي كانت قبلها «أزيميدخت» وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له رستم بن فرخزاد على أن يقوم بأمر الحرب، ثم يصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك. وكان رستم هذا منجماً يعرف النجوم وعلمها جيداً، فليل له: ما حملك على هذا؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا الأمر لا يتم لك فقال: الطمع وحب الشرف

وقعة النارق

بعث رسم أميراً يقال له « جابان » وعلى مجنبيه رجلان يقال لأحدهما « حشفس ماه » ويقال للآخر « مردانشاه » وهو خصي أمير حاجب الفرس ، فالتقوا مع أبي عبيد بمكان يقال له النارق ، بين الحيرة والقادسية - وعلى الخليل المثنى بن حارثة ، وعلى الميسرة عمرو بن الهيثم فاقتلوا هنالك قتالاً شديداً وهزم الله الفرس وأسرجابان ومردانشاه . فأما مردانشاه فإنه قتله الذي أسره ، وأما جابان فإنه خدع الذي أسره حتى أطلقه فأمسكه المسلمون وأبوا أن يطلقوه ، وقالوا إن هذا هو الأمير وجاؤا به إلى أبي عبيد فقالوا قتله فإنه الأمير فقال وإن كان الأمير فاني لا أقتله . وقد آمنه رجل من المسلمين ثم ركب أبو عبيد في آثار من انهزم منهم وقد لجأوا إلى مدينة كسكر التي لابن خالة كسرى واسمها نرسی فوازرم نرسی على قتال أبي عبيد قهرهم أو عبيد وغنم منهم شيئاً كثيراً وأطعمت كثيرة جداً ، والله الحمد . وبعث بخمس ما غنم من المال والطعام إلى عمر بن الخطاب بالمدينة وقد قال في ذلك رجل من المسلمين

لعمري وما عمري عليّ بهين * لقد صبحت بالغزى أهل النارق
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم * يجوسونهم ما بين درنا وبارق
قتلناهم ما بين مرج مسلح * وبين الهواني من طريق النارق

فالتقوا بمكان بين كسكر والسفاطية وعلى ميمنة نرسی وميسرته ابنا خاله بندويه وبيرويه أولاد نظام وكان رسم قد جهز الجيوش مع الجالينوس فلما بلغ أبو عبيد ذلك اعجل نرسی بالقتال قبل وصولهم فاقتلوا قتالاً شديداً فانهزمت الفرس وهرب نرسی والجالينوس إلى المدائن بعد وقعة جرت من أبي عبيد مع الجالينوس بمكان يقال له باروما فبعث أبو عبيد المثنى بن حارثة وسرايا أخر إلى متاخم تلك الناحية كنهر جور ونحوها ففتحها صلحاً وقهراً وضربوا الجزية واخراج وغنموا الاموال الجزيلة والله الحمد والمثنة وكسروا الجالينوس الذي جاء لنصرة جابان وغنموا جيشه وأمواله وكرهارباً إلى قومه خيراً ذليلاً .

وقعة جسر أبي عبيد ومقتل امير المسلمين وخلق كثير منهم

لما رجع الجالينوس هارباً مما لقي من المسلمين تذامرت الفرس بينهم واجتمعوا إلى رسم فارسل جيشاً كثيفاً عليهم ذا الحاجب « بهمس حادويه » واعطاه راية افريدون وتسمى درفش كايان وكانت الفرس تقيم بها . وحلوا معهم راية كسرى وكانت من جلود الثور عرضها ثمانية أذرع . فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر فأرسلوا : إما أن تعبروا إلينا وإما إن نعبر اليكم . فقال المسلمون لأمرهم أبي عبيد أمهم فليعبرواهم إلينا . فقال ما هم بأجراً على الموت منا ثم اقتحم

إليهم فاجتمعوا في مكان ضيق هنالك فقتلوا قتالا شديداً لم يمهده مثله والمسلمون في نحو من عشرة آلاف وقد جاءت الفرس معهم بأفيلة كثيرة عليها الجلاجل ، فأمة لدعر خيول المسلمين فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة ومما تسمع من الجلاجل التي عليها ولا يثبت منها الا القليل على قصر . وإذا حل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفيلة ورشقهم الفرس بالنبل ، فزالوا منهم خلقاً كثيراً وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة آلاف . وأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة أولاً ، فاحتوشوها فقتلوها عن آخرها ، وقد قدمت الفرس بين أيديهم فيلاً عظيماً أبيض ، فتقدم إليه أبو عبيد فضر به بالسيف فقطع ذلومه فحى الفيل ، وصاح صيحة هائلة وحمل فتخطه برجليه فقتله ووقف فوقه فحمل على الفيل خليفة أبي عبيد الذي كان أوصى أن يكون أميراً بعده فقتل ، ثم آخر ثم آخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص أبو عبيد عليهم واحداً بعد واحد ، ثم صارت الى المثنى بن حارثة بقتضى الوصية أيضاً . وقد كانت دومة امرأة أبي عبيد رأت مناماً يدل على ما وقع سواء بسواء . فلما رأى المسلمون ذلك وهنوا عند ذلك ولم يكن بقي إلا الظفر بالفرس ، وضعف أمرهم ، وذهب ربحهم ، وولوا مدبرين ، وسأقت الفرس خلفهم فقتلوا بشراً كثيراً وانكشف الناس فكان أمرا بليغاً وجاؤا إلى الجسر فر بعض الناس . ثم انكسر الجسر فتحكم فيمن وراءه الفرس فقتلوا من المسلمين وغرق في الفراء نحو من أربعة آلاف . فانا لله وإنا اليه راجعون . وسار المثنى بن حارثة فوقف عند الجسر الذي جاؤا منه ، وكان الناس لما انهزموا جعل بعضهم يلقي بنفسه في الفرات فيغرق ، فنادى المثنى . أيها الناس على هيتكم فاني واقف على فم الجسر لا أجوزه حتى لا يبقى منكم أحد ههنا ، فلما عدى الناس إلى الناحية الأخرى سار المثنى فقتل بهم أول منزل ، وقام بحرسهم هو وشجعتان المسلمين ، وقد جرح أكثرهم وأثخنوا . ومن الناس من ذهب في البرية لا يدري أين ذهب ، ومنهم من رجع إلى المدينة النبوية مدعوراً ، وذهب بالخبر عبد الله بن زيد بن عاصم المازني إلى عمر بن الخطاب فوجده على المنبر ، فقال له عمر : ما وراءك يا عبد الله بن زيد ؟ فقال : أذاك الخبر اليقين يا أمير المؤمنين ، ثم صعد إليه المنبر فأخبره الخبر سرّاً ، ويقال كان أول من قدم بخبر الناس عبد الله بن يزيد بن الحصين الخطمي فأنه أعلم .

قال سيف بن عمر وكانت هذه الواقعة في شعبان من سنة ثلاث [عشرة] بعد ليرموك بأربعين يوماً فأنه أعلم ، وتراجع المسلمون بعضهم إلى بعض وكان منهم من فر إلى المدينة فلم يؤنب عمر الناس بل قال أنا فيكم وأشغل الله الجوس بأمر ملككم . وذلك أن أهل المدائن عدوا على رسم فخلوه ثم ولوه وأضافوا إليه الفيرزان ، واختلفوا على فرقين ، فركب الفرس إلى المدائن ولحقهم المثنى بن حارثة في نفر من المسلمين ، فعارضه أميران من أمرائهم في جيشهم ، فأمرها وأمر معها بشراً كثيراً

فغضب أعناقهم . ثم أرسل المثنى إلى من بالعراق من أمراء المسلمين يستمدهم ، فبعثوا إليه بالأمداد ، وبعث إليه عمر بن الخطاب بمدد كثير وبهم جرير بن عبد الله البجلي ، في قومه بجيلة بكاملها ، وغيره من سادات المسلمين حتى كثر جيشه .

وقعت البويب التي اقتصر فيها المسلمون من الفرس

فلما سمع بذلك أمراء الفرس ، وبكثرة جيوش المثنى ، بعثوا إليه جيشا آخر مع رجل يقال له مهران فتوافقواهم وإياهم بمكان يقال له « البويت » قريب من مكان الكوفة اليوم وبينهما الفرات . فقالوا : إما أن تمبروا إلينا ، أو نعبث إليكم . فقال المسلمون : بل اعبروا إلينا . فمبرت الفرس إليهم فتوافقوا ، وذلك في شهر رمضان . فعزم المثنى على المسلمين في الفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم ، وعبى الجيش ، وجعل يمر على كل راية من رايات الأمراء على القبائل ويعظم ويحثهم على الجهاد والصبر والصمت . وفي القوم جرير بن عبد الله البجلي في بجيلة وجماعة من سادات المسلمين . وقال المثنى لهم : إني مكبر ثلاث تكبيرات قتيباًوا ، فاذا كبرت الرابعة فاحملوا . فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول . فلما كبر أول تكبيرة عاجلهم الفرس فحملوا حتى غالقهم ، واقتتلوا قتالا شديداً ، ورأى المثنى في بعض صفوفه خللاً ، فبعث إليهم رجلاً يقول : الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : لا تفضحوا العرب اليوم فاعتدلوا . فلما رأى ذلك منهم - وهم بنو محجل - أجبه وضحك . وبعث إليهم يقول : يامعشر المسلمين عاداتكم ، انصروا الله ينصركم . وجعل المثنى المسلمون يدعون الله بالظفر والنصر . فلما طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره ، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة ، وحمل غلام من بني تغلب نصراني قتل مهران وركب فرسه . كذا ذكره سيف بن عمر .

وقال محمد بن إسحاق بل حمل عليه المنذر بن حسان بن ضرار الضبي فطمه واحترأه جرير بن عبد الله البجلي ، واختصم في سلبه ، فأخذ جرير السلاح وأخذ المنذر منظمه . وهربت الجوس وركب المسلمون أكتافهم يفصلونهم فصلاً . وسبق المثنى بن حارثة إلى الجسر فوقف عليه ليمنع الفرس من الجواز عليه لينتصروا منهم المسلمون . فركبوا أكتافهم بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ، ومن أبعدهم إلى الليل فيقال إنه قتل منهم يومئذ وغرق قريب من مائة ألف والله الحمد والمثنة . وغنم المسلمون مالا جزيلاً وطعاماً كثيراً ، وبعثوا بالبشارة والأخماس إلى عمر رضى الله عنه . وقد قتل من سادات المسلمين في هذا اليوم بشر كثير أيضاً . وذلت هذه الوقعة رقاب الفرس وتمكن الصحابة من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات وجلة فغنموا شيئاً عظيماً لا يمكن حصره . وجرت أمور يطول ذكرها بعد يوم البويت وكانت هذه الواقعة بالفراق نظير اليرموك بالشام . وقد قال الأعور الشني العبدي في ذلك : —

هاجت لأعور دار الحبي أحزاننا * وأسبدت بعد عبد الفيس حسنا
وقد أراننا بها والسمل مجتمع * إذ بالخيلة قتلى جند مهرا
إذ كان سار المثنى بالخيول لهم * قتل الزحف من فرس وجيلانا
سما لمهران والجيش الذي معه * حتى أبادهم مثنى ووحدانا

فضيلة

ثم بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص الزهري أحد العشرة في ستة آلاف أميراً على العراق، وكتب إلى جرير بن عبد الله والمثنى بن حارثة أن يكونا تبعاً له وأن يسمعا له ويطيعا، فلما وصل إلى العراق كانا معه، وكانا قد تنازعا الامرة، فالمثنى يقول لجرير: إنما بعثك أمير المؤمنين مدداً إلى. ويقول جرير: إنما بعثني أميراً عليك. فلما قدم سعد على أمر العراق انقطع نزاعهما. قال ابن إسحاق. وتوفي المثنى بن حارثة في هذه السنة: كذا قال ابن إسحاق. والصحيح أن بعث عمر سعداً إنما كان في أول سنة أربع عشرة كما سيأتي.

ذكر اجتماع الفرس على يزدجرد بعد اختلافهم

كان شيرين قد جمع آل كسرى في القصر الأبيض وأمر بقتل ذكرانهم كلهم، وكانت أم يزدجرد فيهم ومعها ابناها وهو صغير، فواعدت أخواله فجاءوا وأخذوه منها وذهبوا به إلى بلادهم، فلما وقع ما وقع يوم البويب وقتل من قتل منهم كما ذكرنا، وركب المسلمون أكتافهم وانتصروا عليهم وعلى أخذ بلادهم، ومحلمهم وأقاليمهم. ثم سمعوا بقدوم سعد بن أبي وقاص من جهة عمر، اجتمعوا فيما بينهم وأحضروا الأميرين الكبيرين فيهم وهما رستم والفيروزان فتذا مروا فيما بينهم وتواصوا وقالوا لهاتين لم تقوما بالحرب كما ينبغي لنقتلنكما ونشتفي بكما. ثم رأوا فيما بينهم أن يبعثوا خلف نساء كسرى من كل فج ومن كل بقعة، فمن كان لها ولد من آل كسرى ملكوه عليهم. ففعلوا إذا أتوا بالمرأة عاقبوها هل لها ولد وهي تنكر ذلك خوفاً على ولدها إن كان لها ولد، فلم يزالوا حتى دلوا على أم يزدجرد، فأحضروها وأحضروا ولدها فملكوه عليهم وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وهو من ولد شيرين بن كسرى وعزلوا بوران واستولت الممالك له، واجتمعوا عليه وفرحوا به، وقاموا بين يديه بالنصر أتم قيام، واستفحل أمره فيهم وقويت شكوتهم به، وبعثوا إلى الأقاليم والرساتيق فخلعوا الطاعة للصحابه ونقضوا عهودهم وذهبهم، وبعث الصحابة إلى عمر بالخبر، فأمرهم عمر أن يتبرزوا من بين ظهرانيهم

وليكنوا على أطراف البلاد حولهم على المياه ، وأن تكون كل قبيلة تنظر إلى الأخرى بحيث إذا حدث حدث على قبيلة لا يخفى أمرها على جيرانهم . وتقام الحال جدا ، وذلك في ذى القعدة من سنة ثلاث عشرة ، وقد حج بالناس عمر في هذه السنة وقيل بل حج بهم عبد الرحمن بن عوف ولم يحج عمر هذه السنة والله أعلم .

ما وقع سنة ثلاث عشر من الحوادث

كانت فيها وقائع تقدم تفصيلها ببلاد العراق على يدى خالد بن الوليد رضى الله عنه ، فتحت فيها الحيرة والأنبار وغيرهما من الأمصار ، وفيها سار خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على المشهور . وفيها كانت وقعة اليرموك في قول سيف بن عمر واختيار ابن جرير ، وقتل بها من قتل من الأعيان ممن يطول ذكرهم وتراجهم رضى الله عنهم أجمعين . وفيها توفى أبو بكر الصديق . وقد أفردنا سيرته في مجلد لله الحمد . وفيها ولي عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة منها فولى قضاء المدينة على بن أبي طالب رضى الله عنه واستناب على الشام أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح النهري ، وعزل عنها خالد بن الوليد الخزومي ، وأبقاه على شوري الحرب . وفيها فتحت بصرى صالحا وهي أول مدينة فتحت من الشام ، وفيها فتحت دمشق في قول سيف وغيره كما قلنا واستناب فيها يزيد بن أبي سفيان فهو أول من وليها من أمراء المسلمين رضى الله عنهم . وفيها كانت وقعة لخل من أرض النور وقتل بها جماعة من الصحابة وغيرهم . وفيها كانت وقعة جسر أبي عبيد قتل فيها أربعة آلاف من المسلمين منهم أميرهم أبو عبيد بن مسعود الثقفي ، وهو والد صفية امرأة عبد الله بن عمر وكانت امرأة سالحة رحمهما الله . ووالد المختار بن أبي عبيد كذاب ثقيف وقد كان نائبا على العراق في بعض وقعات العراق كما سيأتي . وفيها توفى المنى بن حارثة في قول ابن إسحاق ، وقد كان نائبا على العراق استخلفه خالد بن الوليد حين سار إلى الشام ، وقد شهد مواقف مشهورة وله أيام مذكورة ولا سيما يوم البويع بعد جسر أبي عبيد قتل فيه من الفرس وغرق بالفراة قريب من مائة ألف ، الذي عليه اليهود أنه بقي إلى سنة أربع عشرة كما سيأتي بيانه . وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب في قول بعضهم وقيل بل حج عبد الرحمن بن عوف . وفيها استنفر عمر قبائل العرب لغزو العراق الشام فأقبلوا من كل النواحي فرمى بهم الشام والعراق . وفيها كانت وقعة أجنادين في قول ابن سحر يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى منها . وكذا عند الواقدي فيما بين الرملة وبين جسر بن على الروم القيقلان وأمير المسلمين عمرو بن العاص ، وهو في عشرين ألفا في قول قتل القيقلان انهزمت الروم وقتل منهم خلق كثير . واستشهد من المسلمين أيضا جماعة منهم هشام بن العاص

والفضل بن العباس ، وأبان بن سعيد وأخواه خالد وعمرو ، ونعيم بن عبد الله بن النحام ، والطفيل بن عمرو وعبد الله بن عمرو الدوسيان ، وضرار بن الأزور ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعمه سلمة بن هشام ، وهبار بن سفيان ، وصخر بن نصر ، وتميم وسعيد ابنا الحارث بن قيس رضى الله عنهم .
وقال محمد بن سعد قتل يومئذ طليب بن عمرو وأمه أروى بنت عبد المطلب عمه رسول الله (س) .
ومن قتل يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وكان عمره يومئذ ثلاثين سنة فيما ذكره الواقدي قال : ولم يكن له رواية وكان ممن صبر يوم حنين . قال ابن جرير وقتل يومئذ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة والحارث بن أوس بن عتيك رضى الله عنهم . وفيها كانت وقعة مرج الصفر في قول خليفة بن خياط وذلك لثنتي عشرة بقية من جمادى الأولى وأمير الناس خالد بن سعيد بن العاص قتل يومئذ وقيل إنما قتل أخوه عمرو وقيل ابنه فאלله أعلم ،

قال ابن إسحق : وكان أمير الروم قلقط قتل من الروم مقتلة عظيمة حتى جرت طاحون هناك من دماهم . والصحيح أن وقعة مرج الصفر في أول سنة أربع عشرة كما سيأتي .

ذكر المتوفين في هذه السنة مرتبين على الحروف

كما ذكرهم الحافظ الذهبي

أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي أبو الوليد المسكي صحابي جليل . وهو الذي أجاز عثمان ابن عفان يوم الحديبية حتى دخل مكة لأداء رسالة رسول الله (س) . أسلم بعد مرجع أخويه من الحبشة . خالد ، وعمرو ، فدعوا إلى الاسلام فأجابهما . وساروا فوجدوا رسول الله (س) قد فتح خيبر . وقد استعمله رسول الله (س) سنة تسع على البحرين وقتل بأجنادين * أنسة مولى رسول الله (س) المشهور أنه قتل ببدر فيما ذكره البخاري وغيره ، وزعم الواقدي فيما نقله عن أهل العلم أنه شهد أحداً وأنه بقي بعد ذلك زماناً . قال : وحدثني ابن أبي الزناد عن محمد بن يوسف أن أنسة مات في خلافة أبي بكر الصديق ، وكان يكنى أبا مسروح . وقال الزهري كان يأذن للناس على النبي (س) * تميم بن الحارث بن قيس السهمي وأخوه قيس صحابيان جليلان هاجرا إلى الحبشة وقتلا بأجنادين * الحارث بن أوس بن عتيك من مهاجرة الحبشة . قتل بأجنادين * خالد بن سعيد بن العاص الأموي ، من السابقين الأولين ، ممن هاجر إلى الحبشة وأقام بها بضع عشرة سنة ويقال إنه كان على صنعاء من جهة رسول الله (س) . وأمره الصديق على بعض الفتوحات كما تقدم قتل يوم مرج الصفر في قول ، وقيل بل هرب فلم يتمكن الصديق من دخول المدينة فعزيراً له ، فأقام شهراً في بعض ظواهرها حتى أذن له . ويقال إن الذي قتله أسلم وقال رأيت له حين قتلته نوراً ساطعاً إلى السماء رضى الله عنه * سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة . ويقال حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن

طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي سيدهم ، أبو ثابت
ويقال أبو قيس صحابي جليل كان أحد النقباء ليلة العقبة ، وشهد بدر في قول عروة وموسى بن عقبة
والبخاري وابن ما كولا . وروى ابن عساكر من طريق حجاج بن أرطاة عن الحكم عن مقسم
عن ابن عباس أن راية المهاجرين يوم بدر كانت مع علي وراية الأنصار مع سعد بن عباد رضي
الله عنهما .

قلت : والمشهور أن هذا كان يوم الفتح والله أعلم . وقال الواقدي : لم يشهدا لأنه نهسته حية
فشغلته عنها بعد أن تجهز لها ، فضرب له رسول الله (ص) بسهمه وأجره ، وشهد أحداً وما بعدها .
وكذا قال خليفة بن خياط . وكانت له جفنة تدور مع النبي (ص) ، حيث دار من بيوت نسائه بلحم
وثرید ، أو لبن وخبز ، أو خبز بسمن أو بخل وزيت ، وكان ينادي عند أظمة كل ليلة لمن أراد القرى .
وكان يحسن الكتابة بالعربي ، والرمي والسباحة ، وكان يسمى من أحسن ذلك كاملاً . وقد ذكر
أبو عمر بن عبد البر ما ذكره غير واحد من علماء التاريخ أنه تخلف عن بيعة الصديق حتى خرج
إلى الشام فمات بقرية من حوران سنة ثلاث عشرة في خلافة الصديق . قال ابن اسحاق والمدائني
وخليفة . قال : وقى في أول خلافة عمر . وقيل سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة . وقال
الفلاس وابن بكر سنة ست عشرة

قلت : أما بيعة الصديق فقد روينا في مسند الامام أحمد أنه سلم للصديق ما قاله من إن الخلفاء
من قريش . وأما موته بأرض الشام فمحقق والمشهور أنه بحوران . قال محمد بن عائذ الدمشقي عن
عبد الأعلى عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال : أول مدينة فتحت من الشام بصرى ، وبها توفي سعد
ابن عباد . وعند كثير من أهل زماننا أنه دفن بقرية من غوطة دمشق ، يقال لها « المنيحة » وبها
قبر مشهور به . ولم أر الحافظ ابن عساكر تعرض لذكر هذا القبر في ترجمته بالكلية فالحق أعلم . قال
ابن عبد البر : ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مقفله ، وقد اخضر جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا
قائلاً يقول :

قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عباد * رميناهُ بسهم فلم يخطئ فؤادهُ

قال ابن جريج : سمعت عطاء (يقول) سمعت أن الجن قالوا في سعد بن عباد هذين البيتين . له
عن النبي (ص) أحاديث ، وكان رضي الله عنه من أشد الناس غيرة ، ما تزوج امرأة إلا بكراً ، ولا
طلق امرأة فتجاسر أحد أن يخطبها بعده . وقد روى أنه لما خرج من المدينة قسم ماله بين بنيه ،
فلما توفى ولد له ولد فجاء أبو بكر وعمر إلى ابنه قيس بن سعد فأمراد أن يدخل هذا معهم ، فقال إني
لا أغبر ما صنع سعد ولكن نصيب لهذا الولد * سلمة بن هشام بن المغيرة ، أخو أبي جهل بن هشام ،

أسلم سلمة قديماً وهاجر إلى الحبشة فلما رجع منها حبسه أخوه وأجاعه فكان رسول الله (ص) يدعو له في القنوت ولجاعة معه من المستضعفين . ثم أنسل فلحق برسول الله (ص) بالمدينة بعد الخندق ، وكان معه بها ، وقد شهد أجنادين وقتل بها رضى الله عنه * ضرار بن الأزور الأسدي ، كان من الفرسان المشهورين ، والأبطال المذكورين ، له مواقف مشهودة ، وأحوال محمودة . ذكر عروة وموسى بن عقبة أنه قتل بأجنادين . له حديث في استحباب إبقاء شيء من اللبن في الضرع عند الحلب * طليب ابن عمير بن وهب بن كثير بن هند بن قصي القرشي العبدي ، أمه أروى بنت عبد المطلب عمه النبي (ص) . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهد بدرًا . قاله ابن إسحاق والواقدي والزيبر بن بكار . ويقال إنه أول من ضرب مشركاً ، وذلك أن أبا جهل سب النبي (ص) فضربه طليب بلحى جل فشجه . استشهد طليب بأجنادين وقد شاخ رضى الله عنه * عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، ابن عم النبي (ص) ، كان من الأبطال المذكورين والشجعان المشهورين ، قتل يوم أجنادين بعد ما قتل عشرة من الروم مبارزة كلهم بطارقة أبطال . وله من العمر يومئذ بضع وثلاثون سنة * عبد الله بن عمرو الدوسي قتل بأجنادين . وليس هذا الرجل معروفًا * عثمان بن طلحة العبدي الحنفي . قيل إنه قتل بأجنادين ، والصحيح أنه تأخر إلى ما بعد الاربعين * عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي أبو عبد الرحمن أمير مكة نيابة عن رسول الله (ص) استعمله عليها عام الفتح ، وله من العمر عشرون سنة ، فحج بالناس عامئذ ، واستنابه عليها أبو بكر بعده عليه السلام . وكانت وفاته بمكة ، قيل يوم توفى أبو بكر رضى الله عنهما . له حديث واحد رواه أهل السنن الأربعة * عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن الميرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو عثمان القرشي الخزومي ، كان من سادات الجاهلية كأبيه ، ثم أسلم عام الفتح بعد ما فر ، ثم رجع إلى الحق . واستعمله الصديق على عمان حين ارتدوا فظفر بهم كما تقدم . ثم قدم الشام وكان أميراً على بعض الكراديس ، ويقال : إنه لا يعرف له ذنب بعد ما أسلم . وكان يقبل المصحف ويبكي ويقول . كلام ربى كلام ربى . احتج بهذا الامام أحمد على جواز تقبيل المصحف ومشروعيته . وقال الشافعي : كان عكرمة محمود البلاء في الاسلام . قال عروة : قتل بأجنادين . وقال غيره : باليرموك بعد ما وجد به بضع وسبعون ما بين ضربة وطعنة رضى الله عنه * الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، قيل إنه توفى في هذه السنة ، والصحيح أنه تأخر إلى سنة ثمانى عشرة * نعيم بن عبد الله بن النحام أحد بني عدى ، أسلم قديماً قبل عمر ولم يتهيأ له هجرة إلى ما بعد الحديبية ، وذلك لأنه كان فيه بر بأقاربه ، فقالت له قريش : أقم عندنا على أى دين شئت ، فوالله لا يتعرضك أحد إلا ذهبنا أنفسنا دونك . استشهد يوم أجنادين وقيل يوم اليرموك رضى الله عنه * هبار بن الأسود بن أسد أبو الأسود القرشي الأسدي ،

هذا الرجل كان قد طعن راحلة زينب بنت النبي (ص)، يوم خرجت من مكة حتى أسقطت، ثم أسلم بعد محسن إسلامه، وقتل بأجنادين رضى الله عنه * هبار بن سفيان بن عبد الأسود الخزومي ابن أخي أم سلمة. أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة واستشهد يوم أجنادين على الصحيح، وقيل قتل يوم مؤتة والله أعلم * هشام بن العاص بن وائل السهمي أخو عمرو بن العاص. روى الترمذي أن رسول الله (ص) قال «ابنا العاص مؤمنان» وقد أسلم هشام قبل عمرو، وهاجر إلى الحبشة، فلما رجع منها احتبس بمكة. ثم هاجر بعد الخندق، وقد أرسله الصديق إلى ملك الروم. وكان من الفرسان. وقتل بأجنادين، وقيل بالبرموك، والاول أصح والله أعلم * أبو بكر الصديق رضى الله عنه تقدم وله ترجمة مفردة والله الحمد.

سنة اربع عشرة من الهجرة

استهلّت هذه السنة والخليفة عمر بن الخطاب يحث الناس ويحرضهم على جهاد أهل العراق، وذلك لما بلغه من قتل أبي عبيد يوم الجسر، وانتظام شمل الفرس، واجتماع أمرهم على يزدجرد الذي أقاموه من بيت الملك، ونقض أهل الذمة بالعراق عهودهم، ونبذهم المواثيق التي كانت عليهم، وآذوا المسلمين وأخرجوا العمال من بين أظهرهم. وقد كتب عمر إلى من هنالك من الجيش أن يتبرزوا من بين أظهرهم إلى أطراف البلاد. قال ابن جرير رحمه الله. وركب عمر رضى الله عنه في أول يوم من الحرم هذه السنة في الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له صرار، فسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة على بن أبي طالب، واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة. ثم عقد مجلساً لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه، ونودى أن الصلاة جامعة، وقد أرسل إلى على فقدم من المدينة، ثم استشارهم فكلهم وافقوه على الذهاب إلى العراق، إلا عبد الرحمن بن عوف فانه قال له: إني أخشى إن كسرت أن تضعف المسلمون في سائر أقطار الأرض، وإني أرى أن تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة. فارأى^(١) عمر والناس عند ذلك واستصوبوا رأى ابن عوف. فقال عمر فمن ترى أن نبعث إلى العراق؟ فقال: فد وجدته. قال ومن هو؟ قال الأسد في برائه سعد بن مالك الزهري فاستجاد قوله وأرسل إلى سعد فأمره على العراق وأوصاه فقال: يا سعد بن وهيب لا يفرنك من الله أن قيل خل رسول الله (ص)، وصاحبه، فان الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالتاس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت

(١) كذا في الحلبية (بالتاء) وفي المصرية هكذا: فارأى. زعمها فارأى بمعنى جنح كما يفهم من النهاية والقاموس.

رسول الله (ص) منذ بعث إلى أن طارقنا عليه فالزمه ، فانه الأمر . هذه عظمتي إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين . ولما أراد فراقه قال له : إذاك ستقدم على أمر شديد ، فالصبر الصبر على ما أصابك ونابك ، تجمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين ، في طاعته واجتناب معصيته ، وإنما طاعة من أطاعه يبغض الدنيا وحب الآخرة ، وإنما عصيان من عصاه يحب الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء ، وأما السري فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبة الناس ، ومن محبة الناس فلا تزهد في التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً حبه ، وإذا أبغض عبداً بغضه ، فاعتبر متزلك عند الله بمنزلك عند الناس .

قالوا : فسار سعد بن جحر للعراق في أربعة آلاف ثلاثة آلاف من أهل اليمن ، وألف من سائر الناس ، وقيل في ستة آلاف . وشيعهم عمر من صرل إلى الأعوص وقام عمر في الناس خطيباً هنالك فقال : إن الله إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم القول لتحجي القلوب فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله ، من علم شيئاً فليمنع به (فان للعدل) أمارات وتبشير ، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والمهين واللين . وأما التبشير فالرحمة . وقد جعل الله لكل أمر باباً ، وبسر لكل باب مفتاحاً ، فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الأموال . والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف ، فإن لم يكفه الكفاف لم يقنه شيء . إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه فانها شكاكم إلينا ، فمن لم يستطع فلي من يبلغناها نأخذ له الحق غير متنع . ثم سار سعد إلى العراق ، ورجع عمر بن مبه من المسلمين إلى المدينة . ولما انتهى سعد إلى نهر زروود ، ولم يبق بينه وبين أن يجتمع بالثنى بن حارثة إلا اليسير ، وكل منهما مشتاق إلى صاحبه ، انتفض جرح الثنى بن حارثة الذي كان جرحه يوم الجسر فوات رحمه الله ورضي الله عنه ، واستخلف على الجيش بشير بن الخصاصية . ولما بلغ سمناً موته ترحم عليه وتزوج زوجته منلى . ولما وصل سعد إلى محلة الجيوش انتهت إليه رياستها وإمرتها ، ولم يبق بالعراق أمير من سادات العرب إلا نحت أمره وأمدته عمر بأمداد آخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفاً ، وقيل ستة وثلاثون . وقال عمر : والله لأردين ملوك المعجم بملوك العرب . وكتب إلى سعد أن يجعل الأمراء على القبائل ، والعرفاء على كل عشرة عريفاً على الجيوش ، وأن يواعدهم إلى القادسية ، ففعل ذلك سعد ، عرف العرفاء ، وأمر على القبائل ، وولى على الطلائع ، والمقدمات ، والمجنبات والساقات ، والرجالة ، والركبان ، كما أمر أمير المؤمنين عمر .

قال سيف بإسناده عن مشايخه قالوا : وجعل عمر على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي
 ذا النون ، وجعل إليه الافاض وقسمه النقي ، وجعل داعية الناس وقاصهم سلمان الفارسي . وجعل
 الكاتب زياد بن أبي سفيان . قالوا وكان في هذا الجيش كله من الصحابة ثلثمائة وبضعة عشر صحابياً ،
 منهم بضعة وسبعون بدرياً ، وكان فيه سبعمائة من أبناء الصحابة رضى الله عنهم . وبعث عمر كتابه إلى
 سعد يأمره بالمبادرة إلى القادسية ، والقادسية باب فارس في الجاهلية ، وأن يكون بين الحجر والمدر ،
 وأن يأخذ الطرق والمسالك على فارس ، وأن يدروهم بالضرب والشدة ، ولا يهولنك كثرة عددهم
 وعددهم ، فانهم قوم خدعة مكرة ، وإن أنتم صبرتم وأحسنتم ونوتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ،
 ثم لم يجتمع لهم شملهم أبداً إلا أن يجتمعوا ، وليست معهم قلوبهم . وإن كانت الأخرى فارجهوا إلى
 ما وراءكم حتى تصلوا إلى الحجر فانكم عليه أجراً ، وإنهم عنه أجبن وبه أجهل ، حتى يأتي الله بالفتح
 عليهم ويرد لكم الكرة . وأمره بمحاسبة نفسه وموعظة جيشه ، وأمرهم بالنية الحسنة والصبر فان النصر
 يأتي من الله على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة ، وسلوا الله العافية ، وأكثروا من قول لا حول
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، واكتب إلى جميع أحوالكم وتفاصيلها ، وكيف تنزلون وأن يكون
 منكم عدوكم ، واجعلني بكتبك إلى كائني أنظر إليكم ، واجعلني من أمركم على الجلية ، وخف الله وارجع
 ولا تدل بشيء ، واعلم أن الله قد توكل لهذا الأمر بما لا خلف له ، فاحذر أن يصرفه عنك ويستبدل
 بكم غيركم . فكتب إليه سعد يصف له كيفية تلك المنازل والاراضي بحيث كأنه يشاهدها ، وكتب
 إليه يخبره بأن الفرس قد جردوا لحر به رستم وأمثاله ، فمحم يطلبوننا ونحن نطلبهم ، وأمر الله بعد
 ماض ، وقضاؤه مسلم ، إلى ما قدر لنا وعلينا ، فنسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية
 وكتب إليه عمر : قد جاءني كتابك وفهمته ، فاذا لقيت عدوك ومنعتك الله أدبارهم ، فانه قد ألقى
 في روعي أنكم ستهزمونهم فلا تشكن في ذلك ، فاذا هزمتهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم
 المدائن فانه خرابها إن شاء الله . وجعل عمر يدعو لسعد خاصة وله والمسلمين عامة .

ولما بلغ سعد العذيب اعترض للمسلمين جيش للفرس مع شيرزاد بن ارادويه ، فغضموا مما معه
 شيئاً كثيراً ووقع منهم موقعاً كبيراً ، فخمسها سعد وقسم أربعة أخماسها في الناس واستبشر
 الناس بذلك وفرحوا ، وتفاءلوا ، وأفرد سعد سرية تكون حياطة لمن معهم من الحريم ، على هذه
 السرية غالب بن عبد الله الليثي .

غزوة القادسية

ثم سار سعد فقتل القادسية ، وبث سراياد ، وأقام بها شهراً لم ير أحداً من الفرس ، فكتب إلى
 عمر بذلك ، والسرايا تأتي بالميرة من كل مكان . فعمت رعايا الفرس من أطراف بلادهم إلى يزدجرد

من الذين يلقون من المسلمين من النهب والسبي . وقالوا : إن لم تنجدونا والا أعطينا ما بأيدينا وسلمنا إليهم الحصون . واجتمع رأى الفرس على إرسال رستم إليهم ، فبعث إليه يزجرجد فأمره على الجيش فاستغنى رستم من ذلك ، وقال : إن هذا ليس برأى في الحرب ، إن إرسال الجيوش بعد الجيوش أشد على العرب من أن يكسروا جيشاً كثيفاً مرة واحدة . فأبى الملك إلا ذلك ، فجهز رستم للخروج . ثم بعث سعد كاشفاً إلى الحيرة وإلى صلوبا فأثابه الخبر بأن الملك قد أمر على الحرب رستم بن الفرخزاذ الأرمني ، وأمره بالعساكر . فكتب سعد إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر : لا يكر بنك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالاً من أهل النظر والرأى والجلد يدعونه ، فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم وفلجاً عليهم ، واكتب إلى في كل يوم . ولما اقترب رستم بجيوشه وعسكر بساباط كتب سعد إلى عمر يقول : إن رستم قد عسكر بساباط وجر الخيول والفيول وزحف علينا بها ، وليس شيء أهم عندي ، ولا أكثر ذكراً مني لما أحببت أن أكون عليه من الاستعانة والتوكل . وعبأ رستم فجعل على المقدمة وهي أربعون ألفاً الجالوس ، وعلى المينة الهرمزان ، وعلى الميسرة مهران بن بهرام وذلك ستون ألفاً ، وعلى الساقة البندران في عشرين ألفاً ، فاجلش كله ثمانون ألفاً فما ذكره سيف وغيره . وفي رواية : كان رستم في مائة ألف وعشرين ألفاً ، يتبعها ثمانون ألفاً ، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً منها فيل أبيض كان لساور فهو أعظمها وأقدمها ، وكانت الفيلة تألفه . ثم بعث سعد جماعة من السادات منهم النعمان بن مقرن ، وفرات بن حبان ، وحنظلة بن الربيع التيمي ، وعطار بن حاجب ، والاشعث بن قيس ، والمغيرة بن شعبة ، وعمر بن معدى كرب ، يدعون رستم إلى الله عز وجل . فقال لهم رستم : ما أقدمكم ؟ فقالوا : جئنا لموعد الله إيانا ، أخذ بلادكم وسي نساءكم وأبنائكم وأخذ أموالكم ، فنحن على يقين من ذلك ، وقد رأى رستم في منامه كان ملكاً نزل من السماء نخم على سلاح الفرس كله ودفعه إلى رسول الله (ص) فدفع رسول الله (ص) إلى عمر . وذكر سيف بن عمر أن رستم طاول سعداً في اللقاء حتى كان بين خروجه من المدائن وملكاه سعداً بالقادسية أربعة أشهر كل ذلك لعله يضجر سعداً ومن معه ليرجعوا ، ولولا أن الملك استعجله ما التقاه ، لما يعلم من غلبة المسلمين لهم ونصرهم عليهم ، لما رأى في منامه ، ولما يتوسمه ، ولما سمع منهم ، ولما عنده من علم النجوم الذي يعتقد صحته في نفسه لما له من الممارسة لهذا الفن . ولما دنا جيش رستم من سعد أحب سعد أن يطالع على أخبارهم على الجلية ، فبعث رجلاً سرية لتأتيه برجل من الفرس وكان في السرية طليحة الاسدي الذي كان ادعى النبوة ثم تاب . وتقدم الحارث مع أصحابه حتى رجعوا . فلما بعث سعد السرية اخترق طليحة الجيوش والصفوف ، وتخطى الألوف ، وقتل جماعة من الأبطال حتى أسر أحدهم وجاء به لا يملك من نفسه شيئاً ، فسأله

سعد عن القوم فجعل يصف شجاعة طليحة ، فقال دعنا من هذا وأخبرنا عن رسم ، فقال : هو في مائة ألف وعشرين ألفاً ، ويتبعها مثلها . وأسلم الرجل من فوره رحمه الله .

قال سيف عن شيوخه : ولما توجه الجيشان بعث رسم إلى سعد أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه . فبعث إليه المغيرة بن شعبة رضى الله عنه . فلما قدم عليه جعل رسم يقول له : إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم ، فارجعوا إلى بلادكم ولا تمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا . فقال له المغيرة : إنا ليس طلبنا الدنيا ، وإنما همنا وطلبنا الآخرة ، وقد بعث الله إلينا رسولا قال له : إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدين بدينى فأنا منتقم بهم منهم ، وأجعل لهم الغلبة ماداموا مقرين به ، وهو دين الحق ، لا يرغب عنه أحد إلا ذل ، ولا يعتصم به إلا عز . فقال له رسم : فما هو ؟ فقال أما عموده الذى لا يصلح شئ منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والاقرار بما جاء من عند الله ، فقال ما أحسن هذا ؟ وأى شئ أيضاً ؟ قال وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله . قال : وحسن أيضاً وأى شئ أيضاً ؟ قال : والناس بنو آدم ، فهم أخوة لأب وأم ، قال وحسن أيضاً . ثم قال رسم : أرايت إن دخلنا فى دينكم أنرجعوا عن بلادنا ؟ قال : إى والله ثم لا تقرب بلادكم إلا فى تجارة أو حاجة . قال : وحسن أيضاً . قال : ولما خرج المغيرة من عنده ذا كر رسم رؤساء قومه فى الاسلام فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه قبحهم الله وأخزاهم وقد فعل .

قالوا : ثم بعث إليه سعد رسولا آخر بطلبه وهو ربعى بن عامر ، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالتمارق المذهبة والزرابى الحرير ، وأظهر اليواقيت واللاكى الثمينة ، والزينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة . وقد جلس على سرير من ذهب . ودخل ربعى بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه . فقالوا له : ضع سلاحك . فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتمنى فان تركتمونى هكذا وإلا رجعت . فقال رسم : إئذنوا له ، فأقبل يتوكأ على راحته فوق التمارق فخرق عاتمه ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفى إلى موعود الله . قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى . فقال رسم : قد سمعت مقاتلتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ قال نعم ! كم أحب إليكم ؟ يوماً أو يومين ؟ قال : لا ، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال :

ماسن لنا رسول الله ﷺ أن تؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، فقال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ؛ ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أديانهم على أعلامهم . فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكاب ، أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال : ويلكم لا تنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة . إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ، ويصنون الأ حساب . ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثاني رجلا فبعث إليهم حذيفة بن محصن فتكلم نحو ما قال ربي . وفي اليوم الثالث المغيرة بن شعبة فتكلم بكلام حسن طويل . قال فيه رستم للمغيرة : إنما مثلكم في دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل . فقال من يوصلني إليه وله درهمان ؟ فلما سقط عليه غرق فيه ، فجعل يطلب الخلاص فلا يجده ، وجعل يقول من يخلصني وله أربعة دراهم ؟ ومثلكم كمثل ثعلب ضعيف دخل جحرًا في كرم فلما رآه صاحب الكرم ضعيفًا رحمه فتركه ، فلما سمن أفسد شيئًا كثيرًا فجاء بجيشه ، واستعان عليه بغلمان فذهب ليخرج فلم يستطع لسمه فضر به حتى قتله ، فهكذا تخرجون من بلادنا . ثم استشاط غضبًا وأقسم بالشمس لا تقتلنكم غدًا [. فقال المغيرة : ستعلم . ثم قال رستم للمغيرة : قد أمرت لكم بكسوة . ولأمركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا . فقال المغيرة : أبعد أن أوهنا ملككم وضعفنا عزكم ، ولنامدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يد وأنتم صاغرون وستصيرون لنا عبيدًا على رغمكم ؟ ! فلما قال ذلك استشاط غضبًا .] (١)

وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفي ثنا أمية بن خالد ثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن . قال قال أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسية ومعه الناس قال لا أدري لعلنا لا نزيد على سبعة آلاف أو ثمانية آلاف بين ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفًا ونحو ذلك ، فقالوا لا يد لكم ولا قوة ولا سلاح ، ماجاء بكم ؟ ارجعوا . قال : قلنا ما نحن براجمين ، فكانوا يضحكون من نبذنا ويقولون دوك دوك وشبهونا بالمغازل . فلما أبيننا عليهم أن نرجع قالوا : ابعثوا إلينا رجلا من عقلائكم يبين لنا ماجاء بكم . فقال المغيرة بن شعبة ، أنا : فبعث إليهم فقعده مع رستم على السرير ففخروا وصاحوا ، فقال : إن هذا لم يزدني رفعة ولم ينتص صاحبكم . فقال رستم : صدق ، ماجاء بكم ؟ فقال : إنا كنا قومًا في شرو ضلالة ، فبعث الله إلينا نبيًا فهدانا الله به ورزقنا على يديه ، فكان فيما رزقنا حبة تنبت في هذا البلد ، فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبر لنا عنها ، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة . فقال رستم إذا تقتلكم . قال إن قتلتمونا دخلنا الجنة ، وإن

قتلناكم دخلتم النار وأديتم الجزية . قال : فلما قال وأديتم الجزية نخروا وصاحوا وقالوا : لاصلح بيننا وبينكم . فقال المغيرة : تعبرون إلينا أو نعبركم إليكم ؟ فقال رستم : بل نعبركم إليكم . فاستأخر المسلمون حتى عبروا فحملوا عليهم فمزموهم .

وذكر سيف أن سعداً كان به عرق النسا يومئذ ، وأنه خطب الناس وتلى قوله تعالى : [ولقد كتبنا في الزبور من بعد الله أن الأَرْضَ يرثها عبادي الصالحون] ، وصلى بالناس الظهر ثم كبر أربعاً وحملوا بعد أن أمرهم أن يقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله ، في طردهم إياهم ، وقتلهم لهم . وقعودهم لهم كل مرصد ، وحصرهم لبعضهم في بعض الأماكن حتى أكلوا الكلاب والسنابير . ومارد شاردهم حتى وصل إلى نهاوند ، ولجأ أكثرهم إلى المدائن ، ولحقهم المسلمون إلى أبوابها . وكان سعد قد بث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم ، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم ، والنعال في أرجلهم ، وخيولهم الضعيفة ، وخبطها الأرض بأرجلها . وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب كيف مثل هؤلاء يظهرون جيوشهم مع كثرة عددها وعددها . ولما استأذنوا على الملك يزدجرد أذن لهم وأجلسهم بين يديه ، وكان متكبراً قليل الأدب ، ثم جعل يسألهم عن ملابسهم هذه ما اسمها ؟ عن الأردية ، والنعال ، والسياط ثم كلما قالوا له شيئاً من ذلك تفاعل فرد الله فآله على رأسه . ثم قال لهم : ما الذي أقدمكم هذه البلاد ؟ أظنتم أننا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا ؟ فقال له النعمان بن مقرن : إن الله رحمناً فرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة . فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص ، فكث كذلك ماشاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينهد إلى من غالفه من العرب ويبدأ بهم ، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين مكروه عليه فاغتبط ، وطأع إياه فازداد . فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ، وأمرنا أن نبداً بمن يلينا من الأمم فنَدعُوهم إلى لانصاف ، فحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين الاسلام حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء ^(١) فان أبيتم فالمناجزة . وإن أجبتكم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم ، وأن أتيتمونا بالجزى ^(١) قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم . قال فتكلم يزدجرد فقال : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم ، لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم . فان كان عددكم كثير فلا يفرنكم منا ، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا

اسم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكننا عليكم ملكاً يرفق بكم . فأسكت القوم
فقام المغيرة بن شعبه فقال : أيها الملك إن هؤلاء رؤس العرب وجوههم ، وهم أشرف يستحيون من
الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ، وليس كل ما
أرسلوا له جمعوه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ،
فجاوبني فأكون أنا الذي أبلغك ويشهدون على ذلك . إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها علماً ، فأما
ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس
والجملان والعقارب والحيات ، ونرى ذلك طعامنا ، وأما المنازل فانما هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا
ما غزلنا من أوبار الابل وأشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، وأن يبغي بعضنا على بعض ،
وإن كان أحداً ليدين ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه ، وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت
لك [وفي المعاد على ما ذكرت لك] فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده ،
فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته خير بيوتنا ، وقبيلته خير قبائلنا ، وهو نفسه كان
خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا ، فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد . أول ترب كان له
الخليفة من بعده ، فقال وقتلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئاً إلا كان ، فقتدف الله
في قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين . فما قال لنا فهو قول الله ، وما
أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا إن ربكم يقول : أنا الله وحدي لا شريك لي كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء
هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء وإلى يصير كل شيء ، وإن رحمتي أدركنكم فبعثت إليكم هذا
الرجل لأدلكم على السبيل التي أنجيكم بها بعد الموت من عذابي ، ولأحكم داري دار السلام . فنشهد
عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبي
فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبي فقاتلوه فانا الحكم بينكم ، فمن قتل منكم
أدخلته جنتي ، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناواه . فاختر إن شئت الجزية وأنت صاغر ،
وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجي نفسك . فقال يزجرد : استقبلتني بمثل هذا ؟ فقال ما استقبلت
إلا من كلني ، ولو كلني غيرك لم أستقبلك به . فقال : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء
لكم عندي . وقال إئتوني بوقر من تراب فاحملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات
المداين . إرجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنني مرسل إليه رسماً حتى يدفنه وجنده في خندق القادسية وينكل
به وبكم من بعد ، ثم أوردته بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور . ثم قال : من
أشرفكم ؟ فسكت القوم فقال عاصم بن عمرو وافنت ليأخذ التراب أنا أشرفهم ، أنا سيد هؤلاء
فوملني ، فقال : أ كذلك ؟ قالوا : نعم . فحمله على عنقه فخرج به من الأيوان والدار حتى أتى راحلته

فعله عليها ثم انجذب في السير لياتوا به سداً وسبقهم عاصم فرباب قدس فطواه وقال بشروا الأمير بالظفر ، ظفرونا إن شاء الله تعالى ، ثم مضى حتى جال التراب في الحجر ثم رجع فدخل على سعد فأخبره الخبر . فقال : ابشروا فقد والله أعطانا الله أناليد ملكهم ، وتفاءلوا بذلك أخذ بلادهم . ثم لم يزل أمر الصحابة يزداد في كل يوم علواً وشرفاً ورفعة ، وينحط أمر الفرس سفلاً وذلاً ووهناً . ولما رجع رستم إلى الملك يسأله عن حل من رأى من المسلمين ، فذكر له عقلمهم وفصاحتهم وحدة جوابهم ، وأنهم يرومون أمراً يوشك أن يدركوه . وذكر ما أمر به أشرفهم من حمل التراب وأنه استحمق أشرفهم في حمله التراب على رأسه ، ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أشعر . فقال له رستم : إنه ليس أحق ، وليس هو بأشرفهم ، إنما أراد أن يفتدى قومه بنفسه ولكن والله ذهبوا بفتايح أرضنا وكان رستم منجماً ، ثم أرسل رجلاً وراءهم وقال : إن أدرك التراب فردة تداركنا أمرنا ، وإن ذهبوا به إلى أميرهم غلبونا على أرضنا . قال : فساق وراءهم فلم يدركهم بل سبقوه إلى سعد بالتراب . وساء ذلك فارس وغضبوا من ذلك أشد الغضب واستمجنوا رأى الملك .

فصل في أخبارهم

كانت وقعة القادسية وقعة عظيمة لم يكن بالعراق أعجب منها ، وذلك أنه لما تواجه الصفين كان سعد رضى الله عنه قد أصابه عرق النسا ، ودمامل في جسده ، فهو لا يستطيع الركوب ، وإنما هو في قصر متكئ على صدره فوق وسادة وهو ينظر إلى الجيش ويدبر أمره ، وقد جعل أمر الحرب إلى خالد بن عرفطة ، وجعل على الميمنة جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح ، وكان قيس والمغيرة بن شعبه قد قدما على سعد مدداً من عند أبي عبيدة من الشام بعد ما شهدا وقعة اليرموك . وزعم ابن إسحاق أن المسلمين كانوا ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية آلاف ، وأن رستم كان في ستين ألفاً ، فصلى سعد بالناس الظهر ثم خطب الناس فوعظهم وحثهم وتلا قوله تعالى [ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذك أن الأرض يرثها عبادي الصالحون] وقرأ القراء آيات الجهاد وسوره ، ثم كبر سعد أربعاً ثم حملوا بعد الرابعة فاقتتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا ، وقد قتل من الفريقين بشر كثير ، ثم أصبحوا إلى مواقفهم فاقتتلوا يومهم ذلك وعامة ليلتهم ، ثم أصبحوا كما أمسوا على مواقفهم ، فاقتتلوا حتى أمسوا ثم اقتتلوا في اليوم الثالث كذلك وأمسّت هذه الليلة تسمى ليلة الحرير ، فلما أصبح اليوم الرابع اقتتلوا قتالاً شديداً وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها أمراً بليغاً ، وقد أباد الصحابة الفيلة ومن عليها ، وقلعوا عيونها ، وأبلى جماعة من الشجعان في هذه الأيام مثل طليحة الأسدي ، وعمر بن معدى كرب ، والقعقاع بن عمرو ، وجري بن عبد الله البجلي ، وضرار بن الخطاب ، وخالد بن عرفطة ، وأشكالهم وأضرابهم . فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم

ويسمى يوم القادسية ، وكان يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة كما قاله سيف بن عمر التميمي ، هبت ريح شديدة فرفعت خيام الفرس عن أما كتبها وألقت سرير رستم الذي هو منصوب له ، فبادر فركب بفلته وهرب فأدركه المسلمون فقتلوه وقتلوا الجالينوس مقدم الطلائع القادسية ، وانهمزمت الفرس والله الحمد والمنة عن بكرة أبيهم ، ولحقهم المسلمون في ألقائهم فقتل يومئذ المسلمون بكاملهم وكانوا ثلاثين ألفاً ، وقتل في المعركة عشرة آلاف ، وقتلوا قبل ذلك قريباً من ذلك . وقتل من المسلمين في هذا اليوم وما قبله من الأيام ألفان وخمسمائة رحمهم الله . وساق المسلمون خلف المنهزمين حتى دخلوا وراءهم مدينة الملك وهي المدائن التي فيها الإيوان الكسروي ، وقد أذن لمن ذكرنا عليه ، فكان منهم إليه ما قدمنا . وقد غنم المسلمون من وقعة القادسية هذه من الأموال والأسلحة ما لا يحصى ولا يوصف كثرة ، فحصلت الغنائم بعد صرف الأسلاب وخمست وبعث بالخمسة والبقية إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد كان عمر رضي الله عنه يستخبر عن أمر القادسية كل من لقيه من الركبان ، ويخرج من المدينة إلى ناحية العراق يستنشق الخبر ، فبينما هو ذات يوم من الأيام إذا هو براكب يلوح من بعد ، فاستقبله عمر فاستخبره ، فقال له : فتح الله على المسلمين بالقادسية وغنموا غنائم كثيرة وجعل يحدته وهو لا يعرف عمر وعمر ماش تحت راحلته ، فلما اقتربا من المدينة جعل الناس يحبون عمر بالامارة فعرف الرجل عمر فقال : يرحمك الله يا أمير المؤمنين هلا أعلمتني أنك الخليفة ؟ فقال لا حرج عليك يا أخى .

وقد تقدم أن سعداً رضي الله عنه كان به قروح وعرق النساء ، ففنه من شهود القتال لكنه جالس في رأس القصر ينظر في مصالح الجيش ، وكان مع ذلك لا يفلق عليه باب القصر لشجاعته ، ولو فر الناس لأخذته الفرس قبضاً باليد ، لا يمتنع منهم ، وعنده امرأته سلمى بنت حفص التي كانت قبله عند المشي بن حارثة ، فلما فر بعض الخيل يومئذ فرغت وقالت : وامثلياه ولا مثني لى اليوم . فغضب سعد من ذلك ولطم وجهها ، فقالت - أغيرة وجبنا يعني أنها تعيره يجلسه في القصر يوم الحرب - وهذا عناد منها فأنها أعلم الناس بعذره وما هو فيه من المرض المانع من ذلك ، وكان عنده في القصر رجل مسجون على الشراب كان قد حد فيه مرات متعددة ، يقال سبع مرات ، فأمر به سعد فقيد وأودع في القصر فلما رأى الخيل تجول حول حى القصر وكان من الشجعان الأبطال قال :

كفى حزنًا أن تدحم الخيل بالفتى * وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا
إذا قت غناتي الحديد وغلقت * مصاريع من دوني تصم المنايا
وقد كنت ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ * وقد تركوني مفرداً لا أخاليا

ثم سأل من زبراء أم ولد سعد أن تطلقه وتعيره فرس سعد ، وحلف لها أنه يرجع آخر النهار فيصع

رجله في القيد فأطلقته ، وركب فرس سعد وخرج قاتلاً قتالاً شديداً ، وجعل سعد ينظر إلى فرسه فيعرفها وينسرها ويشبهه بأبي محجن ولكن يشك لظنه أنه في القصر موثق ، فلما كان آخر النهار رجع فوضع رجله في قيدها ونزل سعد فوجد فرسه يعرق فقال : ما هذا ؟ فذكروا له قصة أبي محجن فرضى عنه وأطلقه رضى الله عنهما .

وقد قال رجل من المسلمين في سعد رضى الله عنه :

تقاتل حتى أنزل الله نصره * وسعدُ ببابِ القادسيةِ معصم

فأبنا وقد آمت نساءٌ كثيرةٌ * ونسوة سعدٍ ليسَ فيهنَّ أيم

فيقال إن سعداً نزل إلى الناس فاعتذر إليهم مما فيه من القروح في تغذيته وإليته ، فعذره الناس . ويذكر أنه دعا على قاتل هذين البيتين وقال : اللهم إن كان كاذباً ، أو قال الذى قال رياءً وسمعةً وكذباً فاقطع لسانه ويده . فجاءه سهم وهو واقف بين الصفين ، فوقع في لسانه فبطل شقه فلم يتكلم حتى مات رواه سيف عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر فذكره . وقال سيف عن المقدام بن شريح الحارثي عن أبيه قال قال جرير بن عبد الله البجلي :

أنا جريرٌ وكنيتي أبو عمرو * قد فتح الله وسعدُ في القصر

فأشرف سعد من قصره وقال :

وما أرجو بُجيلةً غيرَ أني * أوملُ أجراها يومَ الحسابِ

وقد درّقيتُ خيولهم خيولاً * وقد وقعَ الفوارسُ في الضرابِ

وقد دلفتُ بعرضهم خيولُ * كأنّ زهاءَها إبلُ الجرابِ

فلولا جمعُ قمقاعِ بنِ عمرو * وحالُ للجّوا في الركابِ

ولولا ذاكُ ألفينمٍ رعا * تسيلُ جموعكمُ مثلَ النبابِ

وقد روى محمد بن إسحق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم البجلي - وكان ممن شهد القادسية - قال : كان معنا رجل من ثقيف فلحق بالفرس مرتلاً ، فأخبرهم أن بأس الناس في الجانب الذى فيه بجيلة . قال : وكنار بيع الناس ، قال : فوجهوا إلينا ستة عشر فيلاً ، وجعلوا يلتقون تحت أرجل خيولنا حسك الحديد ، ويرشقوننا بالنشاب ، فلما كانه المطر ، وقربوا خيولهم بعضها إلى بعض لثلاثين نفراً . قال : وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي يربنا فيقول : يا معشر المهاجرين ، كنوا أسوداً فانما الفارسي تيس . قال : وكان فيهم أسوار لا تسكاد تسقط له نشابة ، قتلنا له يا أبا نور نقي ذاك الفارس فانه لا تسقط له نشابة ، فوجه إليه الفارس ورماه نشابة فأصاب ترسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه فاستلبه سوارين من ذهب ، ومنطقة من ذهب ، ويلمق من ديباج . قال : وكان المسلمون

سنة آلاف أو سبعة آلاف ، فقتل الله رسماً وكان الذي قتله رجل يقال له هلال بن علقمة التميمي ،
 رماه رستم بنشابة فأصاب قدمه وحمل عليه هلال فقتله واحتز رأسه وولت الفرس فاتبعهم المسلمون
 يقتلونهم فأدركوهم في مكان قد نزلوا فيه واطمأنوا ، فبينما هم سكارى قد شربوا ولعبوا إذ بهم عليهم
 المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقتل هنالك الجالينوس ، قتله زهرة بن حوية التميمي . ثم ساروا
 خلفهم فكلما تواجه الفريقان نصر الله حزب الرحمن ، وخذل حزب الشيطان وعبدته النيران ،
 واحتار المسلمون من الأموال ما يهجز عن حصره ميزان وقبان ، حتى أن منهم من يقول من
 يقايض بيضاء بصفراء لكثرة ما غنموا من الفرسان . ولم يزالوا يتبعونهم حتى جازوا الفرات وراءهم
 وفتحوا المدائن وجولوا على ما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة

وقال سيف بن عمر عن سليمان بن بشير عن أم كثير امرأة همام بن الحارث النخعي قالت : شهدنا
 القادسية مع سعد مع أزواجنا ، فلما أتانا أن قد فرغ من الناس ، شددنا علينا ثيابنا وأخذنا الهراوى
 ثم أتينا القتلى ، فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ، ومن كان من المشركين أجهزنا عليه ، ومعنا
 الصبيان فنولهم ذلك - تعنى استلابهم - لئلا يكشف عن عورات الرجال .

وقال سيف باسانيده عن شيوخه قالوا : وكتب سعد إلى عمر يخبره بالفتح وبعده من قتلوا
 من المشركين . وبعده من قتل من المسلمين ، بعث بالكتاب مع سعد بن عميلة الفزارى وصورته
 « أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحناهم سنين من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال
 طويل ، وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤن مثل زهائما ، فلم ينفعهم الله بذلك ،
 بل سلبوه ونقله عنهم إلى المسلمين ، واتبعهم المسلمون على الأنهار ، وصفوف الآجام ، وفي الفجاج .
 وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارى وفلان وفلان ، ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله ،
 فانه بهم عالم كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل كمدوى النحل ، وهم آساد في النهار لا تشبههم
 الأسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذا لم تكتب لهم »

فيقال إن عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق المنبر رضى الله عنهم . ثم قال عمر للناس : إني
 حريص على أن لا أرى حاجة إلا سدتها ، ما اتسع بعضنا لبعض ، فاذا عجز ذلك عنا تأسينا في
 عيشنا حتى نستوى في الكفاف ، ولوددت أنكم علمتم من نفسى مثل الذى وقع فيها لكم ، ولست
 معلمكم إلا بالعمل ، إني والله لست بملك فأستعبدكم ، ولكنى عبد الله عرض على الأمانة فإن أبيتها
 ورددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا في بيوتكم وترووا سعدت بكم ، وإن أنا حملتها واستتبعكم
 إلى بيتى شقيت بكم ، وفرحت قليلا وحزنت طويلا ، فبقيت لا أقال ولا أرد فأستعتب .

وقال سيف عن شيوخه قالوا : وكانت العرب من العذيب إلى عدن أبين ، يتر بصون وقعة

القادسية هذه ، يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها ، وقد بعث أهل كل بلدة قاصداً يكشف ما يكون من خبرهم ، فلما كان ما كان من الفتح سبقت الجن بالبشارة إلى أقصى البلاد قبل رسل الأنس فسمعت امرأة ليلاً بصنعاء على رأس جبل وهي تقول :

فحييت عنا عكرم ابنة خالد * وما خير زاد بالقليل المصدر
وحييت عني الشمس عند طلوعها * وحييت عني كل تاج مفرد
وحييت عني عصبة نفعية * حسان الوجوه آمنوا بمحمد
أقاموا لكسرى يضربون جنوده * بكل رقيق الشفرتين مهند
إذا توب الداعي أناخوا بكامل * من الموت مسود الغياطل أجرد
قالوا : وسمع أهل البصرة مجتازاً يغني بهذه الأبيات :

وجدنا الأكرمين بنى تميم * غداة الروع أكثرهم رجلاً
هموا ساروا بأرعن مكفهر * إلى جلب يرونهم رعالاً
بحور للأكر من رجال * كأسد الغاب نجسهم جبلاً
تركن لهم بقادس عز نجر * وبالحيفين أياماً طوالاً
مقطعة أكرهم وسوق * بمرد حيث قابلت الرجالاً

قالوا : وسمع ذلك في سائر بلاد العرب ، وقد كانت بلاد العراق بكاملها التي فتحها خالد نقضت العهد والذمم والمواثيق التي كانوا أعطوها خالداً ، سوى أهل باغيا وبرسا ، وأهل أليس الآخرة ثم عاد الجميع بعد هذه الواقعة التي أوردناها ، وادعوا أن الفرس أجبروهم على نقض العهد ، وأخذوا منهم الخراج وغير ذلك . فصدقهم في ذلك تألفاً لقلوبهم وسنداً لكرهم أهل السواد في كتابنا الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى . وقد ذهب ابن إسحاق وغيره إلى أن وقعة القادسية كانت في سنة خمس عشرة . وزعم الواقدي أنها كانت في سنة ست عشرة . وأما سيف بن عمر وجماعة فدكروها في سنة أربع عشرة ، وفيها ذكرها ابن جرير فأنه أعلم .

قال ابن جرير والواقدي : في سنة أربع عشرة جمع عمر بن الخطاب الناس على أبي بن كعب في التراويح وذلك في شهر رمضان منها ، وكتب إلى سائر الأمصار يأمرهم بالاجتماع في قيام شهر رمضان قال ابن جرير وفيها بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمره أن ينزل فيها بمن معه من المسلمين ، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمداين ونواحيها منهم في قول المدائني ، وروايته . قال : وزعم سيف أن البصرة إنما مصرت في ربيع من سنة ست عشرة وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت ، وجهه إليها سعد بأمر عمر رضي الله عنهم .

وقال أبو مخنف عن مجالد عن الشعبي رضى الله عنهم : إن عمر بعث عتبة بن غزوان إلى أرض البصرة في ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وسار إليه من الأعراب ما كمل معه خمسمائة ، فتر لها في ربيع الأول سنة أربع عشرة ، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشنة ، وجمل يرتاد لهم منزلاً حتى جاوزوا حيال الجسر الصغير فإذا فيه حلفاء وقصب ثابت ، فترلوا . فركب إليهم صاحب الفرات في أربعة آلاف أسوار ، فالتقاء عتبة بعد ما زالت الشمس ، وأمر الصحابة فحملوا عليهم فقتلوا الفرس عن آخرهم ، وأسروا صاحب الفرات ، وقام عتبة خطيباً فقال في خطبته : إن الدنيا قد آذنت بصرم ، وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الاناء ، وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا عما يحضركم ، فقد ذكر لي لو أن صخرة ألقيت من سفير جهنم هوت سبعين خريفاً وثلثمائة ، أو عجبتم ؟ ولقد ذكر لي أن ما بين مصراعين من مصاريح الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، ولقد رأيته وأنا سابع سبعة ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق السمر ، حتى تفرحت أشداقنا ، والتقطت برودة فضقت بها بيني وبين سعد ، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا هو أمير على مصر من الأمصار ، وسيجربون الناس بعدنا . وهذا الحديث في صحيح مسلم بنحو من هذا السياق .

وروى علي بن محمد المدائني أن عمر كتب إلى عتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة : يا عتبة إنني استعملتك على أرض الهند وهي حومة من حومة العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، وأن يعينك عليها ، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي يمدك بعرجة بن هرثمة . فإذا قدم عليك فاسقشره وقربه ، وادع إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية عن صفار وذلة ، وإلا فالسيف في غير هواة ، واتفق الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر فتفسد عليك آخرتك ، وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففرزت بعد النلة ، وقويت بعد الضعف ، حتى صرت أميراً مسلطاً ، ومسلطاً مطاعاً ، تقول فيسمع منك ، وتأمرك فيطاع أمرك ، فيألفها نعمة إذا لم ترق فوق قدرك ، وتبطل على من دونك ، احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، وهي أخوفها عندي عليك أن يستدرجك ويخدعك فتسقط سقطة فتصير بها إلى جهنم ، أعيذك بالله ونفسي من ذلك ، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأرد الله ولا ترد الدنيا ، واتفق مصارع الظالمين .

وقد فتح عتبة الأبله في رجب أو شعبان من هذه السنة . ولما مات عتبة بن غزوان في هذه السنة استعمل عمر على البصرة المنيرة بن شعبة سنتين ، فلما رمى بما رمى به عزله وولى عليها أبا موسى الأشعري رضى الله عنهم . وفي هذه السنة ضرب عمر بن الخطاب ابنه عبيد الله في الشراب هو وجماعة معه ، وفيها ضرب أبا محجن الثقفي في الشراب أيضاً سبع مرات ، وضرب معه ربيعة بن أمية بن

خلف ، وفيها نزل سعد بن أبي وقاص الكوفة ، وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب . قال
وكان بمكة عتاب بن أسيد ، وبالشام أبو عبيدة ، وبالبحرين عثمان بن أبي العاص وقيل العلاء بن
الحضرمي ، وعلى العراق سعد ، وعلى عمان حذيفة بن محصن .

ذكرى من توفي في هذا العام من المشاهير

ففيها توفي سعد بن عباد في قول والصحيح في التي قبلها والله أعلم * عتبة بن غزوان بن جابر بن
هيب المازني ، حليف بني عبد شمس صحابي بدرى ، وأسلم قديماً بعد سنة^(١) وهاجر إلى أرض الحبشة
وهو أول من اختط البصرة عن أمر عمر في إمرته له على ذلك كما تقدم ، وله فضائل ومآثر ، وتوفي سنة
أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة ، وقيل سنة سبع عشرة ، وقيل سنة عشر بن فله أعلم . وقد
جاوز الحسين ، وقيل بلغ ستين سنة رضى الله عنه * عمرو بن أم مكتوم الأعمى ، ويقال اسمه
عبد الله ، صحابي مهاجري ، هاجر بعد مصعب بن عمير ، قبل النبي (ص) ، فكان يقرئ الناس
القرآن ، وقد استخلفه رسول الله (ص) على المدينة غير مرة ، فيقال ثلاث عشرة مرة ، وشهد القادسية
مع سعد زمن عمر فيقال إنه قتل بها شهيداً ويقال إنه رجع إلى المدينة وتوفي بها والله أعلم * المثني بن
حاتمة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان الشيباني نائب خالد على العراق ، وهو
الذي صارت إليه الأثرة بعد أبو عبيد يوم الجسر ، فدارى بالمسلمين حتى خلصهم من الفرس يومئذ ،
وكان أحد الفرسان الأبطال ، وهو الذي ركب إلى الصديق فخره على غزو العراق ، ولما توفي تزوج
سعد بن أبي وقاص بامرأته سلمى بنت حفص رضى الله عنهما وأرضاها . وقد ذكره ابن الأثير في
كتابه الغابة في أسماء الصحابة * أبو زيد الأنصاري التجارى أحد القراء الأربعة الذين حفظوا
القرآن من الأنصار في عهد رسول الله (ص) ، كما ثبت ذلك في حديث أنس بن مالك ، وهم معاذ بن
جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال أنس أحد عمومتي . قال السكبي واسم أبي
زيد هذا قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حزم بن جندب بن غنم بن عدي بن النجار شهد
بدرأ . قال موسى بن عقبة واستشهد يوم جسر أبي عبيد وهي عنده في سنة أربع عشرة ، وقال بعض
الناس أبو زيد الذي يجمع القرآن سعد بن عبيد ، وردوا هذا برواية قتادة عن أنس بن مالك قال :
افتخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حظلة بن أبي عامر ، ومنا الذي حمته
الدبر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، ومنا الذي اهتز له عرش الرحمن سعد بن معاذ ، ومنا الذي
جملت شهادته شهادة رجلين خزيمه بن ثابت . فقالت الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن على عهد
رسول الله (ص) ، أبي ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ ، وأبو زيد رضى الله عنهم أجمعين * أبو عبيد بن

(١) كذا في الاصلين ولعله يريد بعد سنة من البعثة لانه من السابقين الأولين .

مسعود بن عمرو الثقفي والد المختار بن أبي عبيد أمير العراق ، ووالد صفية امرأة عبد الله بن عمر .
أسلم أبو عبيد في حياة النبي (ص) ، وذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر في الصحابة .
قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : ولا يبعد أن يكون له رواية والله أعلم .

أبو قحافة والد الصديق واسم أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن صخر
ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، أسلم أبو قحافة عام الفتح فجاء به الصديق
يقوده إلى النبي (ص) ، فقال : « هلا أقررتك الشيخ في بيته ، حتى كنا نحن نأتيه » تكرمة لأبي بكر رضي
الله عنه فقال : بل هو أحق بالسعي إليك يا رسول الله . فأجلسه رسول الله (ص) بين يديه ورأسه
كالغمامة بياضاً ودعاه ، وقال : « غيروا هذا الشيب بشيء وجنبوه السواد » . ولما توفى رسول الله
(ص) وصارت الخلافة إلى الصديق أخبره المسلمون بذلك وهو بمكة ، فقال : أو أقرت بذلك بنو
هاشم وبنو مخزوم ؟ قالوا : نعم ! قال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ثم أصيب بابنه الصديق رضي
الله عنه . ثم توفى أبو قحافة في محرم وقيل في رجب سنة أربع عشرة بمكة ، عن أربع وسبعين سنة
رحمه الله واكرم مثواه .

ومن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي من المستشهدين في هذه السنة مرتبين على الحروف
أوس بن أوس بن عتيك قتل يوم الجسر * بشير بن عنبس بن يزيد الظفري أحدي ، وهو ابن
عم قتادة بن النعمان ويعرف بفارس الحواء اسم فرسه * ثابت بن عتيك ، من بني عمرو بن مبدول ،
صحابي قتل يوم الجسر * ثعلبة بن عمرو بن محصن النجاري بدرى قتل يومئذ * الحارث بن عتيك
ابن النعمان النجاري شهد أحداً قتل يومئذ * الحارث بن مسعود بن عبدة صحابي أنصاري قتل يومئذ ،
الحارث بن عدي بن مالك أنصاري أحدي قتل يومئذ * خالد بن سعيد بن العاص ، قيل إنه استشهد
يوم مرج الصفر ، وكان في سنة أربع عشرة في قول * خزيم بن أوس الأشلمي قتل يوم الجسر *
ربيع بن الحارث بن عبد المطلب أرخ وفاته في هذه السنة ابن قانع * زيد بن سراقه يوم الجسر *
سعد بن سلامة بن وقش الأشلمي * سعد بن عبادة في قول * سلمة بن أسلم بن حريش يوم الجسر *
ضمرة بن غزية يوم الجسر * عباد وعبد الله وعبد الرحمن بنو مريع بن قيطي قتلوا يومئذ * عبد الله بن
صمصمة بن وهب الأنصاري النجاري ، شهد أحداً وما بعدها . قال ابن الأثير في الغابة : وقتل يوم
الجسر * عتبة بن غزوان تقدم * عقبة وأخوه عبد الله حضرا الجسر مع أبيهما قيطي بن قيس وقتلا
يومئذ * العلاء بن الحضرمي توفي في هذه السنة في قول وقيل بعدها وسيأتي * عمرو بن أبي اليسر
قتل يوم الجسر * قيس بن السكن أبو زيد الأنصاري رضي الله عنه تقدم * المثني بن حارثة الشيباني ،
توفي في هذه السنة رحمه الله وقد تقدم * نافع بن غيلان قتل يومئذ * نوفل بن الحارث بن عبد المطلب

وكان أسن من عمه العباس ، قيل إنه توفي في هذه السنة والمشهور قبلها كما تقدم * واقد بن عبد الله قتل يوم^(١) * يزيد بن قيس بن الخطيم الأنصاري الظفري شهد أحداً وما بعدها ، قتل يوم الجسر ، وقد أصابه يوم أحد جراحات كثيرة وكان أبوه شاعراً مشهوراً * أبو عبيد بن مسعود الثقفي أمير يوم الجسر وبه عرف لقتله عنده ، نجبطه الفيل حتى قتله رضى الله عنه بعد ما قطع بسيفه خرطومه كما تقدم * أبو قحافة التيمي والد أبي بكر الصديق ، توفي في هذه السنة رضى الله عنه . هند بنت عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس بن أمية الأموية ، والدته معاوية بن أبي سفيان ، وكانت من سيدات نساء قريش ذات رأى ودهاء ورياسة في قومها ، وقد شهدت يوم أحد مع زوجها وكان لها تخريض على قتل المسلمين يومئذ ، ولما قتل حمزة مثلت به وأخذت من كبده فلا كتبها فلم تستطع إساغتها ، لأنه كان قد قتل أباه وأخاه يوم بدر ، ثم بعد ذلك كله أسلمت وحسن إسلامها عام الفتح ، بعد زوجها بليلة . ولما أرادت الذهاب إلى رسول الله (ص) لتبأيه استأذنت أبا سفيان فقال لها : قد كنت بالأمس مكذبة بهذا الأمر ، فقالت والله ما رأيت الله عبد حق عبادته بهذا المسجد قبل هذه الليلة ، والله شهد باتوا ليلهم كلهم يصلون فيه . فقال لها : إنك قد فعلت ما فعلت فلا تنهبي وحدكى . فذهبت إلى عثمان ابن عفان ويقال إلى أخيها أبي حذيفة بن عتبة فذهب معها ، فدخلت وهي منتقبة ، فلما بايعها رسول الله (ص) مع غيرها من النساء قال « على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين » فقالت : أو تزنى الحرة ؟ « ولا تقتلن أولادكن » قالت : قد ربيناهم صغاراً تقتلهم كباراً ؟ ! فنبس رسول الله (ص) ، « ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك » فبادرت وقالت : في معروف . فقال في معروف ، وهذا من فصاحتها وحزمها ، وقد قالت لرسول الله (ص) : والله يا محمد ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلى من أن يذلوا من أهل خبائك ، فقد والله أصبح اليوم وما على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى من أن يعزوا من أهل خبائك . فقال : وكذلك والذي نفسى بيده . وشكت من شح أبي سفيان فأمرها أن تأخذ ما يكفيها ويكفي بنيتها بالمرء ، وقصتها مع الفاكه بن المغيرة مشهورة ، وقد شهدت اليرموك مع زوجها وماتت يوم مات أبو قحافة في سنة أربع عشرة وهي أم معاوية بن أبي سفيان .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير قال بعضهم فيها مصر سعد بن أبي وقاص الكوفة دلم عليها ابن ببيعة قال لسعد : أدلك على أرض ارتفعت عن البق وانحدرت عن الغلاة ؟ فدلمهم على موضع الكوفة اليوم ، قال : وفيها كانت وقعة مرج الروم ، وذلك لما انصرف أبو عبيدة وخالد من وقعة فحل قاصدين إلى حمص حسب

(١) بياض بالاصلين . وفي الإصابة أنه توفي في أول خلافة عمر

ما أمر به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما تقدم فى رواية سيف بن عمر ، فساروا حتى نزلا على ذى الكلاع ، فبعث هرقل بطريقاً يقال له توذرا فى جيش معه فتنزل بمرج دمشق وغربها ، وقد هجم الشتاء فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم ، وجاء أمير آخر من الروم يقال له شنس وعسكر معه كثير ، فنازله أبو عبيدة فاشتغلوا به عن توذرا فسار توذرا نحو دمشق لينارها ، ونزعها من يزيد ابن أبى سفيان ، فاتبه خالد بن الوليد وبرر إليه يزيد بن أبى سفيان من دمشق ، فاقتتلا وجاء خالد وهم فى المعركة فجعل يقتلهم من ورأئهم ويزيد يفصل فيهم من أمامهم ، حتى أناموهم ولم يفلت منهم إلا الشارد ، وقتل خالد توذرا وأخذوا من الروم أموالاً عظيمة فاقتسموها ورجع يزيد إلى دمشق وانصرف خالد إلى أبى عبيدة فوجده قد واقع شنس بمرج الروم فقاتلهم فيه مقاتلة عظيمة حتى أمنت الأرض من زهمهم ، وقتل أبو عبيدة شنس وركبوا أكتافهم إلى حصص فتزل عليها يحاصروها .

وقعة حصص الأولى

لما وصل أبو عبيدة فى اتباعه الروم المهزمين إلى حصص ، نزل حولها يحاصرها ، ولحقه خالد بن الوليد فحاصروها حصاراً شديداً ، وذلك فى زمن البرد الشديد ، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنهم شدة البرد ، وصبر الصحابة صبراً عظيماً بحيث إنه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع ، وقد سقطت رجله وهى فى الخلف ، والصحابة ليس فى أرجلهم شئ سوى النعال ، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا أصبع أيضاً ، ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء فاشتد الحصار ، وأشار بعض كبار أهل حصص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا : أنصالح والملك منا قريب ؟ فيقال إن الصحابة كبروا فى بعض الأيام تكبيرة ارجحت منها المدينة حتى تفطرت منها بعض الجدران ، ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور ، فجاءت عامتهم إلى خاصتهم فقالوا : ألا تنظرون إلى ما نزل بنا ، وما نحن فيه ؟ ألا تصلحون القوم عنا ؟ قال : فصالحوهم على ماصالحوا عليه أهل دمشق ، على نصف المنازل ، وضرب الخراج على الأراضى ، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر . وبعث أبو عبيدة بالاحساس والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود . وأنزل أبو عبيدة بمحمص جيشاً كثيراً يكون بها مع جماعة من الأمراء ، منهم بلال والمقداد وكتب إلى أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء إلى الجزيرة وأنه يظهر تارة ويخفى أخرى . فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده .

وقعة قنسرين

لما فتح أبو عبيدة حصص بعث خالد بن الوليد إلى قنسرين ، فلما جاءها نار إليه أهلها ومن عندهم من نصارى العرب ، فقاتلهم خالد فيها قتالاً شديداً ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، فأما من هناك من الروم فأبادهم وقتل أميرهم ميتاس . وأما الأعراب فاتهم اعتدروا إليه بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا

قبل منهم خالد وكف عنهم ثم خلس إلى البلد فتجسّسوا فيه ، فقال لهم خالد إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا . ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه والله الحمد .

فلما بلغ عمر ما صنعه خالد في هذه الواقعة قال يرحم الله أبا بكر ، كان أعلم بالرجال مني ، والله إنني لم أعزله عن ربيعة ولكن خشيت أن يوكل الناس إليه . وفي هذه السنة قهرق هرقل بجنوده ، وارتحل عن بلاد الشام إلى بلاد الروم . هكذا ذكره ابن جرير عن محمد بن إسحاق . قال وقال سيف : كان ذلك في سنة ست عشرة ، قالوا : وكان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول غلبك السلام يأسورية ، تسليم مودع لم يقض منك وطراً وهو عائد . فلما عزم على الرحيل من الشام وبلغ الرها ، طلب من أهلها أن يصحبوه إلى الروم ، فقالوا : إن بقاءنا هاهنا أنفع لك من رحيلنا معك ، فتركهم . فلما وصل إلى شمشان وعلا على شرف هنالك التفت إلى نحو بيت المقدس وقال : عليك السلام يأسورية سلاماً لا اجتماع بعده إلا أن أسلم عليك تسليم المفارق ، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤم ، وباليته لم يولد . ما أحلى فعله وأمر عاقبته على الروم ! ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية واستقر بها ملكه ، وقد سأل رجلاً من أتبعه كان قد أسرمع المسلمين ، فقال : أخبرني عن هؤلاء القوم ، فقال : أخبرك كأنك تنظر إليهم ، هم فرسان بالتهار ، رهبان بالليل ، لا يأكلون في ذمتهم إلا بشمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه . فقال : لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين .

قلت وقد حاصر المسلمون قسطنطينية في زمان بني أمية فلم يملكوها ولكن سيملكها المسلمون في آخر الزمان كما سنبينه في كتاب الملاحم ، وذلك قبل خروج الدجال بقليل على ما صحت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الأئمة والله الحمد والمنة ، وقد حرم الله على الروم أن يملكوا بلاد الشام برمتها إلى آخر الدهر ، كما ثبت به الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله عز وجل ، وقد وقع ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت ، وسيكون ما أخبر به جزماً لا يعود ملك القيصرية إلى الشام أبداً لأن قيصر علم جنس عند العرب يطلق على كل من ملك الشام مع بلاد الروم . فهذا لا يعود لهم أبداً .

وقعة قيسارية

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أتر عمر معاوية بن أبي سفيان على قيسارية وكتب إليه : أما بعد فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم ، وأكثرت من قول لاهول ولا قوة إلا بالله

العلی العظيم ، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير . فسار إليها فحاصرها ، وزاحفه أهلها مرات عديدة ، وكان آخرها وقعة أن قاتلوا قتالا عظيما ، وصمم عليهم معاوية ، واجتهد في القتال حتى فتح الله عليه فما انفصل الحلال حتى قتل منهم نحواً من ثمانين ألفاً ، وكل المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة ، وبمث بالفتح والانحسار إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

قال ابن جرير : وفيها كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالسير إلى إيليا ، ومناجزة صاحبها فاجتاز في طريقه عند الرملة بطائفة من الروم فكانت .

وقعة اجنادين

وذلك أنه سار بجيشه وعلى ميمنته ابنه عبد الله بن عمرو ، وعلى ميسرته جنادة بن نعيم المالكي ، من بني مالك بن كنانة ، ومعه شرحبيل بن حسنة ، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي ، فلما وصل إلى الرملة وجد عندها جمعاً من الروم عليهم الأرطوبون ، وكان أدهى الروم وأبعدها غوراً ، وأنكأها فعلاً ، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً وإيلياء جنداً عظيماً ، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر . فلما جاءه كتاب عمرو قال : قد رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب ، فانظروا عما تنفرج . وبمث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفراسي ، ومسروق بن بلال العكي على قتال أهل إيليا . وأبا أيوب المالكي إلى الرملة ، وعليها التذارق ، فكانوا بازاءهم ليشغلهم عن عمرو بن العاص وجيشه ، وجعل عمر وكما قدم عليه امداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء . وأقام عمرو على اجنادين لا يقدر من الأرطوبون على سقطة ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسول ، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضرته حتى عرف ما أراد ، وقال الأرطوبون في نفسه : والله إن هذا لعمر وأو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه ، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله . فدعا حرساً فساروه فأمره بفتكه فقال : اذهب قم في مكان كذا وكذا ، فإذا مر بك فاقتله ، ففطن عمرو ابن العاص فقال للأرطوبون : أيها الأمير إني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي ، وإني واحد من عشرة بهتنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالي لنشهد أموره . وقد أحبيت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك وبرأ ما رأيت . فقال الأرطوبون : نعم ! فاذهب فأتني بهم ، ودعا رجلاً فساروه فقال : اذهب إلى فلان فردّه . وقام عمرو وذهب إلى جيشه ثم تحقق الأرطوبون أنه عمرو بن العاص ، فقال : خدعني الرجل ، هذا والله أدهى العرب . وبلغت عمر بن الخطاب فقال : لله در عمرو . ثم ناهضه عمرو فاقتلوا بأجنادين قتالا عظيماً ، كقتال اليرموك ، حتى كثرت القتلى بينهم ثم اجتمعت بقية الجيوش إلى عمرو ابن العاص ، وذلك حين أعيانهم صاحب إيليا وتحصن منهم بالبلد ، وكثر جيشه ، فكتب الأرطوبون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد

أجنادين فارجمع ولا تفرّ فتلقى مثل ما لقي الذين قبلك من الهزيمة ، فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية فبعثه إلى أربطون وقال : اسمع ما يقول لك ثم ارجع فأخبرني . وكتب إليه معه : جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك ، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي وقد علمت أنني صاحب فتح هذه البلاد ، واقرأ كتابي هذا بمحضر من أصحابك ووزرائك . فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا للأربطون : من أن علمت أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد ؟ فقال : صاحبها رجل اسمه على ثلاثة أحرف . فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال فكتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول له : إني أعالج حرباً كؤوداً صمدوماً ، وبلاداً أذخرت لك ، فأريك . فلما وصل الكتاب إلى عمر علم أن عمرًا لم يقل ذلك إلا لأمر علمه ، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس كما سند كر تفصيله .

قال سيف بن عمر عن شيوخه : وقد دخل عمر الشام أربع مرات ، الأولى كان راكباً فرساً حين فتح بيت المقدس ، والثانية على بغير ، والثالثة وُصل إلى سرع ثم رجع لأجل ما وقع بالشام من الوباء . والرابعة دخلها على حمار هكذا نقله ابن جرير عنه .

فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب

ذكره أبو جعفر بن جرير في هذه السنة عن رواية سيف بن عمر وملخص ما ذكره هو وغيره أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الاسلام ، أو يبذلون الجزية أو يؤذون بحرب . فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه . فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم . وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم ، فهو ما قال على ولم يهو ما قال عثمان . وسار بالجيش نحوهم واستخلف على المدينة على بن أبي طالب وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته ، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤس الأمراء ، كخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة فكف أبو عبيدة فكف عمر . ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله (ص) ، ليلة الاسراء . ويقال إنه لبي حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه ، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل ، ثم جاء إلى الصخرة

فاستدل على مكانها من كعب الأخبار وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من وراءه فقال ضاهيت اليهودية . ثم جمل المسجد في قبلي بيت المقدس وهو العمري اليوم ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف رداءه وقبائه ، ونقل المسلمون معه في ذلك ، وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها ، وقد كانت الروم جلسوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود ، حتى أن المرأة كانت ترسل خرقة حبيستها من داخل الحوز لتلقى في الصخرة ، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب فجعلوا يلتفون على قبره القمامة فلا جل ذاك سمي ذلك الموضع القمامة وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هنالك .

وقد كان هرقل حين جاء الكتاب النبوي وهو بايلياء وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في القاء الكنيسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود قال لهم : انكم خلقيق أن تقتلوا على هذه الكنيسة مما امتنتم هذا المسجد كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا ثم أمروا بازالتها فشرعوا في ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن الخطاب وقد استقصى هذا كله بأسانيده ومتونه الحافظ بهاء الدين بن الجافظ أبي القاسم بن عساكر في كتابه المستقصى في فضائل المسجد الأقصى .

وذكر سيف في سياقه : أن عمر رضى الله عنه ركب من المدينة على فرس ليسرع السير بعد ما استخلف عليها على بن أبي طالب ، فسار حتى قدم الجابية فنزل بها وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة منها : « أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم ، واعملوا لا آخرتكم تكفوا أمر دنياكم ، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حى ولا بينه وبين الله هوادة ، فمن أراد لَحَبَّ (طريق) وجه الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ، ولا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ، ومن سرته حسنة وساءته سيئته فهو مؤمن » وهي خطبة طويلة اختصرناها . ثم صالح عمر أهل الجابية ورحل إلى بيت المقدس وقد كتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه في اليوم القلاني إلى الجابية فتوافوا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية ، فكان أول من تلقاه يزيد بن أبي سفيان ، ثم أبو عبيدة ، ثم خالد بن الوليد في خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج ، فسار إليهم عمر ليحضرهم فاعتذروا إليه بأن عليهم السلاح ، وأنهم يحتاجون إليه في حروبهم . فسكت عنهم واجتمع الأمراء كلهم بعد ما استخلفوا على أعمالهم ، سوى عمرو بن العاص وشرحبيل فأنهما موافقان الأرطبون بأجنادين ، فبينما عمر في الجابية إذا بكردوس من الروم بأيديهم سيوف مسلة ، فسار إليهم المسلمون بالسلاح فقال عمر : إن هؤلاء قوم يستأمنون . فساروا نحوهم فإذا هم جند من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه فأجابهم عمر رضى الله عنه إلى ما سألوا ، وكتب لهم كتاب أمان

ومصالحة ، وضرب عليهم الجزية ، واشترط عليهم شروطاً ذكرها ابن جرير ، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد ، وعمر بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وهو كاتب الكتاب وذلك في سنة خمسة عشر . ثم كتب لأهل لد ومن هنالك من الناس كتاباً آخر وضرب عليهم الجزية ، ودخلوا فيما صالح عليه أهل إيلياء ، وفر الأرطبون إلى بلاد مصر ، فكان بها حتى فتحها عمرو بن العاص ، ثم فر إلى البحر فكان يلي بعض السرايا الذين يقاتلون المسلمين فظفر به رجل من قيس فقطع يد القيسى وقتله القيسى وقال في ذلك .

فان يكن أرطبون الروم أفسدها * فان فيها بمحمد الله منتفعا
وإن يكن أرطبون الروم قطعها * فقد تركت بها أو صالة قطعاً

ولما صالح أهل الرملة وتلك البلاد ، أقبل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة حتى قدما الجابية فوجدا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب راكباً ، فلما اقتربا منه أكبأ على ركبتيه فقبلها واعتنقها عمر معاً رضي الله عنهم * قال سيف ثم سار عمر إلى بيت المقدس من الجابية وقد توحى فرسه فأتوه برذون فركبه فجعل يملج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك ، هذا من الخيلاء ، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده ، ففتحت إيلياء وأرضها على يديه ما خلا أجنادين فملى يدي عمرو . وقيسارية فملى يدي معاوية . هذا سياق سيف بن عمر وقد خالفه غيره من أئمة السير فذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة .

قال محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصن بن علان قال يزيد بن عبيدة : فتحت بيت المقدس سنة ست عشرة وفيها قدم عمر بن الخطاب الجابية . وقال أبو زرعة الدمشقي عن دحيم عن الوليد بن مسلم قال : ثم عاد في سنة سبع عشرة فرجع من سرع ثم قدم سنة ثمانى عشرة فاجتمع إليه الأمراء وسلموا إليه ما اجتمع عندهم من الأموال فقسمها وجند الأجناد ومصر الأمصار ثم عاد إلى المدينة .

وقال يعقوب بن سفيان : ثم كان فتح الجابية وبيت المقدس سنة ست عشرة . وقال أبو معشر : ثم كان عمواس والجابية في سنة ست عشرة . ثم كانت سرع في سبع عشرة ، ثم كان عام الرمادة في سنة ثمانى عشرة قال : وكان فيها طاعون عمواس - يعنى فتح البلدة المعروفة بعمواس - فأما الطاعون المنسوب إليها فكان في سنة ثمانى عشرة كما سيأتى قريباً إن شاء الله تعالى .

قال أبو مخنف : لما قد عمر الشام فرأى غوطة دمشق ونظر إلى المدينة والقصور والبساتين تلا قوله تعالى [كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين] ثم أنشد قول النابغة .

هما فتيا دهر يكرّ عليهما * نهارٌ وليلٌ يلحقان التواليا
إذا ما هما مرّاً بحجّ بغبطة * أناخا بهم حتى يلاقوا الدواها

وهذا يقتضى بادی الرأي أنه دخل دمشق وليس كذلك ، فانه لم ينقل أحد أنه دخلها في شيء من قدماته الثلاث إلى الشام ، أما الأولى وهى هذه فانه سار من الجابية إلى بيت المقدس ، كما ذكر سيف وغيره والله أعلم وقال الواقدي أمارا واية غير أهل الشام فهى أن عمر دخل الشام مرتين ورجع الثالثة من سرع سنة سبع عشرة وهم يقولون دخل في الثالثة دمشق وحاص وأنكر الواقدي ذلك . قلت : ولا يعرف أنه دخل دمشق إلا في الجاهلية قبل إسلامه ، كما بسطنا ذلك في سيرته . وقد رويانا أن عمر حين دخل بيت المقدس سأل كعب الأبحار عن مكان الصخرة فقال : يا أمير المؤمنين اذرع من وادى جهنم كذا وكذا ذراعاً فهى ثم . فذرعوا فوجدوها وقد اتخذها النصارى مذبلة ، كما فعلت اليهود بمكان القمامة ، وهو المكان الذى صلب فيه المصلوب الذى شبه بهيسى فاعتقدت النصارى واليهود أنه المسيح . وقد كذبوا في اعتقادهم هذا كما نص الله تعالى على خطيئهم في ذلك . والمقصود أن النصارى لما حكموا على بيت المقدس قبل البعثة بنحو من ثلثمائة سنة ، طهروا مكان القمامة واتخذوه كنيسة هائلة بنتها أم الملك قسطنطين باني المدينة المنسوبة اليه ، واسم أمه هيلانة الحارانية البنداقانية . وأمرت ابنها فبنى للنصارى بيت لحم على موضع الميلاد ، وبنت هى على موضع القبر فيما يزعمون . والغرض أنهم اتخذوا مكان قبلة اليهود مذبلة أيضاً ، في مقابلة ماضعوا في قديم الزمان وحديثه . فلما فتح عمر بيت المقدس وتحقق موضع الصخرة ، أمر بإزالة ما عليها من الكناسة حتى قيل إنه كنسها بردائه ، ثم استشار كعباً أين يضع المسجد ؟ فأشار عليه بأن يجعله وراء الصخرة ، فضرب في صدره وقال . يا ابن أم كعب ضارعت اليهود : وأمر ببنائه في مقدم بيت المقدس .

قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان عن عبيد بن آدم وأبي مریم وأبي شعيب أن عمر بن الخطاب كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال قال ابن سلمة : فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب : أين ترى أن أصلى ؟ قال إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر ضاهيت اليهودية لا ولكن أصلى حيث صلى رسول الله (س) ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة في رداءه وكنس الناس . وهذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسى في كتابه المستخرج ، وقد تكلمنا على رجاله في كتابنا الذى أفردناه في مسند عمر ، ما رواه من الأحاديث المرفوعة وما روى عنه من الآثار الموقوفة مبوباً على أبواب الفقه والله الحمد والمنة .

وقد روى سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق ،

فقال السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ؟ لا هالله لا ترجع حتى يفتح الله عليك إيلياء .
وقد روى أحمد بن مروان الدينوري عن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن أسامة
ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم مولى عمر بن الخطاب أنه قدم دمشق في تجار من قریش ،
فلما خرجوا تخلف عمر لبض حاجته ، فبينما هو في البلد إذا ببطريق يأخذ بعنقه ، فذهب ينارعه فلم
يقدر ، فادخله دارا فيها تراب وفأس ومجرفة وزنبيل ، وقال له : حول هذا من ههنا إلى ههنا ، وغلّق
عليه الباب وانصرف فلم يجد في يده إلى نصف النهار . قال : وجلست مفكراً ولم أفعل مما قال لي شيئاً .
فلما جاء قال : مالك لم تفعل ؟ ولكنني في رأسي بيده قال : فأخذت الفأس فضربت بها قتلته وخرجت
على وجهي فجئت ديراً لراهب فجلست عنده من العشي ، فأشرف على قتل وأدخلني الدير فأطعمني
وسقاني ، وأتحفني ، وجعل يحقق النظر في ، وسألني عن أمري فقلت : إني أضللت أصحابي . فقال :
إنك لتنظر بعين خائف ، وجعل يتوسمني ، ثم قال : لقد علم أهل دين النصرانية أني أعلمهم بكتابهم ،
وإني لأراك الذي تخرجنا من بلادنا هذه ، فهل لك أن تكتب لي كتاب أمان على دبري هذا ؟
فقلت : يا هذا لقد ذهبت غير مذهب . فلم يزل بي حتى كتبت له صحيفة بما طلب مني ، فلما كان
وقت الانصراف أعطاني أناثاً فقال لي أركبها ، فاذا وصلت إلى أصحابك فابحث إلي بها وحدها فانها
لا تضر بدبري إلا أكرموها . ففعلت ما أمرني به ، فلما قدم عمر لفتح بيت المقدس أتاه ذلك الراهب
وهو بالجباية بتلك الصحيفة فأضاهها له عمر واشترط عليه ضيافة من يمر به من المسلمين ، وأن يرشدهم
إلى الطريق . رواه ابن عساكر وغيره . وقد ساقه ابن عساكر من طريق أخرى في ترجمة يحيى بن
عبيد الله بن أسامة القرشي البلقاوي عن زيد بن أسلم عن أبيه فذكر حديثاً طويلاً عجيباً هذا بعضه .
وقد ذكرنا الشروط العمرية على نصارى الشام مطولاً في كتابنا الأحكام ، وأفردنا له مصنفاً على حدة
ولله الحمد والمنة .

وقد ذكرنا خطبته في الجباية بالفاظها وأسانيدھا في الكتاب الذي أفردناه لمسند عمر ، وذكرنا
تواضعه في دخوله الشام في السيرة التي أفردناها له .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني الربيع بن ثعلب نا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم
ابن هرمز المكي عن أبي الغالية الشامي قال : قدم عمر بن الخطاب الجباية على طريق إيلياء على جبل
أورق ، تلوح صلته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة ، تصطفق رجلاه بين شعبتي الرجل بلا ركاب ،
وطاؤه كساء انبجاني ذو صوف هو وطاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل ، حقيبته نمرّة أو شملة محشوة
ليفاً ، هي حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل وعليه قميص من كرايس قد رسم وتخرق جنبه . فقال :
ادعوا لي رأس القوم ، فدعوا له الجلوس ، فقال : اغسلوا قميصي وخيطوه وأعيروني ثوباً أو قميصاً .

فأتى بقميص كتان فقال : ما هذا ؟ قالوا : كتان . قال : وما الكتان ؟ فأخبروه فترع قميصه فغسل ورقع وأتى به فترع قميصهم ولبس قميصه . فقال له الجلوس . : أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بها الابل ، فلو لبست شيئاً غير هذا وركت برذوناً لكان ذلك أعظم في أعين الروم . فقال : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلاً . فأتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركبه بها فقال : احبسوا احبسوا ، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا فأتى بجملته فركبه . وقال إسماعيل بن محمد الصفار : حدثنا سعد بن أنس بن نصر حدثنا سفيان عن أيوب الطائي عن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال : لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكها بيد ، وخاض الماء ومعه بعيره . فقال له أبو عبيدة : قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا ، قال : فصك في صدره وقال : أو لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحق الناس وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام فهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله . قال ابن جرير : وفي هذه السنة - أعني سنة خمس عشرة - كانت بين المسلمين وفارس وقعات في قول سيف بن عمر . وقال ابن إسحاق والواقدي : إنما كان ذلك في سنة ست عشرة ، ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بينهم ، وذلك حين بعث عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره بالسير إلى المدائن ، وأن يخلف النساء والعيال بالعقيق^(١) في خيل كثيرة كثيفة . فلما تفرغ سعد من القادسية بعث على المقدمة زهرة بن حوية ، ثم أتبعه بالأمراء واحداً بعد واحد ، ثم سار في الجيوش وقد جعل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص على خلفه مكان خالد بن عرفة ، وجعل خالداً هذا على الساقة ، فساروا في خيول عظيمة ، وسلاح كثير ، وذلك لأيام بقين من شوال من هذه السنة ، فنزلوا الكوفة وارتحل زهرة بين أيديهم نحو المدائن ، فلقاه بها يصبهي في جيش من فارس فهزمهم زهرة وذهبت الفرس في هريتهم إلى بابل وبها جمع كثير ممن انهزم يوم القادسية قد جعلوا عليهم الفيرزان ، فبعث زهرة إلى سعد فأعلمه باجتماع المنهزمين ببابل ، فسار سعد بالجيوش إلى بابل ، فتقابل هو والفيرزان عند بابل فهزمهم كما سرع من لفة الرداء ، وانهزموا بين يديه فرقتين ففرقة ذهبت إلى المدائن ، وأخرى سارت إلى نهاوند ، وأقام سعد ببابل أياماً ثم سار منها نحو المدائن فلقوا جمعاً آخر من الفرس فاقتتلوا قتالاً شديداً وبارزوا أمير الفرس ، وهو شهر يار ، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له نائل الأعرجي أبو نباتة من شجعمان بنى تميم ، فتجاولا ساعة بالرمح ، ثم ألقياها فانتضيا سيفيهما وتصاولا بهما ، ثم تعانقا وسقطا عن فرسيهما إلى الأرض ، فوقع شهر يار على صدر أبي نباتة ، وأخرج خنجرأ ليدبجه بها ، فوقعت أصبعه في فم أبي نباتة فقضمها حتى شغله عن نفسه ، وأخذ الخنجر فذبح شهر يار بها وأخذه

(١) العقيق : كذا في الاصلين وفي ابن جرير بالعقيق .

فرسه وسواريه وسلبه ، وانكشف أصحابه فهزموا ، فأقسم سعد على نائل ليلبس سوارى شهریار وسلاحه ، وليركبن فرسه إذا كان حرب فكان يفعل ذلك . قالوا : وكان أول من تسور بالعراق ، وذلك بمكان يقال له كوفى . وزار المكان الذى حبس فيه الخليل وصلى عليه وعلى سائر الأنبياء : وقرأ [وتلك الأيام نداؤها بين الناس] الآية

وقعة نهر شير (١)

قالوا : ثم قدم سعد زهرة بين يديه من كوفى الى نهر شير فمضى الى المقدمة وقد تلقاه شير راذ الى ساباط بالصلح والجزية فبعثه الى سعد فأمضاه ، ووصل سعد بالجنود الى مكان يقال له مظلم ساباط ، فوجدوا هنالك كتاب كثيرة لكسرى يسمونها بوران ، وهم يقسمون كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا ، ومعهم أسد كبير لكسرى يقال له المقرط ، قد أرصده فى طريق المسلمين فتقدم إليه ابن أخى سعد ، وهو هاشم بن عتبة ، فقتل الأسد والناس ينظرون وسمى يومئذ سيفه المتين (٢) وقبل سعد يومئذ رأس هاشم ، وقبل هاشم قدم سعد . وحمل هاشم على الفرس فأزالهم عن أما كنهم وهزمهم وهو يتلو قوله تعالى [أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال] فلما كان الليل ارتحل المسلمون ونزلوا نهر شير فجمعوا كلما وقفوا كبروا وكذلك حتى كان آخرهم مع سعد فأقاموا بها شهرين ودخلوا فى الثالث وفرغت السنة .

قال ابن جرير : وفيها حج بالناس عمر وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى الشام أبو عبيدة ، وعلى الكوفة والعراق سعد ، وعلى الطائف يعلى بن أمية (٣) وعلى البحرين واليمامة عثمان بن أبي العاص ، وعلى عمان حذيفة بن محصن .

قلت : وكانت وقعة اليرموك فى سنة خمس عشرة فى رجب منها عند الليث بن سعد وابن لهيعة وأبى معشر والوليد بن مسلم ويزيد بن عبيدة وخليفة بن خياط وابن الكلبي ومحمد بن عائذ وابن عساكر وشيخنا أبى عبد الله الذهبى الحافظ . وأما سيف بن عمر وأبو جعفر بن جرير فذكروا وقعة اليرموك فى سنة ثلاث عشرة . وقد قدمنا ذكرها هنالك تبعاً لابن جرير ، وهكذا وقعة القادسية عند بعض الحفاظ أنها كانت فى أواخر هذه السنة - سنة خمس عشرة - وتبعهم فى ذلك شيخنا الحافظ الذهبى . والمشهور أنها كانت فى سنة أربع عشرة كما تقدم ثم ذكر شيخنا الذهبى .

من توفي فى هذه السنة مرتبين على الحروف

سعد بن عباد الأنصارى الخزرجى ، وهو أحد أقوال المؤرخين . وقد تقدم * سعد بن عبيد بن

(١) وفى فتوح العجم والعراق للواقدي « نهمشير » . وفى الطبرى « بهر سیر » .

(٢) كذا بالأصلين . وفى الطبرى « المتين » بفتح النونين . (٣) فى الطبرى « منية »

النعمان أبو زيد الأنصاري الأوسي ، قتل بالقادسية ، ويقال إنه أبو زيد القاري أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله (ص). وأنكر آخرون ذلك ، ويقال إنه والد عمير بن سعد الزاهد أمير حمص . وذكر محمد بن سعد وفاته بالقادسية وقال : كانت في سنة ست عشرة والله أعلم * سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن حسل بن عامر بن لؤي أبو يزيد العامري أحد خطباء قريش وأشرفهم ، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان سمحاً جواداً فصيحاً كثير الصلاة والصوم والصدقة وقراءة القرآن والبكاء . ويقال إنه قام وصام حتى شحب لونه . وله سعي مشكور في صلح الحديبية . ولما مات رسول الله (ص) ، خطب الناس بمكة خطبة عظيمة تثبت الناس على الإسلام ، وكانت خطبته بمكة قريباً من خطبة الصديق بالمدينة ، ثم خرج في جماعة إلى الشام مجاهداً فحضر اليرموك وكان أميراً على بعض الكراديس ، ويقال إنه استشهد يومئذ . وقال الواقدي والشافعي : توفي بطاعون عمواس * عامر بن مالك بن أهيب الزهري أخى سعد بن أبي وقاص ، هاجر إلى الحبشة ، وهو الذي قدم بكتاب عمر إلى أبي عبيدة بولايته على الشام وعزل خالد عنها ، استشهد يوم اليرموك * عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد الخزومي ، صحابي هاجر إلى الحبشة مع عمه أبي سلمة بن عبد الأسد . روى عنه عمرو بن دينار منقطعاً لأنه قتل يوم اليرموك * عبد الرحمن بن العوام ، أخو الزبير ابن العوام ، حضر بدرًا مشركاً ثم أسلم واستشهد يوم اليرموك في قول * عتبة بن غزوان ، توفي فيها في قول * عكرمة بن أبي جهل استشهد باليرموك في قول * عمرو بن أم مكتوم استشهد يوم القادسية وقد تقدم ، ويقال بل رجع إلى المدينة * عمرو بن الطفيل بن عمرو تقدم * عامر بن أبي ربيعة تقدم * فراس بن النضر بن الحارث يقال استشهد يوم اليرموك * قيس بن عدي بن سعد بن سهم من مهاجرة الحبشة قتل باليرموك * قيس بن أبي صصعة * عمرو بن زيد بن عوف الأنصاري المازني شهد العقبة و بدرًا ، وكان أحد أمراء الكراديس يوم اليرموك ، وقتل يومئذ ، وله حديث قال : قلت يارسول الله في كم أقرأ القرآن ؟ قال : « في خمس عشرة » الحديث ، قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي : ففيه دليل على أنه ممن جمع القرآن في عهد رسول الله (ص) * نصير بن الحارث بن علقمة بن كعدة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدي ، أسلم عام الفتح ، وكان من علماء قريش ، وأعطاه رسول الله (ص) يوم حنين مائة من الابل ، فتوقف في أخذها وقال : لا أردتني على الإسلام ، ثم قال : والله ما طلبتها ولا سألتها ، وهي عطية من رسول الله (ص) ، فأخذها وحسن إسلامه ، واستشهد يوم اليرموك * نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله (ص) ، كان أسن من أسلم من بني عبد المطلب ، وكان ممن أسرى يوم بدر ففاداه العباس ، ويقال إنه هاجر أيام الخندق وشهد الحديبية والفتح ، وأعان رسول الله (ص) يوم حنين بثلاثة آلاف ربح ، وثبت يومئذ وتوفي سنة خمس عشرة ،

وقيل سنة عشرين والله أعلم ، توفي بالمدينة وصلى عليه عمر ومشي في جنازته ودفن بالبقيع وخلف عدة أولاد فضلاء وأكابر * هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص تقدم وقال ابن سعد : قتل يوم اليرموك .

تم دخلت سنة ست عشرة

استهلت هذه السنة وسعد بن أبي وقاص منازل مدينة نهرشير ، وهي إحدى مدينتي كسرى مما إلى دجلة من الغرب ، وكان قدوم سعد إليها في ذى الحجة من سنة خمس عشرة ، واستهلت هذه السنة وهو نازل عندها . وقد بعث السرايا والخيول في كل وجه ، فلم يجدوا واحداً من الجند ، بل جمعوا من الفلاحين مائة ألف فخبسوا حتى كتب إلى عمر ما يفعل بهم ، فكتب إليه عمر : إن من كان من الفلاحين لم يعن عليكم وهو مقيم ببلده فهو أمانه ، ومن هرب فأدركتموه فشانكم به . فأطلقهم سعد بعد مادعاهم إلى الاسلام فأبوا إلا الجزية . ولم يبق من غربي دجلة إلى أرض العرب أحد من الفلاحين إلا تحت الجزية والخراج ، وامتنعت نهرشير من سعد أشد الامتناع ، وقد بعث إليهم سعد سلمان الفارسي فدعاهم إلى الله عز وجل أو الجزية أو المقاتلة ، فأبوا إلا المقاتلة والعصيان ، ونصبوا المجانيق والدبابات ، وأمر سعد بعمل المجانيق فعملت عشرون منجنيقاً ، ونصبت على نهرشير ، واشتد الحصار وكان أهل نهرشير يخرجون فيقاتلون قتلاً شديداً ويحلفون أن لا يفرؤا أبداً ، فأكتبهم الله وهزمهم زهرة بن حوية بعد ما أصابه سهم وقتل بعد مصابه كثيراً من الفرس وفروا بين يديه ولجأوا إلى بلدهم ، فكانوا يحاصرون فيه أشد الحصار ، وقد انحصر أهل البلد حتى أكلوا الكلاب والسنانير وقد أشرف رجل منهم على المسلمين فقال : يقول لكم الملك : هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم ؟ أما شبعتم ؟ لا أشبع الله بطونكم . قال : فبدر الناس رجل يقال له أبو مقرن الأسود بن قطبة فأنطقه الله بكلام لم يدر ما قال لهم ، قال : فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون من نهرشير إلى المدائن . فقال الناس لأبي مقرن : ما قلت لهم ؟ فقال : والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما قلت لهم إلا أن على سكيئة وأنا أرجو أن أكون قد انطلقت بالذي هو خير ، وجعل الناس ينتابونه يسألونه عن ذلك ، وكان فيمن سأله سعد بن أبي وقاص ، وجاءه سعد إلى منزله فقال : يا أبا مقرن ما قلت ؟ فوالله إنهم هراب . فحلف له أنه لا يدري ما قال . فنأدى سعد في الناس ونهدهم إلى البلد والمجانيق تضرب في البلد ، فنأدى رجل من البلد بالأمان فأمناد ، فقال والله ما بالبلد أحد ، فتسور الناس السور فما وجدنا فيها أحداً إلا قد هربوا إلى المدائن . وذلك في شهر صفر من هذه السنة فسلنا ذلك الرجل وأناساً من الأسارى فيها لأى شئ هربوا ؟ قالوا بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجابه ذلك الرجل بأنه لا يكون بينكم وبينه صلح أبداً حتى تأكل

عسل افرينين بأترج كوفى . فقال الملك : يا ويلاه إن الملائكة لتسكنكم على ألسنتهم ، ترد علينا وتجيئنا عن العرب . ثم أمر الناس بالرحيل من هناك إلى المدائن فجازوا في السفن منها إليها وبينهما دجلة ، وهي قريبة منها جداً ، ولما دخل المسلمون نهرشير لاح لهم القصر الأبيض من المدائن وهو قصر الملك الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله أنه سيفتحه الله على أمته ، وذلك قريب الصباح ، فكان أول من رآه من المسلمين ضرار بن الخطاب ، فقال : الله أكبر أبيض كسرى ، هذا ما وعدنا الله ورسوله . ونظر الناس إليه فتابعوا التكبير إلى الصبح .

ذكر فتح المدائن

لما فتح سعد نهرشير واستقر بها ، وذلك في صفة لم يجد فيها أحداً ولا شيئاً مما يغتم ، بل قد تحولوا بكههم إلى المدائن وركبوا السفن وضموا السفن إليهم ، ولم يجد سعد رضى الله عنه شيئاً من السفن وتعذر عليه تحصيل شئ منها بالكلية ، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها ، ورمت بالزبد من كثرة الماء بها ، وأخبر سعد بأن كسرى يزدرج عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان ، وأنتك إن لم تدركه قبل ثلاث فأت عليك وتفارط الأمر . فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شأوا فينا وشئونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شئ تخافون أن تؤتوا منه ، وقد رأيتم أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل . فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور ويقول : من يبدأ فيحى لنا الفراض . يعنى ثغرة الخاضة من الناحية الأخرى - ليجوز الناس إليهم آمنين ، فانتدب عاصم بن عمرو وذو البأس من الناس قريب من ستائة ، فأمر سعد عليهم عاصم ابن عمرو فوقفوا على حافة دجلة فقال عاصم : من ينتدب معى لنكون قبل الناس دخولا في هذا البحر فنحى الفراض من الجانب الآخر ؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين - والأعاجم وقوف صفوفاً من الجانب الآخر - فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة ، فقال : أتخافون من هذه النطفة ؟ ثم تلا قوله تعالى ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾ ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس ، وقد افترق الستون فرقتين أصحاب الخيل المذكور : وأصحاب الخيل الاناث . فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا : ديوانا ديوانا . يقولون مجانين مجانين . ثم قالوا : والله ما تقتلون إنساً بل تقتلون جنأ . ثم أرسلوا فرساناً منهم في الماء يلتقون أول المسلمين لينعومهم من الخروج من الماء ، فأمر عاصم بن عمرو وأصحابه أن يشرعوا لهم الرماح ويتوخوا الأعين ، ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم ، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من

الماء ، واتبعهم عاصم وأصحابه فساقوا وراهم حتى طردوهم عن الجانب الآخر ، ووقفوا على حافة الدجلة من الجانب الآخر ونزل بقية أصحاب عاصم من السائمة في دجلة فحاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم من الجانب الآخر فقاتلوا مع أصحابهم حتى نفوا الفرس عن ذلك الجانب وكانوا يسمون الكتيبة الأولى كتيبة الأهوال ، وأميرها عاصم بن عمرو ، والكتيبة الثانية الكتيبة الخرساء وأميرها القعقاع بن عمرو . وهذا كله وسعد والمسلمون ينظرون إلى ما يصنع هؤلاء الفرسان بالفرس ، وسعد واقف على شاطئ دجلة . ثم نزل سعد ببقيّة الجيش ، وذلك حين نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصن بمن حصل فيه من الفرسان المسلمين ، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد ، فساروا فيها كأنما يسرون على وجه الأرض حتى ملؤا ما بين الجانبين ، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجال ، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن ، والوثوق بأمر الله ووعد نصره وتأيبه ، ولأن أميرهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وقد توفى رسول الله (ص) ، وهو عنه راض ، ودعاه . فقال « اللهم أجب دعوته ، وسدد رميته » والمقطوع به أن سمعاً دعا لجيشه هذا في هذا اليوم بالسلامة والنصر ، وقد رمى بهم في هذا اليم فسدهم الله وسلمهم ، فلم يفقد من المسلمين رجل واحد غير أن رجلاً واحداً يقال له غرقدة البارق ، ذل عن فرس له شقراء ، فأخذ القعقاع بن عمرو بلجامها ، وأخذ بيد الرجل حتى عدله على فرسه ، وكان من الشجعان ، فقال : عجيز النساء أن يلدن مثل القعقاع بن عمرو . ولم يعدم للمسلمين شيء من أمتعتهم غير قدح من خشب لرجل يقال له مالك بن عامر ، كانت علاقته رثة فأخذه الموج ، فدعا صاحبه الله عز وجل ، وقال : اللهم لا تجعلني من بينهم يذهب متاعى . فرده الموج إلى الجانب الذى يقصدونه فأخذه الناس ثم ردوه على صاحبه بعينه . وكان القرس إذا أعيأ وهو فى الماء يقيض الله له مثل النسر المرتفع فيقف عليه فيستريح ، وحتى أن بعض الخيل ليسير وما يصل الماء إلى حزامها ، وكان يوماً عظيماً وأمرأ هائلاً ، وخطباً جليلاً ، وخارقاً باهراً ، ومعجزة لرسول الله (ص) ، خلقها الله لأصحابه لم ير مثلها فى تلك البلاد ، ولا فى بقعة من البقاع ، سوى قضية العلاء بن الحضرمي المتقدمة ، بل هذا أجل وأعظم ، فان هذا الجيش كان أضعاف ذلك . قالوا : وكان الذى يسير سعد ابن أبي وقاص فى الماء سلمان الفارسي ، فجعل سعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه ، وليهزمن الله عدوه ، إن لم يكن فى الجيش نفى أو ذنوب تغلب الحسنات . فقال له سلمان : إن الاسلام جديد . ذلت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر ، أما الذى نفس سلمان

يسم ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً . فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفرق منهم أحد ، ولم يفتقدوا شيئاً .

ولما استقل المسلمون على وجه الأرض خرجت الخيول تنفض أعرافها صاهلة ، فساقوا وراء الأعجم حتى دخلوا المدائن ، فلم يجدوا بها أحداً ، بل قد أخذ كسرى أهله وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والحواصل وتركوا ما عجزوا عنه من الأنعام والثيران ، والآنية والالطاف والادهان ما لا يدرى قيمته . وكان في خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف دينار ثلاث مرات فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقارب به . فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ثم الكتيبة الخرساء ، فأخذوا في سككها لا يلقون أحداً ولا يخشونه غير القصر الأبيض ففيه مقاتلة وهو محصن .

فلما جاء سعد بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسي ، فلما كان اليوم الثالث نزلوا منه وسكنه سعد واتخذ الإيوان مصلى ، وحين دخله تلا قوله تعالى [كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين] ثم تقدم إلى صدره فصلی ثمان ركعات صلاة الفتح ، وذكر سيف في روايته أنه صلاها بتسليمة واحدة وأنه جمع بالإيوان في صفر من هذه السنة فكانت أول جمعة جمعت بالعراق ، وذلك لأن سعداً نوى الإقامة بها ، وبعث إلى العيالات فأنزلهم دور المدائن واستوطنوها ، حتى فتحوها جلواً وتكرت والموصل ، ثم تحولوا إلى الكوفة بعد ذلك كما سنده . ثم أرسل السرايا في إثر كسرى بزدجرد فلحق بهم طائفة قتلهم وشردهم واستلبوا منهم أموالاً عظيمة . وأكثروا ما استرجعوا من ملابس كسرى وتاجه وخفيه . وشرع سعد في تحصيل ما هنالك من الأموال والحواصل والتحف ، مما لا يقوم ولا يحصى ولا يوصف كثرة وعظمة . وقد روي أن كان هناك تماثيل من جص فنظر سعد إلى أحدها وإذا هو يشير بأصبعه إلى مكان ، فقال سعد : إن هذا لم يوضع هكذا سدى ، فأخذوا ما يسامت أصبعه فوجدوا قبالتها كنزاً عظيماً من كنوز الأكامرة الأوائل ، فأخرجوا منه أموالاً عظيمة جزيلة ، وحواصل باهرة ، وتحفاً فاخرة . واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم ير أحد في الدنيا أعجب منه . وكان في جملة ذلك تاج كسرى وهو مكال بالجواهر النفيسة التي تحير الأبصار ، ومنطقته كذلك وسيفه وسواره وقبائمه وبساط إيوانه ، وكان مرعباً ستون ذراعاً في مثلها ، من كل جانب ، والبساط مثله سواء ، وهو منسوج بالذهب والألوان والجواهر الثمينة ، وفيه مصور جميع ممالك كسرى ، بلاده بأنهارها وقلاعها ، وأقاليمها ، وكنوزها ، وصفة الزروع والأشجار التي في بلاده . وكان إذا جلس على كرسي مملكته ودخل تحت تاجه ، وتاجه معلق بسلاسل الذهب ، لأنه كان لا يستطيع أن يقله

على رأسه لثقله ، بل كان يجيء فيجلس تحته ثم يدخل رأسه تحت التاج والسلاسل الذهب تحمله عنه ، وهو يستتره حال لبسه فاذا رفع الحجاب عنه خرت له الامراء سجوداً . وعليه المنطقة والسواران والسيف والقباء المرصع بالجواهر فينظر في البلدان واحدة واحدة ، فيسأل عنها ومن فيها من النواب وهل حدث فيها شيء من الأحداث ؟ فيخبره بذلك ولاية الامور بين يديه . ثم ينتقل الى الاخرى ، وهكذا حتى يسأل عن احوال بلاده في كل وقت لا يهمل أمر المملكة ، وقد وضعوا هذا البساط بين يديه تذكاراً له بشأن الممالك ، وهو إصلاح جيد منهم في أمر السياسة . فلما جاء قدر الله زالت تلك الأيدي عن تلك الممالك والاراضي وتسلمها المسلمون من أيديهم قسراً ، وكسروا شوكتهم عنها وأخذوها بأمر الله صافية صافية ، والله الحمد والمنة . وقد جعل سعد بن أبي وقاص على الأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن فكان أول ما حصل ما كان في القصر الابيض ومنازل كسرى ، وسائر دور المدائن ، وما كان بالايوان مما ذكرنا ، وما ينفذ من السرايا الذين في صحبة زهرة بن حوية ، وكان فيما رد زهرة بغل كان قد أدركه وغصبه من الفرس وكانت تحوطه بالسيوف فاستنقذه منهم وقال إن لهذا لشأنا فردته إلى الأقباض وإذا عليه سفطان فيهما ثياب كسرى وحليته . ولبسه الذي كان يلبسه على السرير كما ذكرنا ، وبغل آخر عليه تاجه الذي ذكرنا في سفطين أيضاً رداً من الطريق مما استلبه أصحاب السرايا ، وكان فيما ردت السرايا أموال عظيمة وفيها أكثر أثاث كسرى وأمتعته والاشياء النفيسة التي استصحبوها معهم ، فلحقهم المسلمون فاستلبوها منهم . ولم تقدر الفرس على حمل البساط لثقله عليهم ، ولا حمل الاموال لكثرتها . فانه كان المسلمون يجيئون بعض تلك الدور فيجدون البيت ملاءنا إلى أعلا من أواني الذهب والفضة ، ويجدون من الكافور شيئاً كثيراً ، فيحسبونه ملجأ ، وربما استعمله بعضهم في المعجن فوجدوه مرأ حتى تدينوا أمره فتحصل التي على أمر عظيم من الاموال ، وشرع سعد نخمسه وأمر سلمان الفارسي^(١) فقسم الاربعة الاخماس بين الغنائين ، فحصل لكل واحد من الفرسان اثني عشر ألفاً ، وكانوا كلهم فرساناً ، ومع بعضهم جنائب ، وأبستوب سعد أربعة اخماس البساط ولبس كسرى من المسلمين ، ليبعثه إلى عمرو المسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتمتعوا منه ، فطبيوا له ذلك وأذنوا فيه : فبعثه سعد إلى عمرو مع الخمس مع بشير بن الخصاصية ، وكان الذي بشر بالفتح قبله حليس بن فلان الأسدي ، فروينا أن عمر لما نظر إلى ذلك قال إن قوماً أدوا هذا لأمناء ، فقال له علي بن أبي طالب : إنك عفتت فعتت رعيتك ، ولورعت لرتعت . ثم قسم عمر ذلك في المسلمين فأصاب عليا قطعة من البساط فباعها بعشرين ألفاً ،

وقد ذكر سيف بن عمر أن عمر بن الخطاب ألبس ثياب كسرى لخشبها ونصبها أمامه ليرى الناس ما في هذه الزينة من العجب ، وما عليها من زهرة الحياة الدنيا القانية . وقد روينا أن عمر

أبلس ثياب كسرى لسراقة بن مالك بن جشم أمير بني مدلج رضى الله عنه .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة : أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني ثنا أبو سعيد ابن الأعرابي . قال وجدت في كتابي بخط يدي عن أبي داود حدثنا محمد بن عبيد حدثنا حماد ثنا يونس عن الحسن أن عمر بن الخطاب أتى بفروة كسرى فوضعت بين يديه وفي القوم سراقة بن مالك بن جشم ، قال فأتى إليه سواري كسرى بن هرمز فجعلهما في يده فبلغا منكبيه فلما رآهما في يدي سراقة قال الحمد لله سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك بن جشم أعرابي من بني مدلج . وذكر الحديث . هكذا ساقه البيهقي . ثم حكى عن الشافعي أنه قال : وإنما البسهما سراقة لأن رسول الله (ص) قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه « كأني بك وقد ألبست سواري كسرى » قال الشافعي : وقد قال عمر لسراقة حين ألبسه سواري كسرى : قل الله أكبر . فقال الله أكبر . ثم قال : قل الحمد لله الذي سلّهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابي من بني مدلج . وقال الهيثم بن عدي : أخبرنا أسامة بن زيد اللثمي ثنا القاسم بن محمد بن أبي بكر ، قال بعث سعد بن أبي وقاص أيام القادسية إلى عمر بقباء كسرى وسيفه ومنطقته وسواريه وسراويله وقميصه وتاجه وخفيه ، قال فنظر عمر في وجوه القوم . وكان أجسمهم وأبدنهم قامة سراقة بن مالك بن جشم فقال ياسراق قم فالبس ، قال سراقة فطمعت فيه فقمعت فلبست فقال أدبر فأدبرت ، ثم قال أقبل فأقبلت ، ثم قال بخ بخ ، أعرابي من بني مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاء . رب يوم ياسراق بن مالك ، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى ، كان شرفاً لك ولقومك ، انزع . فنزع . فقال : اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك ، وكان أحب إليك مني وأكرم عليك مني . ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك مني ، وأكرم عليك مني ، وأعطيتني فاعوذ بك أن تكون أعطيتني لتمكربي . ثم بكى حتى رحمه من كان عنده . ثم قال لعبد الرحمن بن عوف : أقسمت عليك لما بعته ثم قسمته قبل أن تمسي .

وذكر سيف بن عمر التميمي : أن عمر حين ملك تلك الملابس والجواهر جىء بسيف كسرى ومعه عدة سيوف منها سيف النعمان بن المنذر نائب كسرى على الخيرة وأن عمر قال : الحمد لله الذي جعل سيف كسرى فيما يضره ولا ينفعه . ثم قال : إن قوما أدوا هذا لأمناء ، أو لذوا أمانة . ثم قال : إن كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتى عن آخرته فجمع لزوج امرأته ، أو زوج ابنته ، ولم يقدم لنفسه ، ولو قدم لنفسه ووضع الفضول في مواضعها لحصل له . وقد قال بعض المسلمين وهو أبو نجيد نافع بن الأسود في ذلك :

وَأَمَلْنَا عَلَى الْمَدَائِنِ خَيْلًا * بِحَرْهَا مِثْلُ بَرْهَنٍ أَرِيضًا

فانتشلنا خزائن المرء كسرى * يوم ولوا وحاص منا جريضا

وقعة جلولا

لما سار كسرى وهو يزددرد بن شهر يار من المدائن هاربا إلى حلوان شرع في أثناء الطريق في جمع رجال وأعوان وجنود ، من البلدان التي هناك ، فاجتمع إليه خلق كثير ، وجم غفير من الفرس وأمر على الجميع مهران ، وسار كسرى إلى حلوان فأقام الجمع الذي جمعه بينه وبين المسلمين في جلولا ، واحتفروا خندقا عظيما حولها ، وأقاموا بها في العدد والعدد وآلات الحصار ، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك . فكتب إليه عمر أن يقيم هو بالمدائن ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميرا على الجيش الذي يبعثه إلى كسرى ، ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو ، وعلى الميمنة سعد بن مالك وعلى اليسرة أخوه عمر بن مالك ، وعلى الساقة عمرو بن مرة الجهني . ففعل سعد ذلك وبعث مع ابن أخيه جيشا كثيفا يقارب اثني عشر ألفا ، من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار ، ورءوس العرب . وذلك في صفر من هذه السنة بعد فراغهم من أمر المدائن ، فساروا حتى انتهوا إلى المجوس وهم بجلولا قد خندقوا عليهم ، فحاصروهم هاشم بن عتبة ، وكانوا يخرجون من بلدهم للقتال في كل وقت فيقاتلون قتالا لم يسمع بمثله . وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد ، وكذلك سعد يبعث المدد إلى ابن أخيه ، مرة بعد أخرى . وحمى القتال ، واشتد التزال ، واضطربت نار الحرب ، وقام في الناس هاشم فخطبهم غير مرة ، فحرضهم على القتال والتوكل على الله . وقد تعاقدت الفرس وتعاهدت ، وحلفوا بالنار أن لا يفروا أبداً حتى يفنوا العرب . فلما كان الموقف الأخير وهو يوم الفيل والفرقان ، تواقفوا من أول النهار ، فاقتتلوا قتالا شديداً لم يعهد مثله حتى فنى الشباب من الطرفين ، وتقصفت الرماح من هؤلاء ومن هؤلاء ، وصاروا إلى السيوف والطبرزيات ، وحانت صلاة الظهر فصلى المسلمون إيماءً ، وذهبت فرقة المجوس وجاءت مكانها أخرى ، فقام القعقاع بن عمرو في المسلمين فقال : أهالكُم ما رأيتمُ أيها المسلمون ؟ قالوا : نعم إنا كاللون وهم مريحون ، فقال : بل إنا حاملون عليهم ومجدون في طلبهم ، حتى يحكم الله بيننا ، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى نخالطهم ، فحمل وحمل الناس ، فأما القعقاع فانه صمم الحملة في جماعة من الفرسان والأبطال والشجعان ، حتى انتهى إلى باب الخندق ، وأقبل الليل بظلامه وجالت بقية الأبطال بمن معهم في الناس وجعلوا يأخذون في التحايز من أجل إقبال الليل وفي الأبطال يومئذ طليحة الاسدي ، وعمر بن معدى كرب الزبيدي ، وقيس بن مكشوح ، وحجر بن عدي . ولم يعلموا بما صنعه القعقاع في ظلمة الليل ، ولم يشعروا بذلك ، لولا مناديه ينادى : أين أيها المسلمون ، هذا أميركم على باب خندقهم . فلما سمع ذلك المجوس فروا وحمل المسلمون نحو القعقاع بن عمرو فاذا هو على باب الخندق قد ملأه

يومُ جُلُولاءَ ويومُ رستم * ويومُ زحفِ الكوفةِ المقدمِ
ويومُ عرضِ الشهرِ المحرمِ * وأيامُ خلبتْ من بينهنَّ صرمِ
شيتينِ أصدغي فهي هرم * مثلُ نغامِ البلدِ المحرمِ

وقال أبو نجيْد في ذلك :

ويومُ جُلُولاءِ الوقعةُ أصبحت * كُنائبنا تردى بأسدِ عوابسِ
فضضتْ جموعُ الفرسِ ثم أتمَّتْهم * فتباً لأجسادِ المجوسِ النجائسِ
وأفلتَيْنِ الفيرزانُ بجرعةٍ * ومهرانُ أَرَدَتْ يومَ حَزِّ القوائسِ
أقاموا بدارٍ للنيةِ موعِدةً * وللتربِ تخشوها خجوجُ الروامسِ

ذكر فتح حلوان

ولما انتقضت الوقعة أقام هشام بن عتبة بجلولاء عن أمر عمر بن الخطاب - في كتابه إلى سعد - وتقدم القعقاع بن عمرو إلى حلوان ، عن أمر عمر أيضاً ليكون رداءً للمسلمين هنالك ، ومرا بطلاً لكسرى حيث هرب . فسار كما قدمنا ، وأدرك أمير الوقعة وهو مهران الرازي ، فقتله وهرب منه الفيرزان ، فلما وصل إلى كسرى وأخبره بما كان من أمر جلولاء ، وما جرى على الفرس بعده ، وكيف قتل منهم مائة ألف ، وأدرك مهران فقتل ، هرب عند ذلك كسرى من حلوان إلى الري ، واستناب على حلوان أميراً يقال له خسروشنوم ، فنتقدم إليه القعقاع بن عمرو ، وبرز إليه خسروشنوم إلى مكان خارج من حلوان ، فاقتلوا هنالك قتلاً شديداً ثم فتح الله ونصر المسلمين وانهزم خسروشنوم ، وساق القعقاع إلى حلوان فتسلمها ودخلها المسلمون فغنموا وسبوا ، وأقاموا بها ، وضربوا الجزية على من حولها من الكور والأقاليم ، بعد ما دعوا إلى الدخول في الاسلام فأبوا إلا الجزية . فلم يزل القعقاع بها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة ، فسار إليها كما سنده كره إن شاء الله تعالى .

فتح تكريت والموصل

لما افتتح سعد المدائن بلغه أن أهل الموصل قد اجتمعوا بتكريت على رجل من الكفرة يقال له الأنطاق ، فكتب إلى عمر بأمر جلولاء واجتماع الفرس بها ، وبأمر أهل الموصل ، فنتقدم ما ذكرناه من كتاب عمر في أهل جلولاء ، وما كان من أمرها . وكتب عمر في قضية أهل الموصل الذين قد اجتمعوا بتكريت على الأنطاق ، أن يعين جيشاً لحربهم ، ويؤمر عليه عبد الله بن المعتم ، وإن يجعل على مقدمته ربي بن الأفلح الغزي ، وعلى الميمنة الحارث بن حسان الذهلي ، وعلى اليسرة فرات بن حيان العجلي ، وعلى الساقة هاني بن قيس ، وعلى الخيل عرفة بن هرثة . ففصل عبد الله ابن المعتم في خمسة آلاف من المدائن ، فسار في أربع حتى نزل بتكريت على الأنطاق ، وقد اجتمع

إليه جماعة من الروم ، ومن الشهاجة ، ومن نصارى العرب ، من إياد وتغلب والنمر . وقد أحدقوا بتكريت ، فحاصروهم عبد الله بن المغم أربعة وعشرين يوماً . وزاحفوه في هذه المدة أربعة وعشرين مرة ، ما من مرة إلا وينتصر عليهم ويفل جموعهم ، فضعف جانبهم ، وعزمت الروم على الذهاب في السفن بأموالهم ، وراسل عبد الله بن المغم إلى من هنالك من الأعراب ، فدعاهم إلى الدخول معه في النصرة على أهل البلد ، فجاءت القصاد إليه عنهم بالاجابة إلى ذلك ، فأرسل إليهم : إن كنتم صادقين فيما قلتم فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقروا بما جاء من عند الله . فرجعت القصاد إليه بأنهم قد أسلموا فبعث إليهم : ان كنتم صادقين فاذا كبرنا وحملنا على البلد الليلة فأمسكوا علينا أبواب السفن ، وامنعوهم أن يركبوا فيها ، واقتلوا منهم من قدرتم على قتله . ثم شد عبد الله وأصحابه ، وكبروا تكبيرة رجل واحد ، وحملوا على البلد فكبرت الأعراب من الناحية الأخرى ، فغار أهل البلد ، وأخذوا في الخروج من الابواب التي تلى دجلة ، فتلقتهم إياد والنمر وتغلب ، فقتلهم قتلاً ذريعاً ، وجاء عبد الله بن المغم بأصحابه من الابواب الأخرى فقتل جميع أهل البلد عن بكرة أبيهم ، ولم يسلم إلا من أسلم من الأعراب من إياد وتغلب والنمر ، وقد كان عمر عهد في كتابه إذا نصروا على تكريت أن يبعثوا ربي بن الأفكل إلى الحصنين وهي الموصل سريعاً ، فسار إليها كما أمر عمر ، ومعه سرية كثيرة ، وجماعة من الابطال ، فسار إليها حتى فجئها قبل وصول الاخبار إليها ، فما كان إلا أن واقفها حتى أجابوا إلى الصلح فضربت عليهم الذمة عن يد وهم صاغرون ، ثم قسمت الاموال التي تحصلت من تكريت ، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف ، وسهم الراجل ألف درهم . وبعثوا بالاخماس مع فرات بن حيان ، وبالفتح مع الحارث بن حسان ، وولى إمرة حرب الموصل ربي بن الأفكل ، وولى الخراج بها عرجة بن هرثمة .

فتح ما سبذان من ارض العراق

لما رجع هاشم بن عتبة من جلولا إلى عمر بالمدائن ، بلغ سعيماً أن آذين بن الهرمزان قد جمع طائفة من الفرس ، فكتب إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه أن ابعث جيشاً وأمر عليهم ضرار ابن الخطاب . فخرج ضرار في جيش من المدائن ، وعلى مقدمته ابن الهزيل الاسدي ، فتقدم ابن الهزيل بين يدي الجيش ، فالتقى مع آذين وأصحابه قبل وصول ضرار إليه ، فكسر ابن الهزيل طائفة الفرس ، وأسر آذين بن الهرمزان ، وفرغته أصحابه ، وأمر ابن الهزيل ف ضرب عنق آذين بين يديه ، وساق وراء المنهزمين حتى انتهى إلى ما سبذان - وهي مدينة كبيرة - فأخذها عنوة ، وهرب أهلها في رؤوس الجبال والشعاب ، فدعاهم فاستجابوا له ، وضرب على من لم يسلم الجزية ، وأقام نائباً عليها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة كما سيأتي .

فتح قرقيسيا وهيت في هذه السنة

قال ابن جرير وغيره : لما رجع هاشم من جلواء إلى المدائن وكان أهل الجزيرة قد أمدوا أهل حمص على قتال أبي عبيدة وخالد - لما كان هرقل بقنسرين - واجتمع أهل الجزيرة في مدينة هيت ، كتب سعد إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه أن يبعث إليهم جيشاً ، وأن يؤمر عليهم عمر بن مالك ابن عتبة بن نوفل بن عبيد مناف ، فسار فيمن معه من المسلمين إلى هيت ، فوجدهم قد خندقوا عليهم ، فحاصروهم حيناً فلم يظفر بهم ، فسار في طائفة من أصحابه واستخلف على محاصرة هيت الحارث ابن يزيد ، فراح عمر بن مالك إلى قرقيسيا فأخذها عنوة ، وأتوا إلى بذل الجزية ، وكتب إلى نائبه على هيت : إن لم يصلحوا أن يحفر من وراء خندقهم خندقاً ، ويحمل له أبوأبا من ناحيته . فلما بلغهم ذلك أتوا إلى المصالحة .

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ الذهبي : وفي هذه السنة بعث أبو عبيدة عمرو بن العاص بعد فراغه من اليرموك إلى قنسرين فصالح أهل حلب ، ومنبج ، وأنطاكية ، على الجزية . وفتح سائر بلاد قنسرين عنوة . قال : وفيها افتتحت سروج والرها على يد عياض بن غنم .

قال : وفيها فيها ذكر ابن السكابي سار أبو عبيدة وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فحاصر إيليا فسألوا الصلح على أن يقدم عمر فيصلحهم على ذلك ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر يقدم حتى يصلحهم وأقام أياماً ثم رجع إلى المدينة . قلت : قد تقدم هذا فيما قبل هذه السنة والله أعلم .

قال الواقدي : وفي هذه السنة حتى عمر الربعة بخيل المسلمين ، وفيها غرّب عمر أبا محجن النخعي إلى باضع^(١) ، وفيها تزوج عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد . قلت : الذي قتل يوم الجسر ، وكان أمير السرية ، وهي أخت المختار بن أبي عبيد أمير العراق فيما بعد ، وكانت امرأة سالحة ، وكان أخوها فاجراً وكافراً أيضاً . قال الواقدي : وفيها حج عمر بالناس ، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت . قال : وكان نائبه على مكة عتاب ، وعلى الشام أبو عبيدة ، وعلى العراق سعد ، وعلى الطائف عثمان ابن أبي العاص ، وعلى اليمن يدلي بن أمية ، وعلى البصرة المنيرة بن شعبة ، وعلى الموصل ربي بن الأفلح ، وعلى الجزيرة عياض بن غنم الأشعري .

قال الواقدي وفي ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة ست عشرة - كتب عمر بن الخطاب التاريخ ، وهو أول من كتبه . قلت : قد ذكرنا سببه في سيرة عمر ، وذلك أنه رفع إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين يحمل عليه في شعبان ، فقال : أي شعبان ؟ أمن هذه السنة

(١) في الاصلين : الى ما صنع وحكاية فيه معروفة . وباضع عين أو جزيرة بساحل اليمن .

أم التي قبلها ، أم التي بعدها ؟ ثم جمع الناس فقال : ضعوا للناس شيئاً يعرفون فيه حلول دينهم .
فيقال إنهم أراد بعضهم أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم ، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية
الذي بعده ، ففكرها ذلك . ومنهم من قال : أرخوا بتاريخ الروم من زمان أسكندر ففكرها ذلك ،
ولطوله أيضاً . وقال قائلون : أرخوا من مولد رسول الله (ص) . وقال آخرون من مبعثه عليه السلام .
وأشار على بن أبي طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته من مسكة إلى المدينة لظهوره لكل أحد فانه
أظهر من المولد المبعث . فاستحسن ذلك عمر والصحابه ، فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله (ص) .
وأرخوا من أول تلك السنة من محرمها ، وعند مالك رحمه الله فيما حكاه عن السهيلي وغيره أن أول
السنة من ربيع الأول لقدمه عليه السلام إلى المدينة . والجمهور على أن أول السنة من المحرم ، لأنه
أضبط لثلاث مختلف الشهور ، فإن المحرم أول السنة الهلالية العربية . وفي هذه السنة - أعني سنة ست
عشرة - توفيت مارية أم إبراهيم بن رسول الله (ص) ، وذلك في المحرم منها فيما ذكره الواقدي وابن
جرير وغير واحد ، وصلى عليها عمر بن الخطاب ، وكان يجمع الناس لشهود جنازتها ، ودفنت بالبقيع
رضي الله عنها وأرضاها ، وهي مارية القبطية ، أهداها صاحب أسكندرية - وهو جريج بن مينا - في
جملة تحف وهدايا لرسول الله (ص) ، قبل ذلك منه ، وكان معها أختها شيرين التي وهبها رسول الله
(ص) لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنة عبيد الرحمن بن حسان . ويقال أهدى المقوقس معها
جارتين أخرتين ، فيحتمل أنهما كانتا خادمتين لمارية وسيرين . وأهدى معهن غلاماً خصياً اسمه
مابور ، وأهدى مع ذلك بغلة شهباء اسمها اللؤلؤ ، وأهدى حلة حرير من عمل الاسكندرية . وكان
قدوم هذه الهدية في سنة ثمان . فحملت مارية من رسول الله (ص) بإبراهيم عليه السلام ، فعاش
عشرين شهراً ، ومات قبل أبيه رسول الله (ص) بسنة سواء . وقد حزن عليه رسول الله (ص) وبكى
عليه وقال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بك يا إبراهيم لحزونون ،
وقد تقدم ذلك في سنة عشر . وكانت مارية هذه من الصالحات الخيرات الحسان . وقد حظيت
عند رسول الله (ص) وأعجب بها ، وكانت جميلة ملاحه ، أي حلوة ، وهي تشابه هاجر سرية الخليل ،
فإن كلا منهما من ديار مصر وتسراها نبي كريم ، وخليل جليل ، عليهما السلام .

ثم دخلت سنة سبع عشرة

في المحرم منها انتقل سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الكوفة ، وذلك أن الصحابة استوخوا
المدائن ، وتغيرت ألوانهم ، وضعفت أبدانهم ، لكثرة ذبابها وغبارها . فكتب سعد إلى عمر في
ذلك ، فكتب عمر : إن العرب لا تصلح إلا حيث يوافق إبلها . فبعث سعد حذيفة وسلمان بن زياد
يرتادان للمسلمين منزلاً مناسباً يصلح لأقاربهم . فمرا على أرض الكوفة وهي حصباء في رملة حمراء ،

فأنعجبتهما ووجد هنالك ديرات ثلاث دير حرقة بنت النعمان ، ودير أم عمرو ، ودير سلسلة ، وبين ذلك خصاص خلال هذه الكوفة ، فتزلا فصليا هنالك وقال كل واحد منهما : اللهم رب السماء وما أظلت ، ورب الأرض وما أقلت ، ورب الريح وما ذرت ، والنجوم وما هوت ، والبحار وما جرت ، والشياطين وما أضلت ، والخصاص وما أجنّت ، بارك لنا في هذه الكوفة واجعلها منزل ثبات . ثم كتبوا إلى سعد بالخبر ، فأمر سعد باختطاط الكوفة ، وسار إليها في أول هذه السنة في محرّمها ، فكان أول بناء وضع فيها المسجد . وأمر سعد رجلا رامياً شديد الرمي ، فرمى من المسجد إلى الأربع جهات فحيث سقط سهمه بنى الناس منازلهم ، وعمر قصرًا تلقاء محراب المسجد للامارة وبيت المال ، فكان أول ما بنوا المنازل بالقصب ، فاحترقت في أثناء السنة ، فبنوها باللبن عن أمر عمر ، بشرط أن لا يسرعوا ولا يماوزوا الحد . وبعث سعد إلى الامراء والقبائل فقدموا عليه ، فأنزلهم الكوفة ، وأمر سعد أبا هياج الموكل بانزال الناس فيها بأن يعمروا ويدعوا للطريق المنهج وسع أربعين ذراعًا . ولما دون ذلك ثلاثين وعشرين ذراعًا ، وللأزقة سبعة أذرع . وبنى لسعد قصر قريب من السوق ، فكانت غوغاء الناس تمنع سعدًا من الحديث ، فكان يفتق بابه ويقول : سكن الصويت فلما بلغت هذه الكرامة عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة ، فأمره إذا انتهى إلى الكوفة أن يقدح زناده ويجمع خطبًا ويحرق باب القصر ثم يرجع من فوره . فلما انتهى إلى الكوفة فعل ما أمره به عمر ، وأمر سعد أن لا يفتق بابه عن الناس ، ولا يجعل على بابه أحدًا يمنع الناس عنه ، فامتنل ذلك سعد وعرض على محمد بن مسلمة شيئًا من المال فامتنع من قبوله ، ورجع إلى المدينة ، واستمر سعد بعد ذلك في الكوفة ثلاث سنين ونصف ، حتى عزله عنها عمر ، من غير عجز ولا خيانة .

أبو عبيدة وحصر الروم له بمحص وقدم عمر إلى الشام

وذلك أن جمعًا من الروم عزموا على حصار أبي عبيدة بمحص ، واستجاشوا بأهل الجزيرة ، وخلق ممن هنالك ، وقصدوا أبا عبيدة ، فبعث أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه من قنسرين ، وكتب إلى عمر بذلك ، واستشار أبو عبيدة المسلمين في أن يناجز الروم أو يتحصن بالبلد حتى يجيء أمر عمر ؟ فكلمهم أشار بالتحصن ، إلا خالدًا فإنه أشار بمناجزتهم ، فمضاه وأطاعهم . وتحصن بمحص وأحاط به الروم ، وكل بلد من بلدان الشام مشغول أهله عنه بأمرهم ، ولو تركوا ما هم فيه وأقبلوا إلى حصص لا نخرم النظام في الشام كله . وكتب عمر إلى سعد أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ، ويسيرهم إلى حمص من يوم يقدم عليه الكتاب ، فنجدة لأبي عبيدة فإنه محصور ، وكتب إليه أن يجهز جيشًا إلى أهل الجزيرة الذين ملأوا الروم على حصار أبي عبيدة ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عياض ابن غنم . فخرج الجيشان معًا من الكوفة ، القعقاع في أربعة آلاف نحو حمص لنجدة أبي عبيدة ،

وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة ، فبلغ الجابية وقيل إنما بلغ سرع . قاله ابن إسحاق ، وهو أشبه والله أعلم . فلما بلغ أهل الجزيرة الذين مع الروم على حمص أن الجيش قد طرق بلادهم ، انشعروا إلى بلادهم ، وفارقوا الروم ، وسمعت الروم بقدوم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فضعف جانبهم جداً . وأشار خالد على أبي عبيدة بأن يبرز إليهم ليقاتلهم ، ففعل ذلك أبو عبيدة ، ففتح الله عليه ونصره ، وهزمت الروم هزيمة فظيعة . وذلك قبل ورود عمر عليهم ، وقبل وصول الامداد إليهم بثلاث ليال . فكتب أبو عبيدة إلى عمر وهو بالجابية يخبره بالفتح وأن المدد وصل إليهم بعد ثلاث ليال وسأله هل يدخلهم في القسم معهم مما أفاء الله عليهم ؟ فجاء الجواب بأن يدخلهم معهم في الغنيمة ، فإن العدو إنما ضعف وإنما انشمر عنه المدد من خوفهم منهم ، فأشركهم أبو عبيدة في الغنيمة . وقال عمر : جزى الله أهل الكوفة خيراً بحمون حوزتهم ومدون أهل الأمصار .

فتح الجزيرة

قال ابن جرير : وفي هذه السنة فتحت الجزائر فيما قاله سيف بن عمر ، قال ابن جرير : في ذي الحجة من سنة سبع عشرة فوافق سيف بن عمر في كونها في هذه السنة . وقال ابن إسحاق : كان ذلك في سنة تسع عشرة . سار إليها عياض بن غنم . وفي صحبته أبو موسى الأشعري وعمر بن سعد ابن أبي وقاص ، وهو غلام صغير السن ليس إليه من الأمر شيء ، وعثمان بن أبي العاص . فنزل الرها فصالحه أهلها على الجزيرة ، وصالحته حران على ذلك . ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين ، وعمر بن سعد إلى رأس العين ، وسار بنفسه إلى دارا ، فافتتحت هذه البلدان ، وبعث عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية ، فكانَ عندها شيء من قتال قتل فيه صفوان بن المعطل السلمي شهيداً . ثم صالحهم عثمان بن أبي العاص على الجزيرة ، على كل أهل بيت دينار .

وقال سيف في روايته : جاء عبد الله بن عبد الله بن غسان فسلك على رجله حتى انتهى إلى الموصل فعبّر إلى بلد حتى انتهى إلى نصيبين ، فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرقة . وبعث إلى عمر بن وهب النصارى من عرب أهل الجزيرة ، فقال لهم عمر : أدوا الجزيرة . فقالوا : أبلغنا مأمننا فوالله لئن وضعت علينا الجزيرة لندخلن أرض الروم ، والله لتفضحننا من بين العرب . فقال لهم : أنتم فضحتن أنفسكم ، وخالفتم أنفسكم ، والله لتؤدن الجزيرة وأنتم صغرة قننة ، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم ، ثم لأسيننكم . قالوا : نخذلنا شيئاً ولا تسميه جزيرة . فقال : أما نحن فنسميه جزيرة ، وأما أنتم فسموه ما شئتم . فقال له علي بن أبي طالب : ألم يضعف عليهم سعد الصدقة ؟ قال : بلى : وأصنى إليه ورضى به منهم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الشام فوصل إلى سرع

في قول محمد بن إسحاق ، وقال سيف : وصل إلى الجابية . قلت : والأشهر أنه وصل سريع ، وقد تلقاه أمراء الأجناد ، أبو عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وخالد بن الوليد ، إلى سريع فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام ، فاستشار عمر المهاجرين والأنصار فاحتلوا عليه ، فمن قائل يقول : أنت قد جئت لأمر فلا ترجع عنه . ومن قائل يقول : لا نرى أن تقدم بوجه أصحاب رسول الله (ص) على هذا الوباء . فيقال إن عمر أمر الناس بالرجوع من الغد . فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ قال : نعم ! نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرايت لو هبطت وادياً ذا عدوتين إحداها نخصة والأخرى مجذبة ، فإن رعيت النخصة رعيتها بقدر الله ، وإن أنت رعيت المجذبة رعيتها بقدر الله ؟ ثم قال لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة .

قال ابن إسحاق في روايته وهو في صحيح البخاري : وكان عبد الرحمن بن عوف متغيباً في بعض شأنه ، فلما قدم قال : إن عندي من ذلك علماً ، سمعت رسول الله (ص) يقول : إذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه . فحمد الله عمر - يعني لكونه وافق رأيه - ورجع بالناس . وقال الامام أحمد : ثنا وكيع ثنا سفيان بن حسين بن أبي ثابت عن إبراهيم بن سعد عن سعد بن مالك بن أبي وقاص وخزيمة بن ثابت وأسماء بن زيد قالوا : قال رسول الله (ص) : « إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به قوم قبلكم ، فإذا وقع بأرض أنتم فيها فلا تخرجوا منها فراراً منه ، وإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه » ورواه الامام أحمد أيضاً من حديث سعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد عن سعد بن أبي وقاص به . قال سيف بن عمر : كن الوباء قد وقع بالشام في الحرم من هذه السنة ثم ارتفع ، وكأن سيفاً ينتقد أن هذا الوباء هو طاعون عمواس ، الذي هلك فيه خمي من الأمراء ووجوه المسلمين ، وليس الأمر كما زعم ، بل طاعون عمواس من السنة المستقبلية بعد هذه ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى . وذكر سيف بن عمر أن أمير المؤمنين عمر كان قد عزم على أن يطوف البلدان ، ويזורر الأمراء ، وينظر فيما اعتمده وما آثروا من الخير ، فاختلف عليه الصحابة فن قئل يقول ابداً بالعراق ، ومن قائل يقول بالشام . فعزم عمر على قدوم الشام لأجل قسم مواريث من مات من المسلمين في طاعون عمواس ، فانه أشكل قسمها على المسلمين بالشام فعزم على ذلك . وهذا يقتضي أن عمر عزم على قدوم الشام بعد طاعون عمواس ، وقد كان الطاعون في سنة ثمانى عشرة كما سيأتى ، فهو قدوم آخر غير قدوم سريع . والله أعلم .

قال سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بن النعمان قالوا : قال عمر : ضاعت مواريث الناس بالشام أبداً بها فأقسم المواريث وأقيم لهم ما في نفسي ، ثم أرجع فأقلب في البلاد وأنبذ إليهم أمري . قالوا : فأتى عمر الشام أربع مرات مرتين في سنة ست عشرة ، ومرتين في سنة سبع

عشرة ، ولم يدخلها في الأولى من الآخرين . وهذا يقتضى ما ذكرناه عن سيف أنه يقول بكون طاعون عمواس في سنة سبع عشرة . وقد خالفه محمد بن إسحاق وأبو معشر وغير واحد ، فذهبوا إلى أنه كان في سنة ثمانى عشرة . وفيه توفى أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان ، وغيرهم من الأعيان ، على ما سيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى .

شيء من أخبار طاعون عمواس

الذى توفى فيه أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم من أشرف الصحابة وغيرهم . أورده ابن جرير في هذه السنة .

قال محمد بن إسحاق عن شعبة عن المختار بن عبد الله البجلي عن طارق بن شهاب البجلي . قال : أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لتحدث عنده فلما جلسنا قال : لا تحفوا فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم ، ولا عليكم أن تتزوهوا عن هذه الثرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزوها ، حتى يرتفع هذا البلاء ، فاني سأخبركم بما يكره مما يتقى . من ذلك أن يظن من خرج أنه لو قام مات ، ويظن من أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه ، فافا لم يظن ذلك هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتزوه عنه ، إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس ، فلما اشتعل الوجد وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه : أن سلام عليك أما بعد فإنه قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافك بها ، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا أن لا تضعه من يدك حتى تقبل إلى : قال فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء فقال : يغفر الله لأمر المؤمنين . ثم كتب إليه يا أمير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك إلى ، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم ، فليست أريد فراقهم حتى يقضى الله في وفهم أمره وقضاه ، فغفاني من عزمتك يا أمير المؤمنين ، ودعني في جندى . فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة ؟ قال : لا ، وكأن قد . قال : ثم كتب إليه « سلام عليك أما بعد فأنك أنزلت الناس أرضاً عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة » قال أبو موسى : فلما أتاه كتابه دعاني فقال : يا أبا موسى ، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى ، فأخرج فارتد للناس منزلا حتى أتبعك بهم ، فرجعت إلى منزلي لأرحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت ، فرجعت إليه وقلت : والله لقد كان في أهلي حدث . فقال : لعل صاحبتك قد أصيبت ؟ قلت : نعم ، فأمر ببيعير فرحل له فلما وضع رجله في غرزه طمن فقال : والله لقد أصبت ، ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ورفع عن الناس الوباء .

وقال محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن شهر بن حوشب عن رابة - رجل من قومه - . وكان قد خلف على أمه بعد أبيه ، وكان قد شهد طاعون عمواس . قال : لما اشتعل الوجد قام أبو عبيدة في

الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم ، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظه ، فطعن ، فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل ، فقام خطيباً بعده . فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجع رحمة بكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، وإن معاذاً يسأل الله تعالى أن يقسم لآل معاذ حظهم ، فطعن ابنه عبد الرحمن فمات ، ثم قام فدعا لنفسه فطعن في راحته فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقلب ^(١) ظهر كفه ثم يقول : ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا . فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص فقام فيهم خطيباً فقال أيها الناس ، إن هذا الوجع إذا وقع فأنما يشتعل اشتعال النار ، فتحصنوا منه في الجبال . فقال أبو وائل الهذلي : كذبت والله لقد صحبت رسول الله (ص) ، وأنت شر من حماري هذا . فقال : والله ما أرد عليك ما تقول ، وأيم الله لا تقبم عليه . قال : ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ودفعه الله عنهم . قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاص فوالله ما كرهه . قال ابن إسحاق : ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ، أمر معاوية على جند دمشق وخراجها ، وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه قالوا : لما كان طاعون عمواس وقع مرتين لم ير مثلها وطال مكته ، وفنى خلق كثير من الناس ، حتى طمع العدو وتخوفت قلوب المسلمين لذلك . قلت : ولهذا قدم عمر بعد ذلك إلى الشام فقسم مواريث الذين ماتوا لما أشكل أمرها على الأمراء ، وطابت قلوب الناس بقدومه ، وانقضت الأعداء من كل جانب لمحبيته إلى الشام والله الحمد والمنة .

وقال سيف بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس في آخر سنة سبع عشرة ، قال : فلما أباد القنول إلى المدينة في ذي الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ألا إني قد وليت عليكم وقضيت الذي على في الذي ولائى الله من أمركم إن شاء الله ، فبسطنا بينكم فياًكم ومنازلكم ومغازيكم ، وأبلغناكم ما لدينا ، فجندنا لكم الجنود ، وهيأنا لكم العروج ، وبوأنا لكم ، ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤمكم وما قاتلم عليه من شامكم ، وصمينا لكم أطعماتكم ، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم . فمن علم شيئاً ينبغي العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . قال وحضرت الصلاة فقال الناس : لو أمرت بلالا فأذن ؟ فأمره فأذن فلم يبق أحد كان أدرك رسول الله (ص) . وبلال يؤذن إلا بكى حتى بل لحيته ، وعمر أشدم بكاء ، وبكى من لم يسر به لبيكهم ولذكروه (ص) . وذكر ابن جرير في هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبي المجالد أن عمر بن الخطاب

(١) كذا بالنسخين . وفي الطبري : يقبل .

بعث ينكر على خالد بن الوليد في دخوله إلى الحمام، وتدلّسكه بعد النورة بعصر معجون بخمر، فقال في كتابه: إن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه، كما حرم ظاهر الائم وباطنه، وقد حرم مس الخمر فلا تمسوها أجسامكم فانها نجس، فان فعلتم فلا تعودوا. فكتب إليه خالد: إنا قتلناها فعادت غسولا غير خمر. فكتب إليه عمر: إني أظن أن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه فانتهى لذلك.

قال سيف: وأصاب أهل البصرة تلك السنة طاعون أيضاً فمات بشر كثير وجم غفير، رحمه الله ورضى الله عنهم أجمعين. قالوا: وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهله إلى الشام فلم يرجع منهم إلا أربعة. فقال المهاجر بن خالد في ذلك.

من يسكن الشام يعرض به * والشام إن لم يفننا كارب
أفنى بني ربيعة فرسانهم * عشرون لم يقصص لهم شارب
ومن بني أعمامهم مثلهم * لمثل هذا يعجب العاجب
طعنًا وطاعونًا منايهم * ذلك ماخط لنا الكاتب

كانت غريبة فيها عزل خالد عن قنسرين أيضاً

قال ابن جرير: وفي هذه السنة أدرب خالد بن الوليد وعياض بن غنم، أي سلكا درب الروم وأغاروا عليهم، فغنموا أموالاً عظيمة وسبيًا كثيرًا. ثم روى من طريق سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع وأبي الجالد. قالوا: لما رجع خالد ومعه أموال جزيلة من الصائفة انتجعه الناس ينتفون رفته ونائله، فكان ممن دخل عليه الأشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف فلما بلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة يأمره أن يقيم خالدًا ويكشف عمامته وينزع عنه قلنسوته ويقيده بهامته ويسأله عن هذه العشرة آلاف، إن كان أجازها الأشعث من ماله فهو سرف، وإن كان من مال الصائفة فهي خيانة ثم اعزله عن عمله. فطلب أبو عبيدة خالدًا وصعد أبو عبيدة المنبر، وأقيم خالد بين يدي المنبر، وقام إليه بلال ففعل ما أمر به عمر بن الخطاب هو والبريد الذي قدم بالكتاب. هذا وأبو عبيدة ساكت لا يتكلم، ثم نزل أبو عبيدة واعتذر إلى خالد مما كان بغير اختياره وإرادته، فمذره خالد وعرف أنه لا قصد له في ذلك. ثم سار خالد إلى قنسرين فخطب أهل البلد وودعهم، وسار بأهله إلى حمص فخطبهم أيضاً وودعهم وسار إلى المدينة، فلما دخل خالد على عمر أنشد عمر قول الشاعر

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع * وما يصنع الأقوام فالله صانع

ثم سأله من أين هذا اليسار الذي تميز منه بعشرة آلاف؟ فقال: من الأنفال والسهمان. قال:

فما زاد على الستين ألفاً فلك ، ثم قوم أمواليه وعروضه وأخذ منه عشرين ألفاً ثم قال : والله إنك على لكريم ، وإنك إلى الحبيب ، ولن تعمل لي بعد اليوم على شيء .

وقال سيف عن عبد الله عن المستورد عن أبيه عن عدي بن سهل . قال : كتب عمر إلى الأمصار : إني لم أعزل خالدًا عن سخطه ولا خيانه ، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع . ثم رواه سيف عن مبشر عن سالم قال : لما قدم خالد على عمر فذكر مثله . قال الواقدي : وفي هذه السنة اعتمر عمر في رجب منها ، وعمر في المسجد الحرام وأمر بتجديد أنصاب الحرم ، أمر بذلك لمحزمة بن نوفل ، وأزهر بن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، وسعيد بن يربوع . قال الواقدي : وحدثني كثير بن عبد الله المري عن أبيه عن جده قال : قدم عمر مكة في عمرة سنة سبع عشرة ، فمر في الطريق فكلّمه أهل المياه أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة - ولم يكن قبل ذلك بناء - فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء .

قال الواقدي : وفيها تزوج عمر بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، من فاطمة بنت رسول الله (ص) ، ودخل بها في ذى القعدة . وقد ذكرنا في سيرة عمر ومسنده صفة تزويجه بها وأنه أمرها أربعين ألفاً ، وقال إنما تزوجتها لقول رسول الله (ص) ، « كل سبب ونسب فانه ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » قال : وفي هذه السنة ولي عمر أبا موسى الأشعري البصرة ، وأمه أنه أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة في ربيع الأول فشهد عليه فيما حدثني معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب : أبو بكر ، وشبل بن معبد البجلي ، ونافع بن عبيد ، وزيد . ثم ذكر الواقدي وسيف هذه القصة وملخصها : أن امرأة كان يقال لها أم جميل بنت الاقتم ، من نساء بني عامر بن صعصعة ، ويقال من نساء بني هلال . وكان زوجها من قتيب قد توفي عنها ، وكانت تغشى نساء الأمراء والأشراف ، وكانت تدخل على بيت المغيرة بن شعبة وهو أمير البصرة ، وكانت دار المغيرة نجاة دار أبي بكر ، وكان بينهما الطريق ، وفي دار أبي بكر كوة تشرف على كوة في دار المغيرة ، وكان لا يزال بين المغيرة وبين أبي بكر شنان . فبينما أبو بكر في داره وعنده جماعة يتحدثون في العلية ، إذ فُتحت الريح باب الكوة ، فقام أبو بكر ليغلقها ، فإذا كوة المغيرة مفتوحة ، وإذا هو على صدر امرأة وبين رجلها ، وهو يجامعها ، فقال أبو بكر لا تمحابه : تعالوا فانظروا إلى أميركم يزني بأم جميل . فقاموا فنظروا إليه وهو يجامع تلك المرأة ، فقالوا لا يبي بكر : ومن أين قلت إنها أم جميل ؟ - وكان رأسها من الجانب الآخر - . فقال : انتظروا ، فلما فرغ قامت المرأة فقال أبو بكر : هذه أم جميل . ففرّوها فيما يظنون . فلما خرج المغيرة - وقد اغتسل - ليصلي بالناس منه أبو بكر أن يتقدم . وكتبوا إلى عمر في ذلك ، فولى عمر أبا موسى الأشعري أميراً على البصرة . وعزل المغيرة ، فسار إلى البصرة فقتل

البرد . فقال المغيرة : والله ما جاء أبو موسى تاجراً ولا زائراً ولا جاء إلا أميراً . ثم قدم أبو موسى على الناس وقاويل المغيرة كتاباً من عمر هو أوجز كتاب فيه «أما بعد فإنه بلغني نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلم ما في يديك والعجل» وكتب إلى أهل البصرة : إني قد وليت عليكم أبا موسى ليأخذ من من قويمكم لضعيفكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن دينكم وليجبي لكم فياكم ثم ليقسمه بينكم . وأهدى المغيرة لأبي موسى جارية من مولدات الطائف تسمى عقيلة وقال : إني رضيته لك ، وكانت فارحة . وأرسل المغيرة والذين شهدوا عليه وهم أبو بكر ، ونافع بن كلفة ، وزباد بن أمية ، وشبل بن معبد البجلي . فلما قدموا على عمر جمع بينهم وبين المغيرة . فقال المغيرة : سل هؤلاء الأعبد كيف رأوني ؟ مستقبلهم أو مستدبرهم ؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها ، فإن كانوا مستقبلين فكيف لم يستتروا ؟ أو مستدبرين فكيف استحلوا النظر في منزلي على امرأتى ؟ والله ما أتيت إلا امرأتى وكانت تشبهها . فبدأ عمر بأبي بكر فشهد عليه أنه رآه بين رجلين أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالليل في المكحلة ، قال : كيف رأيتهما ؟ قال : مستدبرهما . قال : فكيف استبنت رأسها قال : تحملت . ثم دعا شبل ابن معبد فشهد بمثل ذلك ، فقال استقبلتهما أم استدبرتهما ؟ قال : استقبلتهما . وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكر ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم . قال : رأيته جالساً بين رجلين امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين يخفقان وأستين مكشوفتين ، وسمعت حضناً شديداً . قال : هل رأيت كالليل في المكحلة ؟ قال : لا . قال : فهل تعرف المرأة ؟ قال : لا ولكن أشبهها . قال : فتفتح . وروى أن عمر رضى الله عنه كبر عند ذلك ثم أمر بالثلاثة لجلدوا . الحد وهو يقرأ قوله تعالى [فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون] فقال المغيرة : اشفني من الأعبد . قال : أسكت أسكت الله فاك ، والله لو تمت الشهادة لرجحناك بأحجارك

فتح الأهواز ومناذر ونهر تيري

قال ابن جرير : كان في هذه السنة ، وقيل : في سنة ست عشرة . ثم روى من طريق سيف عن شيوخه أن الهرمزان كان قد تغلب على هذه الأقاليم وكان ممن فر يوم القادسية من الفرس ، فجهز أبو موسى من البصرة ، وعتبة بن غزوان من الكوفة جيشين لقتاله ، فنصرهم الله عليه ، وأخفوا منه ما بين دجلة إلى دجيل ، وغنموا من جيشه ما أرادوا ، وقتلوا من أرادوا ، ثم صانهم وطلب مصالحهم عن بقية بلاده ، فشاورا في ذلك عتبة بن غزوان فصالحه ، وبعث بالأخماس والبشارة إلى عمر ، وبعث وفداً فيهم الأخنف بن قيس . فأعجب عمر به وحظي عنده . وكتب إلى عتبة يوصيه به ويأمره بمشاورته والاستعانة برأيه . ثم نقض الهرمزان العهد والصلح ، واستعان بطائفة من الأكراد ، وغرته نفسه ، وسن له الشيطان عمله في ذلك . فبرز إليه المسلمون فنصروا عليه وقتلوا من جيشه جمًّا

غفيراً ، وخلقاً كثيراً ، وجمعاً عظيماً ، واستلبوا منه ما بيده من الأقاليم والبلدان إلى سائر فتحصن بها ، وبعثوا إلى عمر بذلك . وقد قال الأسود بن سريع في ذلك - وكان صحابياً رضى الله عنه - .

لعمرك ما أضاعَ بنو آيينا * ولكن حافظوا فيمن يطيعوا
أطاعوا ربه وعصاه قوم * أضاعوا أمره فيمن يضيع
مجوس لا ينهها كتاب * فلاقوا كبة فيها قبوع
وولى الهرمزان على جواد * سريع الشتر يثفه الجميع
وخلى سرة الأهواز كرهاً * غداة الجسر إذ نجم الربيع

وقال حرقوص بن زهير السعدي وكان صحابياً أيضاً :

غلبنا الهرمزان على بلاد * لها في كل ناحية ذخائر
سواء برهم والبحر فيها * وإذا صارت نواحيها بواكر
لها بجر يمج بجانبيه * جعافر لا يزال لها زواجر

فتح تستر المرة الأولى صلحاً

قال ابن جرير : كان ذلك في هذه السنة في قول سيف وروايته . وقال غيره : في سنة ست عشرة وقال غيره : كانت في سنة تسع عشرة . ثم قال ابن جرير : ذكر الخبر عن فتحها ، ثم ساق من طريق سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمر وقالوا : ولما افتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز ، وفر الهرمزان بين يديه ، فبعث في إثره جزء بن معاوية - وذلك عن كتاب عمر بذلك - فما زال جزء يتبعه حتى انتهى إلى رامهرمز فتحصن الهرمزان في بلادها ، وأعجز جزءاً تطلبه ، واستحوذ جزء على تلك البلاد والأقاليم والأراضي ، ف ضرب الجزية على أهلها ، وعمر عامرها ، وشق الأنهار إلى خرابها ومواتها : فصارت في غاية العمارة والجودة . ولما رأى الهرمزان ضيق بلاده عليه لمجاورة المسلمين ، طلب من جزء بن معاوية المصالحة ، فكتب إلى حرقوص ، فكتب حرقوص إلى عتبة بن غزوان ، وكتب عتبة إلى عمر في ذلك . فجاء الكتاب العمري بالمصالحة على رامهرمز ، وتستر ، وجند سابور ، ومدائن آخر مع ذلك . فوقع الصلح على ذلك كما أمر به عمر رضى الله عنه .

ذكر غزو بلاد فارس من ناحية البحرين

عن ابن جرير عن سيف

وذلك أن العلاء بن الحضرمي كان على البحرين في أيام الصديق ، فلما كان عمر عزله عنها وولاهها لقدامة بن مظعون . ثم أعاد العلاء بن الحضرمي إليها . وكان العلاء بن الحضرمي يبارى سعد بن أبي وقاص . فلما افتتح سعد القادسية ، وأزاح كبرى عن داره ، وأخذ حدود مايلي السواد ، واستعلى

وجاء بأعظم مما جاء به العلاء بن الحضرمي من ناحية البحرين . فأحب العلاء أن يفعل فعلا في فارس نظير ما فعله سعد فيهم ، فندب الناس إلى حربهم ، فاستجاب له أهل بلاده : فجزأهم أجزاء ، فعلى فرقة الجرود بن الملي ، وعلى الأخرى السوار بن همام ، وعلى الأخرى خليل بن المنذر بن ساوى ، وخليل هو أمير الجماعة . فحملهم في البحر إلى فارس ، وذلك بغير إذن عمر له في ذلك - وكان عمر يكره ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وأبا بكر ما أغزيا فيه المسلمين - فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس ، فخرجوا من عند اصطخر فحالت فارس بينهم وبين ستمهم ، فقام في الناس خليل بن المنذر فقال : أيها الناس ، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم ، وأنتم جنتم لمحاربتهم ، فاستعينوا بالله وقاتلوهم ، فانما الأرض والسفن لمن غلب ، واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين فأجابوه إلى ذلك فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديداً في مكان من الأرض يدعى طاوس ، ثم أمر خليل المسلمين فترجلوا وقاتلوا فصبروا ، ثم ظفروا فقتلوا فارس مقتله لم يقتلوا قبلها مثلاً . ثم خرجوا يريدون البصرة ففرقت بهم ستمهم ، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً ووجدوا شريك في أهل اصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطرق ، فمكروا وامتنعوا من العدو . ولما بلغ عمر ما ص العلاء بن الحضرمي ، اشتد غضبه عليه ، وبعث إليه فعزله وتوعده ، وأمره بأقتل الأشياء عليه ، وأنقض الوجود إليه . فقال : الحق بسعد بن أبي وقاص | خرج العلاء إلى سعد بن أبي وقاص (٢٠) | مضافاً إليه ، وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان : إن العلاء بن الحضرمي خرج بجيش فأقطعهم أهل فارس وعصاني ، وأظنه لم يرد الله بذلك ، فخشيت عليهم إن لا ينصروا ، أن يغلبوا وينشجوا ، فاندب إليهم الناس واضعهم إليك من قبل أن يجتاحوا . فندب عتبة المسلمين وأخبرهم بكتاب عمر إليه في ذلك ، فاندب جماعة من الأمراء الأبطال ، منهم هاشم بن أبي وقاص ، وعاصم بن عمرو ، وعرجة بن هرثة ، وحذيفة بن محسن ، والأخف بن قيس ، وغيرهم ، في اثني عشر ألفاً . وعلى الجميع أبو سبرة بن أبي رهم . فخرجوا على البغال يجنبون الخيل مراعاةً ، فساروا على الساحل لابلقون أحداً حتى انتهوا إلى موضع الوقعة التي كانت بين المسلمين من أصحاب العلاء ، وبين أهل فارس بالسكان المسمى بطاوس ، وإذا خليل بن المنذر ومن معه من المسلمين محصورون قد أحاط بهم العدو من كل جانب ، وقد تداعت عليهم تلك الأئمة من كل وجه ، وقد تكاملت أمداد المشركين ، ولم يبق إلا القتال . فقدم المسلمون إليهم في أحوج ما هم فيه إليهم ، فالتقوا مع المشركين راناً ، فكسر أبو سبرة المشركين كسرة عظيمة : وقتل منهم مقتلة عظيمة جداً ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة باهرة ، واستنقذ خليلاً ومن معه من المسلمين من أيديهم ، وأعز به الإسلام وأهله ، ودفع

الشرك وذله والله الحمد والمنة ثم عادوا إلى عتبة بن غزوان إلى البصرة .

ولما استكمل عتبة فتح تلك الناحية ، استأذن عمر في الحج فأذن له فسار إلى الحج واستخلف على البصرة أبا سبرة بن أبي رهم ، واجتمع بعمر في الموسم ، وسأله أن يقيه فلم يفعل ، وأقسم عليه ليرجعن إلى ٤ . فدعا عتبة الله عز وجل فمات ببطن نخلة ، وهو منصرف من الحج ، فتأثر عليه عمر وأثنى عليه خيراً ، وولى بعده بالبصرة المغيرة بن شعبه ، فولها ببقية تلك السنة والتي تليها ، لم يقع في زمانه حدث ، وكان مرزوق السلامة في عمله . ثم وقع الكلام في تلك المرأة من أبي بكره فكان من أمره ما قدمنا . ثم بعث إليها أبا موسى الأشعري واليا عليها رضى الله عنهم .

ذكر فتح تستر ثانية وأسر الهرمزان

وبعثه الى عمر بن الخطاب

قال ابن جرير : كان ذلك في هذه السنة في رواية سيف بن عمر التميمي . وكان سبب ذلك أن يزجرجد كان يخرض أهل فارس في كل وقت ويؤنبهم بملك العرب بلادهم وقصدهم إياهم في حصونهم فكتب إلى أهل الأهواز وأهل فارس فتحركوا وتعاهدوا وتعاقدوا على حرب المسلمين ، وأن يقصدوا البصرة . وبلغ الخبر إلى عمر ، فكتب إلى سعد - وهو بالكوفة - أن ابعث جيشاً كثيفاً إلى الأهواز مع النعمان بن مقرن ومجمل وليكونوا بازاء الهرمزان ، وسمى رجلاً من الشجعان الأعيان الأمراء يكونون في هذا الجيش ، منهم جرير بن عبد الله البجلي ، وجرير بن عبد الله الحميري ، والنعمان بن مقرن ، وسويد بن مقرن : وعبد الله بن ذى السهمين . وكتب عمر إلى أبي موسى وهو بالبصرة أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمر عليهم سهيل بن عدي ، وليكن معه البراء بن مالك ، وعاصم ابن عمرو ، ومجزأة بن ثور ، وكعب بن ثور ، وعرفة بن هزيمة ، وحذيفة بن محصن ، وعبد الرحمن بن سهل ، والحصين بن معبد . وليكن على أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم ، وعلى كل من أتاه من المدد . قالوا : فسار النعمان بن مقرن بجيش الكوفة فسبق البصريين فأنتهى إلى رامهرمز وبها الهرمزان ، فخرج إليه الهرمزان في جنده ونقض العهد بينه وبين المسلمين ، فبادره طمعاً أن يقطعه قبل مجيء أصحابه من أهل البصرة رجاء أن ينصر أهل فارس ، فالتقى معه النعمان بن مقرن بأربل ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، فهزم الهرمزان وفر إلى تستر ، وترك رامهرمز فتسللها النعمان عنوة وأخذ ما فيها من الخواصل والذخائر والسلاح والعدد . فلما وصل الخبر إلى أهل البصرة بما صنع الكوفيون بالهرمزان وأنه فر فلجأ إلى تستر ، ساروا إليها ولحقهم أهل الكوفة حتى أحاطوا بها فحاصروها جميعاً ، وعلى الجميع أبو سبرة [فوجدوا الهرمزان قد حشد بها خلقاً كثيراً ، وجأ غفيراً . وكتبوا إلى عمر في ذلك وسألوه أن يمدم ، فكتب إلى أبي موسى أن يسير إليهم . فسار إليهم - وكان أمير أهل

البصرة واستمر أبو سبرة [(١)] على الإمرة على جميع أهل الكوفة والبصرة ، فحاصروا أشهراً وكثر القتل من الفريقين ، وقتل البراء بن مالك أخو أنس بن مالك يومئذ مائة مبارز سوى من قتل غير ذلك ، وكذلك فعل كعب بن نور ، ومجزأة بن نور ، وأبو يمامة (٢) وغيرهم من أهل البصرة ، وكذلك أهل الكوفة قتل منهم جماعة مائة مبارزة كحبيب بن قره ، وربيع بن عامر ، وعامر بن عبد الأسود وقد تراحفوا أياماً متعددة ، حتى إذا كان في آخر زحف قال المسلمون للبراء بن مالك - وكان مجاب الدعوة - : يا براء أقسم على ربك ليهزمهم لنا . فقال : اللهم اهزمهم لنا ، واستشهدني قال : فهزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم واقتحموها عليهم ، ولجأ المشركون إلى البلد فتحصنوا به ، وقد ضاقت بهم البلد ، وطلب رجل من أهل البلد الأمان من أبي موسى فأمناه ، فبعث يذل المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلد ، وهو من مدخل الماء إليها ، فندب الأمراء الناس إلى ذلك فانتدب رجال من الشجعان والأبطال ، وجاؤا فدخلوا مع الماء - كالبط - إلى البلد ، وذلك في الليل ، فيقال كان أول من دخلها عبد الله بن مغفل المزني ، وجاؤا إلى البوابين فأناموهم وفتحوا الأبواب ، وكبر المسلمون فدخلوا البلد ، وذلك في وقت الفجر إلى أن تعالى النهار ، ولم يصلوا الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس [كما حكاه البخاري عن أنس بن مالك قال : شهدت فتح تستر ، وذلك عند صلاة الفجر ، فاشتغل الناس بالفتح فما صلوا الصبح إلا بعد طلوع الشمس] (٣) فما أحب أن لي بتلك الصلاة حمر النعم . احتج بذلك البخاري لمكحول والأوزاعي في ذهابهما إلى جواز تأخير الصلاة لعذر القتال . وجنح إليه البخاري واستدل بقصة الخندق في قوله عليه السلام « شغلونا عن الصلاة الوسطى سلا الله قبورهم وبيوتهم ناراً » وبقوله يوم بني قريظة « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة » فأخراها فريق من الناس إلى بعد غروب الشمس ، ولم يعنفهم ، وقد تكلمنا على ذلك في غزوة الفتح

والمقصود أن الهرمزان لما فتحت البلد لجأ إلى القلعة فتبعه جماعة من الأبطال ممن ذكرنا وغيرهم فلما حصروه في مكان من القلعة ولم يبق إلا تلافه أو تلافهم ، قال لهم بعد ما قتل البراء بن مالك ومجزأة بن نور رحمهما الله : إن منى جعبة فيها مائة سهم ، وإنه لا يتقدم إلى أحد منكم إلا رميته بسهم قتلته ، ولا يسقط لي سهم إلا في رجل منكم ، فإذا ينفعكم إن أسرتموني بعد ما قتلت منكم مائة رجل ؟ قالوا : فإذا تريد ؟ قال : تؤمنوني حتى أسلمكم يدي فذهبوا بي إلى عمر بن الخطاب فحكم في ما يشاء . فأجابوه إلى ذلك فألقى قوسه ونشابه وأسرده فشدوه وثاقاً وأرصعوه ليعتوه إلى أمير

(١) لم ترد في المصرية . (٢) كذا في الحلبية . وفي المصرية : وأبو عتبة . وفي الطبري

أبو تيمية (٣) لم ترد في الحلبية .

المؤمنين عمر ، ثم تسلموا ما في البلد من الأموال والحواصل فاقسموا أربعة أخماسه فنال كل فارس ثلاثة آلاف وكل راجل ألف درهم .

فتح السوس

ثم ركب أبو سبرة في طائفة من الجيش ومعه أبو موسى الأشعري والنعمان بن مقرن ، واستنصحبوا معهم الهرمزان ، وساروا في طلب المنهزمين من الفرس حتى نزلوا على السوس ، فأحاطوا بها . وكتب أبو سبرة إلى عمر فجاء الكتاب بأن يرجع أبو موسى إلى البصرة ، وأمر عمر زر بن عبد الله بن كليب العقيمي - وهو صحابي - أن يسير إلى جند سابور ، فسار . ثم بعث أبو سبرة بالحس وبالهرمزان مع وفد فيهم أنس بن مالك والأخنف بن قيس ، فلما اقتربوا من المدينة هيؤا الهرمزان بلبسه الذي كان يلبسه من الديباج والذهب المكلل بالياقوت واللاآلي . ثم دخلوا المدينة وهو كذلك فتييموا به منزل أمير المؤمنين ، فسألوا عنه فقالوا : انه ذهب إلى المسجد بسبب وفد من الكوفة . فجاءوا المسجد فلم يروا أحداً فرجعوا ، فاذا غلمان يلعبون فسألوهم عنه فقالوا : إنه نائم في المسجد متوسداً برأسه له . فرجعوا إلى المسجد فاذا هو متوسد برأسه له كان قد لبسه للوفد ، فلما انصرفوا عنه توسد البرنس ونام وليس في المسجد غيره ، والدرة معلقة في يده . فقال الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا . وجعل الناس يخفزون أصواتهم لئلا ينفهوه ، وجعل الهرمزان يقول : وأين حجابي ؟ أين حرسه ؟ فقالوا : ليس له حجاب ولا حرس ، ولا كاتب ولا ديوان . فقال : ينبغي أن يكون نبياً . فقالوا : بل يعمل عمل الأنبياء . وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً ، ثم نظر إلى الهرمزان ، فقال : الهرمزان ؟ قالوا : نعم . فتأمل ما عليه ثم قال : أعوذ بالله من النار وأستعين بالله . ثم قال : الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وأشياءه ، يامعشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهدى نبيكم ، ولا تبطرنكم الدنيا فانها غدارة . فقال له الوفد : هذا ملك الأهواز فكله . فقال : لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيء . ففعلوا ذلك وألبسوه ثوباً صفيقاً ، فقال عمر : يا هرمزان كيف رأيت وبال القدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال : يا عمر : انا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فقلبناكم ، اذ لم يكن معنا ولا معكم ، فلما كان معكم غلبتمونا . فقال عمر : إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا . ثم قال : ما عذرك وما حاجتك في انقاضك مرة بعد مرة ؟ فقال : أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك . قال : لا تخف ذلك . فاستسقى الهرمزان ماء فأتى به في قدح [غليظ ، فقال : لومت عطشاً لم أستطع أن أشرب في هذا . فأتى به في قدح] آخر يرضاه فلما أخذه جعلت يده ترعد ، وقال : إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب . فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه فأكفاه . فقال عمر :

أعيدوه عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش . فقال : لا حاجة لي في الماء ، إنما أردت أن أستأنس به . فقال له عمر : إني قاتلك ، فقال انك أمنتني . قال : كذبت ، فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ويحك يا أنس أنا أو من من قتل مجزأة والبراء ؟ لتأتيني بمخرج والا عاقبتك ، قال : قات لا بأس عليك حتى تخبرني . وقلت لا بأس عليك حتى تشر به ، وقال له من حوله مثل ذلك . فأقبل على الهرمزان فقال : خدعتني والله لا أنخدع إلا أن تسلم . فأسلم فنرض له في ألفين وأنزله المدينة . وفي رواية أن الترجمان بين عمر وبين الهرمزان كان المغيرة بن شعبة ، فقال له عمر : قل له من أي أرض أنت ؟ قال مخرجاني . قال : تكلم بمجيتك . فقال : أ كلام حي أم ميت ؟ قال : بل كلام حي . فقال قد أمنتني ، فقال خدعتني ولا أقبل ذلك إلا أن تسلم . فأسلم فنرض له في ألفين وأنزله المدينة . ثم جاء زيد فترجم بينهما أيضاً .

قلت : وقد حسن إسلام الهرمزان وكان لا يفارق عمر حتى قتل عمر فاتهمه بعض الناس بممالة أبي لؤلؤة هو وجفينة ، فقتل عبید الله بن عمر الهرمزان وجفينة على ما سيأتي تفصيله . وقد روينا أن الهرمزان لما علاه عبید الله بالسيف قال : لا إله إلا الله . وأما جفينة فصلب على وجهه .

والمقصود أن عمر كان يحجر على المسلمين أن يتوسعوا في بلاد العجم خوفاً عليهم من العجم ، حتى أشار عليه الأخنف بن قيس بأن المصلحة تقتضي توسعهم في الفتوحات فان الملك يزدد لا يزال يستحثهم على قتال المسلمين ، وإن لم يستأصل شأو العجم وإلا طمعوا في الاسلام وأهله ، فاستحسن عمر ذلك منه وضوبه . وأذن للمسلمين في التوسع في بلاد العجم ، ففتحوا بسبب ذلك شيئاً كثيراً ، والله الحمد . وأكثر ذلك وقع في سنة ثمانى عشرة كما سيأتي بيانه فيها .

ثم نعود إلى فتح السوس وجند سابور وفتح نهاوند في قول سيف . كان قد تقدم أن أبا سبرة سار بن معه من علية الأمراء من تستر إلى السوس ، فنازلها حيناً وقتل من الفريقين خلق كثير ، فأشرف عليه علماء أهلها فقالوا : يا معشر المسلمين لا تتبعوا في حصار هذا البلد فانا نأثر فيما نرويه عن قدمائنا من أهل هذا البلد أنه لا يفتح إلا الدجال أو قوم معهم الدجال ، واتفق أنه كان في جيش أبي موسى الأشعري صاف بن صياد ، فأرسله أبو موسى فيمن يحاصره ، فجاء إلى الباب فدقه برجله فتقطعت السلاسل ، وتكسرت الأغلاق ، ودخل المسلمون البلد فقتلوا من وجدوا حتى نادوا بالامان ودعوا إلى الصلح فأجابوهم إلى ذلك ، وكان على السوس شهر يار أخو الهرمزان ، فاستحوذ المسلمون على السوس ، وهو بلد قديم العارة في الأرض يقال إنه أول بلد وضع على وجه الأرض والله أعلم . وذكر ابن جرير أنهم وجدوا قبر دانيال بالسوس ، وأن أبا موسى لما قدم بها بعد مضي أبي سبرة

إلى جندى سابور ، كتب الى عمر في أمره فكتب اليه أن يدفنه وأن يغيب عن الناس موضع قبره ،
فعل . وقد بسطنا ذلك في سيرة عمر والله الحمد .

قال ابن جرير : وقال بعضهم ان فتح السوس ورامهر وتسير الهرمزان من تستر إلى عمر في سنة
عشرين والله أعلم وكان الكتاب العمري قد ورد بأن النعمان بن مقرن يذهب إلى أهل نهاوند فصار
إليها فمر بها - بلدة كبيرة قبلها - فافتتحها ثم ذهب إلى نهاوند ففتحها والله الحمد .

قلت : المشهور أن فتح نهاوند إنما وقع في سنة إحدى وعشرين كما سيأتي فيها بيان ذلك ، وهي وقعة
عظيمة وفتح كبير ، وخبر غريب ونبا عجيب ، وفتح زر بن عبد الله الفقيمي مدينة جندى سابور (١)
فاستوثقت تلك البلاد للمسلمين . هذا وقد تحول يزدرجرد من بلد إلى بلد ، حتى انتهى أمره إلى
الاقامة بأصهبان ، وقد كان صرف طائفة من أشرف أصحابه قريبا من ثلثائة من العطاء عليهم رجل
يقال له سياه ، فكانوا يفرون من المسلمين من بلد إلى بلد حتى فتح المسلمون تستر واصطخري ، فقال سياه
لأصحابه : إن هؤلاء بعد الشقاء والذلة ملكوا أما كن الملوك الأقدمين ، ولا يلقون جنداً إلا كسروه ،
والله ما هذا عن باطل . - ودخل في قلبه الاسلام وعظمته - فقالوا له : نحن تبع لك . وبعث عمار
ابن ياسر في غضون ذلك يدعوهم إلى الله ، فأرسلوا إلى أبي موسى الأشعري باسلامهم [وكتب فيهم
إلى عمر في ذلك ، فأمره أن يفرض لهم في ألفين ألفين ، وفرض لستة منهم في ألفين وخمسمائة ،
وحسن إسلامهم] (٢) وكان لهم نكاية عظيمة في قتال قومهم حتى بلغ من أمرهم أنهم حاصروا حصناً
فامتنع عليهم فجاء أحدهم فرمى بنفسه في الليل على باب الحصن وضمخ ثيابه بدم ، فلما نظروا إليه حسبوا
أنه منهم ، ففتحوا إليه باب الحصن ليأووه فنار إلى البواب فقتله ، وجاء بقية أصحابه ففتحوا ذلك
الحصن ، وقتلوا من فيه من المجوس . إلى غير ذلك من الأمور العجيبة والله يهدي من يشاء إلى
صراط مستقيم .

وذكر ابن جرير أن عمر بن الخطاب عقد الألوية والرايات الكبيرة في بلاد خراسان والعراق
لغزو فارس والتوسع في بلادهم كما أشار عليه بذلك الأحنف بن قيس ، فحصل بسبب ذلك فتوحات
كثيرة في السنة المستقبلية بعدها كما سنبينه ونفبه عليه والله الحمد والمنة .

قال : وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثم ذكر نوابه على البلاد ، وهم
من ذكر في السنة قبلها غير المغيرة فان على البصرة بدله أبو موسى الأشعري .

قلت : وقد توفي في هذه السنة أقوام قيل إنهم توفوا قبلها وقد ذكرناهم ، وقيل فيما بعدها
وسياأتي ذكرهم في أما كنهم والله تعالى أعلم .

(١) في النسختين « جند سابور بدون ياء . والتصحيح من الطبري (٢) لم ترد في الحلبية .

ثم دخلت سنة ثمانى عشرة

المشهور الذى عليه الجمهور ان طاعون عمواس كان بها ، وقد تبعنا قول سيف بن عمر وابن جرير فى إيراد ذلك فى السنة التى قبلها ، لكننا نذكر وفاة من مات فى الطاعون فى هذه السنة إن شاء الله تعالى ، قال ابن إسحاق ، وأبو معشر : كان فى هذه السنة طاعون عمواس وعام الرمادة ، فتفانى فيهما الناس . قلت : كان فى عام الرمادة جذب عم أرض الحجاز ، وجاع الناس جوعاً شديداً . وقد بسطنا القول فى ذلك فى سيرة عمر . وسميت عام الرمادة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد . وقيل : لأنها تسقى الريح تراباً كالرماد . ويمكن أن تكون سميت لكل منهما والله أعلم . وقد أجذبت الناس فى هذه السنة بأرض الحجاز ، وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد فلجأوا إلى أمير المؤمنين فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده ، وألزم نفسه أن لا يأكل سمناً ولا صميناً حتى يكشف ما بالناس ، فكان فى زمن الخصب يبت له الخبز باللبن والسمن ، ثم كان عام الرمادة يبت له بالزيت والخل ، وكان يستمرى الزيت . وكان لا يشبع مع ذلك ، فاسود لون عمر رضى الله عنه وتغير جسمه حتى كاد يخشى عليه من الضعف . واستمر هذا الحال فى الناس تسعة أشهر ، ثم تحول الحال إلى الخصب والدعة وانشر الناس عن المدينة إلى أماكنهم .

قال الشافعى : بلغنى أن رجلاً من العرب قال لعمر حين ترحلت الأحياء عن المدينة : لقد أنجبت عنك ولانك لابن حرة . أى واسيت الناس وأنصفتهم وأحسنيت إليهم . وقد رويناه أن عمر عس المدينة ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحداً يضحك ، ولا يتحدث الناس فى منازلهم على العادة ، ولم ير سائلاً يسأل ، فسأل عن سبب ذلك فقيل له : يا أمير المؤمنين إن السؤال سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال ، والناس فى هم وضيق فهم لا يتحدثون ولا يضحكون . فكتب عمر إلى أبى موسى بالبصرة أن ياغوثاه لأمة محمد . وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن ياغوثاه لأمة محمد . فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الأطعمة ، ووصلت ميرة عمرو فى البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة . وهذا الأثر جيد الاسناد ، لكن ذكر عمرو بن العاص فى عام الرمادة مشكلاً ، فان مصر لم تكن فتحت فى سنة ثمانى عشرة ، فاما أن يكون عام الرمادة بعد سنة ثمانى عشرة ، أو يكون ذكر عمرو بن العاص فى عام الرمادة وهم والله أعلم .

وذكر سيف عن شيوخه أن أبا عبيدة قدم المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعاماً ، فأمره عمر بتفريقها فى الأحياء حول المدينة ، فلما فرغ من ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها ، فليح عليه عمر حتى قبلها .

وقال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف السلمي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة ، وأول سنة ثمانى عشرة ، أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من الناس ، حتى جعلت الوحش تأوى إلى الانس ، فكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن على عمر فقال : أنا رسول رسول الله إليك ، يقول لك رسول الله (س) : « لقد عهدتك كيساً ، وما زلت على ذلك »^(١) ، فما شأنك ؟ قال : متى رأيت هذا ؟ قال : البارحة . نخرج فنأدى في الناس الصلاة جامعة ، فصلى بهم ركعتين ثم قام فقال : أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون منى أمراً غيره خير منه ؟ فقالوا : اللهم لا ، قال : إن بلال بن الحارث يزعم ذية وذية . قالوا : صدق بلال فاستغث بالله ثم بالمسلمين . فبعث إليهم - وكان عمر عن ذلك محصوراً - فقال عمر : الله أكبر ، بلغ البلاء مدته فانكشف . ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رضع عنهم الأذى والبلاء . وكتب إلى أمراء الأمصار أن أغثوا أهل المدينة ومن حولها ، فانه قد بلغ جهدهم . وأخرج الناس إلى الاستسقاء فخرج وخرج معه العباس بن عبد المطلب ماشياً ، فخطب وأوجز وصلى ثم جثى لركبته وقال : اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا . ثم انصرف فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا النهران .

ثم روى سيف عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب أن رجلاً من مزينة عام الرمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال : ليس فيهن شئ . فألحوا عليه فذبح شاة فاذا عظامها حمر فقال يا محمد . فلما أمسى أرى في المنام أن رسول الله (س) ، يقول له : « أبشر بالحياة ، إيت عمر فأقره منى السلام وقل له إن عهدى بك وفي العهد شديد العقد ، فالكيس الكيس يا عمر » ، فجاء حتى أتى باب عمر فقلل لفلامه استأذن لرسول رسول الله (س) . فأتى عمر فأخبره ففرغ ثم صعد عمر المنبر فقال للناس أنشدكم الله الذى هذا كم للإسلام هل رأيتم منى شيئاً تكرهونه ؟ فقالوا : اللهم لا ، وعم ذاك ؟ فأخبرهم بقول المزني - وهو بلال بن الحارث - ففطنوا ولم يفتن . فقالوا : إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسقى بنا . فنأدى في الناس فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال : اللهم عجزت عنا أنصارنا ، وعجز عنا حولنا وقوتنا ، وعجزت عنا أنفسنا ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم اسقنا وأحى العباد والبلاد .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا : حدثنا أبو عمر بن مطر حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي (س) ،

قال : يا رسول الله استسقى الله لأمتك فانهم قد هلكوا . فأباه رسول الله (ص) ، في المنام فقال : إيت عمر فأقره مني السلام واخبرهم أنهم مستقون ، وقل له عليك بالسكيس الكيس . فأتى الرجل فأخبر عمر فقال : يارب ما آلوا إلا ما عجزت عنه . وهذا إسناد صحيح

وقال الطبراني : حدثنا أبو مسلم الكشي حدثنا أبو عبد الله الأصبهاني عن ثناء أبي عن ثمامة بن عبد الله ابن أنس ، عن أنس أن عمر خرج يستسقى وخرج بالعباس معه يستسقى يقول : اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنبينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا (ص) . وقد رواه البخاري عن الحسن بن محمد عن محمد بن عبد الله به ولفظه «عن أنس أن عمر كان إذا قحطوا يستسقى بالعباس ابن عبد المطالب فيقول : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيستقون . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا - في كتاب المطر وفي كتاب مجابى الدعوة - حدثنا أبو بكر النيسابوري ثنا عطاء بن مسلم عن العمري عن خوات بن جبير قال : خرج عمر يستسقى بهم فصرى ركعتين فقال : اللهم إنا نستغفرك ونستسقيك فما برح من مكانه حتى مطروا فقدم أعراب فقالوا : يا أمير المؤمنين بينا نحن في وادينا في ساعة كذا إذ أظلمتنا غمامة فسمعنا منها صوتاً : أتاك الغوث أبا حفص ، أتاك الغوث أبا حفص . وقال ابن أبي الدنيا : ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا سفيان عن مطرف بن طريف عن الشعبي قال : خرج عمر يستسقى بالناس فما زاد على الاستغفار حتى رجع فقالوا يا أمير المؤمنين ما نراك استسقيت . فقال : لقد طلبت المطر بمحاديح السماء التي يستنزل بها المطر ثم قرأ [استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا] ثم قرأ [وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه] الآية .

وذكر ابن جرير في هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبي المجالد والربيع وأبي عثمان وأبي حارثة وعن عبد الله بن شبرمة عن الشعبي قالوا : كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب أن نفرأ من المسلمين أصابوا الشراب ، منهم ضرار وأبو جندل بن سهل ، ، فسألناهم فقالوا : خيرنا فاخترنا . قال فهل أنتم منتهون ؟ ولم يعزم . فجمع عمر الناس فأجمعوا على خلافهم ، وأن المعنى : فهل أنتم منتهون أي انتهوا . وأجمعوا على جلد ثمانين ثمانين . وأن من تأول هذا التأويل وأصر عليه يقتل . فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم فسلمهم عن الحر فإن قالوا هي حلال فاعلهم ، وإن قالوا هي حرام فاجلدهم . فاعترف القوم بتحریمها ، فجلدوا الحد وندموا على ما كان منهم من اللجاجة فيما تأولوه ، حتى وسوس أبو جندل في نفسه ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر في ذلك ، وسأله أن يكتب إلى أبي جندل ويذكره ، فكتب إليه عمر بن الخطاب في ذلك ، من عمر إلى أبي جندل ، إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فنب وارف رأسك وابرز ولا تقنط فان الله تعالى يقول

[قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم] وكتب عمر إلى الناس : إن عليكم أنفسكم ومن غير فقيردا عليه ، ولا تعيروا أحداً فيفشو فيكم البلاء ، وقد قال أبو الزهراء القشيري في ذلك .

ألم تر أن الدهرَ يعثرُ بالفتى * وليس على صرفِ المنونِ بقادرٍ
صبرتُ ولم أجزعْ وقد ماتَ إخواني * ولستُ عن الصبأِ يوماً بصابرٍ
رماها أميرُ المؤمنينَ بحنفها * نخلانها يكونُ حولَ المقاصرِ

قال الواقدي وغيره : وفي هذه السنة في ذي الحجة منها حول عمر المقام - وكان ملصقا بجدار الكعبة - فأخره إلى حيث هو الآن لئلا يشوش المصلون عنده على الطائفين . قلت : قد ذكرت أسانيد ذلك في سيرة عمر والله الحمد والمنة * قال : وفيها استقضى عمر شريحا على الكوفة ، وكعب ابن سور على البصرة [قال وفيها حج عمر بالناس وكانت نوابه فيها الذين تقدم ذكرهم في السنة الماضية]^(١) وفيها فتحت الرقة والرها وحران على يدى عياض بن غنم . قال : وفتحت رأس عين الوردية على يدى عمر بن سعد بن أبي وقاص . وقال غيره خلاف ذلك . وقال شيخنا الحافظ الذهبي في تاريخه : وفيها - يعني هذه السنة - افتتح أبو موسى الأشعري الرها وشمشاط عنوة ، وفي أوائلها وجه أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فوافق أبا موسى فافتتحا حران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة ، وقيل صلحا . وفيها سار عياض إلى الموصل فافتتحها وماحولها عنوة . وفيها بنى سعد جامع الكوفة . وقال الواقدي : وفيها كان طاعون عمواس فمات فيه خمسة وعشرون ألفا . قلت : هذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عمواس - وهي بين القدس والرملة - لأنها كان أول ما نجم الداء بها ، ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها ، فانا لله وإنا إليه راجعون . قال الواقدي توفي : في عام طاعون عمواس من المسلمين بالشام خمسة وعشرون ألفا . وقال غيره : ثلاثون ألفا . وهذا ذكر طائفة من أعيانهم رضى الله عنهم

الحارث بن هشام

أخو أبي جهل أسلم يوم الفتح ، وكان سيداً شريفاً في الاسلام كما كان في الجاهلية ، استشهد بالشام في هذه السنة في قول ، وتزوج عمر بعده بامرأته فاطمة .

شرحبيل بن حسنة

أحد أمراء الأرباع ، وهو أمير فلسطين ، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن قطن الكندي حليف بني زهرة ، وحسنة أمه ، نسب إليها وغلب عليه ذلك . أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة وجهزه الصديق إلى الشام ، فكان أميراً على ربع الجيش ، وكذلك في الدولة العمرية ، وطعن هو

وأبو عبيدة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد سنة ثمانى عشرة . له حديثان روى ابن ماجه أحدهما في الوضوء وغيره
عامر بن عبد الله بن الجراح

ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي أبو عبيدة بن الجراح الفهري ، أمين هذه الأمة ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد ، وهم عثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وأبو عبيدة بن الجراح . أسلموا على يدى الصديق . ولما هاجروا آخى رسول الله (ص) بينه وبين سعد بن معاذ ، وقيل بين محمد بن مسلمة . وقد شهد بدرًا وما بعدها ، وقال رسول الله (ص) : « إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ثبت ذلك في الصحيحين . وثبت في الصحيحين أيضاً أن الصديق قال يوم السقيفة : وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوه - يعنى عمر بن الخطاب وأبا عبيدة - وبعثه الصديق أميراً على ربع الجيش إلى الشام ، ثم لما انتدب خالداً من العراق كان أميراً على أبي عبيدة وغيره لملهم بالحروب . فلما انتهت الخلافة إلى عمر عزل خالداً وولى أبا عبيدة ابن الجراح ، وأمره أن يستشير خالداً ، فجمع للأمة بين أمانة أبي عبيدة وشجاعة خالد . قال ابن عساکر : وهو أول من سمى أمير الأمراء بالشام . قالوا : وكان أبو عبيدة طوالاً نحيفاً أجنى معروق الوجه ، خفيف اللحية ، أهم ، وذلك لأنه لما انتزع الخلقين من وجنتى رسول الله (ص) يوم أحد حاف أن يؤلم رسول الله (ص) فتحامل على ثنيتيه فسقطنا ، فما رأى أحسنهما منه . توفي بالطاعون عام عمواس كما تقدم سياقه في سنة ست عشرة عن سيف بن عمر . والصحيح أن عمواس كانت في هذه السنة سنة ثمانى عشرة - بقرية فحل ، وقيل بالجابية . وقد اشتهر في هذه الأعصار قبر بالقرب من عقبة ينسب إليه والله أعلم . وعمره يوم مات ثمان وخمسون سنة .

الفضل بن عباس بن عبد المطلب

كان حسناً وسيماً جميلاً ، أودفه رسول الله (ص) ، وراه يوم النحر من حجة الوداع ، وهو شاب حسن ، وقد شهد فتح الشام ، واشتهد بطاعون عمواس ، في قول محمد بن سعد والزيبر بن بكار وأبى حاتم وابن الرقي وهو الصحيح . وقيل يوم مرج الصفر ، وقيل بأجنادين . ويقال باليرموك سنة ثمان وعشرين

معاذ بن جبل

ابن عمرو بن أوس بن عابد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدي بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصارى الخزرجى أبو عبد الرحمن المدني صحابى جليل كبير القدر . قال الواقدي : كان طوالاً حسن الشعر والثغرى براق الشبايا ، لم يولد له . وقال غيره : بل ولد له ولد وهو عبد الرحمن . شهد معه اليرموك . وقد شهد معاذ العقبة . ولما هاجر الناس آخى رسول الله (ص) .

بينه وبين ابن مسعود . وحكى الواقدي الاجماع على ذلك . وقد قال محمد بن إسحق: آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب . وشهد بدرا وما بعدها . وكان أحد الأربعة من الخوارج ، الذين جمعوا القرآن في حياة النبي (ص) ، وهم أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد عمر بن أنس بن مالك . وصح في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي من حديث حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن الصنابحي . عن معاذ أن رسول الله (ص) قال له « يا معاذ والله إنني لأحبك فلا تدعن أن تقول في دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » وفي المسند والنسائي وابن ماجه من طريق أبي قلابة عن أنس مرفوعا « وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » وقد بعثه رسول الله (ص) إلى اليمن وقال له « بم تحكم » ؟ فقال : بكتاب الله وبالحديث . وكذلك أقره الصديق على ذلك يعلم الناس الخير باليمن . ثم هاجر إلى الشام فكان بها حتى مات بعد ما استخلفه أبو عبيدة حين طعن ثم طعن بعده في هذه السنة . وقد قال عمر بن الخطاب . إن معاذاً يبعث أمام العلماء بربرة . ورواه محمد بن كعب مرسل . وقال ابن مسعود : كنا نشهد بإبراهيم الخليل . وقال ابن مسعود : إن معاذاً كان قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين . وكانت وفاته شرقي غوريفسان سنة ثمان عشرة . وقيل سنة تسع عشرة [وقيل سبع عشرة ، عن ثمان وثلاثين سنة على المشهور] (١)

وقيل غير ذلك والله أعلم .

يزيد بن أبي سفيان

أبو خالد صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، أخو معاوية ، وكان يزيد أكبر وأفضل . وكان يقال له يزيد الخير ، أسلم عام الفتح ، وحضر حنيناً وأعطاه رسول الله (ص) مائة من الإبل وأربعين أوقية ، واستعمله الصديق على ربع الجيش إلى الشام ، وهو أول أمير وصل إليها ، ومشى الصديق في ركابه بوصيه ، وبعث معه أبا عبيدة وعمر بن العاص وشرحبيل ابن حسنة فهؤلاء أمراء الأرباع . ولما افتتحوا دمشق دخل هو من باب الجابية الصغير عنوة كخالد في دخوله من الباب الشرقي عنوة وكان الصديق قد وعده بأمرتها ، فولها عن أمر عمر وأنفذ له ما وعده الصديق ، وكان أول من وليها من المسلمين . المشهور أنه مات في طاعون عمواس كما تقدم . وزعم الوليد بن مسلم أنه توفي سنة تسع عشرة بعد ما فتح قيسارية . ولما مات كان قد استخلف أخاه معاوية على دمشق فأمضى عمر بن الخطاب له ذلك رضى الله عنهم . وليس له في الكتب شيء ، وقد روى عنه أبو عبد الله الأشعري أن رسول الله (ص) قال « مثل الذي يصلي ولا يتم ركوعه ولا سجوده مثل الجائع الذي لا يأكل إلا التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئاً » .

أبو جندل بن سهيل

ابن عمرو ، وقيل اسمه العاص أسلم قديما وقد جاء يوم صلح الحديبية مسلما يرسف في قيوده لأنه كان قد استضعف فردا أبوه وأبي أن يصلح حتى يرد ، ثم لحق أبو جندل بأبي بصير إلى سيف البحر ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد فتح الشام . وقد تقدم أنه تناول آية الحُر ثم رجع ، ومات بطاعون عمواس رحمه الله ورضي عنه * أبو عبيدة بن الجراح هو عامر بن عبد الله تقدم * أبو مالك الأشعري ، قيل اسمه كعب بن عاصم قدم مهاجرا سنة خير مع أصحاب السفينة ، وشهد ما بعدها ، واستشهد بالطاعون عام عمواس هو وأبو عبيدة ومعاذ في يوم واحد رضي الله عنهم أجمعين .

ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال الواقدي وغيره : كان فتح المدائن وجولاء فيها . والمشهور خلاف ما قال كما تقدم . وقال محمد ابن إسحق : كان فتح الجزيرة والرها وحران ورأس العين ونصيبين في هذه السنة . وقد خالفه غيره . وقال أبو معشر وخليفة وابن السكبي : كان فتح قيسارية في هذه السنة وأميرها معاوية . وقال غيره يزيد بن أبي سفيان . وقد تقدم أن معاوية افتتحها قبل هذا بسنتين . وقال محمد بن إسحق كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل وفتح مصر في سنة عشرين . وقال سيف بن عمر : كان فتح قيسارية وفتح مصر في سنة ست عشرة . قال ابن جرير : فأما فتح قيسارية فقد تقدم ، وأما فتح مصر فاني سأذكره في سنة عشرين إن شاء الله تعالى . قال الواقدي : وفي هذه السنة ظهرت نار من حرة ليلا فأراد عمر أن يخرج بالرجال إليها ، ثم أمر المسلمين بالصدقة فطفئت والله الحمد . ويقال كان فيها وقعة أرمينية ، وأميرها عثمان بن أبي العاص ، وقد أصيب فيها صفوان بن المعطل بن رخصة السلمي ثم الذكواني ، وكان أحد الأمراء يومئذ . وقد قال فيه رسول الله (ص) ، « ما علمت عليه إلا خيرا » وهو الذي ذكره المناقون في قصة الافك فبرأ الله ساحته ، وجناب أم المؤمنين زوجة رسول الله (ص) ، مما قالوا . وقد كان إلى حين قالوا لم يتزوج ، ولهذا قال والله ما كشفت كنف أثني قط . ثم تزوج بعد ذلك ، وكان كثير النوم ربما غلب عليه عن صلاة الصبح في وقتها ، كما جاء في سنن أبي داود وغيره . وكان شاعرا ثم حصلت له شهادة في سبيل الله . قيل بهذا البلد ، وقيل بالجزيرة ، وقيل بشمشاط . وقد تقدم بعض هذا فيما سلف . وفيها فتحت تكريت في قول والصحيح قبل ذلك ، وفيها فيما ذكرنا أسرت الروم عبد الله بن حذافة . وفيها في ذي الحجة منها كانت وقعة بأرض العراق قتل فيها أمير الجوس شهرک ، وكان أمير المسلمين يومئذ الحكم بن أبي العاص رضي الله عنه . قال ابن جرير وفيها حج بالناس عمر ، ونوابه في البلاد وقضاته هم المذكورون قبلها والله أعلم *

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ومن توفي فيها من الأعيان أبي بن كعب سيد القراء ، وهو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أبو المنذر وأبو الطفيل ، الأنصاري النجاري سيد القراء ، شهد العقبة و بدرأ وما بعدها ، وكان سيداً جليل القدر . وهو أحد القراء الأربعة الخرجيين الذين جمعوا القرآن في حياة رسول الله (س) ، وقد قال لعمر يومئذ : إني تلقيت القرآن ممن تلقاه منه جبريل وهو رطب . وفي المسند والنسائي وابن ماجه من طريق أبي قلابة عن أنس مرفوعاً : أقرأ أمتي أبي ابن كعب « وفي الصحيح أن رسول الله (س) قال : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن » . قال : وسأني لك ؟ « قال نعم » فزفت عيناه وقد تكلمنا على ذلك في التفسير عند سورة [لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة] قال الهيثم بن عدي : توفي أبي سنة تسع عشرة . وقال يحيى بن معين : سنة سبع عشرة أو عشرين . وقال الواقدي عن غير واحد : توفي سنة ثنتين وعشرين . وبه قال أبو عبيد وابن خيم وجماعة . وقال الفلاس وخليفة : توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه * وفيها مات خباب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين شهد بدرأ وما بعدها ، وهو صحابي من السابقين وصلى عليه عمر * ومات فيها صفوان بن المعطل في قول كما تقدم والله أعلم .

سنة عشرين من الهجرة

قال محمد بن إسحق : فيها كان فتح مصر . وكذا قال الواقدي : إنها فتحت هي واسكندرية في هذه السنة . وقال أبو معشر : فتحت مصر سنة عشرين ، واسكندرية في سنة خمس وعشرين . وقال سيف : فتحت مصر واسكندرية في سنة ست عشرة في ربيع الأول منها . ورجح ذلك أبو الحسن ابن الأثير في الكامل لقصة بعث عمرو الميرة من مصر عام الرمادة ، وهو معذور فيما رجحه والله أعلم . وفيها كان فتح تستر في قول طائفة من علماء السير بعد محاصرة سنتين وقيل سنة ونصف والله أعلم .

صفة فتح مصر عن ابن إسحق وسيف

قالوا : لما استكمل عمرو المسلمون فتح الشام بعث عمرو بن العاص إلى مصر وزعم سيف أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس ، وأردفه بالزبير بن العوام وفي صحبته بشر بن أرطاة ، وخارجة بن حذافة ، وغير ابن وهب الجعي . فاجتمعوا على باب مصر فلقبهم أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريام في أهل الثبات ، بعثه المقوقس صاحب اسكندرية لمنع بلادهم ، فلما تصافوا قال عمرو بن العاص لا تعجلوا حتى نعلم ، ليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد ، فبرزوا إليه ، فقال لهما عمرو بن العاص : أنتم راهبا هذه البلاد فاسمعا ، إن الله بعث محمداً (س) بالحق وأمره به وأمرنا به محمد (س) ، وأدى

إلينا كل الذي أمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الاعتذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الاسلام ، فن أجابنا إليه فقتلنا ، ومن لم يجيبنا عرضنا عليه الجزية و بذلنا له المنعة ، وقد أعلمنا أنا مفتحوكم ، وأوصانا بكم حفظا لرحمنا منكم ، وأن لكم إن أجبتهمونا بذلك ذمة إلى ذمة . ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيراً ، فان رسول الله (ص) ، أوصانا بالقبطيين خيراً ، لأن لهم رحماً وذمة . فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء . معروفة شريفة ، كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك فيهم فأدبل عليهم أهل عين شمس فقتلهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلاً . أمنا حتى نرجع إليك ، فقال عمرو : إن مثلي لا يندفع ولكني أؤجلكما ثلاثاً لتنظروا ولتنظرا قومكما وإلا فاجزئكم . قالوا : زدنا ، فزادهم يوماً ، فقالوا : زدنا . فزادهم يوماً . فرجعا إلى القوقس فأبى أرطبون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم ، فقالا لأهل مصر : أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم . وقد بقيت أربعة أيام قاتلوا وأشار عليهم بأن يبيتوا المسلمين ، فقال الملاء منهم : ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم . فآلح الأرطبون في أن يبيتوا للمسلمين ففعلوا فلم يظفروا بشيء بل قتل منهم طائفة منهم الأرطبون ، وحاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع . وارتقى الزبير عليهم سور البلد ، فلما أحسوا بذلك خرجوا إلى عمرو من الباب الآخر فصالحوه واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذي عليه عمرو فأمضوا الصلح وكتب لهم عمرو وكتاب أمان : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمرو ابن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوبة ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما حق لصونهم ، فان أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم ، وذمتنا ممن أبى بريئة . وإن نقص نهرهم من غايته رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة ، فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم أنلائنا ، في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم . على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمة المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا فرساً على أن لا يفزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر » فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول بمصر وعمرُوا القسطنطين ، وظهر أبو مريم وأبو مريم فكلما عمراً في السبايا التي أصيبت بعد المعركة . فأبى عمرو أن يردها عليهما ، وأمر بطردها واخراجهما من بين يديه ، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر من

الخطاب أمر أن كل سبي أخذ في الخمسة أيام التي آمنهم فيها أن يرد عليهم ، وكل سبي أخذ من لم يقاتل وكذلك من قاتل فلا يرد عليه سبائهم . وقيل إنه أمره أن يخبروا من في أيديهم من السبي بين الاسلام وبين أن يرجع إلى أهله ، فمن اختار الاسلام فلا يردوه إليهم ، ومن اختارهم ردوه عليهم وأخذوا منه الجزية ، وأما ما تفرق من سبيهم في البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرها ، فانه لا يقدر على ردهم ولا ينبغي أن يصلحهم على ما يتعذر الوفاء به . ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين ، وجمع السبائا وعرضهم وخبرهم فذهب من اختار الاسلام ، ومنهم من عاد إلى دينه ، وانفقد الصلح بينهم . ثم أرسل عمرو جيشا إلى اسكندرية - وكان المقوقس صاحب الاسكندرية قبل ذلك يؤدي خراج بلده وبلد مصر إلى ملك الروم - فلما حاصره عمرو بن العاص جمع أساقفته وأكابر دولته وقال لهم : إن هؤلاء العرب غلبوا كسرى وقيصروا أزولهم عن ملكهم ولا طاقة لنا بهم ، والرأى عندي أن تؤدي الجزية إليهم . ثم بعث إلى عمرو بن العاص يقول : إني كنت أؤدي الخراج إلى من هو أبغض إلى منكم - فارس والروم - ثم صالحه على أداء الجزية ، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه .

وذكر سيف أن عمرو بن العاص لما التقى مع المقوقس جعل كثير من المسلمين يفر من الزحف فجعل عمرو يرميهم ويحتملهم على الثبات : فقال له رجل من أهل اليمن : إنا لم نخلق من حجارة ولا حديد . فقال له عمرو : اسكت فأنما ، أنت كلب . فقال له الرجل فأنت إذا أمير الكلاب . فأعرض عنه عمرو ونادى يطلب أصحاب رسول الله (ص) ، فلما اجتمع إليه من هناك من الصحابة قال لهم عمرو : تقدموا فبكم ينصر الله المسلمين . فهدوا إلى القوم ففتح الله عليهم - وظفروا أتم الظفر . قال سيف : ففتحت مصر في ربيع الأول من سنة ست عشرة وقام فيها ملك الاسلام والله الحمد والمنة . وقال غيره : فتحت مصر في سنة عشرين ، وفتحت اسكندرية في سنة خمس وعشرين بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوة ، وقيل صلحا على ثني عشر ألف دينار . وقد ذكر أن المقوقس سأل من عمرو أن يهادنه أولا ، فلم يقبل عمرو وقال له : قد علمت ما فعلنا بملككم الا كبير هرقل . فقال المقوقس لأصحابه : صدق فمن أحق بالاذعان . ثم صالح على ما تقدم . وذكر غيره أن عمراً والزبير سارا إلى عين شمس فحاصراها وأن عمراً بعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح ، وبعث عوف بن مالك إلى الاسكندرية ، فقال كل منهما لأهل بلده : إن نزلتم فلكم الامان . فتربصوا ماذا يكون من أهل عين شمس ، فلما صالحوا صالح الباقون . وقد قال عوف بن مالك لأهل اسكندرية : ما أحسن بلدكم ؟ فقالوا : إن اسكندر لما بناها قال : لا بنين مدينة فقيرة إلى الله غنية عن الناس . فبقيت يهجتها . وقال أبرهة لاهل الفرما : ما أقبح مدينتكم ؟ فقالوا إن الفرما - وهو أخو الاسكندر - لما بناها قال لا بنين مدينة

غنية عن الله فقيرة إلى الناس . فهي لا يزال ساقطاً بناؤها فشوهت بذلك

وذكر سيف أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما ولي مصر بعد ذلك زاد في الخراج عليهم رموساً من الرقيق يهدونها إلى المسلمين في كل سنة ، ويعوضهم المسلمون بطعام مسمى وكسوة . وأقر ذلك عثمان بن عفان وولاية الأمور بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فأمنه أيضاً نظراً لهم ، وإبقاء لهمهم . قلت : وإنما سميت ديار مصر بالفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص ، وذلك أنه نصب خيمته وهي الفسطاط موضع مصر اليوم ، وبنى الناس حوله ، وتركت مصر القديمة من زمان عمرو بن العاص وإلى اليوم ، ثم رفع الفسطاط وبنى موضعه جامعاً وهو المنسوب إليه اليوم . وقد غزا المسلمون بعد فتح مصر النوبة فنالهم جراحات كثيرة ، وأصيبت أعين كثيرة ، لجودة رمى النوبة فسومهم جند الحلق . ثم فتحها الله بعد ذلك وله الحمد والمنة : وقد اختلف في بلاد مصر فقيل : فتحت صلحا إلا الاسكندرية ، وهو قول يزيد بن أبي حبيب . وقيل : كلها عنوة وهو قول ابن عمر وجماعة . وعن عمرو بن العاص أنه خطب الناس فقال : ما قدمت مقعدى هذا ولا أحد من القبط عندي عهد إن شئت - قلت ، وإن شئت بعت وإن شئت خست إلا لاهل الطابلس فإن لهم عهداً نوفي به .

قصة نيل مصر

روينا من طريق ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حدثه قال : لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص - حين دخل بؤنة من أشهر المعجم - فقالوا : أيها الأمير ، لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها . قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت اثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون في الاسلام ، إن الاسلام يهدم ما قبله . قال : فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى والنيل لا يجرى قليلاً ولا كثيراً ، حتى هموا بالجللاء ، فكذب عمرو إلى عمر ابن الخطاب بذلك ، فكاتب إليه : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وإنى قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي ، فألقها في النيل . فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فاذا فيها « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فإن كنت إنما تجرى من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك ، وإن كنت إنما تجرى بأمر الله الواحد القهار ، وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك » قال : فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم .

قال سيف بن عمر : وفي ذى القعدة من هذه السنة - وهي عنده سنة ست عشرة - جعل عمرو المسالخ على أرجاء مصر ، وذلك لأن هرقل أغزا الشام ومصر في البحر . قال ابن جرير : وفي هذه

السنة غزا أرض الروم أبو بحرية عبد الله بن قيس العبدى - وهو أول من دخلها فيها قتل - فسلم وغنم وقيل أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسى . قال الواقدى : وفيها عزل عمر قدامة بن مظعون عن البحرين ، وحده في الشراب . وولى على البحرين واليمامة أبا هريرة الدوسى رضى الله عنه . قال : وفيها شكوا أهل الكوفة سعدا في كل شئ ، حتى قالوا : لا يحسن يصلى ، فعزله عنها وولى عليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان - وكان نائب سعد - وقيل بل ولاها عمرو بن ياسر . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن عبد الملك سمعه من جابر بن سمرة . قال : شكوا أهل الكوفة سعدا إلى عمر فقالوا : إنه لا يحسن يصلى ، قال الاعارب ؟ والله ما آلوهم صلاة رسول الله (ص) في الظهر والعصر ، اردد في الأوليين وأصرف في الآخرين . فسمعت عمر يقول : كذا الظن بك يا أبا إسحق . وفى صحيح مسلم أن عمر بعث من يسأل عنه أهل الكوفة فأتوا خيراً إلا رجلاً يقال له : أبو سعدة قتادة بن أسامة قام فقال : أما إذ أنشدتنا فان سعداً لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ، ولا يخرج في السرية . فقال سعد : اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة ، فأطل عمره وأدم فقره وعرضه للفتن . فأصابته دعوة سعد - فكان شيخاً كبيراً يرفع حاجبيه عن عينيه ، ويتعرض للجوارى في الطرق فيغمزهن ، فيقال له في ذلك ، فيقول : شيخ كبير مفتون أصابته دعوة سعد . وقد قال عمر في وصيته - وذكره في الستة - « فان أصابت الامرة سعداً فذاك ، وإلا فليستمن به أيكم ولى ، فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة . قال : وفيها أجلى عمر يهود خيبر عنها إلى أذرعات وغيرها ، وفيها أجلى عمر يهود نجران منها أيضاً إلى الكوفة ، وقسم خيبر ، ووادى القرى ، ونجران بين المسلمين . قال : وفيهادون عمر الدواوين ، وزعم غيره أنه دوتها قبل ذلك فأنه أعلم . قال : وفيها بعث عمر علقمة بن مجزر المدلبى إلى الحبشة في البحر فأصيبوا فآلى عمر على نفسه أن لا يبعث جيشاً في البحر بعدها . وقد خالف الواقدى في هذا أبو معشر فزعم أن غزوة الحبشة إنما كانت في سنة إحدى وثلاثين - يعنى في خلافة عثمان بن عفان - والله أعلم . قال الواقدى : وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد بن عتبة . التى مات عنها الحارث بن هشام في الطاعون . وهى أخت خالد بن الوليد . قال : وفيها مات هلال بدمشق ، وأسيد بن الحضير في شعبان ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين . وهى أول من مات من أمهات المؤمنين رضى الله عنها . قال : وفيها مات هرقل وقام بعده ولده قسطنطين . قال : وحج بالناس في هذه السنة عمر ونوابه وقضاته من تقدم فى التى قبلها . سوى من ذكرنا أنه عزله وولى غيره .

ذكر المتوفين من الأعيان - أسيد بن الحضير

ابن سمالك الأنصارى الأشجلى من الأوس ، أبو يحيى أحد النقباء ليلة العقبة ، وكان أبوه رئيس الأوس يوم بعث ، وكان قبل الهجرة بست سنين وكان يقال له حضير الكتائب ، يقال إنه أسلم

على يدى مصعب بن عمير . ولما هاجر الناس آخى رسول الله (ص) بينه وبين زيد بن حارثة ، ولم يشهد بدرآ . وفي الحديث الذى صححه الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أسيد بن الحضير » وذكر جماعة . وقدم الشام مع عمر وأثنت عليه عائشة ، وعلى سعد بن معاذ ، وعبيد بن بشر ، رضى الله عنهم . وذكر ابن بكير أنه توفى بالمدينة سنة عشرين ، وأن عمر حمل بين عموديه وصلى عليه ودفن بالبقيع ، وكذا أرخ وفاته سنة عشرين الواقدى وأبو عبيد وجماعة .

أنيس بن مرثد بن أبى مرثد الغنوي

هو وابوه وجده صحابة وكان أنيس هذا عينا لرسول الله يوم حنين ، ويقال إنه الذى قال له رسول الله (ص) « إغدى يا أنيس إلى امرأة هذا فان اعترفت فارجها » والصحيح أنه غيره ، فان فى الحديث « فقال لرجل من أسلم » فقيل : انه أنيس بن الضحاك الأسلمى . وقد مال ابن الأثير إلى ترجيعه والله أعلم . له حديث فى الفتنة قال إبراهيم بن المنذر : توفى فى ربيع الأول سنة عشرين .

بلال بن أبى رباح الحبشى المؤذن مولى بي بكر

ويقال له بلال بن حمامة . وهى أمه . أسلم قديما فمذب فى الله فصر فاشتره الصديق فأعتقه ، شهد بدرآ وما بعدها . وكان عمر يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا رواه البخارى . ولما شرع الأذان بالمدينة كان هو الذى يؤذن بين يدى رسول الله (ص) وابن أ مكتوم يتناوبان ، تارة هذا وتارة هذا ، وكان بلال ندى الصوت حسنة ، فصيحاً ، وما يروى « أن سين بلال عند الله شينا » فليس له أصل . وقد أذن يوم الفتح على ظهر الكعبة . ولما توفى رسول الله (ص) ترك الأذان ، ويقال أذن للصديق أيام خلافته ولا يضح . ثم خرج إلى الشام مجاهداً ، ولما قدم عمر إلى الجابية أذن ، بين يديه بعد الخطبة لصلاة الظهر ، فانتحب الناس بالبكاء . وقيل إنه زار المدينة فى غصود ذلك [فأذن فبكى الناس بكاء شديداً ويحق لهم ذلك] ^(١) رضى الله عنهم . وثبت فى الصحيح أن رسول الله (ص) قال لبلال « إني دخلت الجنة فسمعت خشف نمليك أمامى فأخبرنى بأرجى عمل عملته » . فقال : ما توضحأت إلا واصلت ركعتين . « فقال بذلك » وفى رواية « ما أحدثت إلا توضحأت وما توضحأت إلا رأيت أن على أن أصلى ركعتين » قالوا : وكان بلال آدم شديد الأدمة طويلاً نحيفاً كثير الشعر خفيف العارضين . قال ابن بكير : توفى بدمشق فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة . وقال محمد بن إسحق وغير واحد : توفى سنة عشرين . قال الواقدى : ودفن بباب الصغير وله بضع وستون سنة .

(١) لم ترد فى الحلية .

وقال غيره : مات بداريا ودفن بباب كيسان . وقيل دفن بداريا ، وقيل إنه مات بحلب . والأول أصح والله أعلم .

سعيد بن عامر بن خديم

من أشرف بني جمح ، شهد خيبر وكان من الزهاد والعباد ، وكان أميراً لعمر على حمص بعد أبي عبيدة ، بلغ عمر أنه قد أصابته جراحة شديدة ، فأرسل إليه بألف دينار فتصدق بها جميعها ، وقال لزوجته : أعطيناها لمن يتجر لنا فيها رضى الله عنه . قال خليفة : فتح هو ومعاوية قيسارية كل منهما أمير على من معه .

عياض بن غنم

أبو سعد الفهرى من المهاجرين الأولين ، شهد بدر وما بعدها ، وكان سمحاً جواداً ، شجاعاً ، وهو الذى افتتح الجزيرة ، وهو أول من جاز درب الروم غازياً ، واستنابه أبو عبيدة بعده على الشام فأقره عمر عليها إلى أن مات سنة عشرين عن ستين سنة .

أبو سفيان بن الحارث

ابن عبد المطلب بن عم رسول الله (س) ، قيل اسمه المغيرة . أسلم عام الفتح فحسن إسلامه جداً وكان قبل ذلك من أشد الناس على رسول الله (س) ، وعلى دينه ومن تبعه ، وكان شاعراً مطيقاً يهجو الاسلام وأهله ، وهو الذى رد عليه حسان بن ثابت رضى الله عنه فى قوله :

ألا أبلغ أبا سفيان عني * مغلفةً فقد برح الخفاء

هجوت محمداً وأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء * فشرُّكم خيراً كما الفداء

ولما جاء هو وعبد الله بن أبي أمية ليلسما لم يأذن لهما عليه السلام حتى شفت أم سلمة لأخيها فأذن له ، وبلغه أن أبا سفيان هذا قال : والله لئن لم يأذن لى لأخذن بيد بنى هذا - لولد معه صغير - فلا ذهبن فلا يدرى أين أذهب . فرق حينئذ له رسول الله (س) ، وأذن له ، ولزم رسول الله (س) ، يوم حنين وكان آخذاً بلجام بغلته يومئذ ، وقد روى أن رسول الله (س) ، أحبه وشهد له بالجنة ، وقال « أرجو أن تكون خلفاً من حمزة » وقد روى رسول الله (س) ، حين توفى بقصيدة ذكرناها فيما سلف وهى التى يقول فيها :

أرقت فبات ليلي لا يزول * وليل أخ المصيبة فيه طول

وأسمدنى البكاء وذلك فيما * أصيب السلون به قليل

فقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول

قدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويفندو جبرئيل
ذكروا أن أبا سفيان حج فلما حلق رأسه قطع الخالق ثولولاله في رأسه فتمرض منه فلم يزل
كذلك حتى مات بعد مرجعه إلى المدينة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب . وقد قيل إن أخاه نوفلا توفي
قبله بأربعة أشهر والله أعلم .

أبو الهيثم بن التيهان

هو مالك بن مالك بن عسل بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن دعورا بن جشم بن الحارث بن
الخرزج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ، شهد العقبة نقيبا ، وشهد بدرًا وما
بعدها ، ومات سنة عشرين ، وقيل إحدى وعشرين ، وقيل إنه شهد صفين مع علي ، قال ابن الأثير
وهو الأكر . وقد ذكره شيخنا هنا فإله أعلم .

زينب بنت جحش

ابن رباب الأسدية من أسد خزيمه أول أمهات المؤمنين وفاة ، أمها أميمة بنت عبد المطلب ،
وكان اسمها برة ، فسماها رسول الله زينب ، وتكنى أم الحكم ، وهي التي روجه الله بها ، وكانت
تفتخر بذلك على سائر أزواج النبي (ص) ، فتقول : زوجكن أهلوكن وزوجني الله من السماء . قال الله
تعالى [فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها] الآية . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ، فلما
طلقها تزوجها رسول الله (ص) . قيل كان ذلك في سنة ثلاث وقيل أربع وهو الأشهر . وقيل سنة
خمس . وفي دخوله عليه السلام بها نزل الحجاب كما ثبت في الصحيحين عن أنس . وهي التي كانت
تسمى عائشة بنت الصديق في الجمال والخطوة ، وكانت دينه ورعة عابدة كثيرة الصدقة . وذلك
الذي أشار إليه رسول الله (ص) بقوله « أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا » أي بالصدقة . وكانت
امرأة صناعا تعمل بيديها وتتصدق على الفقراء . قالت عائشة : ما رأيت امرأة قط خيرا في الدين
وأثقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة من زينب بنت جحش . ولم تحج بعد
حجة الوداع لاهي ولا سودة ، لقوله عليه السلام لأزواجه « هذه ثم ظهور الحصر » وأما بقية أزواج
النبي (ص) ، فكان يخرجن إلى الحج وقالتا زينب وسودة : والله لا نحر كنا بعده دابة . قالوا : وبعت
عمر إليها فرضها اثني عشر ألفا فتصدقت به في أقاربها . ثم قالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد
هذا . فماتت في سنة عشرين وصلى عليها عمر . وهي أول من صنع لها النعش ، ودفنت بالبقيع .

صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول

وهي أم الزبير بن العوام ، وهي شقيقة حمزة والمقوم وحجل ، أمهم هالة بنت وهيب بن عبد مناف
ابن زهرة . لا خلاف في إسلامها وقد حضرت يوم أحد ووجدت على أخيها حمزة وجدا كثيرا ، وقتلت

بمع الخندق رجلا من اليهود جاء فجعل يطوف بالحصن التي هي فيه وهو فارح حصن حسان قالت
لحسان : انزل فاقتله ، فأبى ، فنزلت إليه فقتلته ثم قالت : انزل فاسليه قولاً أنه رجل لاستلبته . فقال :
لا حاجة لي فيه . وكانت أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين . وقد اختلف في إسلام من عداها من
عمات النبي (ص) ، فقيل : أسلمت أروى وعاتكة . قال ابن الأثير وشيخنا أبو عبد الله الذهبي
الحافظ : والصحيح أنه لم يسلم منهم غيرها . وقد تزوجت أولاً بلخارث بن حرب بن أمية . ثم خلف
عليها العوام بن خويلد فولدت له الزبير وعبد الكعبة . وقيل تزوج بها العوام بكراً ، والصحيح الأول
توفيت بالمدينة سنة عشرين عن ثلاث وسبعين سنة . ودفنت بالبقيع رضى الله عنها وقد ذكر ابن
إسحق من توفي غيرها .

عويم بن ساعدة الأنصاري

شهد العقبتين والمشاهد كلها وهو أول من استنجد بالماء ، وفيه نزل قوله تعالى [فيه رجال يحبون
أن يتطهروا والله يحب المطهرين] وله روايات توفي هذه السنة بالمدينة * بشر بن عمرو بن حنش
يلقب بالجارود ، أسلم في السنة العاشرة ، وكان شريفاً مطاعاً في عهد القيس ، وهو الذي شهد على
قدامة بن مظعون أنه شرب الخمر ، فعزله عمر عن اليمن وحده قتل الجارود شهيداً * أبو خراشة
خويلد بن مرة الهذلي ، كان شاعراً مجيداً مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان إذا جرى سبق
الغيل . نهشته حية فمات بالمدينة .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وكانت وقعة نهاوند

وهي وقعة عظيمة جداً لها شأن رفيع ونبا عجيب ، وكانت المسمون يسمونها فتح الفتوح

قال ابن إسحق والواقدي : كانت وقعة نهاوند في سنة إحدى وعشرين . وقال سيف : كانت في
سنة سبع عشرة . وقيل في سنة تسع عشرة والله أعلم . وإنما ساق أبو جعفر بن جرير قصتها في هذه
السنة فتبعناه في ذلك وجمعنا كلام هؤلاء الأئمة في هذا الشأن سياقاً واحداً ، حتى دخل سياق بعضهم
في بعض . قال سيف وغيره : وكان الذي هاج هذه الوقعة أن المسلمين لما افتتحوا الأهواز ومنعوا
جيش العلاء من أيديهم واستولوا على دار الملك القديم من اصطخر مع ما حازوا من دار مملكتهم
حديثاً ، وهي المدائن ، وأخذ تلك المدائن والأقاليم والكور والبلدان الكثيرة ، فحموا عند ذلك
واستجاشهم يزدجرد الذي تقهر من بلد إلى بلد حتى صار إلى أصبهان مبعداً طريداً ، لكنه في أسرة
من قومه وأهله وماله ، وكتب إلى ناحية نهاوند وما والاها من الجبال والبلدان ، فتجمعوا وتراسلوا
حتى كل لهم من الجوزد ما لم يجتمع لهم قبل ذلك ، فبعث سعد إلى عمر يملئه بذلك ، وفار أهل الكوفة
على سعد في غصون هذا الحال . فشكوه في كل شيء حتى قالوا : لا يحسن يصلى . وكان الذي نهض

بهذه الشكوى رجل يقال له : الجراح بن سنان الأسدي في نفر معه ، فلما ذهبوا إلى عمر فشكوه قال لهم عمر : إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الحال عليه ، وهو مستعد لقتال أعداء الله ، وقد جمعوا لكم ، ومع هذا لا يمنعني أن أنظر في أمركم . ثم بعث محمد بن مسلمة - وكان وصول المال - فلما قدم محمد بن مسلمة الكوفة طاف على القبائل والعشائر والمساجد بالكوفة فكل يثني على سعد خيراً إلا ناحية الجراح بن سنان فانهم سكتوا فلم ينعموا ولم يشكروا ، حتى انتهى إلى بني عبيس ، فقام رجل يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة ، فقال : أما إذ ناشدنا فان سعداً لا يقسم بالسوية ، ولا يعمل في الرعية ، ولا يغزو في السرية . فدعا عليه سعد فقال : اللهم إن كان قالمها كذباً ورياءاً وسممة طاعم بصره ، وكثر عياله ، وعرضه لمضلات الفتن . فعمى واجتمع عنده عشر بنات ، وكلن يسمع بالمرأة فلا يزال حتى يأتيها فيجسها فلذا عثر عليه قال : دعوة سعد الرجل المبارك . ثم دعا سعد على الجراح وأصحابه فكل أصابته فارعة في جسده ، ومصيبة في ماله بعد ذلك . واستنفر محمد بن مسلمة أهل الكوفة لغزو أهل نهاوند في غضون ذلك عن أمر عمر بن الخطاب . ثم سار سعد ومحمد بن مسلمة والجراح وأصحابه حتى جاءوا عمر فسأله عمر : كيف يصلي ؟ فأخبره أنه يطول في الأوليين ويخفف في الآخرين وما آلو ما اقتديت به من صلاة رسول الله (ص) . فقال له عمر : ذاك الظن بك يا أبا إسحق . وقال سعد في هذه القصة . لقد أسلعت خامس خمسة ، ولقد كنا ومالنا طعام إلا ورق الخبقة حتى تقرحت أشداقنا ، وإني لأول رجل رمى بسهم في سبيل الله ، ولقد جمع لي رسول الله (ص) ، أيوبه وما جمعها لأحد قبلي ، ثم أصبحت بنو أسد يقولون لا يحسن يصلي . وفي رواية يفر ربي على الإسلام ، لقد خبت إذا وضل عملي . ثم قال عمرو السعد : من استخلفت على الكوفة ؟ فقال : عبد الله بن عبد الله ابن عتبان ، فأقره عمر على نيابته الكوفة - وكان شيخاً كبيراً من أشرف الصحابة حليفاً لبني الحنظلي من الأنصار - واستمر سعد معز ولا من غير معز ولا خيانة ويهدد أولئك النفر ، وكاد يوقع بهم بأساً . ثم ترك ذلك خوفاً من أن لا يشكو أحداً أميراً .

والمقصود أن أهل فارس اجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند . حتى اجتمع منهم مائة ألف وخمسون ألف مقاتل ، وعليهم الفيرزان ويقال : بندار ، ويقال ذو الحاجب . وتذا مروا فيما بينهم ، وقالوا : إن محمداً الذي جاء العرب لم يتعرض لبلادنا ، ولا أبو بكر الذي قام بعده تعرض لنا في دار ملكنا ، وإن عمر بن الخطاب هذا لما طال ملكه أتته حرمتنا وأخذ بلادنا ، ولم يكفه ذلك حتى أغرانا في عقر دارنا ، وأخذ بيت المملكة وليس بمنته حتى يخرجكم من بلادكم . فتعاهدوا وتعاهدوا على أن يقصدوا البصرة والكوفة ثم يشغلوا عمر عن بلادهم ، وتواتقوا من أنفسهم وكتبوا بذلك عليهم كتباً . فلما كتب سعد ذلك إلى عمر - وكان قد عزل سعداً في غضون ذلك - شافه سعد عمر بما

تمالؤا عليه وقصودوا إليه ، وأنه قد اجتمع منهم مائة وخمسون ألفا . وجاء كتاب عبد الله بن عبد الله ابن عتبان من الكوفة إلى عمر مع قريب بن ظفر العبدى بأنهم قد اجتمعوا وهم منحرفون متفامرون على الاسلام والله ، وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن نقصدهم فمماجلهم عما هموا به وعزموا عليه من المسير إلى بلادنا . فقال عمر لحامل الكتاب : ما اسمك ؟ قال : قريب . قال : ابن من ؟ قال : ابن ظفر . فتفاهل عمر بذلك وقال : ظفر قريب . ثم أمر فتودى الصلاة الجمعة ، فاجتمع الناس وكان أول من دخل المسجد لذلك سعد بن أبي وقاص ، فتفاهل عمر أيضا بسعد ، فصعد عمر المنبر حتى اجتمع الناس فقال : إن هذا يوم له مابعده من الأيام ، ألا وإنى قد همت بأمر فاسمعوا وأطيعوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، إني قد رأيت أن أسير بمن قبلى حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين فاستنفر الناس ، ثم أكون لهم رداءً حتى يفتح الله عليهم . فقام عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف في رجال من أهل الراى ، فتكلم كل منهم بانفراده فأحسن وأجاد ، واتفق رأيهم على أن لا يسير من المدينة ، ولكن يبعث البعوث ويحصرهم برأيه ودعائه . وكان من كلام على رضي الله عنه أن قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الأمر لم يكن نصرته ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، هو دينه الذى أظهر ، وجنسه الذى أعزّه وأمدّه بالملائكة حتى بلغ ما بلغ . فنحن على موعود من الله والله منجز وعده ، وناصر جنده ، ومكانك منهم يا أمير المؤمنين مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فاذا انحل تفرق مافيه وذهب ، ثم لم يجتمع بخدافيره أبداً . والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهم كثير عزيز بالاسلام ، فأقم مكانك واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم ، فليذهب منهم الثلثان ويقيم الثلث ، واكتب إلى أهل البصرة يمدونهم أيضا . - وكان عثمان قد أشار في كلامه أن يمدم في جيوش من أهل اليمن والشام . ووافق عمر على الذهاب إلى ما بين البصرة والكوفة - فرد على على عثمان في موافقته على الذهاب إلى ما بين البصرة والكوفة كما تقدم ، ورد رأى عثمان فيما أشار به من استمداد أهل الشام خوفا على بلادهم إذا قل جيوشها من الروم . ومن أهل اليمن خوفا على بلادهم من الحبشة . فأعجب عمر قول على وسر به . - وكان عمر إذا استشار أحدا لا يبرم أمرا حتى يشاور العباس - فلما أعجبه كلام الصحابة في هذا المقام عرضه على العباس فقال : يا أمير المؤمنين خفض عليك ، فانما اجتمع هؤلاء الفرس لنقمة تنزل عليهم . ثم قال عمر : أشيروا على من أوليه أمر الحرب وليكن عراقيا . فقالوا : أنت أبصر بجندك يا أمير المؤمنين . فقال : أما والله لأولين رجلا يكون أول الأُسنة إذا لقيها غدا . قالوا : من يا أمير المؤمنين ؟ قال . [النهان بن مقرن] فقالوا : هو لها . وكان النهان قد كتب إلى عمر وهو على كسكر وسأله أن يعزله عنها ويؤليه فقال أهل نهاوند - فلهمنا أجابه إلى ذلك وعينه له ، ثم كتب عمر إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بخنود

منها ، وكتب إلى أبي موسى أن يسير بجنود البصرة ، وكتب إلى النعمان - وكان بالبصرة - أن يسير
 بمن هناك من الجنود إلى نهاوند ، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه والأمير على الناس كلهم
 النعمان بن مقرن . فاذا قتل خديفة بن اليمان ، فان قتل جريبر بن عبد الله ، فان قتل ققيس بن مكشوح ،
 فان قتل قيس ففلان ثم فلان ، حتى عد سبعة أحدهم المغيرة بن شعبة ، وقيل لم يسم فيهم والله أعلم .
 وصورة الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى النعمان بن مقرن
 سلام عليك ، فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فانه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم
 كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فاذا آنأك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبصر الله
 بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعرأ فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة ،
 فان رجلاً من المسلمين أحب إلى من مائة ألف دينار ، والسلام عليك . فسر في وجهك ذلك حتى
 تأتي ما فاني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها ، فاذا اجتمع إليك جنودك فسر إلى الفيرزان
 ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا وأكثروا من لاحول ولا قوة إلا
 بالله . » وكتب عمر إلى نائب الكوفة - عبد الله بن عبد الله - أن يعين جيشاً ويبعثهم إلى نهاوند ،
 وليكن الأمير عليهم خديفة بن اليمان حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن ، فان قتل النعمان خديفة ، فان
 قتل فتيم بن مقرن . وولى السائب بن الأقرع قسم الغنائم . فسر خديفة في جيش كثيف نحو النعمان
 ابن مقرن ليوافوه بماء ، وسار مع خديفة خلق كثير من أمراء العراق ، وقد أرسد في كل كورة
 ما يكفيها من المقاتلة ، وجعل الحرس في كل ناحية ، واحتاطوا احتياطاً عظيماً ، ثم انتهوا إلى النعمان
 ابن مقرن حيث اتعدوا ، فدفع خديفة بن اليمان إلى النعمان كتاب عمر وفيه الأمر له بما يعتمده في
 هذه الواقعة ، فكل جيش المسلمين في ثلاثين ألفاً من المقاتلة فيما رواه سيف عن الشعبي ، فمنهم من
 سادات الصحابة ورؤوس العرب خلق كثير وجم غفير ، منهم عبد الله بن عمر أمير المؤمنين ،
 وجريبر بن عبد الله البجلي ، وخديفة بن اليمان ، والمغيرة بن شعبة ، وعمر بن معدى كرب الزبيدي ،
 وطلحة بن خويلد الأسدي ، وقيس بن مكشوح المرادي . فسر الناس نحو نهاوند وبعث النعمان بن
 مقرن الأمير بين يديه طلحة ثلاثه وهم طلحة ، وعمر بن معدى كرب الزبيدي ، وعمر بن أبي سلمة .
 ويقال له عمرو بن ثبي أيضاً ، ليكشفوا له خبر القوم وما هم عليه . فسارت الطليعة يوماً وليلة فرجع
 عمرو بن ثبي فقيل له : ما رجلك ؟ قال : كنت في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضاً
 عالمها . ثم رجع بعمر عمرو بن معدى كرب وقال : لم نر أحداً وخفت أن يؤخذ علينا الطريق ، ونفذ
 طلحة ولم يحفل برجوعهما فسر بعد ذلك نحواً من بضعة عشر فرسخاً حتى انتهى إلى نهاوند ، ودخل
 في العجم وعلم من أخبارهم ما أحب . ثم رجع إلى النعمان فأخبره بذلك ، وأنه ليس بينه وبين نهاوند

شئ يكرهه . فسار النعمان على تعبثته وعلى المقدمة نعيم بن مقرن ، وعلى المجنبتين حذيفة وسويد بن مقرن ، وعلى المجردة القمقاع بن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود ، حتى انتهوا إلى الفرس وعليهم الفيرزان ، ومعه من الجيش كل من غاب عن القادسية في تلك الأيام المتقدمة ، وهو في مائة وخمسين ألفاً ، فلما تراءى الجمعان كبر النعمان وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، فزلزلت الأعاجم ورعبوا من ذلك رعباً شديداً . ثم أمر النعمان بحط الأتقال وهو واقف ، فخط الناس أمتامهم ، وتركوا رحالهم ، وضربوا خيامهم وقبابهم . وضربت خيمة للنعمان عظيمة ، وكان الذين ضربوا أربعة عشر من أشرف الجيش ، وهم حذيفة بن اليمان ، وعتبة بن عمرو ، والمغيرة بن شعبة ، وبشير بن الخصاصية ، وحنظلة الكاتب ، وابن الهوبر ، وربيع بن عامر ، وعامر بن مطر ، وجريز بن عبد الله الحميري ، وجريز بن عبد الله البجلي ، والأقرع بن عبد الله الحميري ، والأشعث بن قيس الكندي ، وسعيد بن قيس الهمداني ، ووائل بن حجر ، فلم ير بالعراق خيمة عظيمة أعظم من بناء هذه الخيمة ، وحين حطوا الأتقال أمر النعمان بالقتال وكان يوم الأربعاء ، فاقتتلوا ذلك اليوم والذي بعده والحرب سجال ، فلما كان يوم الجمعة انحجزوا في حصنهم ، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله ، والأعاجم يخرجون إذا أرادوا ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا . وقد بعث أمير الفرس يطلب رجلاً من المسلمين ليكلمه ، فذهب إليه المغيرة بن شعبة ، فذكر من عظم ما رأى عليه من لبسه ومجلسه ، وفيما خاطبه به من الكلام في احتقار العرب واستهانت بهم ، وأنهم كانوا أطول الناس جوعاً ، وأقلهم داراً وقدرًا . وقال : ما يمنع هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنشاب إلا بما من جيفكم ، فإن تنهبوا نخل عنكم ، وإن تأبوا نزركم مصارعكم . قال : فتشهدت وحمدت الله وقلت : لقد كنا أسوأ حالا مما ذكرت ، حتى بعث الله رسوله فوعدنا النصر في الدنيا ، والخير في الآخرة ، وما زلنا نتعرف من ربنا النصر منه بعث الله رسوله إلينا ، وقد جئناكم في بلادكم وإنا لن نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى تغلبكم على بلادكم وما في أيديكم أو تقتل بأرضكم . فقال : أما والله إن الأعور لقد صدقكم ما في نفسه . فلما طال على المسلمين هذا الحال واستمر ، جمع النعمان بن مقرن أهل الرأي من الجيش ، وتشاوروا في ذلك ، وكيف يكون من أمرهم حتى يتواجهوا هم والمشركون في صعيد واحد ، فتكلم عمرو بن أبي سلمة أولاً - وهو أسن من كان هناك - فقال : إن بقاءهم على ما هم عليه أضرم عليهم من القى يطلبه منهم وأبقى على المسلمين . فرد الجميع عليه وقالوا : إنا لملى يقين من إظهار ديننا ، وإنجاز موعود الله لنا . وتكلم عمرو بن معدى كرب فقال : فاهدم وكأثرهم ولا تخفهم . فردوا جميعاً عليه وقالوا : إنما تناطح بنا الجدران والجدران أعوان لهم علينا . وتكلم طليحة الأسدي فقال : إنهما لم يصيبا ، وإني أرى أن تبعث سرية فتحدق بهم ويناضوهم بالقتال ويحمشوم فاذا برزوا إليهم فليفروا إلينا هرباً ، فاذا استطردوا

وراءهم واتفقوا علينا عزمنا أيضا على الفرار كلنا ، فانهم حينئذ لا يشكون في الهزيمة فيخرجون من حصونهم عن بكرة أبيهم ، فاذا تكامل خروجهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضى الله بيننا . فاستجد الناس هذا الرأي ، وأمر النعمان على الجردة القمعاق بن عمرو ، وأمرهم أن يذهبوا إلى البلد فيحاصروهم وحدهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم . ففعل القمعاق ذلك ، فلما برزوا من حصونهم نكص القمعاق بمن معه ثم نكص ثم نكص فاعتنمها الأعاجم ، ففعلوا ما ظن طليحة ، وقالوا : هي هي ، فخرجوا بأجمعهم ولم يبق بالبلد من المقاتلة إلا من يحفظ لهم الأبواب ، حتى انتهوا إلى الجيش ، والنعمان بن مقرن على قبعته . وذلك في صدر نهار جمعة ، فغزم الناس على مصادمتهم ، فتهام النعمان وأمرهم أن لا يقاتلوا حتى تزول الشمس ، وتهب الأرواح ، وينزل النصر كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل . وألح الناس على النعمان في الحملة فلم يفعل - وكان رجلاً ثابتاً - فلما حان الزوال صلى بالمسلمين ثم ركب برذوناً له أحوى قريباً من الأرض ، فجعل يقف على كل راية ويحثهم على الصبر ويأمرهم بالثبات ، ويقدم إلى المسلمين أنه يكبر الأولى فيتأهب الناس للحملة ، ويكبر الثانية فلا يبقى لأحد أهبة ، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة . ثم رجع إلى موقفه . وتعبت الفرس تعبته عظيمة واصطفوا صفوفاً هائلة . في عدد وعدد لم ير مثله ، وقد تغلغل كثير منهم بعضهم في بعض وألقوا حسك الحديد وراء ظهورهم حتى لا يمكنهم الهرب ولا الفرار ، ولا التحيز . ثم إن النعمان بن مقرن رضى الله عنه كبر الأولى وهز الراية فتأهب الناس للحملة ، ثم كبر الثانية وهز الراية فتأهبوا أيضاً ، ثم كبر الثالثة وحمل وحمل الناس على المشركين وجعلت راية النعمان تنقض على الفرس كانهضاض العقاب على الفريسة ، حتى تصالحوا بالسيوف فاقتتلوا قتالاً لم يعهد مثله في موقف من المواقف المتقدمة ، ولا سمع السامعون بوقعة مثلها ، قتل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتل ما طبق وجه الأرض دماً ، بحيث إن الدواب كانت تطبع فيه ، حتى قيل إن الأمير النعمان بن مقرن زلق به حصانه في ذلك الدم فوق وقع وجاء سهم في خاصرته فقتله ، ولم يشعر به أحد سوى أخيه سويد ، وقيل نعيم ، وقيل غطاءه بشوبه وأخفى موته ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان ، فأقام حذيفة أخاه نعيماً مكانه ، وأمر بكنتم موته حتى ينفصل الحال لئلا ينهزم الناس . فلما أظلم الليل انهزم المشركون مدبرين وتبعهم المسلمون [وكان الكفار قد قروا منهم ثلاثين ألفاً بالسلاسل وحفروا حولهم خندقاً ، فلما انهزموا وقفوا في الخندق وفي تلك الأودية نحو مائة ألف]^(١) وجعلوا يتساقطون في أودية بلادهم فهلك منهم بشر كثير نحو مائة ألف أو يزيدون ، سوى من قتل في المعركة ، ولم يفلت منهم إلا الشريد . وكان الفيرزان أميرهم قد صرع في المعركة فانفلت وانهزم واتبعه نعيم بن مقرن ، وقدم القمعاق بين يديه

وقصد الفيرزان همدان فاحقه القعقاع وأدركه عند ثنية همدان ، وقد أقبل منها بقال كثير وحُرّ تحمل
عسلاً ، فلم يستطع الفيرزان صعودها منهم ، وذلك لحينه فترجل وتعلق في الجبل فاتبعه القعقاع حتى
قتله ، وقال المسلمون يومئذ : إن لله جنوداً من عسل ، ثم غنموا ذلك العسل وما خالطه من الأحمال
وسميت تلك الثنية ثنية العسل . ثم لحق القعقاع بقية المنهزمين منهم إلى همدان وحاصرها وحولى ماحولها ،
فنزّل إليه صاحبها - وهو خسر شنوم - فصالحه عليها . ثم رجع القعقاع إلى حذيفة ومن معه من المسلمين ،
وقد دخلوا بعد الوقعة نهلونند غنوة ، وقد جمعوا الأسلاب والمغانم إلى ساحب الأقباض وهو السائب
ابن الأقرع . ولما سمع أهل ماه بخبر أهل همدان بعثوا إلى حذيفة وأخذوا لهم منه الأمان ، وجاء رجل
يقال له الهرند - وهو صاحب نارهم - فسأل من حذيفة الأمان ويدفع إليهم وديعة عندد لكسرى ،
ادخرها لنوائب الزمان ، فأمنه حذيفة وجاء ذلك الرجل بسفطين مملوءتين جوهراً نميناً لا يقوم ، غير
أن المسلمين لم يعبثوا به ، واتفق رأيهم على بعثه لعمر خاصة ، وأرسلوه صحبة الأخماس والسبي صحبة
السائب بن الأقرع ، وأرسل قبله بالفتح مع طريف بن سهم ، ثم قسم حذيفة بقية الغنيمة في الغانمين ،
ورضخ ونفل لذوى النجيدات ، وقسم لمن كان قد أرصد من الجيوش لحفظ ظهور المسلمين من
ورائهم ، ومن كان ردهاً لهم ، ومنسوباً إليهم . وأما أمير المؤمنين فإنه كان يدعو الله ليلاً ونهاراً لهم ،
دعاء الخوامل المقربات ، وابتهاج ذوى الضرورات ، وقد استبطأ الخبر عنهم فيينا رجل من المسلمين
ظاهر المدينة إذا هو براكب فسأله من أين أقبل ؟ فقال : من نهاوند . فقال : ما فعل الناس ؟ قال :
فتح الله عليهم وقتل الأمير ، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة أصاب الفارس ستة آلاف ، والراجل
ألفان . ثم فاته وقدم ذلك الرجل المدينة فأخبر الناس وشاع الخبر حتى بلغ أمير المؤمنين فطلبه فسأله
عن أخبره ، فقال : راكب . فقال : إنه لم يجئني ، وإنما هو رجل من الجن وهو يريدكم واسمه عثيم ،
ثم قدم طريف بالفتح بعد ذلك بأيام ، وليس معه سوى الفتح ، فسأله عن قتل النعمان فلم يكن معه علم
حتى قدم الذين معهم الأخماس فأخبروا بالأمر على جليته ، فاذا ذلك قد الجنى شهد الوقعة ورجع
سريداً إلى قومه نذيراً . ولما أخبر عمر بمقتل النعمان بكى وسأل السائب عن قتل من المسلمين فقال :
فلان وفلان وفلان ، لأعيان الناس وأشرافهم .

ثم قال وآخرون من أفتاد الناس ممن لا يعرفهم أمير المؤمنين ، فجعل يبكي ويقول : وما ضرهم أن
لا يعرفهم أمير المؤمنين ؟ لكن الله يعرفهم وقد أكرههم بالشهادة ، وما يصنعون بمعرفة عمر . ثم أمر
بقسمة الخس على عادته ، وحملت ذاك السفطان إلى منزل عمر ، ورجعت الرسل ، فلما أصبح عمر
طلبهم فلم يجدهم ، فأرسل في إثرهم البرد فما لحقهم البرد إلا بالكوفة .
قال السائب بن الأقرع : فلما أنخت بعيري بالكوفة ، أناخ البرد على عرقوب بعيري ، وقال :

أجب أمير المؤمنين ، قلت : لماذا ؟ فقال : لا أدري . فرجنا على إثرنا ، حتى انتهيت إليه . قال : مالي ولك يا ابن أم السائب ، بل ملا بن أم السائب ومالي ، قال : فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ويحك والله إن هو إلا أن تمت في الليلة التي خرجت فيها فباتت ملائكة الله تسحبني إلى ذنك السفطين وهما يشتعلان ناراً ، يقولون لنكونك بهما . فأقول : إني سأقسمهما بين المسلمين . فاذهب بهما لا أبالك فبهما فاقسمهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم ، فانهم لا يدرون ما وهبوا ولم تدر أنت معهم .

قال السائب : فأخذتهما حتى جئت بهما مسجد الكوفة وغشيتني التجار فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألفي ألف . ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف . فما زال أكثر أهل الكوفة ما لا بعد ذلك . قال سيف : ثم قسم بينهما بين الفانين فنال كل فارس أربعة آلاف درهم من ثمن السفطين . قال الشعبي : وحصل للفارس من أصل الغنيمة ستة آلاف وللا رجل ألفان وكان المسلمون ثلاثين ألفاً .

قال : وافتتحت نهاوند في أول سنة تسع عشرة لسبع سنين من إمارة عمر ، رواه سيف عن عمرو بن ابن محمد عنه . وبه عن الشعبي قال : لما قدم سبي نهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة - فيروز غلام المغيرة ابن شعبه - لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال : أكل عمر كبدي - وكان أصل أبي لؤلؤة من نهاوند فأسرته الروم أيام فارس وأسرتهم المسلمون بعد ، فنسب إلى حيث سبي - قالوا : ولم تقم للأعاجم بعد هذه الواقعة قائمة ، وأتخف عمر الذين أبلوا فيها بألفين تشريفاً لهم وإظهاراً لشأنهم . وفي هذه السنة افتتح المسلمون أيضاً بعد نهاوند مدينة جى - وهي مدينة أصبهان - بعد قتال كثير وأمر طويلة ، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبد الله بن عبد الله كتاب أمان وصلاح وفر منهم ثلاثون نفرأ إلى كرمان لم يصلحوا المسلمين . وقيل : إن الذي فتح أصبهان هو النعمان بن مقرن وأنه قتل بها ، ووقع أمير الجيوش وهو ذو الحجابين عن فرسه فانشق بطنه ومات وانهمزم أصحابه . والصحيح أن الذي فتح أصبهان عبد الله بن عبد الله بن عتبان - الذي كان نائب الكوفة - وفيها افتتح أبو موسى قم وقاشان ، وافتتح سهيل بن عدى مدينة كرمان .

وذكر ابن جرير عن الواقدي : أن عمرو بن العاص سار في جيش معه إلى طرابلس قال : وهي برقة فافتتحها صلحاً على ثلاثة عشر ألف دينار في كل سنة .

قال : وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري إلى زويلة ففتحها بصلح ، وصار ما بين برقة إلى زويلة سلباً للمسلمين . قال : وفيها ولي عمر عمار بن ياسر على الكوفة بدل زياد بن حنظلة الذي ولاه بعد عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وجعل عبد الله بن مسعود على بيت المال ، فاشتكى

أهل الكوفة من عمار فاستغنى عمار من عمله ، فعزله وولى جبير بن مطعم ، وأمره أن لا يعلم أحداً ، وبعث المغيرة بن شعبه امرأته إلى امرأة جبير يعرض عليها طعاماً للسفر فقالت : اذهبي فأتييني به . فذهب المغيرة إلى عمر فقال : بارك الله يا أمير المؤمنين فيمن وليت على الكوفة . فقال : وما ذاك ؟ وبعث إلى جبير بن مطعم فعزله وولى المغيرة بن شعبه ثانية ، فلم يزل عليها حتى مات عمر رضى الله عنهم قال : وفيها حج عمر واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عماله على البلدان المتقدمون في السنة التي قبلها سوى الكوفة .

قال الواقدي : وفيها توفى خالد بن الوليد بمحصر وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقال غيره توفى سنة ثلاث وعشرين ، وقيل بالمدينة . والأول أصح . وقال غيره : وفيها توفى العلاء بن الحضرمي فولى عمر مكانه أباه هريرة . وقد قيل إن العلاء توفى قبل هذا كما تقدم والله أعلم . وقال ابن جرير فيها حكاية عن الواقدي : وكان أمير دمشق في هذه السنة عمير بن سعيد ، وهو أيضاً على حمص وحوارن وقنسرين والجزيرة ، وكان معاوية على البلقاء والأردن ، وفلسطين . والسواحل وإنطاكية ، وغير ذلك .

ذكر من توفي سنة إحدى وعشرين

خالد بن الوليد

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي أبو سليمان المخزومي ، سيف الله ، أحد الشجعان المشهورين ، لم يقهر في جاهلية ولا إسلام . وأمه عصماء بنت الحارث ، أخت لبابة (١) بنت الحارث ، وأخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين . قال الواقدي : أسلم أول يوم من صفر سنة ثمان ، وشهد مؤتة وانتهت إليه الامارة يومئذ عن غير إمرة ، فقاتل يومئذ قتالاً شديداً لم ير مثله ، اندقت في يده تسعة أسياف ، ولم تثبت في يده إلا صفيحة يمانية . وقد قال رسول الله (ص) : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه » . وقد روى أن خالداً سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو في الحرب فجعل يستحث في طلبها فعوتب في ذلك ، فقال : إن فيها شيئاً من شعر ناصية رسول الله (ص) ، وإنها ما كانت معي في موقف إلا نصرت بها .

وقد رويناه في مسند أحمد من طريق الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده وحشي بن حرب عن أبي بكر الصديق أنه لما أمر خالداً على حرب أهل الردة قال : سمعت رسول الله (ص) يقول « فنعلم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، خالد بن الوليد سيف من سيوف الله (١) الذي في المصرية : أمه لبابة بنت الحارث أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين .

سله الله على الكفار والمنافقين» وقال أحمد : حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن عبد الملك بن عمير قال : استعمل عمر بن الخطاب أبا عبيدة على الشام وعزل خالد بن الوليد ، فقال خالد : بعث إليكم أمين هذه الأمة ، [سمعت رسول الله (ص) يقول « أمين هذه الأمة »]^(١) أبو عبيدة بن الجراح » فقال أبو عبيدة : سمعت رسول الله (ص) يقول « خالد سيف من سيوف الله نعم فتي العشرة » وقد أورده ابن عساكر من حديث عبد الله بن أبي أوفى ، وأبي هريرة ، ومن طرق مرسله يقوى بعضها بعضاً . وفي الصحيح « وأما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس أذراعه وأعبده في سبيل الله » وشهد الفتح وشهد حنيناً وغزا بني جذيمة أميراً في حياته عليه السلام . واختلف في شهوده خبير [وقد دخل مكة أميراً على طائفة من الجيش وقتل خلقاً كثيراً من قريش ، كما قدمنا ذلك مبسوطاً في موضعه ، والله الحمد والمنة . وبعثه رسول الله (ص) إلى العزى - وكانت لهوازن - فكسرها فقتلها أولاً ثم دعثرها وجعل يقول : يا عزي كفرانك لا سبحانهك * إني رأيت الله قد أهانك . ثم حرقها]^(٢) وقد استعمله الصديق بعد رسول الله (ص) على قتال أهل الردة وما نعى الزكاة ، فشفى واشفى . ثم وجهه إلى العراق ثم أتى الشام فكانت له من المقامات ما ذكرناها مما تقر بها القلوب والعيون ، وتتشف بها الأسماع . ثم عزله عمر عنها وولى أبا عبيدة وأبقاه مستشاراً في الحرب ، ولم يزل بالشام حتى مات على فراشه رضى الله عنه .

وقد روى الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : لما حضرت خالداً الوفاة بكى ثم قال : لقد حضرت كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، وها أنا أموت على فراشي حنف أنفي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء . وقال أبو يعلى : ثنا شريح بن يونس ثنا يحيى بن زكريا عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس . قال : قال خالد بن الوليد : ما ليلة يهدى إلى فيها عروس ، أو أبشر فيها بغلام بأحب إلى من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو . وقال أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن خيشمة قال : أتى خالد برجل معه زق خمر فقال : اللهم اجعله عسلاً ، فصار عسلاً . وله طرق ، وفي بعضها مر عليه رجل معه زق خمر فقال له خالد : ماهذا ؟ فقال : عسل فقال : اللهم اجعله خلا ، فلما رجع إلى أصحابه قال : جئتكم بخمر لم يشرب العرب مثله ، ثم فتحه فإذا هو خل ، فقال أصابته والله دعوة خالد رضى الله عنه . وقال حماد بن سلمة عن ثمامة عن أنس . قال : لقي خالد عدواً له فولى عنه المسلمون منهزمين وثبت هو وأخوه البراء بن مالك ، وكنت بينهما واقفاً ، قال : فنكس خالد رأسه ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء ساعة - قال : وكذلك كان يفعل إذا أصابه مثل هذا - ، ثم

قال لأخي البراء : قم فركبا ، واختطب خالد من معه من المسلمين وقال : ما هو إلا الجنة وما إلى المدينة سبيل . ثم حمل بهم فهزم المشركين .

وقد حكى مالك عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبي بكر : اكتب إلى خالد أن لا يعطى شاة ولا بعيراً إلا بأمرك . فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك ، فكتب إليه خالد : إما أن تدعني وعملي ، وإلا فشأنك بعملك . فأشار عليه عمر بعزله ، فقال أبو بكر : فمن يجزي عنى جزاء خالد ؟ قال عمر : أنا . قال : فأت . فتجهز عمر حتى أتى الخيبر في الدار ، ثم جاء الصحابة فأشاروا على الصديق ببقاء عمر بالمدينة وإبقاء خالد بالشام . فلما ولي عمر كتب إلى خالد بذلك فكتب إليه خالد بمثل ذلك فعزله ، وقال : ما كان الله ليراني أمر أبابكر بشيء لا أفنده أنا . وقد روى البخاري في التاريخ وغيره من طريق علي بن رباح عن ياسر بن سمي البرني ، قال : سمعت عمر يعتذر إلى الناس بالجباية من عزل خالد ، فقال : أمرته أن يجبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس ، وذا الشرف واللسان ، فأمرت أبا عبيدة . فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة : ما اعتذرت يا عمر ، لقد نزعنا عاملنا استعمله رسول الله (ص) ، ووضعنا لواء رفعه رسول الله (ص) ، وأعتمدت سيفاً سله الله ، ولقد قطعت الرحم ، وحسدت ابن العم . فقال عمر : إنك قريب القرابة ، حديث السن مغضب في ابن عمك . قال الواقدي رحمه الله ، ومحمد بن سعيد وغير واحد : مات سنة إحدى وعشرين بقرية على ميل من حمص ، وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقال دحيم وغيره : مات بالمدينة . والصحيح الأول .

وقد مرنا فيما سلف تمزيق عمر له حين أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف ، وأخذه من ماله عشرين ألفاً أيضاً . وقد مرنا عتبه عليه لدخوله الحمام وتدلكه بعد النورة بدقيق عصفر معجون بخمر ، واعتذار خالد إليه بأنه صار غسولاً . وروينا عن خالد أنه طلق امرأة من نسائه وقال : إني لم أطلقها عن ريبة ، ولكنني لم تمض عندي ولم يصبها شيء في بدننها ولا رأسها ولا في شيء من جسدها . وروى سيف وغيره : أن عمر قال حين عزل خالدًا عن الشام ، والمثنى بن حارثة عن العراق : إنما عزلتهما ليعلم الناس أن الله نصر الدين لا بنصرهما وأن القوة لله جميعاً . وروى سيف أيضاً أن عمر قال حين عزل خالدًا عن قنسرين وأخذ منه ما أخذ : إنك على السكريم ، وإنك عندي لعزير ، ولن يصل إليك مني أمر تكرهه بعد ذلك . وقد قال الأصمعي عن سلمة عن بلال عن مجاهد عن الشعبي قال : اضطرع عمر وخالد وهما غلامان - وكان خالد ابن خال عمر - فكسر خالد ساق عمر ، فعولجت وجبرت ، وكان ذلك سبب العداوة بينهما . وقال الأصمعي عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال : دخل خالد على عمر وعليه قميص حرير فقال عمر : ما هذا يا خالد ؟ فقال : وما بأس يا أمير المؤمنين ، أليس قد لبسه عبد الرحمن بن عوف ؟ فقال : وأنت مثل ابن عوف ؟ ولك مثل ما لابن عوف ؟ عزمت

على من بالبيت إلا أخذ كل واحد منهم بطائفة مما يليه . قال : فزقوه حتى لم يبق منه شيء . وقال عبد الله بن المبارك عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل - ثم شك حماد في أبي وائل - قال : ولما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال : لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي . وما من عمل شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة تبها وأنا متعرج والسما تهلني تمطر إلى الصبح ، حتى تغير على الكفار . ثم قال : إذا أنامت فانظروا إلى سلاحى ولرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله . فلما توفي خرج عمر على جنازته فذكر قوله : ما على آل نساء الوليد أن يسفنن على خالد من دموعهن ما لم يكن نقعاً أو لقلقة .

قال ابن المختار : النقع التراب على الرأس ، واللقلة الصوت . وقد علق البخارى في صحيحه بعض هذا فقال : وقال عمر : دعن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة . وقال محمد بن سعد ثنا وكيع وأبو معاوية وعبد الله بن نمير قالوا : حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة قال : لما مات خالد بن الوليد اجتمع نسوة بنى المغيرة في دار خالد يبكين عليه فقيل لعمر : إنهن قد اجتمعن في دار خالد يبكين عليه ، وهن خلقاء أن يسمعنك بعض ما تكره . فأرسل إليهن فأنهين . فقال عمر : وما عليهن أن يتزفن من دموعهن على أبي سليمان ، ما لم يكن نقعاً أو لقلقة . ورواه البخارى في التاريخ من حديث الأعمش بنحوه .

وقال إسحق بن بشر وقال محمد : مات خالد بن الوليد بالمدينة فخرج عمر في جنازته وإذا أمه تندبه وتقول :

أنت خير من ألف ألف من القوم * م إذا ما كبت وجوه الرجال
فقال : صدقت والله إن كان كذلك .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم . قال : فأقام خالد في المدينة حتى إذا ظن عمر أنه قد زال ما كان يخشاه من افتتان الناس به . وقد عزم على توليته بعد أن يرجع من الحج ، واشتكى خالد بمرضه وهو خارج من المدينة زائراً لأمه فقال لها احذرونى إلى مهاجرى ، فقدمت به المدينة ومرضته فلما ثقل وأظلم قدوم عمر لقيه لاق على مسيرة ثلاث صناديق عن حجة فقال له عمرهم^(١) فقال : خالد بن الوليد ثقيل لما به . فطوى عمر ثلاثاً في ليلة فادركه حين قضى ، فرق عليه واسترجع وجلس ببابه حتى جهز ، وبكت البواكى ، فقيل لعمر : ألا تسمع ألا تنهاهن ؟ فقال : وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان ؟ ما لم يكن نقع ولا لقلقة . فلما خرج لجنازته رأى عمر امرأة محرمة تبكيه وتقول :

أنت خير من ألف ألف من الناس * م إذا ما كبت وجوه الرجال

أشجاعٌ فانتَ أشجعُ من ليثٍ * ضميرِ بنِ جهمٍ أبي أشبالٍ
أجوداً فانتَ أجود من سيلٍ * دياسٍ يسيلُ بينَ الجبالِ
فقال عمر : من هذه ؟ فقيل له : أمّة . فقال : أمّه والاله ثلاثاً . وهل قامت النساء عن مثل
خالد . قال : فكان عمر يتمثل في طيه تلك الثلاث في ليلة وفي قدومه .

تبكي ما وصلت به الندامي * ولا تبكي فوارس كالجبالِ
أولئك إن بكيتَ أشدّ فقدأ * من الاذهابِ والعكرِ الجلالِ
تمنى بعدمّ قومٍ مدام * فلم يدنوا لأسبابِ الكمالِ

وفي رواية أن عمر قال لأم خالد : أخالداً أو أجزه ترزئين ؟ عزمت عليك أن لا تبيني حتى تسود
يداك من الخضاب . وهذا كله مما يقتضى موته بالمدينة النبوية ، وإليه ذهب دحيم عبد الرحمن بن
إبراهيم الدمشقي ، ولكن المشهور عن الجمهور وهم الواقدي ، وكتابه محمد بن سعد ، وأبو عبيد القاسم
ابن سلام ، وإبراهيم بن المنذر ، ومحمد بن عبد الله بن نمير ، وأبو عبد الله المصفرى ، وموسى بن
أيوب ، وأبو سليمان بن أبي محمد وغيرهم ، أنه مات بمحصر سنة إحدى وعشرين . زاد الواقدي :
وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقد روى محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد
 وغيره قالوا : قدم خالد المدينة بعد ما عزله عمر فاعتمر ثم رجع إلى الشام ، فلم يزل بها حتى مات في
سنة إحدى وعشرين . وروى الواقدي أن عمر رأى حجاجاً يصلون بمسجد قباء فقال : أين نزلتم
بالشام ؟ قالوا : بمحصر ، قال : فهل من معرفة خبر ؟ قالوا : نعم مات خالد بن الوليد . قال : فاسترجع
عمر وقال : كان والله سداً لنحور العدو ، ميمون النقية . فقال له على : فلم عزله ؟ قال : لبذله
المال لذوى الشرف واللسان .

وفي رواية أن عمر قال لعلى : ندمت على ما كان منى . وقال محمد بن سعد : أخبرنا عبد الله بن
الزبير الحميدى ثنا سفيان بن عيينة ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمعت قيس بن أبي حازم يقول : لما
مات خالد بن الوليد قال عمر : رحم الله أبا سليمان ، لقد كنا نظن به أموراً ما كانت . وقال جوبرية
عن نافع قال : لما مات خالد لم يوجد له إلا فرسه وغلّامه وسلاحه ، وقال القاضي المعافى بن زكريا
الحريرى : ثنا أحمد بن العباس العسكرى ، ثنا عبد الله بن أبي سعد حدثني عبد الرحمن بن حمزة
اللعخي ثنا أبو على الحرنازى قال : دخل هشام بن البحتري في فاس من بنى مخزوم على عمر بن
الخطاب فقال له : يا هشام أنشدنى شعرك في خالد . فأنشده فقال : قصرت في الثناء على أبي سليمان
رحمه الله ، إنه كان ليحب أن يذل الشرك وأهله ، وإن كان الشامت به لمتعرضاً لمقت الله . ثم قال
عمر قاتل الله أخا بنى تميم ما أشعره

وَقُلْ لِلَّذِي يَبْقَى خِلَافُ الَّذِي مَضَى * تَهِيئاً لِأُخْرَى مِنْهَا فَكَأَن قَدِي
فَمَا عَيْشُ مَنْ قَدْ عَاشَ بَعْدِي بِنَافَعِي * وَلَا مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ يَوْمًا بِمِخْلَدِي
ثُمَّ قَالَ عُمَرُ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا سَلِيمَانَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُ لَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ . وَلَقَدْ مَاتَ سَعِيدًا وَعَاشَ حَمِيدًا
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الدَّهْرَ لَيْسَ بِقَائِلٍ .

طليحة بن خويلد

ابن نوفل بن فضلة بن الأشتر بن جحوان بن قنيس بن طريف بن عمر بن قعير بن الحارث بن
ثعلبة بن داود بن أسد بن خزيمه الأسدي القعسي ، كان ممن شهد الخندق من ناحية المشركين ،
ثم أسلم سنة تسع ، ووفد على رسول الله (ص) إلى المدينة ثم ارتد بعد وفاة رسول الله (ص) في أيام
الصديق ، وادعى النبوة كما تقدم . وروى ابن عساکر أنه ادعى النبوة في حياة رسول الله (ص) ،
وأن ابنه خيال قدم على رسول الله (ص) ، فسأله : ما اسم الذي يأتي إلى أبيك ؟ فقال : ذو النون
الذي لا يكتنب ولا يخون ، ولا يكون كما يكون . فقال : لقد سمى ملكاً عظيماً الشأن ، ثم قال لابنه :
قتلك الله وحرملك الشهادة . وردّه كما جاء . فقتل خيال في الردة في بعض الوقائع قتله عكاشة بن
محسن ثم قتل طليحة عكاشة وله مع المسلمين وقائع . ثم خذله الله على يدي خالد بن الوليد ، وتفرق
جسده فهرب حتى دخل الشام فترجل على آل جفنة ، فأقام عندهم حتى مات الصديق حيّاً منه ، ثم
رجع إلى الإسلام واعتمر ، ثم جاء يسلم على عمر فقال له : اغرب عني فأنك قاتل الرجلين الصالحين ،
عديشة بن محسن ، وثابت بن أقرم ، فقال : يا أمير المؤمنين هما رجلان أكرهما الله على يدي ولم
يهني بأيديهما . فأنجب عمر كلامه ورضى عنه . وكتب له بالوصاية إلى الأمراء أن يشاور ولا يولي شيئاً
من الأمر ثم عاد إلى الشام مجاهدًا فشهد اليرموك وبعض حروب كالفادسية ونهاوند الفرس ، وكان من
الشجعان المذكورين ، والأبطال المشهورين ، وقد حسن إسلامه بعد هذا كله . وذكره محمد بن سعد
في الطبقة الرابعة من الصحابة وقال : كان يعد بألف فارس لشدة وشجاعته وبصره بالحرب . وقال
أبو نصر بن مأكولا : أسلم ثم ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه ، وكان يعدل بألف فارس . ومن شعره
أيام رده وادعائه النبوة في قتل المسلمين أصحابه .

فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْقَوْمِ إِذْ تَقْتُلُونَهُمْ * أَلَيْسُوا وَإِنْ لَمْ يَسْلَمُوا بِرِجَالٍ
فَإِنْ يَكُنْ إِذْدَادُ أَصْبَنَ وَنِسْوَةٍ * فَلَمْ يَنْهَبُوا فِرْعَاً بِقَتْلِ خِيَالٍ
نَصَبَتْ لَهُمْ صَدْرَ الْحَمَالَةِ إِنَّمَا * مَعَاوِدَةٌ قَتَلَ الْكَمَاةَ نَزَالٍ
فَيَوْمًا تَرَاهَا فِي الْجَلَالِ مَصُونَةً * وَيَوْمًا تَرَاهَا غَيْرَ ذَاتِ جَلَالٍ
وَيَوْمًا تَرَاهَا تَضِيءُ الْمَشْرِقِيَّةَ نَحْوَهَا * وَيَوْمًا تَرَاهَا فِي ظِلَالِ عَوَالِي

عشية غادرتُ ابنَ أقرمَ ناوياً * وعكاشةُ العمى عندَ مجالِ

وقال سيف بن عمر عن مبشر بن الفضيل عن جابر بن عبد الله . قال : بالله الذي لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية يريد الدنيا مع الآخرة ، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كما هجمنا عليهم من أمانتهم وزهدهم ، طليحة بن خويلد الأسدي ، وعمر بن معدى كرب ، وقيس ابن المكشوح . قال ابن عساكر : ذكر أبو الحسين محمد بن أحمد بن الفراس الوراق أن طليحة استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين مع النعمان بن مقرن ، وعمر بن معدى كرب رضى الله عنهم .

عمر بن معدى كرب

ابن عبد الله بن عمرو بن عاصم بن عمرو بن زبيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة ابن شيبه وهو زبيد الأكبر بن الحارث بن صعف بن سعد العشيرة بن مذحج الزبيدي المنحجي أبو ثور ، أحد الفرسان المشاهير الأبطال ، والشجعان المذاكير ، قدم على رسول الله (ص) سنة تسع ، وقيل عشر ، مع وفد مراد ، وقيل في وفد زبيد قومه . وقد ارتد مع الأسود العنسي فسار إليه خالد بن سعيد بن العاص ، فقاتله فضر به خالد بن سعيد بالسيف على عاتقه فهرب وقومه ، وقد استلب خالد سيفه الصمصامة ، ثم أسرو دفع إلى أبي بكر فأنبه وعاتبه واستتابه ، فتاب وحسن إسلامه بعد ذلك ، فسيره إلى الشام ، فشهد اليرموك ثم أمره عمر بالسير إلى سعد وكتب بالوصاة به ، وأن يشاور ولا يولى شيئاً ، فنعى الله به الإسلام وأهله ، وأبلى بلاء حسناً يوم القادسية . وقيل إنه قتل بها ، وقيل بنهاوند ، وقيل مات عطشاً في بعض القرى يقال لها روضة فأنه أعلم . وذلك كله في إحدى وعشرين فقال بعض من رثاه من قومه :

لقد غادرَ الركبانَ يومَ تحملوا * بروضةً شخصاً لا جباناً ولا غمراً
فقلْ لزبيدٍ بلٍ لمذحجٍ كلها * رزقتم أبا ثورٍ قريع الوغى عمراً
وكان عمرو بن معدى كرب رضى الله عنه من الشعراء المجيدين ، فمن شعره :

أعاذلُ عدتي بدني ورحي * وكلُّ مقلصٍ سلس القيادرِ
أعاذلُ إنما أفنى شبابي * إجابتي الصريحُ إلى المنادى
مع الأبطالِ حتى سلَّ جسمى * وأفرغَ عاتقي حمل النجارِ
ويبقى بعدَ حلمِ القومِ حلمي * ويفنى قبلَ زادِ القومِ زادي
تمنى أن يلاقيني قيسٌ * وددتُ وأينا منى ودادى
فمن ذا عاذرى من ذى سفاهٍ * يرودُ بنفسه منى المرادى
أريدُ حياته ويريدُ قتلى * عذرك من خليلك من مرادى

له حديث واحد في التلبية رواه شراحيل بن القعقاع عنه ، قال : كنا نقول في الجاهلية إذا لبينا : لبيك تعظيماً إليك عنراً * هذى زبيد قد أتتك قسراً * يمدو بها مضمرات شزراً * يقطعن خبتنا وجبالاً وعراً * قد تركوا الاوثان خلواً صفراً * قال عمرو : فنحن نقول الآن والله الحمد كما علمنا رسول الله (ص) : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

العلاء بن الحضرمي

أمير البحرين لرسول الله (ص) ، وأقره عليها أبو بكر ثم عمر . تقدم أنه توفي سنة أربع عشرة ومنهم من يقول إنه تأخر إلى سنة إحدى وعشرين ، وعزله عمر عن البحرين وولى مكانه أباهريرة . وأمره عمر على الكوفة فمات قبل أن يصل إليها منصرفه من الحج . كما قدمنا ذلك والله أعلم . وقد ذكرنا في دلائل النبوة قصته في سيره بجيشه على وجه الماء وما جرى له من خرق العادات والله الحمد .

النعمان بن مقرن بن عائذ المزني

أمير وقعة نهاوند ، صحابي جليل ، قدم مع قومه من مزينة في أربع مائة راكب ، ثم سكن البصرة وبمنه الفاروق أميراً على الجنود إلى نهاوند ، ففتح الله على يديه فتحاً عظيماً ، ومكن الله له في تلك البلاد ، ومكنه من رقاب أولئك العباد ، ومكن به للمسلمين هنالك إلى يوم التناد ، ومنحه النصر في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وأناح له بعدما أراه ما أحب شهادة عظيمة وذلك غاية المراد ، فكان ممن قال الله تعالى في حقه في كتابه المبين وهو صراطه المستقيم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين

وفيها كانت فتوحات كثيرة منها فتح همدان ثانية

ثم الري وما بعدها ثم أذربيجان

قال الواقدي وأبو معشر : كانت في سنة ثنتين وعشرين . وقال سيف : كانت في سنة ثمان عشرة بعد فتح همدان والري وجرجان . وأبو معشر يقول بأن أذربيجان كانت بعد هذه البلدان ، ولكن عنده أن الجميع كان في هذه السنة . وعند الواقدي أن فتح همدان والري في سنة ثلاث وعشرين ، فهمدان افتتحها المغيرة بعد مقتل عمر بستة أشهر ، قال : ويقال كان فتح الري قبل وفاة عمر بستين ، إلا أن الواقدي وأبا معشر متفقان على أن أذربيجان في هذه السنة ، وتبعهما ابن جرير وغيره . وكان السبب في ذلك أن المسلمين لما فرغوا من نهاوند وما وقع من الحرب المتقدم ، فتحوا

حلوان وهمدان بعد ذلك . ثم إن أهل همدان نقضوا عهدهم الذي صالحهم عليه القعقاع بن عمرو ، فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يسير إلى همدان ، وأن يجعل على مقدمته أخاه سويد بن مقرن ، وعلى مجنبيه ربيع بن عامر الطائي ، ومهلل بن زيد التيمي . فسار حتى نزل على ثنية العسل ، ثم تحدر على همدان ، واستولى على بلادها ، وحاصرها فسألوه الصلح فصالحهم ودخلها ، فبينما هو فيها ومعه اثني عشر ألفاً من المسلمين إذ تسكاتف الروم والديلم وأهل الري وأهل أذربيجان ، واجتمعوا على حرب نعيم بن مقرن في جمع كثير ، فعلى الديلم ملكهم واسمه موتا ، وعلى أهل الري أبو الفريخان ، وعلى أذربيجان اسفندياذ أخو رستم ، فخرج إليهم بمن معه من المسلمين حتى التقوا بمكان يقال له واج الروذ ، فاقتلوا قتلاً شديداً وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تكت دونها ، فقتلوا من المشركين جمعاً كثيراً ، وجماً كثيراً لا يحصون كثرة ، وقتل ملك الديلم موتا وتمزق شملهم ، وانهمزوا بأجمعهم ، مد من قتل بالمعركة منهم ، فكان نعيم بن مقرن أول من قاتل الديلم من المسلمين . وقد كان نعيم كتب إلى عمر يعلمه باجتماعهم فمعه ذلك وانغم له فلم يفجأه إلا البريد بالبشارة فحمد الله وأثنى عليه ، وأمر بالكتاب فقرأ على الناس ، ففرحوا وحمدوا الله عز وجل . ثم قدم عليه بالأخماس ثلاثة من الأمراء وهم سمالك بن خرشة ، ويعرف بأبي دجانة ، وسمالك بن عبيد ، وسمالك بن مخزومة . فلما استسأهم عمر قال : اللهم اسمك بهم الاسلام ، وأمد بهم الاسلام ، ثم كتب إلى نعيم بن مقرن بأن يستخلف على همدان ويسير إلى الري فامثل نعيم . وقد قال نعيم في هذه الوقعة :

ولما أنا أن موتاً ورهطه * بنى باسل جروا جنود الأعاجم
نهضت إليهم بالجنود مسامياً * لا منع منهم ذمتي بالقواصم
فجئنا إليهم بالحديد كأتنا * جبال تراءى من فروع القلاصم
فلما لقيناهم بها مستفيضة * وقد جعلوا يسمون فعل المسام
صدمناهم في واج روذ بجمعنا * غداة رميناهم بأحدى العظام
فأصبروا في حومة الموت ساعة * لحد الرماح والسيوف الصوارم
كانهم عند انبثاث جموعهم * جدار تشظى لبنة للهادم
أصبنا بها موتاً ومن لف جمعه * وفيها نهاب قسمه غير عاتم
تبغناهم حتى أووا في شعابهم * فنقتلهم قتل الكلاب الجواحم
كانهم في واج روذ وجورم * ضئيل أصابتها فروج الخارم

فتح الري

استخلف نعيم بن مقرن على همدان يزيد بن قيس الهمداني وسار بالجيش حتى لحق بالري فلقى

هناك جمعاً كثيراً من المشركين فاقتتلوا عند سفح جبل الرى فصبروا صبراً عظيماً ثم انهزموا فقتل منهم النعمان بن مقرن مقتلة عظيمة بحيث عدوا بالقصب فيها ، وغنموا منهم غنيمة عظيمة قريباً مما غنم المسلمون من المدائن . وصالح أبو الفرخان على الرى ، وكتب له أماناً بذلك ، ثم كتب نعيم إلى عمر بالفتح ثم بالأخماس والله الحمد والمنة .

فتح قومس

ولما ورد البشير بفتح الرى وأخماسها كتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سويد بن مقرن إلى قومس . فسار إليها سويد ، فلم يبق له شيء حتى أخذها مسلماً وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان وصلح .

فتح جرجان

لما عسكر سويد بقومس بعث إليه أهل بلدان شتى منها جرجان وطبرستان وغيرها يسألونه الصلح على الجزية ، فصالح الجميع وكتب لأهل كل بلدة كتاب أمان وصلح . وحكى المدائني أن جرجان فتحت في سنة ثلاثين أيام عثمان فآله أعلم .

وهذا فتح أذربيجان

لما افتتح نعيم بن مقرن همدان ثم الرى ، وكان قد بعث بين يديه بكير بن عبد الله من همدان إلى أذربيجان ، وأردفه بسماك بن خرشة ، فلقى أسفندياذ بن الفرخزاذ بكيراً وأصحابه ، قبل أن يقدم عليهم سماك ، فاقتتلوا فهزم الله المشركين ، وأسر بكير أسفندياذ ، فقال له أسفندياذ : الصلح أحب إليك أم الحرب ؟ فقال : بل الصلح . قال : فأمسكني عندك . فأمسكه ثم جعل يفتح بلداً بلداً وعتبة بن فرقد أيضاً يفتح معه بلداً بلداً في مقابلته من الجانب الآخر ثم جاء كتاب عمر بأن يتقد بكير إلى الباب وجعل سماك موضعاً نائباً لعبته بن فرقد ، وجمع عمر أذربيجان كلها لعبته بن فرقد ، وسلم إليه بكير أسفندياذ ، وصار كما أمره عمر إلى الباب . قالوا : وقد كان اعترض بهرام بن فرخزاذ لعبته بن فرقد فهزمه عتبة وهرب بهرام ، فلما بلغ ذلك أسفندياذ وهو في الأسر عند بكير قال : الآن تم الصلح وطفئت الحرب . فصالحه فأجاب إلى ذلك كلهم . وعادت أذربيجان مسلماً ، وكتب بذلك عتبة وبكير إلى عمر ، وبعثوا بالأخماس إليه ، وكتب عتبة حين انتهت إمرة أذربيجان لأهلها كتاب أمان وصلح .

فتح الباب

قال ابن جرير : وزعم سيف أنه كان في هذه السنة كتب عمر بن الخطاب كتاباً بالامرة على هذه الغزوة لسراقة بن عمرو - الملقب بذي النور - وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة ، ويقال له

- ذو النور أيضاً - وجعل على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد ، وعلى الأخرى بكير بن عبد الله الليثي - وكان قد تقدمهم إلى الباب - وعلى المقام سلمان بن ربيعة . فساروا كما أمرهم عمر وعلى تعبته ، فلما انتهى مقدم المساكن - وهو عبد الرحمن بن ربيعة - إلى الملك الذي هناك عند الباب وهو شهر براز ملك أرمينية وهو من بيت الملك الذي قتل بنى إسرائيل وغزا الشام في قديم الزمان ، فكتب شهر براز لعبد الرحمن واستأمنه فأمنه عبد الرحمن بن ربيعة ، فقدم عليه الملك ، فأنهى إليه أن صفوه إلى المسلمين ، وأنه مناصح للمسلمين . فقال له : إن فوق رجلا فاذهب إليه . فبعثه إلى سراقه ابن عمرو أمير الجيش ، فسأل من سراقه الأمان ، فكتب إلى عمر فأجاز ما أعطاه من الأمان ، واستحسنه ، فكتب له سراقه كتاباً بذلك . ثم بعث سراقه بكيراً ، وجبيب بن مسلمة ، وحذيفة ابن أسيد ، وسدين بن ربيعة ، إلى أهل تلك الجبال الحبيطة بأرمينية جبال اللان وتغليس وموتان ، فافتتح بكير موتان ، وكتب لهم كتاب أمان ومات في غضون ذلك أمير المسلمين هنالك ، وهو سراقه بن عمرو ، واستخلف بعده عبد الرحمن بن ربيعة ، فلما بلغ عمر ذلك أقره على ذلك وأمره بغزو الترك .

اول غزو الترك

وهو تصديق الحديث المتقدم الثابت في الصحيح عن أبي هريرة وعمر بن الخطاب ، أن رسول الله (ص) قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً عراض الوجود ، دلف الأنوف ، حمر الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة » وفي رواية « يتلعون الشعر »
لما جاء كتاب عمر إلى عبد الرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو الترك ، سار حتى قطع الباب قاصداً لما أمره عمر ، فقال له شهر براز : أين تريد ؟ قال : أريد ملك الترك بلنجر ، فقال له شهر براز : إنا لنرضى منهم بالموادعة ، ونحن من وراء الباب . فقال له عبد الرحمن : إن الله بعث إلينا رسولا ، ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر ، ونحن لا نزال منصورين ، فقاتل الترك وسار في بلاد بلنجر مائتي فرسخ ، وغزا مرات متعددة . ثم كانت له وقائع هائلة في زمن عثمان كما سنورد في موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال سيف بن عمر عن النضر بن القاسم عن رجل عن سلمان بن ربيعة . قال : لما دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة بلادهم حال الله بين الترك والخروج عليه ، وقالوا : ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت . فتحصنوا منه وهربوا بالغيم والظفر . ثم إنه غزاهم غزوات في زمن عثمان فظفر بهم ، كما كان يظفر بغيرهم . فلما دلى عثمان على الكوفة بعض من كان ارتد ، غزاهم فذامرت الترك وقال بعضهم لبعض : إنهم لا يمتنون ، قال : انظروا وفعلوا فاخفوا لهم في الغياض .

فرمى رجل منهم رجلاً من المسلمين على غرة قتلته وهرب عنه أصحابه ، فخرجوا على المسلمين بعد ذلك حتى عرفوا أن المسلمين يموتون ، فاقتلوا قتلاً شديداً ونادى مناد من الجوصبراً آل عبد الرحمن وموعدكم الجنة ، قاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف الناس وأخذ الراية سلمان بن ربيعة فقاتل بها ، ونادى المنادى من الجوصبراً آل سلمان بن ربيعة . فقاتل قتلاً شديداً ثم نجح سلمان وأبو هريرة بالمسلمين ، وفروا من كثرة الترك ورميهم الشديد السيد على جيلان فقطعوها إلى جرجان ، واجترأت الترك بعدها ، ومع هذا أخذت الترك عبد الرحمن بن ربيعة فدفنوه في بلادهم ، فهم يستقون بقبوره إلى اليوم . وسيأتى تفصيل ذلك كله .

قصة السد

ذكر ابن جرير بسنده أن شهر براز قال لعبد الرحمن بن ربيعة لما قدم عليه حين وصل إلى الباب وأراه رجلاً فقال شهر براز : أيها الأمير إن هذا الرجل كنت بعثته نحو السد ، وزودته مالا جزيلاً وكتبته له إلى الملوك الذين يولوني ، وبشت لهم هدايا ، وسألت منهم أن يكتبوا له إلى من يليهم من الملوك حتى ينتهى إلى سد ذي القرنين ، فينظر إليه ويأتينا بخبره . فسار حتى انتهى إلى الملك الذى السد فى أرضه ، فبعثه إلى عامله مما يلي السد ، فبعث معه بازياره ومعه عقابه ، فلما انتهوا إلى السد إذا جبلان بينهما سد مسدود ، حتى ارتفع على الجبلين ، وإذا دون السد خندق أشد سواداً من الليل لبعده ، فنظر إلى ذلك كله وتفرس فيه ، ثم لما تم بالانصراف قال له البازيار : على رسلك ، ثم شرح بضعة لم معه فألقاها فى ذلك الهواء ، وانقض عليها العقاب . فقال : إن أدركتها قبل أن تقع فلا شئ ، وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شئ . قال : فلم تدركها حتى وقعت فى أسفله واتبعها العقاب فأخرجها فاذا فيها ياقوتة وهى هذه . ثم ناوها الملك شهر براز لعبد الرحمن بن ربيعة ، فنظر إليها عبد الرحمن ثم ردها إليه ، فلما ردها إليه فرح وقال : والله لهذه خير من مملكة هذه المدينة . يعنى مدينة باب الأبواب التى هو فيها . والله لأنتم أحب إلى اليوم من مملكة آل كسرى ، ولو كنت فى سلطانهم وبلغهم خبرها لانتزعوها منى . وأيم الله لا يقوم لكم شئ ما وفيتم وفى ملككم الأكبر . ثم أقبل عبد الرحمن بن ربيعة على الرسول الذى ذهب على السد فقال : ما حال هذا الردم ؟ - يعنى ما صفته - فأشار إلى ثوب فى زرقة وحمرة فقال : مثل هذا . فقال رجل لعبد الرحمن : صدق والله لقد نفذ ورأى . فقال : أجل وصف صفة الحديد والصفير . قال الله تعالى [آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً] وقد ذكرت صفة السد فى التفسير ، وفى أوائل هذا الكتاب . وقد ذكر البخارى فى صحيحه تعليقاً أن رجلاً قال للنبي (ص) رأيت السد . فقال : « كيف رأيته » ؟ قال : مثل البرد المحبر رأيته .

قالوا : ثم قال عبد الرحمن بن ربيعة لشهر براز : كم كانت هديتك ؟ قال : قيمة مائة ألف في بلادى وثلاثة آلاف في تلك البلدان .

بقية من خبر السد

أورد شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ في هذه السنة ما ذكره صاحب كتاب مسالك الممالك عما إملأه عليه سلام الترجمان ، حين بعثه الوائق بأمر الله بن المعتصم - وكان قد رأى في النوم كأن السد قد فتح - فأرسل سلاماً هذا وكتب له إلى الملوك بالوصاية به ، وبعث معه ألفي بغل تحمل طعاماً فساروا بين سامرا إلى إسحق بتفليس ، فكتب لهم إلى صاحب السريبر ، وكتب لهم صاحب السريبر إلى ملك اللان ، فكتب لهم إلى قبلان شاه ، فكتب لهم إلى ملك الخزر ، فوجه معه خمسة أولاد فساروا ستة وعشرين يوماً ، انتهوا إلى أرض سواداء منقنة حتى جعلوا يشمون الغل ، فساروا فيها عشرة أيام ، فأنهوا إلى مدائن خراب مدة سبعة وعشرين يوماً ، وهي التي كانت يأجوج ومأجوج تطرقها فخرت من ذلك الحين ، وإلى الآن ، ثم انتهوا إلى حصن قريب من السد فوجدوا قوماً يعرفون بالعربية والفارسية ويحفظون القرآن ، ولهم مكاتب ومساجد ، فجعلوا يعجبون منهم ويسألونهم من أين أقبلوا ، فدكروا لهم أنهم من جهة أمير المؤمنين الوائق فلم يعرفوه بالكلية . ثم انتهوا إلى جبل أملس ليس عليه خضراً وإذا السد هنالك من لبن حديد مغيب في نحاس ، وهو مرتفع جدا لا يكاد البصري ينتهي إليه ، وله شرفات من حديد ، وفي وسطه باب عظيم بمصراعين مغلقين ، عرضهما مائة ذراع ، في طول مائة ذراع ، في ثخانة خمسة أذرع ، وعليه قفل طوله سبعة أذرع في غاظ باع - وذكر أشياء كثيرة - وعند ذلك المسكان حرس يضربون عند القفل في كل يوم فيسمعون بعد ذلك صوتاً عظيماً مزججاً ، أن أن وراء هذا الباب حرس وحفظة ، وقريب من هذا الباب حصنان عظيمان بينهما عين ماء عذبة ، وفي إحداهما بقايا المارة من مغارف ولبن من حديد وغير ذلك ، وإذا طول اللبنة ذراع ونصف في مثله ، في صمك شبر . وذكروا أنهم سألوا أهل تلك البلاد هل رأوا أحداً من يأجوج ومأجوج فأخبرهم أنهم رأوا منهم يوماً أشخاصاً فوق الشرفات ، فهبت الريح فآلتهم إليهم ، فإذا طول الرجل منهم شبر أو نصف شبر والله أعلم

قال الواقدي : وفي هذه السنة غزا معاوية الصائفة ، من بلاد الروم ، وكان معه حماد والصحابه فسار وغنم ورجع سالماً . وفيها ولد يزيد بن معاوية ، وعبد الملك بن مروان . وفيها حج بالناس عمر ابن الخطاب وكان عماله فيها على البلاد ، هم الذين كانوا في السنة قبلها . وذكر أن عمر عزل عماراً في هذه السنة عن الكوفة اشتكاه أهلها وقالوا : لا يحسن السياسة ، فعزله وولى أبا موسى الأشعري ، فقال أهل الكوفة : لا تريده ، وشكوا من غلامه فقال : دعوني حتى أنظر في أمري ، وذهب إلى طائفة من

المسجد ليفكر من بولى . فنام من الهم فجاءه المغيرة فجعل يحرسه حتى استيقظ فقال له : إن هذا الأمر عظيم يا أمير المؤمنين ، الذى بلغ بك هذا . قال : وكيف وأهل الكوفة مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير . ثم جمع الصحابة واستشارهم ، هل يولى عليهم قوياً مشدداً أو ضعيفاً مسلماً ؟ فقال له المغيرة بن شعبة : يا أمير المؤمنين ، إن القوى قوته لك وللمسلمين وتشديده لنفسه ، وأما الضعيف المسلم يضعفه عليك وعلى المسلمين وإسلامه لنفسه . فقال عمر للمغيرة - واستحسن ما قال له - : اذهب فقد ولتلك الكوفة . فرده إليها بعد ما كان عزله عنها بسبب ما كان شهد عليه الذين تقدم خدمهم بسبب قذفه ، والعلم عند الله عز وجل . وبعث أبا موسى الأشعري إلى البصرة [فقيل لعمار : أساءك العزل ؟ فقال : والله ما سرتنى الولاية ، ولقد ساءنى العزل . وفى رواية أن الذى سألته عن ذلك عمر رضى الله عنه] ^(١) ثم أراد عمر أن يبعث سعد بن أبى وقاص على الكوفة بدل المغيرة فعاجلته المنية فى سنة ثلاث وعشرين على ما سأتى بيانه ، ولهذا أوصى لسعد به .

قال الواقدي : وفى هذه السنة غزا الأحنف بن قيس بلاد خراسان ، وقصد البلد الذى فيه يزدرج ملك الفرس . قال ابن جرير : وزعم سيف أن هذا كان فى سنة ثمانى عشرة . قلت : والأول هو المشهور والله أعلم .

قصة يزدرج بن شهریار بن كسرى

لما استلب سعد من يديه مدينة ملكه ، ودار مقره ، وإيوان سلطانه ، وبساط مشورته وحواصله ، تحول من هناك إلى حلوان ، ثم جاء المسلمون لينحاصروا حلوان فتحول إلى الرى ، وأخذ المسلمون حلوان ثم أخذت الرى ، فتحول منها إلى أصبهان ، فأخذت أصبهان ، فسار إلى كرمان فقصد المسلمون كرمان فافتتحوها ، فانتقل إلى خراسان ففتزلها . هذا كله والنار التى يعبدها من دون الله يسير بها معه من بلد إلى بلد ، ويبنى لها فى كل بلد بيت توقد فيههم على عادتهم ، وهو يحمل فى الليل فى مسيره إلى هذه البلدان على بمر عليه هودج ينام فيه . فبينما هو ذات ليلة فى هودجه وهو نائم فيه ، إذ مروا به على مخاضة فأرادوا أن ينفهوه قبلها لئلا يزعج إذا استيقظ فى المخاضة ، فلما أيقظوه تفضب عليهم شديداً وشتهم ، وقال : حرمتونى أن أعلم مدة بقاء هؤلاء فى هذه البلاد وغيرها ، إني رأيت فى منامى هذا أنى ومهداً عند الله ، فقال له : ملككم مائة سنة ، فقال : زدنى . فقال : عشر أومائة . فقال : زدنى . فقال : عشرين ومائة سنة . فقال : زدنى فقال لك ، وأنبهتمونى ، فلو تركتمونى لعلمت مدة هذه الأمة .

خراسان مع الأحنف بن قيس

وذلك أن الأحنف بن قيس هو الذي أشار على عمر بأن يتوسع المسلمون بالفتوحات في بلاد المعجم ، وضيعةوا على كسرى يزدرج ، فانه هو الذي يستحث الفرس والجنود على قتال المسلمين . فأذن عمر بن الخطاب في ذلك عن رأيه ، وأمر الأحنف ، وأمره بغزو بلاد خراسان . فركب الأحنف في جيش كثيف إلى خراسان قاصداً حرب يزدرج ، فدخل خراسان فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ، ثم سار إلى مرو والشاهجان وفيها يزدرج ، وبعث الأحنف بين يديه مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى نيسابور ، والحارث بن حسان إلى سرخس . ولما اقترب الأحنف من مرو والشاهجان ، ترحل منها يزدرج إلى مرو الروذ [فافتتح الأحنف مرو والشاهجان فتمزها . وكتب يزدرج حين نزل مرو الروذ] ^(١) إلى خاقان ملك الترك يستمده ، وكتب إلى ملك الصفد [يستمده ، وكتب إلى ملك الصين] ^(٢) يستعينه . وقصده الأحنف بن قيس إلى مرو الروذ وقد استخلف على مرو والشاهجان حارثة بن النعمان ، وقد وفدت إلى الأحنف أمداد من أهل الكوفة مع أربعة أمراء ، فلما بلغ مسيره إلى يزدرج [ترحل إلى بلخ ، فالتقى معه ببلخ يزدرج] ^(٣) فهزمه الله عز وجل وهرب هو ومن بقي معه من جيشه فعبهر النهر واستوثق ملك خراسان على يدى الأحنف ابن قيس ، واستخلف في كل بلدة أميراً ، ورجع الأحنف فتمز مرو الروذ ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان بكاملها . فقال عمر : وددت أنه كان بيننا وبين خراسان بحر من نار . فقال له على : ولم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن أهلها سينقضون عهدهم ثلاث مرات فيجتاحون في الثالثة ، فقال : يا أمير المؤمنين [لأن يكون ذلك بأهلها ، أحب إلى من] ^(٤) أن يكون ذلك بالمسلمين وكتب عمر إلى الأحنف ينهيه عن العبور إلى ما وراء النهر . وقال : احفظ ما بيدك من بلاد خراسان . ولما وصل رسول يزدرج إلى اللذين استنجد بهما لم يحتفلا بأمره ، فلما عبر يزدرج النهر ودخل في بلادها تعين عليهما إنجاده في شرع الملوك ، فسار معه خاقان الأعظم ملك الترك ، ورجع يزدرج بجنود عظيمة فيهم ملك التتار خاقان ، فوصل إلى بلخ واسترجعها ، وفر عمال الأحنف [إليه إلى مرو الروذ ، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف] ^(٥) بمرو الروذ فبرز الأحنف بمن معه من أهل البصرة وأهل الكوفة والجميع عشرون ألفاً فسمع رجلاً يقول لا خير : إن كان الأمير ذا رأى فانه يقف دون هذا الجبل فيجعله وراء ظهره ويبقى هذا النهر خندقاً حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة . فلما أصبح الأحنف أمر المسلمين فوقفوا في ذلك الموقف بعينه ،

وكان أمارة النصر والرشد ، وجاءت الأتراك والفرس في جمع عظيم هائل مزعج ، ققام الأحنف في الناس خطيباً فقال : إنكم قليل وعدوكم كثير ، فلا يهوانكم ، [كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين] فكانت الترك يقاتلون بالنهار ولا يدرى الأحنف أين يذهبون في الليل . فسار ليلة مع طليعة من أصحابه نحو جيش خاقان ، فلما كان ريب الصبح خرج فارس من الترك طليعة وعليه ، طوق وضرب بطبله فتقدم إليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز .

إن على كل رئيس حقاً * أن يحضب الصعدة أو يندقا
بأن لها شيخاً بها ملقى * بسيف أبي حفص الذي تبقى

قال : ثم استلب التركي طوقه ووقف موضعه ، فخرج آخر علم طوق ومعه طبل فجعل يضرب بطبله ، فتقدم إليه الأحنف فقتله أيضاً واستلبه طوقه ووقف موضعه فخرج ثالث فقتله وأخذ طوقه ثم أسرع الأحنف الرجوع إلى جيشه ولا يعلم بذلك أحد من الترك سكية . وكان من عادتهم أنهم لا يخرجون من صبيتهم حتى تخرج ثلاثة من كهولهم بين أيديهم يضرب الأول بطبله ، ثم الثاني ثم الثالث ، ثم يخرجون بعد الثالث . فلما خرجت الترك ليلتشد مد الثالث ، فأتوا على فرسانهم مقتلين ، تشاءم بذلك الملك خاقان وتطير ، وقال لعسكره : قد طال قماننا وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم نصب بمنله ، مالنا في قتال هؤلاء القوم من خير ، فانصرفوا بنا . فرجعوا إلى بلادهم وانتظروهم المسلمون يومهم ذلك ليخرجوا إليهم من شعبهم فلم يروا أحداً منهم ، ثم بلغهم انصرافهم إلى بلادهم راجعين عنهم [وقد كان يزجرد - وخاقان في مقابلة الأحنف بن قيس ومقاتلته - ذهب] ^(١) إلى مرو والشاهان فحاصرها وحارثة بن النعمان بها واستخرج منها خزانته التي كان دفنها بها ، ثم رجع وانتظره خاقان ببلخ حتى رجع إليه .

وفد قال المسلمون للأحنف : ماترى في اتباعهم ؟ فقال : أقيموا بمكانكم ودعوهم . وقد أصاب الأحنف في ذلك ، فقد جاء في الحديث « اتركوا الترك ما تركوكم » وقد [رد الله الذين كفروا بفيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً] . ورجع كسرى خاسراً الصقعة لم يشف له غليل ، ولا حصل على خير ، ولا انتصر كما كان في زعمه ، بل تخلى عنه من كان يرجو النصر منه ، وتنحى عنه وتبرأ منه أحوج ما كان إليه ، وبقي مذنباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء [ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً] وتخير في أمره ماذا يصنع ؟ وإلى أين يذهب ؟ وقد أشار عليه بعض أولى النهى من قومه حين قال : قد عزمت أن أذهب إلى بلاد الصين أو أكون مع خاقان في بلاده

فقالوا : إنا نرى أن نصانع هؤلاء القوم فإن لهم ذمة وديناً يرجعون إليه ، فنكون في بعض هذه البلاد وهم مجاهدونا ، فهم خير لنا من غيرهم . فأبى عليهم كسرى ذلك . ثم بعث إلى ملك الصين يستغيث به ويستنجده فجعل ملك الصين يسأل الرسول عن صفة هؤلاء القوم الذين قد فتحوا البلاد وقهروا رقاب العباد ، فجعل يخبره عن صفتهم ، وكيف يركبون الخيل والابل ، وماذا يصنعون ؟ وكيف يصلون . فكتب معه إلى يزدجرد : إنه لم يمتنعني أن أبعث إليك بجيش أوله يبرو وآخره بالصين الجبال بما يحق علي ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك [صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها ، ولو جئت لنصرك أزالوني ما داموا على ما وصف لي رسولك] ^(١) فسالمهم واراض منهم بالمسألة . فأقام كسرى وآل كسرى في بعض البلاد مقهورين . ولم يزل ذلك دأبه حتى قتل بعد سنتين من إمارة عثمان كما سنورده في موضعه . ولما بعث الأحنف بكتاب الفتح وما أفاء الله عليهم من أموال الترك ومن كان معهم ، وأنهم قتلوا منهم مع ذلك مقتلة عظيمة ، ثم ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً . فقام عمر على المنبر وقرئ الكتاب بين يديه ، ثم قال عمر : إن الله بعث محمداً بالهدى [ووعده على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة ، فقال :] هو الذي أرسل رسوله بالهدى ^(٢) ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون [فالحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر جنده . ألا وإن الله قد أهلك ملك المجوسية ففرق شملهم ، فليسوا بملكون من بلادهم شبراً يضرب بمسلم ، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون ، فتقوموا في أمره على وجل ، يوف لكم بهمه ، ويؤتكم وعده ، ولا تغيروا يستبدل قوماً غيركم ، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ في تاريخ هذه السنة - أعني سنة ثنتين وعشرين - : وفيها فتحت أذربيجان على يدي المغيرة بن شعبة . قاله ابن إسحاق : فيقال ، إنه صالحهم على ثمانمائة ألف درهم . وقال أبو عبيدة : فتحها حبيب بن سامة الفهري بأهل الشام عنوة ، ومعه أهل الكوفة فيهم حذيفة فافتتحها بعد قتال شديد والله أعلم . وفيها افتتح حذيفة الدينور عنوة - بعد ما كان سعد افتتحها فانتقضا عهدهم - . وفيها افتتح حذيفة ماہ سندان عنوة - وكانوا تقضوا أيضاً عهد سعد - وكان مع حذيفة أهل البصرة فلحقهم أهل الكوفة فاختموا في الغنيمة ، فكتب عمر : إن الغنيمة من شهد الوقعة . قال : أبو عبيدة ثم غزا حذيفة همدان فافتتحها عنوة ، ولم تكن فتحت قبل ذلك ، وإليها انتهى فتوح حذيفة . قال : ويقال افتتحها جري بن عبد الله بأمر المغيرة ويقال : افتتحها المغيرة سنة أربع وعشرين . وفيها افتتحت جرجان . قال خليفة : وفيها افتتح عمرو بن العاص

طرابلس المغرب ، ويقال في السنة التي بعدها . قلت : وفي هذا كله غرابة لنسبته إلى ما سلف والله أعلم . قال شيخنا : وفيها توفي أبي بن كعب في قول الواقدي وابن نمير والذهلي والترمذي ، وقد تقدم في سنة تسع عشرة . ومعضد بن يزيد الشيباني استشهد بأذربيجان ولا صحبة له .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

وفيها وفاة عمر بن الخطاب

قال الواقدي وأبو معشر : فيها كان فتح اصطخر وهمدان . وقال سيف : كان فتحها بعد فتح توج الآخرة . ثم ذكر أن الذي افتتح توج مجاشع بن مسعود ، بعد ما قتل من الفرس مقتلة عظيمة وغنم منهم غنائم جمة ، ثم ضرب الجزية على أهلها ، وعقد لهم الذمة ، ثم بعث بالفتح وخمس الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ثم ذكر أن عثمان بن أبي العاص افتتح جور بعد قتال شاذي كان عندها ، ثم افتتح المسلمون اصطخر - وهذه المرة الثانية - ، وكان أهلها قد نقضوا العهد بعد ما نال جند العلاء بن الحضرمي افتتاحها حين جاز في البحر - من أرض البحرين - والتقوا هم والفرس في مكان يقال له طاوس ، كما تقدم بسط ذلك في موضعه . ثم صالحه الهربد على الجزية ، وأن يضرب لهم الذمة . ثم بعث بالأخماس والبشارة إلى عمر . قال ابن جرير : وكانت الرسل لها جوائز ، وتقضى لهم حوائج ، كما كان رسول الله (ص) ، يعاملهم بذلك . ثم إن شريك خلع العهد ، ونقض الذمة ، ونشط العرس ، فنقضوا ، فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص ابنه وأخاه الحكم ، فاقتتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين ، وقتل الحكم بن أبي العاص شريك ، وقتل ابنه معه أيضاً . وقال أبو معشر : كانت فارس الأولى واصطخر الآخرة سنة ثمان وعشرين في إمارة عثمان ، وكانت فارس الآخرة ووقعة جور في سنة تسع وعشرين .

فتح فسا ودار أجمرد وقصة سارية بن زئيم

ذكر سيف عن مشايخه أن سارية بن زئيم قصد فسا ودار أجمرد ، فاجتمع له جموع - من الفرس والأكراد - عظيمة ، ودم المسلمين منهم أمر عظيم وجمع كثير ، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في وقت من النهار ، وأنهم في صحراء وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، فنأدى من الغد الصلاة جامعة ، حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنهم اجتمعوا فيها ، خرج إلى الناس وصعد المنبر ، فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى ، ثم قال : يا سارية الجبل الجبل ، ثم أقبل عليهم وقال : إن الله جنوداً ولعل بعضها أن يبلغهم . قال : ففعلوا ما قال عمر ، فنصرهم الله على عدوهم ، وفتحوا البلد . وذو كرسيف في رواية أخرى عن شيوخه أن عمر بينهما يخطب يوم الجمعة إذ قال : يا سارية بن زئيم الجبل الجبل . فلجأ المسلمون إلى جبل هناك فلم يقدر العدو عليهم إلا من جهة واحدة

فأظفروهم الله بهم ، وفتحوا البلد . وغنموا شيئاً كثيراً ، فكان من جملة ذلك سبط من جوهر فاستوهبه سارية من المسلمين لعمر ، فلما وصل إليه مع الأخماس قدم الرسول بالخنس فوجد عمر قائماً في يده عصا وهو يطعم المسلمين سباطهم ، فلما رآه عمر قال له : اجلس - ولم يعرفه - ، فجلس الرجل فأكل مع الناس ، فلما فرغوا انطلق عمر إلى منزله واتبعه الرجل ، فاستأذن فأذن له وإذا هو قد وضع له خبز وزيت وملح ، فقال : ادن فكل . قال : فجلست فجعل يقول لامراته : ألا تخرجين يا هذه فتأكلين ؟ فقالت : إني أسمع حس رجل عندك . فقال : أجل ، فقالت : لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لي غير هذه الكسوة . فقال : أو ماترضين أن يقال أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر . فقالت : ما أقل غناء ذلك عني . ثم قال للرجل : ادن فكل فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى . فأكلا فلما فرغا قال : أنا رسول سارية بن زنيم يا أمير المؤمنين . فقال : مرحباً وأهلاً . ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته ، ثم سأله عن المسلمين ، ثم سأله عن سارية بن زنيم ، فأخبره ثم ذكر له شأن السبط من الجوهر فأبى أن يقبله وأمر برده إلى الجند . وقد سأل أهل المدينة رسول سارية عن الفتح فأخبرهم ، فسألوه : هل سمعوا صوتاً يوم الواقعة ؟ قال : نعم ، سمعنا قائلاً يقول : يا سارية الجبل ، وقد كدنا نهلك فلجأنا إليه ففتح الله علينا . ثم رواه سيف عن مجالد عن الشعبي بنحو هذا . وقال عبد الله بن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر أن عمر وجه جيشاً ورأس عليهم رجلاً يقال له سارية ، قال : فبينما عمر يخطب فجعل ينادى : يا ساري الجبل يا ساري الجبل ثلاثاً . ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر : فقال : يا أمير المؤمنين هزمنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً يا سارية الجبل ثلاثاً فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله . قال : فقيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك . وهذا إسناد جيد حسن .

وقال الواقدي : حدثني نافع بن أبي نعيم عن نافع مولى ابن عمر . أن عمر قال على المنبر : يا سارية ابن زنيم الجبل . فلم يدر الناس ما يقول حتى قدم سارية بن زنيم المدينة على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين كنا محاصري المدوف كنا نقيم الأيام لا يخرج علينا منهم أحد ، نحن في خفص من الأرض وهم في حصن عال ، فسمعت صائحاً ينادى بكذا وكذا يا سارية بن زنيم الجبل ، فعلوت بأصحابي الجبل ، فما كان إلا ساعة حتى فتح الله علينا . وقد رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر بنحوه ، وفي صحته من حديث مالك نظر . وقال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد عن أسلم عن أبيه . وأبو سليمان عن يعقوب بن زيد قال : خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة إلى الصلاة فصعد المنبر ثم صاح : يا سارية بن زنيم الجبل ، يا سارية بن زنيم الجبل ، ظلم من استرعى الذئب الغنم . ثم خطب حتى فرغ ، فجاء كتاب سارية إلى عمر : إن الله قد فتح علينا يوم الجمعة ساعة كذا وكذا - لتلك الساعة التي خرج فيها عمر فتكلم على المنبر - قال : سارية فسمعت صوتاً

ياسارية بن زعيم الجبل ، ياسارية بن زعيم الجبل ، ظلم من استرعى الذئب الغنم ، فعلوت بأصحابي الجبل ، ونحن قبل ذلك في بطن واد ، ونحن محاصروا العدو ففتح الله علينا . فقيل لعمر بن الخطاب ما ذلك الكلام ؟ فقال : والله ما ألقيت له إلا بشئ ألقى على لساني . فهذه طرق يشد بعضها بعضاً . ثم ذكر ابن جرير من طريق سيف عن شيوخه فتح كرمان على يدى سهيل بن عدى وأمه عبد الله ابن عبد الله بن عتبان ، وقيل على يدى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وذکر فتح سجستان على يدى عاصم بن عمرو ، بعد قتال شديد ، وكانت ثغورها مقدمة ، وبلادها متناثرة ، ما بين السند إلى نهر بلخ ، وكانوا يقاتلون القندهار والترك من ثغورها وفروجها . وذکر فتح مكران على يدى الحكم بن عمرو ، وأمه بشهاب بن الحارق بن شهاب ، وسهيل بن عدى ، وعبد الله بن عبد الله ، واقتتلوا مع ملك السند فهزم الله جموع السند ، وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة ، وكتب الحكم ابن عمرو بالفتح وبعث بالأخماس مع صحار العبدى ، فلما قدم على عمر سأله عن أرض مكران فقال : يا أمير المؤمنين أرض سهلها جبل ، وماؤها وشل ، وثمرها دقل ، وعدوها بطل ، وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير بها قليل ، والقليل بها ضائع ، وما وراءها شر ^(١) منها . فقال عمر : أسجّع أنت أم مخبر ؟ فقال : لا ، بل مخبر ، فكتب عمر إلى الحكم بن عمرو أن لا يغزو بعد ذلك مكران ، وليقتصر على مادون النهر . وقد قال الحكم بن عمرو في ذلك :

لقد شبع الأرامل غير فخر * بنى جاءهم من مكران
أنهم بعد مسغبة وجهد * وقد صفر الشتاء من الدخان
فانى لا ينم الجيش فلي * ولا ينمى يندم ولا لسانى
غداة أدافع الأوباش دفعا * إلى السند العريضة والمدانى
ومهران لنا فيما أردنا * مطيع غير مسترعى الغنائ
فلولا مانهى عنه أميرى * قطنناه إلى البدر الزوانى

غزوة الأكراد

ثم ذكر ابن جرير بسنده عن سيف عن شيوخه : أن جماعة من الأكراد والتف إليهم طائفة من الفرس اجتمعوا فلقبهم أبو موسى بمكان من أرض بيزوذ قريب من نهر تيرى ، ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان وقد استخلف على حربهم الربيع بن زياد بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد ، فسلم الحرب وحق عليهم ، فهزم الله العدو وله الحمد والمنة ، كما هي عادته المستمرة وسنته المستقرة ، في عباده المؤمنين ، وحزبه المفلحين ، من أتباع سيد المرسلين . ثم خست الغنيمة وبعث بالفتح والخمس

إلى عمر رضى الله عنه ، وقد سارضة بن محسن العزى فاشتكى أبا موسى إلى عمر ، وذكر عنه أموراً لا ينتم عليه بسببها ، فاستدعاه عمر فسأله عنها فاعتذر منها بوجوه مقبولة فسمعها عمر وقبلها ، وردّه إلى عمله وعذرة ضبة فيما تأوله [ومات عمر ، وأبو موسى على صلاة البصرة] (١) .

خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد

بعثه عمر على سرية ووصاه بوصايا كثيرة بمضمون حديث بريدة في صحيح مسلم « اغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله » الحديث إلى آخره ، فساروا فلقوا جمعاً من المشركين فدعواهم إلى إحدى ثلاث خلل ، فأبوا أن يقبلوا واحدة منها ، فقاتلهم قتلوا مقاتلتهم ، وسبوا ذراريهم ، وغنموا أموالهم . ثم بعث سلمة بن قيس رسولا إلى عمر بالفتح والغنائم ، فدكروا وروده على عمر وهو يطعم الناس ، وذهابه معه إلى منزله ، كنحو ما تقدم من قصة أم كلثوم بنت علي ، وطلبها الكسوة كما يكسى طلحة وغيره أزواجهم ، فقال : ألا يكفيك أن يقال بنت علي وامرأة أمير المؤمنين ؟ ثم ذكر طعامه الخشن ، وشرابه من سلت ، ثم شرع يستعلمه عن أخبار المهاجرين ، وكيف طعامهم وأشعارهم ، وهل يأكلون اللحم الذي هو شجرتهم ، ولا بقاء للعرب دون شجرتهم ؟ وذكر عرضه عليه ذلك السقط من الجوهر ، فأبى أن يأخذه وأقسم على ذلك ، وأمره بأن يرده فيقسم بين الغائمين . وقد أوردّه ابن جرير مطولاً جداً .

وقال ابن جرير : وفي هذه السنة حج عمر بأزواج النبي (ص) ، وهي آخر حجة حجها رضى الله عنه . قال : وفي هذه السنة كانت وفاته . ثم ذكر صفة قتله مطولاً أيضاً ، وقد ذكرت ذلك مستقصى في آخر سيرة عمر ، فليكتب من هناك إلى هنا .

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشي ، أبو حفص العدوى ، الملقب بالفاروق قيل لقبه بذلك أهل الكتاب . [وأمه حنتمة بنت هشام أخت أبي جهل بن هشام . أسلم عمر وعمره سبع وعشرين سنة ، وشهد بدرّاً وأحداً والمشاهد كلها مع النبي (ص) ، وخرج في عدة سرايا ، وكان أميراً على بعضها ، وهو أول من دعى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ ، وجمع الناس على التراويح ، وأول من عسّ بالمدينة ، وحمل الدرة وأدب بها ، وجلد في الحر ثمانين ، وفتح الفتوح ، ومصر الأمصار ، وجند الأجناد . ووضع الخراج ، ودوّن الدواوين ، وعرض الأعطية ، واستقصى القضاة ، وكوّر الكوّر ، مثل السواد والأهواز والجبّال وفارس وغيرها ، وفتح الشام كله ، والجزيرة والموصل ،

وميا فارقين ، وآمد ، وأرمينية ، ومصر واسكندرية . ومات وعساكره على بلاد الرى . فتح من الشام
اليرموك وبصرى ودمشق والأردن ، وبيسان ، وطبرية ، والجابية ، وفلسطين والرملة ، وعسقلان
وغزة والسواحل والقدس وفتح مصر واسكندرية وطرابلس الغرب وبرقة ، ومن مدن الشام بعلبك
وحمص وقنسرين وحلب وإنطاكية وفتح الجزيرة وحران والرها والرقّة ونصيبين ورأس عين وشمشاط
وعين وردة وديار بكر وديار ربيعة وبلاد الموصل وأرمينية جميعها . وبالعراق القادسية والحيرة
ونهر سير وساباط ، ومدائن كسرى وكورة الفرات ودجلة والابلة والبصرة والأهواز وفارس ونهاوند
وهمدان والرى وقومس وخراسان واصطخر وأصبهان والسوس ومرو ونيسابور وجرجان وأذربيجان
وغير ذلك ، وقطعت جيوشه النهر مراراً ، وكان متواضعاً في الله ، خشن العيش ، خشن المطعم ، شديداً
في ذات الله ، يرقع الثوب بالأديم ، ويحمل القرية على كتفيه ، مع عظم هيئته ، ويركب الحمار عرياً ،
والبعير مخطوماً بالليف ، وكان قليل الضحك لا يمازح أحداً وكان نقش خاتمه كفى بالموت واعظاً يا عمر .
وقال النبي (ص) : « أشد أمتي في دين الله عمر » وعن ابن عباس أن النبي (ص) قال : « إن لي
وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض ، فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل
وزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر ، وإنيهما السمع والبصر » وعن عائشة أن النبي (ص) قال
« إن الشيطان يفرق من عمر » وقال « أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدّها في دين الله عمر » وقيل لعمر
إنك قضاء . فقال : الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رحماً وملأ قلوبهم لي رعباً . وقال عمر : لا يحل لي من
مال الله إلا حلّتان حلة للشتاء وحلة للصيف ، وقوت أهلي كرجل من قریش ليس بأغنام ، ثم أنا
رجل من المسلمين . وكان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين
واشترط عليه أن لا يركب برذونا ، ولا يأكل ثقباً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه دون ذوى
الحاجات . فان فعل شيئاً من ذلك حملت عليه العقوبة . وقيل إنه كان إذا حدثه الرجل بالحديث
فيكذب فيه الكلمة والكلمتين فيقول عمر : احبس هذه احبس هذه ، فيقول الرجل : والله كلما
حدثتك به حق غير ما أمرتني أن أحبسه .

وقال معاوية بن أبي سفيان : أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته فلم يردّها ،
وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن . وعوتب عمر فقبل له : لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على
الحق ؟ فقال : إني تركت صاحبي على جادة ، فان أدركت جادتهما فلم أدركهما في المنزل . وكان يلبس
وهو خليفة جبة صوف مرقوعة بعضها بأدم ويطوف بالأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس ،
وإذا مر بالنوى وغيره يلتقطه ويرمى به في منازل الناس ينتفعون به .

وقال أنس : كان بين كتنى عمر أربع رقائق ، وإزاره مرقوع بأدم . وخطب على المنبر وعليه إزار

فيه اثني عشر رقعة ، وأنفق في حجته ستة عشر ديناراً ، وقال لابنه : قد أسرفنا ، وكان لا يستظل بشيء غير أنه كان يلقي كسائه على الشجر ويستظل تحته ، وليس له خيمة ولا فسطاط . ولما قسم الشام لفتح بيت المقدس كان على جبل أورق تلوح صلته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا علامة قد طبق رجله بين شعبي الرجل بلا ركاب ، ووطأه كبش من صوف ، وهو فراشه إذا نزل ، وحقيقته محشوة ليفاً ، وهي وسادته إذا نام ، وعليه قميص من كرايس قد رسم وتخرق جيبه ، فلما نزل قال : ادعوا لي رأس القرية ، فدعوه فقال : اغسلوا قميصي وخطوه وأعيروني قميصاً ، فأتى بقميص كتان ، فقال : ماهذا ؟ فقيل كتان . فقال : فما الكتان ؟ فأخبروه . فنزع قميصه فغسلوه وخطوه ثم لبسه ، فقال له : أنت ملك العرب ، وهذه بلاد لا يصلح فيها ركوب الابل . فأتى بيرذون فطرح عليه قطيفة بلاسرج ولا رحل ، فلما سار جعل [البرذون] يهملج به فقال لمن معه : احبسوا ، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين ، هاتوا جمل . ثم نزل وركب الجمل .

وعن أنس قال : كنت مع عمر فدخل حائطاً لحاجته فسمعتة يقول - وبيدي وبينه جدار الحائط - عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ بخ ، والله لتتقين الله بنى الخطاب أو ليعذبك . وقيل : إنه حمل قرربة على عاتقه فقيل له في ذلك فقال : إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها ؟ وكان يصلي بالناس المشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلي إلى الفجر . وما مات حتى سرد الصوم ، وكان في عام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده ويتول : بئس الوالى انا إن شبعنا والناس جياع . وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء ، وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل صريماً إلى منزله فيعاد أياً ما ليس به مرض إلا الخوف . وقال طلحة بن عبد الله : خرج عمر ليلة في سواد الليل فدخل بيتاً فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت فاذا عجوز عمياء مقعدة قفلت لها : ما بال هذا الرجل يأتيكي ؟ فقالت : إنه يتعاهدنى مدة كذا وكذا يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى . قفلت لنفسى : ثكلتك أمك يا طلحة ، أعترات عمر تتبع ؟ .

وقال أسلم مولى عمر : قدم المدينة رقعة من تجار ، فترلوا المصلي فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لك أن نحرسهم الليلة ؟ قال : نعم ! فباتا يحرسانهم ويصليان ، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه : اتق الله تعالى وأحسنى إلى صبيك . ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأتى إلى أمه فقال لها : ويحك ، إنك أم سوء ، ما لى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟ ! فقالت : يا عبد الله إني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك ، قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا المفطوم . قال : ولم عمر ابنك هذا ؟ قالت : كذا وكذا شهراً ، فقال : ويحك لا تعجله عن الطعام . فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس

قراءته من البكاء . قال : يؤسأ لعمر . كم قتل من أولاد المسلمين . ثم أمر مناديه فنادى ، لانهجوا صبيانكم عن الطعام ، فانا فرض لكل مولود في الاسلام . وكتب بذلك إلى الآفاق .

وقال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة فلاح لنا بيت شعر قصصناه فاذا فيه امرأة تمخض وتبكي ، فسألها عمر عن حالها فقالت : أنا امرأة عريسة وليس عندي شيء . فبكي عمر وعاد يهرول إلى بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب : همل لك في أجر ساقه الله إليك ؟ وأخبرها الخبر ، فقالت : نعم ، فحمل على ظهره دقيقا وشحما ، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة وجاءا ، فدخلت أم كلثوم على المرأة ، وجلس عمر مع زوجها - وهو لا يعرفه - يتحدث ، فوضعت المرأة غلاما فقالت أم كلثوم : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام . فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتنر إلى عمر . فقال عمر : لا بأس عليك ، ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف .

وقال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم ، حتى إذا كنا بصرار إذا بنار فقال : يا أسلم هنا ركب قد قصر بهم الليل ، انطلق بنا إليهم ، فأتيناهم فاذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ، قالت : وعليك السلام . قال : أدنو . قالت : ادن أو دع . فدنا فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد . قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : من الجوع . فقال : وأى شيء على النار ؟ قالت : ماء أعلاه به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر . فبكي عمر ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلا من دقيق وجراب شحم ، وقال : يا أسلم احمله على ظهري ، فقلت : أنا أحمله عنك . فقال : أنت تحمل وزري يوم القيامة ؟ . فحملة على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فالتقى عن ظهره وأخرج من الدقيق في القدر ، وألقى عليه من الشحم ، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة ، ثم أنزلها عن النار وقال : إيتيني بصحفة . فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدي الصبيان وقال : كلوا ، فأكلوا حتى شبعوا - والمرأة تدعوله وهي لا تعرفه - فلم يزل عندهم حتى نام الصغار ، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف ، ثم أقبل على فقال : يا أسلم الجوع الذي أسهرم وأبكاهم .

وقيل : إن علي بن أبي طالب رضى الله عنه رأى عمر وهو يمدو إلى ظاهر المدينة فقال له : إلى أين يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قد ندد بغير من إبل الصدقة فأنا أطلبه . فقال : قد أتعبت الخلفاء من بعدك . وقيل : إنه رأى جارية تتأيل من الجوع فقال : من هذه ؟ فقالت ابنة عبد الله : هذه ابنتي . قال : فما بالها ؟ فقالت : إنك تحبس عنا ما في يدك فيصيبنا ما ترى . فقال : يا عبد الله ، بيني وبينكم كتاب الله ، والله ما أعطيكم إلا ما فرض الله لكم ، أتريدون مني أن أعطيكم ما ليس لكم ؟

فأعود خائناً؟^(١) . روى ذلك عن الزهري .

وقال الواقدي : حدثنا أبو حمزة يعقوب بن مجاهد عن محمد بن إبراهيم عن أبي عمرو قال : قلت لعائشة : من سمى عمر الفاروق أمير المؤمنين ؟ قالت : النبي (ص) قال « أمير المؤمنين هو » وأول من حياه بها المنيرة بن شعبة « وقيل غيره فالله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري حدثتني أم عمرو بنت حسان الكوفية - وكان قد أتى عليها مائة وثلاثون سنة - عن أبيها قال : لما ولى عمر قالوا : يا خليفة خليفة رسول الله . فقال عمر : هذا أمر يطول ، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم . فسمي أمير المؤمنين .

وملخص ذلك أن عمر رضى الله عنه لما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأطح دعا الله عز وجل وشكا إليه أنه قد كبرت سنه وضعفت قوته ، وانتشرت رعيته ، وخاف من التقصير ، وسأل الله أن يقبضه إليه ، وأن يمن عليه بالشهادة في بلد النبي (ص) ، كما ثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول : اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك ، وموتاً في بلد رسولك ، فاستجاب له الله هذا الدعاء ، وجمع له بين هذين الأمرين الشهادة في المدينة النبوية وهذا عزيز جداً ، ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى ، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز الجوسى الأصل ، الرومى الدار ، وهو قائم يصلى في المحراب ، صلاة الصبح من يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذى الحجة من هذه السنة بخنجر ذات طرفين ، فضربه ثلاث ضربات ، وقيل ست ضربات ، إحداهن تحت سترته قطعت السفاق فخر من قامته ، واستخلف عبد الرحمن بن عوف ، ورجع العليج بخنجره لا يمر بأحد إلا ضربه ، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلاً مات منهم ستة ، فألقى عليه عبد الله بن عوف برنساً فانتحر نفسه لعنه الله ، وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه - وذلك قبل طلوع الشمس - فجعل يفيق ثم يغشى عليه ، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول : نعم ، ولا حظ في الاسلام لمن تركها . ثم صلى في الوقت ، ثم سأل عن قتله من هو ؟ فقالوا له : هو أبو لؤلؤة غلام المنيرة بن شعبة . فقال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى على يدي رجل يدعى الايمان ولم يسجد لله سجدة . ثم قال : قبحه الله ، لقد كنا أمرنا به معروفاً - وكان المنيرة قد ضرب عليه في كل يوم درهمين ثم سأل من عمر أن يزيد في خراجه فانه نجار نقاش حداد فزاد في خراجه إلى مائة في كل شهر - وقال له : لقد بلغنى أنك تحسن أن تعمل رجا تدور بالهواء فقال أبو لؤلؤة : أما والله لأعملن لك رجا يتحدث عنها الناس في المشارق والمغارب - وكان هذا يوم الثلاثاء عشية - وطمعه صبيحة الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة . وأوصى عمر أن يكون الأمر شورى بعده في ستة ممن توفي رسول الله (ص) ، وهو عنهم راض ، وهم عثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير

وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، ولم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي فيهم ، لكونه من قبيلته ، خشية أن يراعى في الامارة بسببه ، وأوصى من يستخلف بعده بالناس خيراً على طبقاتهم ومراتبهم ، ومات رضي الله عنه بعد ثلاث ، ودفن في يوم الأحد مستهل المحرم من سنة أربع وعشرين ، بالحجرة النبوية ، إلى جانب الصديق ، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذلك ، وفي ذلك اليوم حكم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قال الواقدي رحمه الله : حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال : طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين ، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وأجداً وعشرين يوماً ، وبويع لعثمان يوم الاثنين لثلاث مضي من المحرم . قال : فذكرت ذلك لعثمان الأحنس فقال : ما أراك إلا وهلت . توفي عمر لأربع ليال بقين من ذي الحجة وبويع لعثمان لليلة بقيت من ذي الحجة فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين . وقال أبو معشر : قتل عمر لأربع بقين من ذي الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وبويع عثمان ابن عفان .

وقال ابن جرير : حدثت عن هشام بن محمد قال : قتل عمر لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام . وقال سيف عن خلود بن وفرة ومجالد قالا : استخلف عثمان لثلاث من المحرم فخرج فضلى بالناس صلاة العصر . وقال علي بن محمد المدائني عن شريك عن الأعمش - أو جابر الجعفي - عن عوف بن مالك الأشجعي وعامر بن أبي محمد عن أشياخ من قومه ، وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال : طعن عمر يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة والقول الأول هو الأشهر والله سبحانه وتعالى أعلم .

صفته رضي الله عنه

كان رجلاً طويلاً أصلع أعسر أيسر أحور العينين ، آدم اللون ، وقيل كان أبيض شديد البياض تعلوه حمرة ، أشنب الأسنان ، وكان يصفر لحيته ، ويرجل رأسه بالحناء .

واختلف في مقدار سنه يوم مات رضي الله عنه على أقوال عدتها - عشرة - فقال ابن جرير : حدثنا زيد بن أحمز ثنا أبو قتيبة عن جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قتل عمر ابن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة ، ورواه الدراودي عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر . وقاله عبد الرزاق عن ابن جريج عن الزهري ، ورواه أحمد عن هشيم عن علي بن زيد عن سالم بن عبد الله ابن عمر ، وعن نافع رواية أخرى ست وخمسون سنة . قال ابن جرير : وقال آخرون : كان عمره

ثلاثاً وخمسين سنة ، حدثت بذلك عن هشام بن محمد . ثم روى عن عامر الشعبي أنه توفي وله ثلاث وستون سنة .

قلت : وقد تقدم في عمر الصديق مثله ، وروى عن قتادة أنه قال : توفي عمر وهو ابن إحدى وستين سنة ، وعن ابن عمر والزهرى خمس وستون . وعن ابن عباس ست وستون ، وروى ابن جرير عن أسلم مولى عمر أنه قال : توفي وهو ابن ستين سنة . قال الواقدي : وهذا أثبت الأقاويل عندنا . وقال المدائني : توفي عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة .

ذكر زوجاته وأبنائه وبناته

قال الواقدي وابن الكلبي وغيرهما : تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مظعون أخت عثمان ابن مظعون فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر ، وحفصة رضى الله عنهم . وتزوج مليكة بنت جبرول فولدت له عبيد الله فطلقها في الهدنة ، فخلف عليها أبو الجهم بن حذيفة ، قاله المدائني . وقال الواقدي : هي أم كلثوم بنت جبرول فولدت له عبيد الله وزيداً الأصغر . قال المدائني وتزوج قريبة بنت أبي أمية الخزومي ففارقها في الهدنة ، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر . قالوا : وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بمسد زوجها - حين قتل في الشام - فولدت له فاطمة ثم طلقها . قال المدائني وقيل لم يطلقها ، قالوا : وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح من الأوس . وتزوج عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي مليكة ولما قتل عمر تزوجها بعده الزبير بن العوام رضى الله عنهم ، ويقال هي أم ابنه عياض فأن الله أعلم . قال المدائني : وكان قد خطب أم كلثوم ابنة أبي بكر الصديق وهي صغيرة وراسل فيها عائشة فقالت أم كلثوم : لا حاجة لي فيه ، فقالت عائشة : أرغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إنه خشن العيش فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فصدده عنها ودله على أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، ومن فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وقال تعلق منها بسبب من رسول الله (ص) ، فخطبها من علي فزوجه إياها ، فأصدقها عمر رضى الله عنه أربعين ألفاً ، فولدت له زيداً ورقية ، قالوا : وتزوج لية - امرأة من اليمن - فولدت له عبد الرحمن الأصغر ، وقيل الأوسط . وقال الواقدي : هي أم ولد وليست زوجة ، قالوا : وكانت عنده فكبهة أم ولد فولدت له زينب . قال الواقدي وهي أصغر ولده . قال لواقدي : وخطب أم أبان بنت عتبة بن شيبه فكرهته وقالت : يفلق بابه ويمنع خيريه ويدخل هابساً ويخرج عابساً .

قلت : فجملة أولاده رضى الله عنه وأرضاه ثلاثة عشر ولداً ، وهم زيد الأكبر ، وزيد الأصغر ، وعاصم ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وعبد الرحمن الأوسط ، قال الزبير بن بكار وهو

أبوشحمة ، وعبد الرحمن الأصغر وعبيد الله ، وعياض ، وحفصة ، ورقية ، وزينب ، وفاطمة ، رضى الله عنهم . ومجموع نسائه اللاتي تزوجهن في الجاهلية والاسلام ممن طلقهن أو ماتت عنهن سبع ، وهن جميلة بنت عاصم بن ثابت بن الأفلح ، وزينب بنت مظعون ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وقرينة بنت أبي أمية ، ومليكة بنت جرول ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، وأم كلثوم أخرى وهي مليكة بنت حرول . وكانت له أمتان له منهما أولاد ، هما فكيهة ولهية ، وقد اختلف في لهية هذه فقال بعضهم : كانت أم ولد ، وقال بعضهم : كان أصلها من اليمن وتزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فآله أعلم .

ذكر بعض ما رثي به

قال علي بن محمد المدائني : عن ابن داب وسعيد بن خالد ، عن صالح بن كيسان عن المغيرة ابن شعبة قال : لما مات عمر بكتته ابنة أبي خيثمة فقالت : واعمرها ، أقام الأود وأبر العهد ، أمت الفتن وأحيا السنن ، خرج نقي الثوب برياً من العيب .

قال فقال علي بن أبي طالب : والله لقد صدقت ، ذهب بخيرها ، ونجما من شرها ، أما والله ما قالت ولكن قولت . قال : وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل في زوجها عمر .

فجعتني فيروز لا در دره * بأبيض نال للكتاب منيب

روفت على الأذن غليظ على العدى * أخى ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله * سريع إلى الخيرات غير قطوب

وقالت أيضاً :

عين جودى بعبرة ونجيب * لا تملى على الأمام النجيب

فجعتنا المنون بالفارس العير * لم يوم الهياج والتليب

عصمة الناس والمعين على الدهر * روغيث المناب والمحروب

قل لأهل السراء والبؤس موتوا * قد سقته المنون كأس سغوب

| وقالت امرأة من المسلمين تبكيه :

سيبك نساء الح * يي ييكن شجيات

ويخمشن وجوها كالسدنانير نقيات

ويلبسن ثياب الحز * ن بعد القصبيات [١]

وقد ذكر ابن جرير ترجمة طويلة لعمر بن الخطاب ، وكذلك أطال ابن الجوزي في سيرته ،

وشيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخه ، وقد جمعنا متفرقات كلام الناس في مجلد مفرد ، وأفردنا لما أسنده وروى عنه من الأحكام مجلداً آخر كبيراً مرتباً على أبواب الفقه والله الحمد .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة توفي قتادة بن النعمان ، وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية ومعه من الصحابة عبادة بن الصامت ، وأبو أيوب ، وأبو ذر ، وشداد بن أوس . وفيها فتح معاوية عسقلان صلحاً . قال : وفيها كان على قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة كعب بن سوار ، قال : وأما مصعب الزبيري فإنه ذكر أن مالكا روى عن الزهري أن أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في تاريخه في سنة ثلاث وعشرين . فيها كانت قصة سارية بن زبيم . وفيها فتحت كرمان وأميرها سهيل بن عدي . وفيها فتحت سجستان ، وأميرها عاصم بن عمرو . وفيها فتحت مكران ، وأميرها الحكم بن أبي العاص ، أخو عثمان ، وهي من بلاد الجبل . وفيها رجع أبو موسى الأشعري من بلاد أصبهان وقد افتتح بلادها ، وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية . ثم ذكر وفاة من مات فيها . ففهم قتادة بن النعمان الأنصاري الأوسي الظفري أخو أبي سعيد الخدري لأمه ، وقتادة أكبر منه ، شهد بدرًا وأصيبت عينه في يوم أحد حتى وقعت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت أحسن عينيه ، وكان من الرماة المذكورين ، وكان على مقدمة عمر حين قدم إلى الشام توفي في هذه السنة على المشهور عن خمس وستين سنة ، ونزل عمر في قبره ، وقيل إنه توفي في التي قبلها . ثم ذكر ترجمة عمر بن الخطاب فأطال فيها وأكثر وأطنب ، وأتى بمقاصد كثيرة مهمة ، وفوائد جمة ، وأشياء حسنة ، فأنابه الله الجنة . ثم قال : ذكر من توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

الأقرع بن حابس

ابن عقيل بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي المجاشعي . قال ابن دريد : واسمه فراس بن حابس ولقب بالأقرع لقرع في رأسه ، وكان أحد الرؤساء ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع وفد بني تميم ، وهو الذي نادى من وراء الحجرات : يا محمد إن مدحى زين ، وذمى شين ، وهو القائل - وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقبل الحسن - أتقبله ؟ والله إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم . فقال « من لا يرحم لا يرحم » . وفي رواية « ما أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك » وكان ممن تألفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه يوم حنين مائة من الإبل ، وكذلك لعينة بن حصن الفزارى ، وأعطى عباس بن مرداس خمسين^(١) من الإبل فقال :

أَتَجْمَلُ نَهْبي وَنَهْبَ الْعَبِي * بِدِيْنٍ عَيْنَةٍ • وَالْأَقْرَعِ

فَمَا كَانَ حَصْنٌ وَلَا حَابِسٌ * يَفُوقَانِ مِرْدَاسُ فِي مَجْمَعِ

(١) كذا في الحلبية وفي المصرية : خمسا من الإبل .

وما كنت دون امرئٍ منهما * ومن يخفض اليوم لا يرفع
فقال له رسول الله (ص)، أنت القاتل

أجعل نهي ونهي العبيد * يد بين عينة والأقرع

رواه البخاري قال السهيلي : إنما قدم رسول الله (ص)، ذكر الأقرع قبل عينة لأن الأقرع كان خيراً من عينة [ولهذا لم يرتد بعد النبي (ص)، كما ارتد عينة] ^(١) فبايع طليحة وصدقه ثم عاد . والمقصود أن الأقرع كان سيداً مطاعاً ، وشهد مع خالد وقائمه بأرض العراق ، وكان على مقدمته يوم الأنبار . ذكره شيخنا فيمن توفي في خلافة عمر بن الخطاب . والذي ذكره ابن الأثير في الغابة أنه استعمله عبد الله بن عامر على جيش وسيره إلى الجوزجان فقتل وقتلوا جميعاً ، وذلك في خلافة عثمان كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

حباب بن المنذر

ابن الجوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أبو عمر ويقال أبو عمرو الأنصاري الخزرجي السلمي ، ويقال له ذو الرأي لأنه أشار يوم بدر أن ينزل رسول الله (ص)، على أدنى ماء يكون إلى القوم ، وأن يغور ما وراءهم من القلب فأصاب في هذا الرأي ، ونزل الملك بتصديقه وأما قوله يوم السقيفة : أنا جذيلها المحكك ، ومزيجها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير . فقد رده عليه الصديق والصحابه .

ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب

عتبة بن مسعود الهذلي ، هاجر مع أخيه لأبويه ، عبد الله إلى الحبشة شهد أحداً وما بعدها . قال الزهري : ما كان عبد الله بأفقه منه ، ولكن مات عتبة قبله ، وتوفي زمن عمر على الصحيح ، ويقال في زمن معاوية سنة أربع وأربعين .

علقمة بن علاثة

ابن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي ، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً وأعطى يومئذ مائة من الإبل تأليفاً لقلبه ، وكان يكون بتهامة وكان شريفاً مطاعاً في قومه ، وقد ارتد أيام الصديق فبعث إليه سرية فانهزم ثم أسلم وحسن إسلامه ، ووفد على عمر في خلافته ، وقدم دمشق في طلب ميراث له ثم ، ويقال استعمله عمر على حوران فمات بها ، وقد كان الخطيئة قصده ليمتدحه فمات قبل مقدمه بليال فقال :

فما كان بيني ولوقيتك سالماً * وبين الغنى إلا ليال قلائل

علقمة بن مجزز

ابن الأعور بن جمعة بن معاذ بن عتودة بن عمرو بن مدج الكناني الملبى ، أحد أمراء رسول الله (ص) ، على بعض السرايا ، وكانت فيه دعاية ، فأجج ناراً وأمر أصحابه أن يدخلوا فيها فامتنعوا ، فقال النبي (ص) : « لو دخلوا فيها ما خرجوا منها » وقال « إنما الطاعة في المعروف » وقد كان علقمة جواداً ممدحاً رثاه جواس العذرى فقال :

إِنَّ السَّلَامَ وَحَسَنَ كُلِّ نَحِيَةٍ * تَفْدُو عَلَى ابْنِ مَجْزَزٍ وَتَرْوَحُ

عويم بن ساعدة

ابن عابس أبو عبد الرحمن الأنصاري الأوسي ، أحد بني عمرو بن عوف شهد العقبة و بدرآ وما بعدها له حديث عند أحمد وابن ماجه في الاستنجاء بالماء . قال ابن عبد البر : توفى في حياة النبي (ص) ، وقيل في خلافة عمر ، وقال وهو واقف على قبره : لا يستطيع أحد أن يقول أنا خير من صاحب هذا القبر ما نصبت راية للنبي (ص) ، إلا وهو واقف تحتها . وقد روى هذا الأثر ابن أبي عاصم كما أورده ابن الأثير من طريقه .

غيلان بن سلمة الثقفي

أسلم عام الفتح على عشر نسوة فأمره رسول الله (ص) ، أن يختار منهن أربعاً ، وقد وفد قبل الاسلام على كسرى فأمره أن يبني له قصرآ بالطائف ، وقد سأله كسرى أى ولدك أحب إليك ؟ قال الصغير حتى يكبر ، والمرضى حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم ، فقال له كسرى أنى لك هذا ؟ هذا كلام الحكماء . قال : فما غذاؤك ؟ قال : البر . قال نعم هذا من البر لا من التمر واللبن .

معمر بن الحارث

ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي أخو حاطب وحطاب ، أمهم قيلة بنت مظعون ، أخت عثمان بن مظعون أسلم معمر قبل دخول النبي (ص) ، دار الأرقم وشهد بدرآ وما بعدها وآخى رسول الله (ص) ، بينه وبين معاذ بن عفراء .

ميسرة بن مسروق العبسي

شينخ صالح قيل إنه صحابي شهد اليرموك ودخل الروم أميرآ على جيش ستة آلاف وكانت له همة عالية قتل وسبي وغنم وذلك في سنة عشرين ، وروى عن أنى عبيدة وعنه أسلم مولى عمر ، لم يذكره ابن الأثير في الغابة .

واقد بن عبد الله

بن عبد مناف بن عرين الحنظلي البربوعي حليف بني عدى بن كعب ، أسلم قبل دخول النبي

(س) دار الأرقم وشهد بدرًا وما بعدها وآخى رسول الله (ص) بينه وبين بشر بن البراء بن معرور ، وهو أول من قتل في سبيل الله عز وجل ببطن نخلة ، مع عبد الله بن جحش حين قتل عمرو بن الحضرمي ، توفي في خلافة عمر رضي الله عنه .

أبو خراش الهذلي الشاعر

واسمه خويلد بن مرة ، كان يسبق الخليل على قدميه ، وكان فتاكاً في الجاهلية ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وتوفي في زمن عمر ، أتاه حجاج فذهب يأتهم بماء فقهشته حية فرجع إليهم بالماء وأعطاهم شاة وقدرًا ، ولم يعلمهم بما جرى له ، فأصبح فوات فنفذوه . ذكره ابن عبد البر وابن الأثير في أسماء الصحابة ، والظاهر أنه ليست له وفاة ، وإنما أسلم في حياة النبي (ص) فهو مخضرم والله أعلم .

أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب

ابن عمرو الأنصاري شهد أحدًا وما بعدها ، إلا تبوك فإنه تخلف لعذر الفقر ، وهو أحد البكائين المذكورين .

سودة بنت زمعة

القرشية العامرية أم المؤمنين ، أول من دخل بها رسول الله (ص) بعد خديجة رضي الله عنها ، وكانت صوامه قوامه ، ويقال كان في خلقها حدة ، وقد كبرت فأراد رسول الله (ص) أن يفارقها - ويقال بل فارقها - فقالت : يا رسول الله لا تفارقني وأنا أجعل يومي لعائشة ، فتركها رسول الله (ص) وصالحها على ذلك . وفي ذلك أنزل الله عز وجل (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير) الآية . قالت عائشة : نزلت في سودة بنت زمعة ، توفيت في خلافة عمر بن الخطاب .

هند بن عتبة

يقال : ماتت في خلافة عمر وقيل توفيت قبل ذلك كما تقدم فلهذا أعلم .

خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان

ثم استهلكت سنة أربع وعشرين

ففي أول يوم منها دفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك يوم الأحد في قول وبعد ثلاث أيام بويح أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

كان عمر رضي الله عنه قد جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر وهم عثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم . وتخرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين ، وقال لا تحمل أمرهم حياً وميتاً ،

وإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خير هؤلاء ، كما جمعكم على خيركم بسد نبيكم (ص) ، ومن تمام ورعه لم يذكر في الشورى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل لأنه ابن عمه خشى أن يراعى فيولى لكونه ابن عمه ، فلذلك تركه . وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، بل جاء في رواية المدائني عن شيوخه أنه استثناه من بينهم ، وقال لست مدخلة فيهم ، وقال لأهل الشورى يحضركم عبد الله - يعني ابنه - وليس إليه من الأمر شيء - يعني بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يولى شيئاً - وأوصى أن يصلى بالناس صهيب بن سنان الرومي ثلاثة أيام حتى تنقضي الشورى ، وأن يجتمع أهل الشورى ويوكل بهم أناس حتى ينبرم الأمر ، ووكل بهم خمسين رجلاً من المسلمين وجعل عليهم مستحشاً أبا طلحة الأنصاري ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وقد قال عمر بن الخطاب : ما أظن الناس يعدلون بعثمان وعلى أحداً ، إنهما كانا يكتبان الوحي بين يدي رسول الله (ص) بما ينزل به خبريل عليه . قالوا : فلما مات عمر رضى الله عنه وأحضرت جنازته تبادر إليها علي وعثمان أيهما يصلى عليه ، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف : لستما من هذا في شيء ، إنما هذا إلى صهيب الذي أمره عمر أن يصلى بالناس . فتقدم صهيب وصلى عليه ، ونزل في قبره مع ابنه عبد الله أهل الشورى سوى طلحة فإنه كان غائباً ، فلما فرغ من شأن عمر جمعهم المقداد بن الأسود في بيت المسور بن مخرمة ، وقيل في حجرة عائشة ، وقيل في بيت المال ، وقيل في بيت فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس ، والأول أشبه والله أعلم . فجلسوا في البيت وقام أبو طلحة يحجبهم ، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا من وراء الباب فحصبهم سعد بن أبي وقاص وطردهما وقال جئنا لنقولاً حضراً أمر الشورى ؟ رواه المدائني عن مشايخه والله أعلم بصحته .

والمقصود أن القوم خلصوا من الناس في بيت يتشاورون في أمرهم ، فكثرت القول ، وعلت الاصوات وقال أبو طلحة : إني كنت أظن أن تدافعوها ولم أكن أظن أن تنافسوها ، ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فوض ثلاثة منهم ما لهم في ذلك إلى ثلاثة ، ففوض الزبير ما يستحقه من الامارة إلى علي ، وفوض سعد ماله في ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، وترك طلحة حقه إلى عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان : أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه والله عليه والاسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين فأسكت الشيخان علي وعثمان ، فقال عبد الرحمن : إني أترك حق من ذلك والله على والاسلام أن أجتهد فأولى أولاً كما بالحق ، فقالا نعم ! ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل ، وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعبدن ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن ، فقال كل منهما نعم ! ثم تفرقوا ، ويروى أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ليجتهد للمسلمين في أفضلهم ليوليه ، فيذكر أنه سأل من يمكنه سؤاله من أهل الشورى وغيرهم فلا

يشير إلا لعثمان بن عفان ، حتى أنه قال لعلي : أرايت إن لم أولك بمن تشير به علي ؟ قال : [لعثمان . وقال لعثمان : أرايت إن لم أولك بمن تشير به ؟] ^(١) قال : بعلي بن أبي طالب . والظاهر أن هذا كان قبل أن ينحصر الأمر في ثلاثة ، وينخلع عبد الرحمن منها لينظر الأفضل والله عليه والاسلام ليجهتد في أفضل الرجلين فيوليه . ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يستشير الناس فيهما ويجمع رأى المسلمين برأى رؤس الناس وأقيادهم جميعاً وأشتاتاً ، منى وفرادى ، ومجتمعين ، سرّاً وجهراً ، حتى خلس إلى النساء الخمدرات في حجابهن ، وحتى سأل الولدان في المكاتب ، وحتى سأل من يرد من الركبان والاعراب إلى المدينة ، في مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفان في تقدم عثمان بن عفان ، إلا ما ينقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلي بن أبي طالب ، ثم بايعا مع الناس على ماسند كره ، فسعى في ذلك عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها لا يفتعض بكثير نوم إلا صلاة ودعاءً واستخارة ، وسؤالا من ذوى الرأى عنهم ، فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفان رضى الله عنه ، فلما كانت الليلة يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن اخته المسور بن مخرمة فقال : أناثم يامسور ؟ والله لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث ، اذهب فادع إلى علياً وعثمان قال المسور : فقلت بأيهما أبداً ؟ فقال بأيهما شئت ، قال فذهبت إلى علي فقلت أجب خالى ، فقال أمرك أن تدعو معى أحداً ؟ قلت : نعم ! قال : من ؟ قلت : عثمان بن عفان ، قال : بأينا بدأ ؟ قلت لم يأمرنى بذلك ، بل قال ادعولى أيهما شئت أولاً ، فجئت إليك قال فخرج معى فلما مررنا بدار عثمان بن عفان جلس على حتى دخلت فوجدته يوتر مع الفجر ، فقال لى كما قال لى على سواء ، ثم خرج فدخلت بهما على خالى وهو قائم يصلى ، فلما انصرف أقبل على علي وعثمان فقال إني قد سألت الناس عنكما فلم أجد أحداً يعدل بكما أحداً ، ثم أخذ العهد على كل منهما أيضاً لئن ولأه ليعبدن ، ولئن ولى عليه ليسمعن وليطيعن ، ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التى ممة رسول الله (ص) ، وتقلد سيفاً ، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ونودى فى الناس عامة الصلاة جامعة ، فامتلاً المسجد حتى غص بالناس ، وتراص الناس وتراصوا حتى لم يبق لعثمان موضع يجلس إلا فى أخريات الناس - وكان رجلاً حياً رضى الله عنه - ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله (ص) ، فوقف وقوفاً طويلاً ، ودعا دعاء طويلاً ، لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال : أيها الناس ، إني سألتكم سرّاً وجهراً بأمانيتكم فلم أجدمكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إماماً على وإما عثمان ، فقم إلى ياعلى ، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال : هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه (ص) ، وفعل أبى بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى ، قال

فأرسل يده وقال : قم إلى يا عثمان ، فأخذ بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه (س) ، وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم ! قال : فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقتل اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم إني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقة عثمان . قال وأزدهم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر ، قال فقام عبد الرحمن مقعد النبي (س) ، وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية ، وجاء إليه الناس يبايعونه ، وبايعه على بن أبي طالب أولاً ، ويقال آخرًا . وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن عليًا قال لعبد الرحمن خذعتني ، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه ، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن [فمن نكث فأنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا] إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحيح فهي مردودة على قائلها وناقلمها والله أعلم .

المظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا يميزون عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها ، ومستقيمها وسقيمها ، ومبادهها وقويمها ، والله الموفق للصواب . وقد اختلف علماء السير في اليوم الذي بويع فيه لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فروى الواقدي عن شيوخه أنه بويع يوم الاثنين ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، واستقبل بمخلافته المحرم سنة أربع وعشرين ، وهذا غريب جدًا . وقد روى الواقدي أيضًا عن ابن جرير عن ابن أبي مليكة قال : بويع لعثمان بن عفان لعشر خلون من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليال ، وهذا أعرب من الذي قبله ، وكذا روى سيف بن عمر عن عامر الشعبي أنه قال : اجتمع أهل الشورى على عثمان ثلاث خلون من المحرم سنة أربع وعشرين ، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب ، واجتمع الناس بين الأذان والاقامة فخرج فصلى بهم العصر . وقال سيف عن خليفة بن زفر ومجالد قالا : استخلف عثمان ثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وعشرين فخرج فصلى بالناس العصر ، وزاد الناس - يمني في أعطياتهم - مائة ، ووفد أهل الأمصار ، وهو أول من صنع ذلك . قلت : ظاهر ما ذكرناه من سياق بيعته يقتضي أن ذلك كان قبل الزوال ، لكنه لما بايعه الناس في المسجد ذهب به إلى دار الشورى على ما تقدم فيها من الخلاف ، فبايعه بقية الناس ، وكأنه لم يتم البيعة إلا بعد الظهر وصلى صهيب يومئذ الظهر في المسجد النبوي وكان أول صلاة صلاحها الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالمسلمين صلاة العصر ، كما ذكره الشعبي وغيره . وأما أول خطبة خطبها بالمسلمين فروى سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه قال لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبة فأتى منبر النبي (س) ، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (س) ، وقال : إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار ،

فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتم صبيحتكم أو مسيتكم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا .
 أين أبناء الدنيا وأخوانها الذين أناروها وعمروها وامتعوا بها طويلاً ؟ ألم تلفظهم ؟ أرموا بالدنيا حيث رعى الله بها ، وإطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً ، بالذى هو خير فقال تعالى [واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرآ ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً] قال : وأقبل الناس يبايعونه .

قلت وهذه الخطبة : إما بعد صلاة العصر يومئذ ، أو قبل الزوال [وعبد الرحمن بن عوف جالس في رأس المنبر ^(١) وهو الأشبه والله أعلم . وما يذكره بعض الناس من أن [عثمان لما خطب أول خطبة ارتج عليه فلم يدر ما يقول حتى قال : أيها الناس ، إن ^(٢) أول مركب صعب ، وإن أعش فستأتيكم الخطبة على وجهها ، فهو شئ يذكره صاحب العقد وغيره ، ممن يذكر طرف الفوائد ، ولكن لم أر هذا باسناد تسكن النفس إليه والله أعلم .

وأما قول الشعبي إنه زاد الناس مائة مائة - يعنى فى عطاء كل واحد من جند المسلمين - زاده على ما فرض له عمر مائة درهم من بيت المال وكان عمر قد جعل لكل نفس من المسلمين فى كل ليلة من رمضان درهماً من بيت المال يفطر عليه ، ولأمهات المؤمنين درهمين درهمين ، فلما ولى عثمان أقر ذلك وزاده ، واتخذ سباطاً فى المسجد أيضاً للمتعبدين ، والمعتكفين ، وأبناء السبيل ، والفقراء ، والمساكين ، رضى الله عنه . وقد كان أبو بكر إذا خطب يقوم على الدرجة التى تحت الدرجة التى كان رسول الله (ص) يقف عليها ، فلما ولى عمر نزل درجة أخرى عن درجة أبى بكر رضى الله عنهما ، فلما ولى عثمان قال إن هذا يطول ، فصعد إلى الدرجة التى كان بخطب عليها رسول الله (ص) ، وزاد الأذان الأول يوم الجمعة ، قبل الأذان الذى كان يؤذن به بين يدى رسول الله (ص) . إذا جلس على المنبر ، وأما أول حكومة حكم فيها فضية عبيد الله بن عمر ، وذلك أنه غدا على ابنة أبى لؤلؤة قاتل عمر فقتلها ، وضرب رجلاً نصرانياً يقال له جفينة بالسيف فقتله ، وضرب الهرمزان الذى كان صاحب تستر فقتله ، وكان قد قيل إنهما مالا آبا لؤلؤة على قتل عمر فأن الله أعلم .

وقد كان عمر قد أمر بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده ، فلما ولى عثمان وجلس للناس كان أول ما نحومك إليه فى شأن عبيد الله ، فقال على : مامن العدل تركه ، وأمر بقتله ، وقال بعض المهاجرين : أيقتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم ؟ فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين قد برأك الله من ذلك ،

قضية لم تكن في أيامك فدعها عنك ، فودى عثمان رضى الله عنه أولئك القتل من ماله ، لأن أمرهم إليه ، إذ لا وارث لهم إلا بيت المال ، والامام يرى الأصلح في ذلك ، وخلي سبيل عبيد الله . قالوا فكان زياد بن لبيد البياضى إذا رأى عبيد الله بن عمر يقول :

ألا يا عبيد الله مالكُ مهرب * ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفرُ
أصبتَ دماً والله في غيرِ حله * حراماً وقتلُ الهرمزان له خطرُ
على غيرِ شئٍ غيرِ أن قالَ قاتلُ * أنتهمونُ الهرمزانَ على عمرُ
قالَ سفيهٌ والحوادثُ جمةٌ * نعم أنتهمُ قد أشارَ وقد أمرُ
وكانَ سلاحُ العبدِ في جوفِ يثتر * يقلبها والأمرُ بالأمرِ يعتبرُ

قال : فشكا عبيد الله بن عمر زياداً إلى عثمان فاستدعى عثمان زياد بن لبيد فأنشأ زياد يقول في عثمان :

أبا عمرو عبيد الله رهن * فلا تشكك بقتلِ الهرمزان
[فأنك إن غفرتَ الجرمَ عنه * وأسبابُ الخطأ فرسارهان] ^(١)
أتمفوا إذ عفوتَ بغيرِ حقٍ * فمالك بالذى يخلى يلمان

قال فنهأ عثمان عن ذلك وزبره فسكت زياد بن لبيد عما يقول . ثم كتب عثمان بن عفان إلى عماله على الأمصار أمراء الحرب ، والأئمة على الصلوات ، والأمناء على بيوت المال يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على طاعة الله وطاعة رسوله ، ويحرضهم على الاتباع وترك الابتداع ، قال ابن جرير : وفي هذه السنة عزل عثمان المغيرة بن شعبه عن الكوفة وولى عليها سعد بن أبي وقاص فكان أول عامل ولاء ، لأن عمر قال : فإن أصابت الأمرة سعداً فذاك ، وإلا فليستن به أيكم ولى ، فاني لم أعزله عن عجز ولا خيانة . فاستعمل سعداً عليها سنة وبعض أخرى ، ثم رواه ابن جرير من طريق سيف عن محالد عن الشعبي . وقال الواقدي فيما ذكره عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر أوصى أن تفر عماله سنة ، فلما ولى عثمان أقر المغيرة بن شعبه على الكوفة سنة [ثم عزله ، واستعمل سعداً ثم عزله وولى الوليد بن عقبة بن أبي ميط . قال ابن جرير : فعلى ما ذكره الواقدي تكون ولاية سعد على الكوفة سنة] ^(٢) خمس وعشرين . قال ابن جرير : وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وعشرين - غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية حين منع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الاسلام في أيام عمر بن الخطاب ، وهذا في رواية أبي مخنف ، وأما في رواية غيره فان ذلك كان في سنة ست وعشرين ، ثم ذكر ابن جرير : ههنا هذه الوقعة ولم يخصها أن الوليد بن عقبة سار بجيش

(١) زيادة من الطبري . وقوله : يخلى في المصرية وابن جرير وفي الحلبية يحكى

(٢) زيادة من المصرية .

الكوفة نحو أذربيجان وأرمينية ، حين نقضوا العهد فوطى بلادهم وأغار بأواضى تلك الناحية فغنم وسبي وأخذ أموالاً جزيلة فلما أيقنوا بالملك صالحهم أهلها على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان ثمانمائة ألف درهم في كل سنة فقبض منهم جزية سنة ثم رجع سالماً غانماً الى الكوفة ، فمر بالموصل . وجاءه كتاب عثمان وهو يأمره أن يمد أهل الشام على حرب أهل الروم . قال ابن جرير : وفي هذه السنة جاشت الروم حتى خاف أهل الشام وبعثوا إلى عثمان رضى الله عنه يستمدونه فكتب إلى الوليد بن عقبة : أن إذا جاءك كتابي هذا فابعث رجلاً أميناً كريماً شجاعاً في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام . فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيباً حين وصل إليه كتاب عثمان فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين وندب الناس وحثهم على الجهاد ومعاونة معاوية وأهل الشام ، وأمر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام فانتدب في ثلاثة أيام ثمانية آلاف فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين حبيب بن مسلم الفهرى ، فلما اجتمع الجيشان شنوا الغارات على بلاد الروم فغنموا وسبوا شيئاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة والله الحمد .

وزعم الواقدي أن الذي أمد أهل الشام بسلمان بن ربيعة إنما هو سعيد بن العاص عن كتاب عثمان رضى الله عنه فبعث سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة بستة آلاف فارس حتى انتهى إلى حبيب بن مسلمة وقد أقبل إليه الموريان الرومي في ثمانين ألفاً من الروم والترك ، وكان حبيب بن مسلمة شجاعاً شهماً فعزم على أن يبيت جيش الروم فسمعت امرأته يقول للأمرأه ذلك فقالت له : فأين موعدي مملك - تعني أين أجمع بك غداً - فقال لها : موعديك سراق الموريان أو الجنة ، ثم نهض إليهم في ذلك الليل بمن معه من المسلمين فقتل من أشرف له وسبقته امرأته إلى سراق الموريان فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سراق وقد مات عنها حبيب بن مسلمة بعد ذلك ، فحلف عليها بعده الضحاك بن قيس الفهرى ، فهي أم ولده . قال ابن جرير : واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة فقال الواقدي وأبو معشر : حج بهم عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان . وقال آخرون : حج بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه . والأول هو الأشهر فان عثمان لم يتمكن من الحج في هذه السنة لأجل رعايف أصابه مع الناس في هذه السنة حتى خشى عليه وكان يقال لهذه السنة سنة الرعايف ، وفيها افتتح أبو موسى الأشعري إلى بعد ما نقضوا العهد الذي كان اتفقهم عليه حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، وفيها توفي سراق بن مالك بن جشم المدلجي ويكنى بأبي سفيان ، كان ينزل قديداً وهو الذي اتبع رسول الله (ص) وأبا بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط الديلي حين خرجوا من غار ثور قاصدين المدينة فأراد أن يردم على أهل مكة لما جعلوا في كل واحد من النبي (ص) وأبي بكر مائة مائة من الابل ، فطمع أن يفوز بهذا الجمل فلم يسلطه الله عليهم ، بل

لما اقترب منهم وسمع قراءة رسول الله (ص)، ساخت قوائم فرسه في الأرض حتى ناداهم بالأمان ، فأعطوه الأمان ، وكتب له أبو بكر كتاب أمان عن إذن رسول الله (ص)، [ثم قدم به بعد غزوة الطائف فأسلم وأكرمه النبي (ص)] ^(١) . وهو القائل : يا رسول الله أعمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال له : « بل لأبد الأبد . دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

وفيها نقض أهل الاسكندرية العهد ، وذلك أن ملك الروم بعث إليهم معويل الخصى في مراكب من البحر فطمعوا في النصره ونقضوا ذمتهم ، فغزاهم عمرو بن العاص في ربيع الأول ، فافتتح الأرض عنوة وافتتح المدينة صلحاً . وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه . وفيها في قول سيف عزل عثمان سعداً عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط مكانه ، فكان هذا مما نقم على عثمان . وفيها وجه عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح لغزو بلاد المغرب ، واستأذنه ابن أبي سرح في غزو إفريقية فأذن له ويقال فيها أيضاً عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وقيل بل كان هذا في سنة سبع وعشرين كما سيأتي والله أعلم . وفيها فتح معاوية الحصون ، وفيها ولد ابنه يزيد بن معاوية .

ثم دخلت سنة ست وعشرين

قال الواقدي : فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم . وفيها وسع المسجد الحرام . وفيها عزل سعداً عن الكوفة وولاهها الوليد بن عقبة ، وكان سبب عزل سعد أنه اقترض من ابن مسعود مالا من بيت المال ، فلما تقاضاه به ابن مسعود ولم يتيسر قضاؤه تقاولا ، وجرت بينهما خصومة شديدة ، فغضب عليهما عثمان فعزل سعداً واستعمل الوليد بن عقبة - وكان عاملاً لعمر على عرب الجزيرة - فلما قدمها أقبل عليه أهلها فأقام بها خمس سنين وليس على داره باب ، وكان فيه رفق برعيته . قال الواقدي : وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقال غيره : وفيها افتتح عثمان بن أبي العاص سابور صلحاً على ثلاثة آلاف وثلاثمائة ألف .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين

قال الواقدي وأبو معشر : وفيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وكان أخا عثمان لأمه - وهو الذي شفع له يوم الفتح حين كان أهدر رسول الله (ص) دمه .

غزوة إفريقية

أمر عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح أن يغزو بلاد إفريقية فإذا افتتحها الله عليه فله خمس

الخمس من الغنيمة ففلا . فسار إليها في عشرة آلاف فافتتحها سهلاً وجبلاً ، وقتل خلقاً كثيراً من أهلها ، ثم اجتمعوا على الطاعة والاسلام ، وحسن إسلامهم ، وأخذ عبد الله بن سعد خمس الخمس من الغنيمة وبعث بأربعة أخماسه إلى عمان ، وقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الجيش ، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار . قال الواقدي : وصالح بطريقها على ألفي ألف دينار وعشرين ألف دينار ، فأطلقها كلها عمان في يوم واحد لآل الحكم ويقال لآل مروان .

غزوة الأندلس

لما افتتحت إفريقية بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول : إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحت الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان والسلام ، قال فساروا إليها فافتتحوها والله الحمد والمنة .

وقعة جرجير والبربر مع المسلمين

لما قصد المسلمون وهم عشرون ألفاً إفريقية ، وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وفي جيشه عبد الله بن عمر . وعبد الله بن الزبير ، صمد إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومائة ألف ، وقيل في مائتي ألف ، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة ، فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه ، قال عبد الله بن الزبير : فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على بردون ، وجارياتان تظللانه بريش الطولويس ، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك ، فجهز معي جماعة من الشجعان ، قال فأمر بهم فحموا ظهري وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه . وهم يظنون أنني في رسالة إلى الملك . فلما اقتربت منه أحس مني الشرف ففر على بردونه ، فلحقته فطعنته برمحى ، وذفت عليه بسيفي ، وأخذت رأسه فصبته على رأس الرمح وكبرت ، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا ، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم حمة وأموالاً كثيرة ، وسيباً عظيماً ، وذلك ببلد يقال له سبيلطة - على يمين من القيروان - فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وعن أبيه وأصحابهما أجمعين .

قال الواقدي : وفي هذه السنة افتتحت اصطخر ثانية على يد عثمان بن أبي العاص ، وفيها غزا معاوية قنسرين ، وفيها حج بالناس عثمان بن عفان . قال ابن جرير قال بعضهم وفي هذه السنة غزا معاوية قبرص ، وقال الواقدي : كان ذلك في سنة ثمان وعشرين . وقال أبو معشر : غزاها معاوية سنة ثلاث وثلاثين فله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين فتح قبرص

ففيها ذكر ابن جرير فتح قبرص تبعاً للواقدي ، وهي جزيرة غربي بلاد الشام في البحر ، مغلصة وحدها ، ولها ذنب مستطيل إلى نحو الساحل فما يلي دمشق ، وغربها أعرضها ، وفيها فواكه كثيرة ، ومعادن ، وهي بلد جيد ، وكان فتحها على يدي معاوية بن أبي سفيان ، ركب إليها في جيش كثيف من المسلمين ومعه عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان التي تقدم حديثها في ذلك حين نام رسول الله (ص) في بيتها ثم استيقظ يضحك فقالت : ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : « ناس من أمي عرضوا على يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة » . فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : « أنت منهم » ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقل مثل ذلك فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : « أنت من الأولين » فكانت في هذه الغزوة وماتت بها وكانت الثانية عبارة عن غزوة قسطنطينية بعد هذا كما سنذكره . والقصود أن معاوية ركب البحر في مراكب قصصد الجزيرة المعروفة بقبرص ومعه جيش عظيم من المسلمين ، وذلك بأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه له في ذلك بعد سؤاله إياه ، وقد كان سأل في ذلك عمر بن الخطاب فأبى أن يملكه من حمل المسلمين على هذا الخلق العظيم الذي لو اضطرب لهلكوا عن آخرهم ، فلما كان عثمان ليح معاوية عليه في ذلك فأذن له فركب في المراكب فأنهى إليها ، ووافاه عبد الله بن سعد بن أبي سرح إليها من الجانب الآخر ، فالتقيا على أهلها فقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا سبائاً كثيرة ، وغنموا مالا جزيلاً جيداً ، ولما جرى بالأسارى جمل أبو الدرداء يبكي ، فقال له جبير بن نفير : أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ؟ فقال : ويحك إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك ، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى ، ساط الله عليهم السبي ، وإذا سلط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة ، وقال ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره ؟ ! ثم صالحهم معاوية على سبعة آلاف دينار في كل سنة ، وهادنهم ، فلما أرادوا الخروج منها قدمت لأم حرام بغلة لتركبها فسقطت عنها فاندقت عنقها فماتت هناك فقبرها هنالك يعظمونه ويستسقون به ويقولون قبر المرأة الصالحة .

قال الواقدي : وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم . وتزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة الكلبية . وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها . وفيها بنى عثمان داره بالمدينة الزوراء . وفيها حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ففيها عزل عثمان بن عفان أبا موسى الأشعري عن البصرة ، بعد عمله ست سنين وقيل ثلاث ،

وامر عليها عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، وجمع له بين جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص وله من العمر خمس وعشرون سنة ، فأقام بها ست سنين . وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارس في قول الواقدي وأبي معشر . زعم سيف أنه كان قبل هذه السنة فآله أعلم .

وفيهما وسع عثمان بن عفان مسجد النبي (ص) ، وبناه بالقبة - وهي الكلاس - كان يؤتى به من بطن نخل والحجارة المنقوشة ، وجعل عمده حجارة مرصعة ، وسقفه بالساج ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائة ذراع ، وجعل أبوابه ستة ، على ما كانت عليه في زمان عمر بن الخطاب ، ابتداء بناه في ربيع الأول منها .

وفيهما حج بالناس عثمان بن عفان ، وضرب له بمنى فسطاطاً فكان أول فسطاط ضربه عثمان بمنى ، وأتم الصلاة عامه هذا ، فأنكر ذلك عليه غير واحد من الصحابة ، كعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود ، حتى قال ابن مسعود ليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان ، وقد ناظره عبد الرحمن بن عوف فيما فعله ، فروى ابن جرير أنه قال : تأهلت بمكة ، فقال له : ولك أهل بالمدينة وإنك تقوم حيث أهلك بالمدينة . قال : وإن لي مالا بالطائف أريد أن أطلعه بعد الصدر ، قال : إن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ، فقال : وإن طائفة من أهل اليمن قالوا : إن الصلاة بالخضر ركعتان فربما رأوني أصلي ركعتين فيحتجون بي ، فقال له : قد كان رسول الله (ص) ينزل عليه الوحي والناس يومئذ الاسلام فيهم قليل ، وكان يصلي ههنا ركعتين ، وكان أبو بكر يصلي ههنا ركعتين ، وكذلك عمر بن الخطاب ، وصليت أنت ركعتين صدرًا من إمارتك ، قال فسكت عثمان ثم قال : إنما هو رأي رأيته .

سنة ثلاثين من الهجرة النبوية

ففيها افتتح سعيد بن العاص طبرستان في قول الواقدي وأبي معشر والمدائني ، وقال : هو أول من غزاها . وزعم سيف أنهم كانوا صالحوا سويد بن مقرن قبل ذلك على أن لا يغزوها ، على مال بنه له أصهنا فآله أعلم . فذكر المدائني أن سعيد بن العاص ركب في جيش فيه الحسن والحسين ، والعبادة الأربعة ، وحذيفة بن اليمان ، في خلق من الصحابة فسار بهم فمر على بلدان شتى يصلحونه على أموال جزيلة ، حتى انتهى إلى بلد معاملة جرجان ، فقاتلوه حتى احتاجوا إلى صلاة الخوف ، فسأل حذيفة : كيف صلى رسول الله (ص) ؟ فأخبره فصلى كما أخبره ، ثم سأله أهل ذلك الحصن الأمان ، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ففتحوا الحصن قتلهم إلا رجلاً واحداً ، وحوى ما كان في الحصن ، فأصاب رجل من بني نهد سقلاً مقفولاً فاستدعى به سعيد ؟ ففتحوه فإذا

فيه خرقة سوداء مدرجة فنشروها ، فإذا فيها خرقة حمراء فنشروها ، وإذا داخلها حرف صفراء ، وفيها إيران كميت وورد . فقال شاعرهم جو بهما بنى نهدي .

آب الكرام بالسبايا غنيمة * وفاز بنو نهدي بابر بن في سطر
كميت وورد وافر بن كلاهما * فظنوهما غنماً فناهيك من غلط

قالوا : ثم نقض أهل جرجان ما كان صالحهم عليه سعيد بن العاص ، وامتنعوا عن أداء المال الذي ضربه عليهم . وكان مائة ألف دينار وقيل مائتي ألف دينار وقيل ثلثمائة ألف دينار . ثم وجه إليهم يزيد بن المهلب بعد ذلك كما سئذ ذكره إن شاء الله تعالى .

وفي هذه السنة عزل عثمان بن عفان الوليد بن عقبة عن الكوفة ، وولى عليها سعيد بن العاص وكان سبب عزله أنه صلى بأهل الكوفة الصبح أرباعاً ثم التفت فقال أريدكم ؟ فقال قائل : ما زلنا منك منذ اليوم في زيارة . ثم إنه تصدى له جماعة يقال كان بينهم وبينه شئان ، فشكوه إلى عثمان ، وشهد بعضهم عليه أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقايها ، فأمر عثمان باحضاره وأمر بجلده ، فيقال إن علياً نزع عنه حلته ، وأن سعيد بن العاص جلده بين يدي عثمان بن عفان ، وعزله وأمر مكانه على الكوفة سعيد بن العاص .

وفي هذه السنة سقط خاتم النبي (ص) ، من يد عثمان في بئر أريس ، وهي على ميلين من المدينة ، وهي من أقل الآبار ماء ، فلم يدرك خبره بعد بئيل مال جزيل ، والاجتهاد في طلبه ، حتى الساعة ، فاستخلف عثمان بعده خاتماً من فضة ، ونقش عليه محمد رسول الله ، فلما قتل عثمان ذهب الخاتم فلم يدرك من أخذه . وقد روى ابن جرير هاهنا حديثاً طويلاً في اتخاذ النبي (ص) خاتماً من ذهب ، ثم من فضة ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى كسرى ، ثم دحية إلى قيصر ، وأن الخاتم الذي كان في يد النبي (ص) ، ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان ست سنين ، ثم إنه وقع في بئر أريس ، وقد تقدم بعض هذا في الصحيح . وفي هذه السنة وقع بين معاوية وأبي ذر بالشام ، وذلك أن أبا ذر أنكر على معاوية بعض الأمور ، وكان ينكر على من يقتنى مالا من الأغنياء ويمنع أن يدخر فوق القوت ، ويوجب أن يتصدق بالفضل ، ويتأول قول الله سبحانه وتعالى [والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب آليم] فينهاه معاوية عن إشاعة ذلك فلا يمتنع ، فبعث يشكوه إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى أبي ذر أن يقدم عليه المدينة ، فقدمها فلامه عثمان على بعض ما صدر منه ، واسترجعه فلم يرجع فأمره بالمقام بالربذة . وهي شرق المدينة . ويقال إنه سأل عثمان أن يقيم بها وقال : إن رسول الله (ص) ، قال لي « إذا بلغ البناء سلماً فأخرج منها » وقد بلغ لبناء سلماً ، فأذن له عثمان بالمقام بالربذة وأمره أن يتعاهد المدينة في بعض الأحيان ، حتى لا يرتد

أعرايياً بعد هجرته ، ففعل فلم يزل مقيماً بها حتى مات على ما سنده رضى الله عنه .
وفى هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء .

قُضِيَ

ومن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي أنه توفى في هذه السنة - أعني سنة ثلاثين - . أبي بن كعب فيما صححه الواقدي .

جبار بن صخر

ابن أمية بن خنساء ، أبو عبد الرحمن الأنصارى ، عقي بدرى ، وقد بعثه رسول الله (ص) إلى خير خارصاً ، وقد توفى عن ستين سنة .

حاطب بن بلتعة

ابن عمرو بن عمير اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى ، شهد بدرأً وما بعدها ، وهو الذى كان كتب إلى المشركين يعلمهم بعزم رسول الله (ص) ، [على فتح مكة ، فعذره رسول الله (ص)] (١) بما اعتذر به ، ثم بعثه بعد ذلك برسالة إلى المقوقس ملك الاسكندرية .

الطفيل بن الحارث

ابن المطلب أخو عبيدة ، وحصين ، شهد بدرأً . قال سعيد بن عمير : توفى في هذه السنة .

عبد الله بن كعب

ابن عمرو المازنى أبو الحارث ، وقيل أبو يحيى الأنصارى ، شهد بدرأً وكان على الخنس يومئذ .

عبد الله بن مظعون

أخو عثمان بن مظعون هاجر إلى الحبشة وشهد بدرأً .

عياض بن زهير

ابن أبي شداد بن ربيعة بن هلال أبو سعيد القرشى الفهرى ، شهد بدرأً وما بعدها .

مسعود بن ربيعة

وقيل ابن الربيع ، أبو عمرو القارنى [شهد بدرأً وما بعدها . توفى عن نيف وستين سنة .

معمر بن أبي سرح

ابن ربيعة بن هلال القرشى أبو سعد الفهرى (٢) ، وقيل اسمه عمرو ، بدرى قديم الصحبة .

أبو أسيد

مالك بن ربيعة قال الفلاس : مات في هذه السنة ، والأصح أنه مات سنة أربعين ، وقيل سنة ستين فإله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ففيها كانت غزوة الصواري ، وغزوة الأساودة في البحر فيما ذكره الواقدي وقال أبو معشر : كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين . وملخص ذلك فيما ذكره الواقدي وسيف وغيرهما أن الشام كان قد جمعها لمعاوية بن أبي سفيان لسنتين مضتا من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد أحرزه غاية الحفظ وحمي حوزته ، ومع هذا له في كل سنة غزوة في بلاد الروم في زمن الصيف ، ولهذا يسمون هذه الغزوة الصائفة - فيقتلون خلقاً ، ويأسرون آخرين ، ويفتحون حصونا ويغنمون أموالاً ويرعبون الأعداء ، فلما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح من أصاب من الفرنج والبربر ، ببلاد إفريقية والأندلس ، حيت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل ، وساروا إلى المسلمين في جمع لم ير مثله منذ كان الاسلام ، خرجوا في خمسمائة مركب ، وقصدوا عبد الله بن أبي سرح في أصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب ، فلما تراءى الجمعان بات الروم يقسقسون ويصلبون ، وبات المسلمون يقرؤون ويصلون ، فلما أصبحوا صف عبد الله بن سعد أصحابه صفوفاً في المراكب ، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن ، قال بعض من حضر ذاك : فأقبلوا إلينا في أمر لم ير مثله من كثرة المراكب ، وعقدوا صواريخها ، وكانت الريح لهم وعلينا ، فأرسينا ثم سكنت الريح عنا ، فقلنا لهم : إن شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى البرقات إلا عجل منا ومنكم ، قال فنخروا نخرة رجل واحد وقالوا : الماء الماء ، قال فدونوا منهم وربطنا سفننا بسفنتهم ، ثم اجتلدنا وإياهم بالسيوف ، يثب الرجال على الرجال بالسيوف وانخناجر ، وضربت الأمواج في عيون تلك السفن حتى ألجأتها إلى الساحل وألقت الأمواج جثث الرجال إلى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم ، وغلب الدم على لون الماء ، وصبر المسلمون يومئذ صبراً لم يعهد مثله قط ، وقتل منهم بشر كثير ، ومن الروم أضعاف ذلك ، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهرب قسطنطين وجيشه - وقد قلوا جداً - وبه جراحات شديدة مكينة مكث حيناً يداوى منها بعد ذلك ، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياماً ، ثم رجع مؤيداً منصوراً مظفراً . قال الواقدي : فحدثني معمر عن الزهري قال : كان في هذه الغزوة محمد بن أبي حذيفة ، وعبد بن أبي بكر ، فأظهرا عيب عثمان وما غير وما خالف أبا بكر وعمر ، ويقولان دمه حلال لأنه استعمل عبد الله ابن سعد - وكان قد ارتد وكفر بالقرآن العظيم وأباح رسول الله (ص) دمه ، وأخرج رسول الله (ص) أقواماً واستعملهم عثمان ، ونزع أصحاب رسول الله (ص) ، واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن

عامر ، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال : لا تركبا معنا ، فركبا في مركب مافيه أحد من المسلمين ، ولقوا العدو فكانا أنكل المسلمين قتالا ، قليل لهما في ذلك قتالا : كيف تقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكمه ؟ فأرسل إليهما عبد الله بن سعد فتهاهما أشد النهي وقال : والله لولا لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما . قال الواقدي وفي هذه السنة فتحت أرمينية على يد حبيب بن مسلمة . وفي هذه السنة قتل كسرى ملك الفرس .

كيفية قتل كسرى ملك الفرس وهو يزدرجرد

قال ابن إسحاق : هرب يزدرجرد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو ، فسأل من بعض أهلها مالا فمنعوه وخافوه على أنفسهم ، فبعثوا إلى الترك يستغزونهم عليه ، فأتوه فقتلوا أصحابه وهرب هو حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحية على شط ، فأوى إليه ليلا ، فلما نام قتله . وقال المدائني : لما هرب بعد قتل أصحابه انطلق ماشياً عليه تاجه ومنطقته وسيفه ، فأتته إلى منزل هذا الرجل الذي ينقر الأرحية فجلس عنده فاستغفله وقتله وأخذما كان عليه ، وجاءت الترك في طلبه فوجدوه قد قتله وأخذوا حاصله ، فقتلوا ذلك الرجل وأهل بيته وأخذوا ما كان مع كسرى ، ووضعوا كسرى في تابوت وحملوه إلى اصطخر ، وقد كان يزدرجرد وطى امرأة من أهل مرو قبل أن يقتل فحملت منه ووضعت بعد قتله غلاماً ذاهب الشق وسمى ذلك الغلام الخدج ، وكان له نسل وعقب في خراسان ، وقد سبى قتيبة بن مسلم في بعض غزواته بتلك البلاد جارين من نسله ، فبعث باحداهما إلى الحجاج ، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك فولدت له ابنة يزيد بن الوليد الملقب بالناقص . وقال المدائني في رواية عن بعض شيوخه : إن يزدرجرد لما انهزم عنه أصحابه عقر جواده وذهب ماشياً حتى دخل رحي على شط نهر يقال له المربع فكث فيه ليلتين والعدو في طلبه فلم يدر أين هو ، ثم جاء صاحب الرحي فرأى كسرى وعليه أبته ، فقال له : ما أنت ؟ إنسى أم جنى ؟ قال : إنسى ، فهل عندك طعام ؟ قال : نعم ! فأتاه بطعام فقال : إني مزرم فأتني بما أزمزم به ، قال : فذهب الطحان إلى أسوار من الأساور فطلب منه ما يزمزم به ، قال : وما تصنع به ؟ قال : عندي رجل لم أر مثله قط وقد طلب مني هذا ، فذهب به الأسوار إلى ملك البلد - مرو واسمه ماهويه بن باباه - فاخبره خبره ، فقال هو يزدرجرد ، اذهبوا فجيئوني برأسه ، فذهبوا مع الطحان [فلما دنوا من دار الرحي هابوا أن يقتلوه وتدافعوا وقاتلوا للطحان] (١) ادخل أنت فاقته ، فدخل فوجده نائماً فأخذ حجراً فشدخ به رأسه ثم احتزاه فدفعه إليهم وألقى جسده في النهر ، فخرجت العامة إلى الطحان فقتلوه ، وخرج أسقف فأخذ جسده من النهر وجعله في تابوت وحمله إلى اصطخر فوضعه في ناووس ، وروى أنه مكث في منزل ذلك الطحان ثلاثة أيام لا يأكل

حتى رق له وقال له : ويحك يامسكين ألا تأكل ؟ وأناة بطعام فقال : إني لا أستطيع أن آكل إلا بزمزمة ، فقال له : كل وأنا أزمزم لك ، فسأل أن يأتيه بزمزم ، فلما ذهب يطلب له من بعض الأساورة شمو رائحة المسك من ذلك الرجل ، فأنكروا رائحة المسك منه فسألوه فأخبرهم فقال : إن عندي رجلا من صفته كيت وكيت ، فعرفوه وقصدوه مع الطحان وتقدم الطحان ندخل عليه وهم بالقبض عليه فعرف يزجرد ذلك فقال له : ويحك خذ خاتمي سوارى ومنطقتي ودعني أذهب من ههنا ، فقال لا ، اعطاني أربعة دراهم وأنا أملكك ، فزاده إحدى قوته من أذنه فلم يقبل حتى يعطيه أربعة دراهم أخرى ، فهم في ذلك إذ دهمهم الجند فلما أحاطوا به ، أرادوا قتله قال : ويحكم لا تقتلوني فانا نجد في كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحرى ، في الدنيا مع ما هو قادم عليه ، فلا تقتلوني واذهبوا بي إلى الملك أو إلى العرب ، فانهم يستحيون من قتل الملوك ، فأبوا عليه ذلك فسلبوه ما كان عليه من الحلى فجعلوه في جراب وخنقوه بوتر وألقوه في النهر فتعلق بعود فأخذته أسقف - واسمه إيليا - فحن عليه مما كان من أسلافه من الاحسان إلى النصارى الذين كانوا يبلادهم ، فوضعه في تابوت ودفنه في ناووس ، ثم حمل ما كان عليه من الحلى إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ففقد قرط من حليه فبعث إلى دهقان تلك البلاد فأغرمه ذلك . وكان ملك يزجرد عشرين سنة ، منها أربع سنين في دعة ، وبقى ذلك هارباً من بلد إلى بلد ، خوفاً من الاسلام وأهله ، وهو آخر ملوك الفرس في الدنيا على الاطلاق ، لقول رسول الله (ص) : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسى بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله » رواه البخارى . وثبت في الحديث الصحيح أنه لما جاء كتاب النبي (ص) ، مزقه ، فدعا عليه النبي (ص) ، أن يمزق كل ممزق ، فوقع الأمر كذلك ، وفي هذه السنة فتح ابن عامر فتوحات كثيرة كان قد نقض أهلها ما كان لهم من الصلح ، فن ذلك ما فتح عنوة ، ومن ذلك ما فتح صلحاً ، فكان في جملة ما صالح عليه بعض المدائن وهى مرو على ألنى ألف ومائتى ألف ، وقيل على ستة آلاف ألف ومائتى ألف . وفي هذه السنة حج بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين

وفيها غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ المضيق - مضيق القسطنطينية - ومعه زوجته عاتكة ، ويقال فاطمة بنت قرطمة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . قاله أبو معشر والواقدي : وفيها استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على جيش وأمره أن يغزو الباب ، وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة فائب تلك الناحية بمساعدته ، فسار حتى بلغ بلنجر فحصرها ونصبت عليها المجانيق والمرادات . ثم إن أهل بلنجر خرجوا إليهم وعاونهم الترك فاقتلوا قتلاً شديداً - وكانت الترك تهاب

قتال المسلمين ، و يظنون أنهم لا يموتون - حتى اجترأوا عليهم بعد ذلك ، فلما كان هذا اليوم التقوا معهم فاقتتلوا ، فقتل يومئذ عبد الرحمن بن ربيعة - وكان يقال له ذو النون - وانهزم المسلمون فافترقوا فرقتين ، فرقة ذهبت إلى بلاد الخزر . وفرقة سلكوا ناحية جيلان وجرجان ، وفي هؤلاء أبو هريرة وسلمان الفارسي . وأخذت الترك جسد عبد الرحمن بن ربيعة - وكان من سادات المسلمين وشجعانهم - فدفنوه في بلادهم فهم يستسقون عنده إلى اليوم ، ولما قتل عبد الرحمن بن ربيعة استعمل سعيد بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة ، وأمدم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة ، فتنازع حبيب وسلمان في الأمرة حتى اختلفا ، فكان أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة وأهل الشام ، حتى قال في ذلك رجل من أهل الكوفة وهو أوس :

فان تضربوا سلمانَ نضربَ حبيبكم * وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل
وإن تقسطوا فالتغرُ ثغرُ أميرنا * وهذا أمير في الكنائب مقبل
ونحنُ ولادة الثغرِ كنا حماه * ليالى نرمى كلُّ ثغرٍ وتكمل

وفيها فتح ابن عامر مرو الروذ والطارقان والفارياب والجوزجان وطخارستان . فلما مرو الروذ فبعث إليهم أبو عامر الأحنف بن قيس فحصرها فخرجوا إليه فقاتلهم حتى كسرهم فاضطرم إلى حصنهم ، ثم صالحوه على مال جزيل وعلى أن يضرب على أراضي الرعية الخراج ، ويدع الأرض التي كان اقطعها كسرى لوالد المرزبان ، صاحب مرو ، حين قتل الحية التي كانت تقطع الطريق على الناس وتأكلهم ، فصالحهم الأحنف على ذلك ، وكتب لهم كتاب صلح بذلك ، ثم بعث الأحنف الأقرع بن حابس إلى الجوزجان ففتحها بعد قتال وقع بينهم ، قتل فيه خلق من شجعان المسلمين ، ثم نصروا فقال في ذلك أبو كثير النهشلي قصيدة طويلة فيها :

سقى منن السحاب إذا استهلث * مصارعُ فنيةٍ بالجوزجان
إلى القصرين من رستاق حوطٍ * أبادهمُ هناكُ الأقرعان

ثم سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصره حتى صالحوه على أربعمئة ألف ، واستتاب ابن عمه أسيد بن الشمس على قبض المال ، ثم ارتحل يريد الجهاد ، وداهمه الشتاء فقال لا صحابه : ما تشاءون ؟ فقالوا : قد قال عمرو بن معد يكرب :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ

فأمر الأحنف بالرحيل إلى بلخ فأقام بها مدة الشتاء ، ثم عاد إلى عامر فقيل لابن عامر ما فتح على أحد ما فتح عليك ، فارس وكرمان وسجستان و عامر خراسان ، فقال : لا جرم ، لأجملان شكرى لله على ذلك أن أحرم بعمره من موقفي هذا مشمراً فأحرم بعمره من نيسابور ، فلما قدم على

عثمان لأمه على إحرامه من خراسان . وفيها أقبل قارن في أربعين ألفاً فالتقاء عبد الله بن حازم في أربعة آلاف ، وجعل لهم مقدمة ستمائة رجل ، وأمر كلا منهم أن يحمل على رأس رحله ناراً ، وأقبلوا إليهم في وسط الليل فيبتهم فثاروا إليهم فناوشتهم المقدمة فاشتغلوا بهم ، وأقبل عبد الله بن حازم بمن معه من المسلمين فاتفقواهم وإياهم ، فولى المشركون مدبرين ، واتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤوا كيف شاؤوا . وغنموا سبياً كثيراً وأموالاً جزيلاً ، ثم بعث عبد الله بن حازم [بالفتح إلى ابن عاصم ، فرضى عنه وأقره على خراسان - وكان قد عزله عنها - فاستمر بها عبد الله بن حازم] ^(١) إلى ما بعد ذلك

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

العباس بن عبد المطلب

ابن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الفضل المكي عم رسول الله (ص) ، ووالد الخلفاء العباسيين ، وكان أسن من رسول الله (ص) بسنتين أو ثلاث ، أسري يوم بدر فافتدى نفسه بمال ، وافتدى ابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث . وقد ذكرنا أنه لما أسر وشد في الوثاق وأمسى الناس ، أرق رسول (ص) ، فقيل يارسول الله مالك ؟ فقال « إني أسمع أنين العباس في وثاقه فلا أنام » فقام رجل من المسلمين فخل من وثاق العباس حتى سكن أنينه فنام رسول الله (ص) ، ثم أسلم عام الفتح ، وتلقى رسول الله (ص) إلى الجحفة فرجع معه ، وشهد الفتح ، ويقال إنه أسلم قبل ذلك ولكنه أقام بمكة بأذن النبي (ص) له في ذلك ، كما ورد به الحديث فأنه أعلم . وقد كان رسول الله (ص) يحبه ويعظمه وينزله منزلة الوالد من الولد ، ويقول « هذا بقية آبائي » وكان من أوصل الناس لقريش وأشفقهم عليهم ، وكان ذا رأي وعقل تام واف ، وكان طويلاً جميلاً أبيض بضاً ذا طفرتين وكان له من الولد عشرة ذكور سوى الإناث ، وهم تمام - وكان أصغرهم - والحارث ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعون ، والفضل ، وقثم ، وكثير ، ومعبد . وأعتق سبعين مملوكاً من غلمانه [وقال الامام أحمد : ثنا علي بن عبد الله قال حدثني محمد بن طلحة التيمي من أهل المدينة حدثني أبو سهيل نافع بن مالك عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله (ص) للعباس « هذا العباس بن عبد المطلب أجود قریش كفناً وأوصلها » تفرد به ^(٢)] وثبت في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال لعمر حين بعثه على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله (ص) ، فقال له رسول الله (ص) « ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه »

(١) سقط من الحلبية (٢) سقط من المصرية . الله وقوله تفرد به كذا في أصل الحلبية

ولعله سقط منه لفظ أحمد .

وأما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس أذراعه وأعتاده في سبيل الله ، وأما العباس فهي على ومثلها » ثم قال : « يا عمر أما شعرت أن غم الرجل صنو أبيه » ؟ وثبت في صحيح البخاري عن أنس أن عمر خرج يستسقى وخرج بالعباس معه يستسقى به ، وقال اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا ففتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، قال فيسقون ، ويقال إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا إذا مرا بالعباس وهما راكبان ترجلا إكراماً له . قال الواقدي وغير واحد : توفي العباس في يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب ، وقيل من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ، عن ثمان وثمانين سنة ، وصلى عليه عثمان بن عفان ، ودفن بالبقيع . وقيل توفي سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين ، وفضائله ومناقبه كثيرة جداً .

عبد الله بن مسعود

ابن غافل بن حبيب بن سمح بن فار بن محزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر الهذلي ، أبو عبد الرحمن حليف بني زهرة ، أسلم قديماً قبل عمر ، وكان سبب إسلامه حين مر به رسول الله (ص) ، وأبو بكر رضي الله عنه ، وهو يرعى غنماً فسألاه لبناً فقال : إني مؤتمن ، قال فأخذ رسول الله (ص) عنقه فلم ينز عليها الفحل فاعتقلها ثم حلب وشرب وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع « أقاص » فقلص ، فقلت علمني من هذا الدعاء فقال : إنك غلام معلم ، الحديث . وروى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عروة عن أبيه أن ابن مسعود كان أول من جهر بالقرآن بمكة ، بعد النبي (ص) ، عند البيت ، وقرئ في أندية قرأ سورة الرحمن علم القرآن ، فقاموا إليه فضربوه ، ولزم رسول الله (ص) ، وكان يحمل نعليه وسواكه ، وقال له إذنك على أن تسمع سوادى (١) ولهذا كان يقال له صاحب السواك والوساد ، وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدرًا ، وهو الذي قتل أبا جهل بعد ما أثبتته ابنا عفراء ، وشهد بقية المشاهد ، وقال له رسول الله (ص) : يوماً « اقرأ على » فقلت اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال « إني أحب أن أسمعه من غيري » فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله [فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هزلاء شهيداً] فبكى رسول الله (ص) وقال « حسبك » وقال أبو موسى : قدمت أنا وأخي من اليمن وما كنا نظن إلا أن ابن مسعود وأمه من أهل بيت النبي (ص) ، لكثرة دخولهم بيت النبي (ص) . وقال حذيفة ما رأيت أحداً أشبه برسول الله (ص) في هديه ودله وسمته من ابن مسعود ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد (ص) أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى ، وفي الحديث « وتمسكوا بعهد ابن أم عبد » وفي الحديث الآخر الذي رواه أحمد عن محمد بن فضيل عن مغيرة عن أم حرسى عن علي أن ابن (١) في النهاية اذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سوادى حتى أنهارك . السواد بالكسر السرار

مسعود صعد شجرة يجتنى الكبات فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه ، فقال رسول الله (ص) ،
« والذي نفسي بيده لما في الميزان أثقل من أحد » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه - وقد نظر
إلى قصره وكان يوازي بقامته الجلوس - فجعل يتبعه بصره ثم قال هو كنيّف ملىّ علماً . وقد شهد ابن
مسعود بعد النبي (ص) مواقف كثيرة ، منها اليرموك وغيرها ، وكان قدم من العراق حاجاً فمر بالربذة
فشهد وفاة أبي ذر ودفنه ، ثم قدم إلى المدينة فرض بها فجاءه عثمان بن عفان عائداً ، فيروى أنه قال
له : ما تشكى ؟ قال ذنوبي ، قال فما تشمى ؟ قال رحمة ربى ، قال ألا أمر لك بطبيب ؟ فقال : الطبيب
أمرضى ، قال ألا أمر لك بعطائك ؟ - وكان قد تركه سنتين - فقال : لا حاجة لى فيه . فقال : يكون
لبئائك من بعدك ، فقال أنتحى على بناتى الفقير ؟ إني أمرت بناتى أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ،
وإني سمعت رسول الله (ص) يقول « من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » وأوصى عبد الله بن
مسعود إلى الزبير بن العوام ، فيقال إنه هو الذى صلى عليه ليلاً ، ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك ،
وقيل بل صلى عليه عثمان ، وقيل عمار ، والله أعلم . ودفن بالبيع عن بضع وستين سنة .

عبد الرحمن بن عوف

ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو محمد القرشى الزهرى ، أسلم
قديماً على يدى أبي بكر ، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة ، وآخى رسول الله (ص) بينه وبين سعد
ابن الربيع ، وشهد بدرأ وما بعدها ، وأمره رسول الله (ص) حين بعثه إلى بنى كلب وأرخى له عذبة
بين كنفيه ، لتكون أمانة عليه للإمارة ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين
إلى الاسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، ثم أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم ، كما ذكرنا .
ثم كان هو الذى اجتهد فى تقديم عثمان رضى الله عنه ، وقد بقاؤله هو وخالد بن الوليد فى بعض
الغزوات فأغلظ له خالد فى المقال ، فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) قال « لا تسبوا أصحابي فوالذى
نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أخذ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وهو فى الصحيح . وقال
معمار عن الزهرى : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبي (ص) بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم
تصدق بأربعمائة ألفاً ثم تصدق بأربعمائة ألف دينار ، ثم حل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ، ثم حل
على خمسمائة راحلة فى سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة ، فأما الحديث الذى قال عبد بن حميد
فى مسنده ثنا يحيى بن إسحق ثنا عمارة بن زاذان عن ثابت البناتى عن أنس بن مالك أن
عبد الرحمن بن عوف لما هاجر آخى رسول الله (ص) بينه وبين عثمان بن عفان فقال له إن لى حائطين
فاختر بينهما شئت ، قال : بارك الله لك فى حائطيك ، ما لهذا أسلمت ، دلى على السوق ، قال
فدله فكان يشتري السمنة والاقطة والاهاب ، فجمع فتزوج فأتى النبي (ص) فقال « بارك الله لك

أولم ولو بشاة « قال فكثرت ماله حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر وتحمل الدقيق والطعام ، قال : فلما دخلت المدينة سمع لأهل المدينة رجة ، فقالت عائشة : ما هذه الرجة ؟ فقيل لها غير قدمت مبد الرحمن بن عوف سبعمائة تحمل البر والدقيق والطعام . فقالت عائشة : سمعت رسول الله (ص) يقول « يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حبواً » فلما بلغ عبد الرحمن ذلك قال : أشهدك يا أمه أنها بأحمالها وأحلاسها وأقنابها في سبيل الله . وقال الامام أحمد : ثنا عبد الصمد بن حسان ثنا عماره - هو ابن زاذان - عن ثابت عن أنس قال : بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً في المدينة قالت : ما هذا ؟ قالوا غير لمبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شئ - قال وكانت سبعمائة بعير - قال فارتجت المدينة من الصوت ، فقالت عائشة سمعت رسول الله (ص) يقول : « قد رأيت عبد الرحمن ابن عوف يدخل الجنة حبواً » فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال : لئن استطعت لأدخلها قائماً ، فجعلها بأقنابها وأحمالها في سبيل الله . فقد تفرد به عماره بن زاذان الصيدلاني وهو ضعيف . وأما قوله في سياق عبد بن حميد : إنه آخى بينه وبين عثمان بن عفان ، فغلط محض مخالف لما في صحيح البخاري من أن الذي آخى بينه وبينه إنما هو سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنهما ، وثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) صلى وراءه الركعة الثانية من صلاة الفجر في بعض الأسفار ، وهذه منقبة عظيمة لا تبارى . ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار - وكانوا مائة - فأخذوها حتى عثمان وعلى ، وقال على : اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها ، وسبقت زيفها وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول سقاه الله من السلسبيل . وأعتق خلقاً من مماليكه ثم ترك بعد ذلك كله مالا جزيلا ، من ذلك ذهب قطع بالفوس حتى مجلت أيدي الرجال ، وترك ألف بعير ومائة فرس ، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع ، وكان نساؤه أربعمائة فصولت إحداهن من ربع الثمن بنمانين ألفاً ، ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان ، وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص ، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة . وكان أبيض مشرباً حمره حسن الوجه ، دقيق البشرة ، أعين أهدب الأشفار ، أفتى ، له حجة ، ضخم الكفين ، غليظ الأصابع ، لا يغير شبيهه رضي الله عنه .

أبو ذر الغفاري

واسمه جندب بن جنادة على المشهور ، أسلم قديماً بمكة فكان رابع أربعة أو خامس خمسة . وقصة إسلامه تقدمت قبل الهجرة ، وهو أول من حيا رسول الله (ص) ، بتحية الاسلام ، ثم رجع إلى بلاده وقومه ، فكان هناك حتى هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة فهاجر معه الخندق ثم لزم رسول الله (ص) . حضراً وسفراً ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وجاء في فضله أحاديث كثيرة ، من

أشهرها ما رواه الأعمش عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن أبي حرب بن أبي الأسود عن عبد الله ابن عمرو أن رسول الله (ص) قال «ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر» وفيه ضعف . ثم لما مات رسول الله (ص) ، ومات أبو بكر خرج إلى الشام فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية فاستقدمه عثمان إلى المدينة ، ثم نزل الربدة فأقام بها حتى مات في ذى الحجة من هذه السنة ، وليس عنده سوى امرأته وأولاده ، فبينما هم كذلك لا يقدررون على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه ، فحضروا موته ، وأوصاهم كيف يفعلون به ، وقيل قدموا بعد وفاته فولوا غسله ودفنه ، وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاة من غنمه ليأكلوه بعد الموت ، وقد أرسل عثمان بن عفان إلى أهله فضمهم مع أهله .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

فيها كان فتح قبرص في قول أبي معشر ، وخالفه الجمهور فذكروها قبل ذلك كما تقدم ، وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية ثانية ، حين نقض أهلها العهد . وفيها سير أمير المؤمنين جماعة من قراء أهل الكوفة إلى الشام ، وكان سبب ذلك أنهم تكلموا بكلام قبيح في مجلس سعيد بن عاص ، فكتب إلى عثمان في أمرهم ، فكتب إليه عثمان أن يجلبهم عن بلده إلى الشام ، وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشام أنه قد أخرج إليك قراء من أهل الكوفة فأنزلهم وأكرمهم وتألفهم . فلما قدموا أنزلهم معاوية وأكرمهم واجتمع بهم وعظّم ونصحهم فيما يعتمدونه من اتباع الجماعة وترك الأفراد والابتعاد ، فأجابه متكلمهم والمترجم عنهم بكلام فيه بشاعة وشناعة ، فاحتملهم معاوية لحمله ، وأخذ في مدح قريش - وكانوا قد نالوا منهم - وأخذ في المدح لرسول الله (ص) ، والثناء عليه ، والصلاة والتسليم . وافتخر معاوية بوالده وشرفه في قومه ، وقال فيما قال : وأظن أبا سفيان لو ولد الناس كلهم لم يلد إلا حازماً ، فقال له صمصمة بن صوحان : كذبت ، قد ولد الناس كلهم لمن هو خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البر والفاجر ، والأحقق والكيس . ثم بذل لهم النصح مرة أخرى فاذا هم ينادون في غيهم ، ويستمرون على جهالتهم وحقاقتهم ، فعند ذلك أخرجهم من بلده ونفاهم عن الشام ، لئلا يشوشوا عقول الطغام ، وذلك أنه كان يشتمل مطاوى كلامهم على القدح في قريش كونهم فرطوا وضيعوا ما يجب عليهم من القيام فيه ، من نصرة الدين وقع المفسدين . وإنما يريدون بهذا التنقيص والعيب ورجم الغيب ، وكانوا يشتمون عثمان وسعيد بن العاص ، وكانوا عشرة ، وقيل تسعة وهو الأشبه ، منهم كميل بن زياد ، والأشتر النخعي - واسمه مالك بن يزيد - وعلقمة بن قيس النخعيان ، وثابت بن قيس النخعي ، وجندب بن زهير العامري ، وجندب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعد

وعمر بن الخطاب الخزاعي^(١) . فلما خرجوا من دمشق أروا إلى الجزيرة فاجتمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان نائباً على الجزيرة - ثم ولي حمص بعد ذلك - فهدمهم وتوعدهم ، فاعتذروا إليه وأتوا إلى الاقلاع عما كانوا عليه ، فدعاهم وسير مالكا الأشر النخعي إلى عثمان بن عفان ليعتذر إليه عن أصحابه بين يديه ، فقبل ذلك منهم وكف عنهم وخيرهم أن يقيموا حيث أحبوا ، فاختاروا أن يكونوا في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فقدموا عليه حمص ، فأمرهم بالمقام بالساحل ، وأجرى عليهم الرزق . ويقال بل لما مقتهم معاوية كتب فيهم إلى عثمان فجاءه كتاب عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ، فردهم إليه ، فلما رجعوا كانوا أزلق السنة ، وأكثر شراً ، فضج منهم سعيد بن العاص إلى عثمان ، فأمره أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص ، وأن يلزموا الدروب . وفي هذه السنة سير عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام ، وإلى مصر بأسباب مسوغة لما فعله رضى الله عنه ، فكان هؤلاء ممن يؤلب عليه ويمالى الأعداء في الخط والكلام فيه ، وهم الظالمون في ذلك ، وهو البار الراشد رضى الله عنه . وفي هذه السنة حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وتقبل الله منه .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

قال أبو معشر : فيها كانت وقعة الصواري ، والصحيح في قول غيره أنها كانت قبل ذلك كما تقدم . وفي هذه السنة تكاتب المنحرفون عن طاعة عثمان وكان جمهورهم من أهل الكوفة - وهم في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص منفيون عن الكوفة ، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة ، وتآلبوا عليه ، ونالوا منه ومن عثمان ، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه ، وأغلظوا له في القول ، وطلبوا منه أن

(١) كذا في الحلبية . والذي في المصرية

كسيل بن زياد ، والأشر النخعي ، - واسمه مالك بن الحارث - وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد بن صوحان ، وكعب بن مالك الأوسي ، والأسود بن زيد بن علقمة بن قيس النخعيان ، وثابت بن قيس النخعي ، وجندب بن زهير الغامدي ، وجندب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعد ، وعمر بن الخطاب الخزاعي .

والذي في الطبري .

مالك بن الحارث الأشر ، وثابت بن قيس النخعي ، وكسيل بن زياد النخعي ، وزيد بن صوحان العبدى ، وجندب بن زهير الغامدي ، وجندب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعد ، وعمر بن الخطاب الخزاعي .

يعزل عماله ويستبدل أئمة غيرهم من السابقين ومن الصحابة ، حتى شق ذلك عليه جداً ، وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم ، فاجتمع إليه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام ، وعمر بن العاص أمير مصر ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير المغرب ، وسعيد بن العاص أمير الكوفة ، وعبد الله بن عامر أمير البصرة فاستشارهم فيما حدث من الأمر وافترق الكلمة فأشار ، فأشار عبد الله بن عامر أن يشغلهم بالغزو عمام فيه من الشر ، فلا يكون هم أحدهم إلا نفسه ، وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته فان غوغاء الناس اذا تفرغوا وبطلوا اشتغلوا بما لا يفي وتكلموا بما لا يرضي واذا تفرقوا تفكروا أنفسهم وغيرهم ، وأشار سعيد بن العاص بأن يستأصل شأفة المفسدين ويقطع دابرهم ، وأشار معاوية بأن يرد عماله إلى أقاليمهم وأن لا يلتفت إلى هؤلاء وما تألبوا عليه من الشر ، فانهم أقل وأضعف جنداً . وأشار عبد الله بن سعد بن أبي سرح بأن يتأنفهم بالمال فيعطيه من ما يكف به شرهم ، ويأمن غائلتهم ، ويعطف به قلوبهم إليه . وأما عمرو بن العاص فقام فقال : أما بعد يا عثمان فانك قد ركبت الناس ما يكرهون فأما أن تعزل عنهم ما يكرهون ، وإما أن تقدم فتزول عمالك على ما هم عليه ، وقال له كلاماً فيه غلظة ، ثم اعتذر إليه في السر بأنه إنما قال هذا ليلبغ عنه من كان حاضراً من الناس إليهم ليرضوا من عثمان بهذا ، فعند ذلك قرر عثمان عماله على ما كانوا عليه ، وتألف قلوب أولئك بالمال ، وأمر بأن يبعثوا إلى الغزو إلى الثغور ، فجمع بين المصالح كلها ، ولما رجعت المال إلى أقاليمها امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ولبسوا السلاح وحلفوا أن لا يمكنوه من الدخول فيها حتى يعزل عثمان ويولي عليهم أبا موسى الأشعري ، وكان اجتماعهم بمكان يقال له الجرعة ، ^(١) - [وقد قال يومئذ الأشتر النخعي : والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا ، وتواقف الناس بالجرعة] . ^(٢) وأنجم سعيد عن قتالهم وصمموا على منعه ، وقد اجتمع في مسجد الكوفة في هذا اليوم حذيفة وأبو مسعود عقبة بن عمرو ، فجعل أبو مسعود يقول : [والله لا يرجع سعيد بن العاص حتى يكون دماء . فجعل حذيفة يقول :] ^(٣) والله ليرجعن ولا يكون فيها محجمة من دم ، وما أعلم اليوم شيئاً إلا وقد علمته وعهد (س) . حتى . والمقصود أن سعيد بن العاص كر راجعاً إلى المدينة وكسر الفتنة ، فأعجب ذلك أهل الكوفة ، وكتبوا إلى عثمان ان يولي عليهم أبا موسى الأشعري بذلك فأجابهم عثمان إلى ما سألوا إزاحة لعنهم ، وإزالة لشبههم ، وقطعاً لعالمهم . وذكر سيف بن عمر أن سبب تألب الأحزاب على عثمان أن رجلاً يقال له عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الاسلام وصار إلى مصر ، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه ، مضمونه أنه يقول للرجل : أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل : نعم ! فيقول له فرسول الله (ص) : أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا ، وهو أشرف من عيسى ابن مريم عليه السلام ؟ ثم يقول : وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب ، فحمد خاتم الأنبياء ،

وعلى تخاتم الأوصياء ، ثم يقول : فهو أحق بالأمر من عثمان ، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له .
فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فافتتن به بشر كثير من أهل مصر ،
وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة ، قتلوا على ذلك ، وتكاثبوا فيه ، وتواعدوا
أن يجتمعوا في الأنكار على عثمان ، وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه من توليته
أقرباءه وذوي رحمه وعزله كبار الصحابة . فسخل هذا في قلوب كثير من الناس ، فجمع عثمان بن
عفان نوابه من الأمصار فاستشارهم فأشاروا عليه بما تقدم ذكرنا له فآله أعلم .

وقال الواقدي فيما رواه عن عبد الله بن محمد عن أبيه قال : لما كانت سنة أربع وثلاثين أكثر
الناس بالمقالة على عثمان بن عفان وثألوا منه أقبح ما نيل من أحد ، فكلم الناس على بن أبي طالب أن
يدخل على عثمان ، فدخل عليه فقال له : إن الناس ورأى وقد كلموني فيك ، والله ما أدرى ما أقول
لك ، وما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء
فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلاغكم ، وما خصصنا بأمر خفي عنك إداركها ، وقد رأيت ومسمعت وصحبت
رسول الله (ص) ونلت صهره ، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك ، ولا ابن الخطاب بأولى
بشيء من الخير منك ، وإنك أقرب إلى رسول الله (ص) رحماً ، ولقد نلت من صهر رسول الله (ص) ما
لم ينالا ، ولا سبقناك إلى شيء ، فآله الله في نفسك ، فانك والله ما تبصر من عني ، ولا تعلم من جهل .
وإن الطريق لواضح بين ، وإن أعلام الدين لقائمة ، تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام
عادل ، هدى وهدى ، فأقام سنة معلومة ، وأمات بدعة معلومة ، فوالله إن كلا لبين ، وإن السنن
لقائمة لها أعلام ، وإن البدع لقائمة لها أعلام ، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وأضل به فأمات
سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة ، وإني سمعت رسول الله (ص) يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر
وليس معه نصير ولا عاذر ، فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحائم يرتطم في غمرة جهنم ، وإني
أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقمته ، فإن عذابه أليم شديد ، واحذر أن تكون إمام هذه الأمة
المقتول ، فانه كان يقال يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، وتلبس
أمورها عليها ، ويتركون شيعاً لا يبصرون الحق من الباطل ، يمجون فيها موجاً ، ويمرحون فيها
مرحاً . فقال عثمان : قد والله علمت لتقولن الذي قلت ، أما والله لو كنت مكاني ما غفنتك ولا
أسلمتك ، ولا عبت عليك ، ولا جئت منكراً ، إني وصلت رحماً ، وسددت خلة ، وآويت ضائعاً ،
ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولى ، أنشدك الله يا علي هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك ؟ قال :
نعم ! قال : فتعلم أن عمر ولاء ؟ قال : نعم ! قال : فلم تلوموني أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته ؟ فقال
على : سأخبرك إن عمر كان كملولى اميراً فانما يطأ على صماخيه ، وإن بلغه حرف جاء به ، ثم بلغ

به أقصى الغاية في العقوبة، وانت لا تفعل ضعف و رقت على أقرائك . فقال عثمان : هم أقرابؤك أيضاً ، فقال على لعمرى إن رحمهم منى لقريبة ، ولكن الفضل في غيرهم . قال عثمان : هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافة كلها ، فقد وليته ، فقال على : أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفاً غلام عمر منه ؟ قال : نعم ! قال على : فان معاوية يتطع الأمور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس : هذا أمر عثمان ، فليس لك فلا تنكرو ولا تغيروا على معاوية ثم خرج على من عنده وخرج عثمان على إثره فصعد المنبر فوعظ وحذر وأنذر ، وتهدد وتوعد ، وأبرق وأرعد ، فكان فيما قال : ألا فقد والله عبتم على بما أقررت به لابن الخطاب ، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتكم أو كرهتم ، ولنت لكم وأوطأت لكم كتفى ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم على ، أما والله لأنا أعر نفرأ وأقرب ناصرأ وأكثر عدداً واقن ، إن قلت : هلم إلى إلى ، وقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولا ، وكشرت لكم عن نابي ، فأخرجتم منى خلقا لم أكن أحسنه ، ومنطقا لم أنطق به ، فكفوا ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولا تكلموا ، قد كففت عنكم من لو كان هو الذى يليكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ، ألا فاق تقعدون من حقم ؟ فوالله ما قصرت فى بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلى . ثم اعتذر عما كان يعطى أقرباه بأنه من فضل ماله . فقام مروان بن الحكم فقال : إن شئتم والله حكمنا بيننا وبينكم السيف ، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر :

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم * مفارسكم تبنون فى دمن الثرى

فقال عثمان : اسكت لاسكت ، دعنى وأصحابي ، ما منطقك فى هذا ، ألم أقدم إليك أن لا تنطق .

فسكر مروان ونزل عثمان رضى الله عنه .

وذكر سيف بن عمر وغيره أن معاوية لما ودعه عثمان حين عزم على الخروج إلى الشام عرض عليه أن يرحل معه إلى الشام فانهم قوم كثيرة طاعتهم للأمراء . فقال : لا أختار بجوار رسول الله (س) . سواه . فقال : أجهز لك جيشاً من الشام يكونون عندك ينصرونك ؟ فقال : إني أخشى أن أضيق بهم بلد رسول الله (س) . على أصحابه من المهاجرين والأنصار . قال معاوية : فوالله يا أمير المؤمنين لتقتالن - أو قال : لتغزين - فقال عثمان : حسبي الله ونعم الوكيل . ثم خرج معاوية من عنده وهو مقلد السيف وقوسه فى يده ، فر على ملا من المهاجرين والأنصار ، فيهم على بن أبى طالب ، وطلحة ، والزبير ، فوقف عليهم واتكأ على قوسه وتكلم بكلام يبلغ يشعل على الوصاة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، والتحذير من إسلامه إلى أعدائه ، ثم انصرف ذاهباً . فقال الزبير : ما رأيته أهيب فى عيني من يومه هذا . وذكر ابن جرير أن معاوية استشر الأمر لنفسه من قسمته هذه إلى المدينة ، وذلك أنه مع حادياً يرتجز فى أيام الموسم فى هذا العام وهو يقول :

قد علمت ضوامر المولى * وضمرات عوج القسي . أن الأمير بعنه على * وفي الزبير خلف رضى
وطلمحة الحامى لها ولى .

فلما سمعها معاوية لم يزل ذلك فى نفسه حتى كان ما كان على ما سنده فى موضعه إن شاء الله
وبه الثقة . قال ابن جرير : وفى هذه السنة مات أبو عبس بن جبير بالمدينة وهو بدرى . ومات أيضاً
مسطح بن أنانة . وغافل بن البكير . وحج بالناس فى هذه السنة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ففيتها مقتل عثمان .

وكان السبب فى ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر ولى عليها عبد الله بن سعد
ابن أبى سرح . وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص ،
مقهورين معه لا يستطيعون أن يتكلموا بسوء فى خليفة ولا أمير
فما زالوا حتى شكوه إلى عثمان ليغزعه عنهم ويولى عليهم من هوأئين منه . فلم يزل ذلك
دأبهم حتى عزل عمراً عن الحرب وتركه على الصلاة ، وولى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن
أبى سرح . ثم سمعوا فيما بينهما بالنخبة فوقع بينهما ، حتى كان بينهما كلام قبيح . فأرسل عثمان فجمع
لابن أبى سرح جميع عمالة مصر ، خراجها [وحررها] وصلاتها ، وبعث إلى عمرو يقول له : لا خير لك
فى المقام عند من يكرهك ، فأقدم إلى ، فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفى نفسه من عثمان أمر
عظيم وشركبير فكله فيما كان من أمره بنفس ، وتقاولا فى ذلك ، وافتخر عمرو بن العاص بأبيه على عثمان ،
وأن كان أعز منه . فقال له عثمان : دع هذا فإنه من أمر الجاهلية . وجعل عمرو بن العاص يؤلب
الناس على عثمان . وكان بمصر جماعة يبغضون عثمان ويتكلمون فيه بكلام قبيح على ما قدمنا ،
ويقيمون عليه فى عزله جماعة من عليّة الصحابة وتوليته من دولتهم ، أو من لا يصلح عندهم للولاية .
وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، بعد عمرو بن العاص ، واشتغل عبد الله بن سعد
عنهم بقتال أهل المغرب ، وفتح بلاد البربر والأندلس وإفريقية . ونشأ بمصر طائفة من أبناء
الصحابة يؤلبون الناس على حربه والانسكار عليه ، وكان عظم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبى بكر ،
ومحمد بن أبى حذيفة ، حتى استنفروا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة فى صفة معتبرين
فى شهر رجب ، لينكروا على عثمان فصاروا إليها تحت أربع رفاق ، وأمر الجميع إلى عمرو بن بديل بن
ورقاء الخزاعى ، وعبد الرحمن بن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر التجيبى ، وسودان بن حمران
السكونى . وأقبل معهم محمد بن أبى بكر ، وأقام بمصر محمد بن أبى حذيفة يؤلب الناس ويدافع عن
هؤلاء . وكتب عبد الله بن سعد بن أبى سرح إلى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء القوم إلى المدينة منكبين
عليه فى صفة معتبرين . فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان على بن أبى طالب أن يخرج إليهم ليردهم
إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة . ويقال : بل نذير الناس إليهم ، فانتدب على لذلك فبعثه ،

وخرج معه جماعة الاشراف وأمره أن يأخذ معه عمار بن ياسر . فقال على لعمار فأبى عمار أن يخرج
 معه . فبعث عثمان سعد بن أبي وقاص أن يذهب إلى عمار ليحرضه على الخروج مع علي إلههم ، فأبى
 عمار كل الالباء ، وامتنع أشد الامتناع ، وكان متعصباً على عثمان بسبب تأديبه له فيما تقدم على
 أمر وضربه إياه في ذلك ، وذلك بسبب شتمه عباس بن عتبة بن أبي لهب ، فأدبهما عثمان ، فتأمر
 عمار عليه لذلك ، وجعل يحرض الناس عليه ، فهاه سعد بن أبي وقاص عن ذلك ولأمره عليه ، فلم
 يقلع عنه ولم يرجع ولم ينزع ، فانطلق على بن أبي طالب إليهم وهم بالجحفة ، وكانوا يظلمونه ويبالغون
 في أمره ، فردهم وأنهم وشتمهم ، فرجعوا على أنفسهم باللامه ، وقالوا : هذا الذي تحاربون الأمير بسببه ،
 وتحتجون عليه به . ويقال إنه ناظرهم في عثمان ، وسألهم ماذا ينعمون عليه ، فذكروا أشياء منها أنه
 من الحمي وأنه حرق المصاحف ، وأنه أتم الصلاة وأنه ولي الأحداث والولايات وترك الصحابة إلا كبارهم أعطى بني
 سية أكثر من الناس فأجاب علي عن ذلك : أما الحمي فأنما حماه لابل الصدقة لتسمن ، ولم يحمه لابل ولا لغنه
 وقد حماه عمر من قبله . وأما المصاحف فأنما حرق ما وقع فيه اختلاف ، وأبقي لهم المتفق عليه ،
 كما ثبت في العروة الأخيرة ، وأما إتمامه الصلاة بمكة ، فانه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأتىها ،
 وأما توليته الأحداث فلم يول إلا رجلاً سويّاً عدلاً ، وقد ولي رسول الله (ص) عتاب بن أسيد على
 مكة وهو ابن عشرين سنة ، وولى أسامة بن زيد بن حارثة وطعن الناس في إمارته فقال انه خلط بالأمارة
 وأما إثارة قومه بني أمية فقد كان رسول الله (ص) يؤثر قریشا على الناس ، ووالله لو أن مفتاح الجنة بيدي
 لأدخلت بني أمية إليها . ويقال : إنهم عتبوا عليه في عمار ومحمد بن أبي بكر ، فذكر عثمان عذره في
 ذلك ، وأنه أقام فيهما ما كان يجب عليهما . وعتبوا عليه في إيوائه الحكم بن أبي العاص ، وقد نفاه
 رسول الله (ص) إلى الطائف ، فذكر أن رسول الله (ص) كان قد نفاه إلى الطائف ثم رده ، ثم نفاه
 إليها ، قال فقد نفاه رسول الله (ص) . ثم رده ، وروى أن عثمان خطب الناس بهذا كله بمحضر من
 الصحابة ، وجعل يستشهد بهم فيشهدون له فيما فيه شهادة له . ويروى أنهم بعثوا طائفة منهم فشهدوا
 خطبة عثمان هذه ، فلما تمهدت الأعذار وانزاحت غلظهم ولم يبق لهم شبهة ، أشار جماعة من الصحابة
 على عثمان بتأديبهم فصاح عنهم ، رضى الله عنه . وردهم إلى قومهم فرجعوا خائبين من حيث أتوا ،
 ولم ينالوا شيئاً مما كانوا أملوا وراموا ، ورجع على إلى عثمان ، فأخبره برجوعهم عنه ، وسأعهم منه ،
 وأشار على عثمان أن يخطب الناس خطبة يعتذر إليهم فيها مما كان وقع من الأثرة لبعض أظفاره ، ويشهدهم
 عليه بأنه قد تاب من ذلك ، وأناب إلى الاستمرار على ما كان عليه من سيرة الشيخين قبله ، وأنه
 لا يجد عنها ، كما كان الأمر أولاً في مدة ست سنين الأولى ، فاستمع عثمان هذه النصيحة ، وقابلها
 بالسمع والطاعة ، ولما كان يوم الجمعة وخطب الناس ، رفع يديه في أثناء الخطبة ، وقال اللهم إني أستغفرك

وأتوب إليك ، اللهم إني أول تائب مما كان مني ، وأرسل عينيه بالبكاء فبكى المسلمون أجمعون ، وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم ، وأشهد عثمان الناس على نفسه بذلك ، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان ، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأنه قد سبل بابه لمن أراد الدخول عليه ، لا يمنع أحد من ذلك ، ونزل فصلي بالناس ثم دخل منزله وجعل من أراد الدخول على أمير المؤمنين لحاجة أو مسألة أو سؤال ، لا يمنع أحد من ذلك مدة . قال الواقدي : فحدثني علي بن عمر عن أبيه قال : ثم إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له : تكلم كلاماً تسمعه الناس منك ويشهدون عليك ، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والاناة ، فان البلاد قد تمخضت عليك ، ولا آمن ركباً آخرين يقدمون من قبل الكوفة ، فتقول يا علي اركب إليهم ، ويقدم آخرون من البصرة فتقول يا علي اركب إليهم ، فان لم أفعل قطعت رحمتك واستخففت بحمك . قال : فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها ، وأعلم الناس من نفسه التوبة ، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فوالله ما عاب من عاب شيئاً أجله ، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه ، ولكن ضلّ رشدي ولقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « من زل فليتب ، ومن أخطأ فليتب ، ولا يتمادي في الهلكة ، إن من تمادي في الجور كان أبعد عن الطريق » فأننا أول من اتعظ ، أستغفر الله مما فعلت واتوب ، فثلي نزع وتاب ، فاذا نزلت فليأتني أشرافكم ، فوالله لا تكونن كالمرقوق إن ملك صبر ، وإن عتق شكر ، وما عن الله مذهب إلا إليه . قال : فرق الناس له وبكى من بكى ، وقام إليه سعيد بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ! الله الله في نفسك ! فأتهم على ما قلت . فلما انصرف عثمان إلى منزله وجد به جماعة من أكابر الناس ، وجاءه مروان بن الحكم فقال : أتتكم يا أمير المؤمنين أم أصمت ؟ فقالت امرأة عثمان - فائلة بنت الفرافصة الكلبيّة - من وراء الحجاب : بل أصمت ، فوالله إنهم لقاتلوه ، ولقد قال مقالة لا ينبغي النزوع عنها . فقال لها : وما أنت وذاك ؟ فوالله لقد مات أبوك وما يحسن أن تتوضأ . فقالت له : دع ذكر الآباء ، ونالت من أبيه الحكم ، فأعرض عنها مروان . وقال لعثمان : يا أمير المؤمنين أتتكم أم أصمت ؟ فقال له عثمان : بل تكلم ، فقال مروان : بأبي أنت وأمي ، لوددت أن مقاتلك هذه كانت وأنت ممنوع منيع ، فكنت أول من رضى بها وأعان عليها ، ولكنك قلت ما قلت حين جاوز الحزام الطيبين ، وبلغ السيل الزبا ، وحين أعطى الخطبة الذليلة الذليل ، والله لا تأتة على خطيئة يستغفر منها ، خير من توبة خوف عليها ، وإنك لو شئت لعزمت التوبة ولم تقرر لنا بالخطيئة ، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس . فقال عثمان : قم فاخرج إليهم فكلهم ، فاني أستمحي أن أكلهم ، قال : فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً ، فقال : ما شأنكم

كانكم قد جئتم لنهب ، شأهت الوجوه كل إنسان آخذ باذن صاحبه إلا من أريد^(١) جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ، أخرجوا عنا ، أما والله لئن رمتونا ليرن عليكم أمر يسؤكم ولا تحمدوا غبه ، ارجعوا إلى منازلكم ، فوالله ما نحن مغلوبين على ما بأيدينا ، قال فرجع الناس ، وخرج بعضهم حتى أتى عليا فأخبره الخبر ، فجاء على مغضبا حتى دخل على عثمان . فقال : أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك ؟ ! وإن مثلك مثل جل الظعينة سار حيث يسار به ، والله ما مروان بنى رأى فى دينه ولا نفسه ، وأيم الله إني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك ، وما أنا بمائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك ، أذهبت سوقك ، وغلبت على أمرك . فلما خرج على دخلت نائلة على عثمان فقالت : أتكلّم أو أسكت ؟ فقال : تكلمى ، فقالت : سمعت قول على أنه ليس يعاودك ، وقد أطعت مروان حيث شاء ، قال : فما أصنع ؟ قالت : تتقى الله وحده لا شريك له ، وتتبع سنة صاحبك من قبلك ، فانك متى أطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الله قدر ولا هيبة ولا محبة ، فأرسل إلى على فاستصاحه فان له قرابة منك وهو لا يعصى . قال فأرسل عثمان إلى على فأبى أن يأتيه ، وقال : لقد أعلمته أنى لست بمائد . قال : وبلغ مروان قول نائلة فيه فجاء إلى عثمان فقال : أتكل أو سكت ؟ فقال : تكلم ، فقال : إن نائلة بنت الفرافصة ، فقال عثمان لا تذكرها بحرف فأسوء إلى وجهك ، فهى والله أنصح لى منك . قال : فكف مروان

ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية من مصر

وذلك أن أهل الأمصار لما بلغهم خبر مروان ، وغضب على على عثمان بسببه ، ووجدوا الأمر على ما كان عليه لم يتغيروا ولم يسلك سيرة صاحبيه كاتب ، كتائب أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة وتراسلوا ، وزورت كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة ، وعلى لسان على وطلحة والزبير ، يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين ، وأنه أكبر الجهاد اليوم . وأذكر سيف بن عمر التميمى عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان ، وقاله غيرهم أيضاً ، قالوا : لما كان فى شوال سنة خمس وثلاثين ، خرج أهل مصر فى أربع رفاق على أربعة أمراء ، المقتل لهم يقول ستمائة ، والمكبر يقول : ألف . على الرفاق عبد الرحمن ابن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر الليثى ، وسودان بن حمران السكونى ، وقتيرة السكونى وعلى القوم جميعا الغافقى بن حرب العكى ، وخرجوا فيما يظهر ون للناس حجاجاً ، ومعهم ابن السوداء . وكان أصله ذمياً فأظهر الاسلام وأحدث بدعاً قولية وفعلية ، قبحه الله . وخرج أهل الكوفة فى عدتهم فى أربع رفاق أيضاً ، وأمرأؤهم : زيد بن صوحان ، والأشتر النخعى ، وزيد بن النضر الحارثى ، وعبد الله بن الأصم ، وعلى الجميع عمرو بن الأصم . وخرج أهل البصرة فى عدتهم أيضاً فى أربع

(١) كذا بالأصل والطبرى وفى عقد الجمان مهلة من التنقيط ووصلها ابن الأثير بشأهت الوجوه

رايات مع حكيم بن جبلة العبدى ، و بشر بن شريح بن ضبيعة القيسى ، و ذريح بن عباد العبدى ،
وعليهم كلهم حرقوص بن زهير السعدى ، وأهل مصر مصر و ن على ولاية على بن أبى طالب ، وأهل
الكوفة عازمون على تأمير الزبير ، وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة . لا تشك كل فرقة أن
أمرها سيتم ، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة ، كما تواعدوا فى كتبهم ، فى شهر شوال
فتزل طائفة منهم بنى خشب ، وطائفة بالأعوص ، والجمهور بنى المروّة ، وهم على وجل من أهل
المدينة ، فبعثوا قصاداً و عيوناً بين أيديهم ليخبروا الناس أنهم إنما جاؤا للحج لا لغيرة ، وليستمنفوا
هذا الوالى من بعض عماله ، ماجئنا إلا لذلك ، واستأذنوا للدخول ، فكل الناس أبى دخولهم ونهى
عنه ، فتجاسروا واقتربوا من المدينة ، وجاءت طائفة من المصريين إلى على وهو فى عسكر عند
أحجار الزيت ، عليه حلة أفواف ، معتم بشقيقة حمراء مائنة ، متقلدا السيف وليس عليه قميص
وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع اليه ، فسلم عليه المصريون
فصاح بهم وطردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروّة وذى خشب مملعون على لسان
محمد سر ، فارجعوا لا صباحكم الله ، قالوا : نعم ! وانصرفوا من عنده على ذلك ، وأتى البصريون
طلحة وهو فى جماعة أخرى إلى جنب على - وقد أرسل ابنه إلى عثمان - فسلموا عليه فصاح بهم
وطردهم وقال لهم كما قال على لأهل مصر ، وكذلك كل رد الزبير على أهل الكوفة . فرجع كل
فريق منهم إلى قومهم ، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم ، وساروا أياما راجعين ، ثم كرو
عائدين إلى المدينة ، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير ، وإذا القوم قد زحفوا على
المدينة وأحاطوا بها ، وجهورهم عند دار عثمان بن عفان ، وقالوا للناس : من كف يده فهو آمن ،
فكف الناس ولزموا بيوتهم ، وأقام الناس على ذلك أياماً . هذا كله ولا يدري الناس ما القوم صانعون
ولا على ما هم عازمون ، وفى كل ذلك وأمير المؤمنين عثمان بن عفان يخرج من داره فيصلى بالناس ،
فيصلى وراءه أهل المدينة وأولئك الآخرون ، وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم ويمثلونهم على
رجوعهم ، حتى قال على لأهل مصر : ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ؟ فقالوا : وجدنا مع
بريد كتاباً بقتلنا . وكذلك قال البصريون لطلحة ، والكوفيون للزبير . وقال أهل كل مصر : إنما
جئنا لننصر أصحابنا . فقال لهم الصحابة : كيف علمتم بذلك من أصحابكم ، وقد افترقتم وصار بينكم
مراحل ؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه ، فقالوا : ضموه على ما أردتم ، لا حاجة لنا فى هذا الرجل ، ليعترلنا
ونحن نعتزله - يعنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمناً - وكان المصريون فيما ذكر ، لما رجعوا إلى
بلادهم وجدوا فى الطريق بريداً يسير ، فأخذوه ففتشوه ، فاذا معه فى إداوة كتاباً على لسان
عثمان فيه الأمر بقتل طائفة منهم ، وبصلب آخرين ، وبقطع أيدي آخرين منهم وأرجلهم ، وكان
على الكتاب طابع بخاتم عثمان ، والبريد أحد غلمان عثمان وعلى جملة ، فلما رجعوا جاءوا بالكتاب

وداروا به على الناس ، فكلم الناس امير المؤمنين في ذلك ، فقال : بينة على بذلك وإلا فوالله لا كتبت ولا أملت ، ولادريت بشئ من ذلك ، والخطام قد يزور على الخطام ، فصدقه الصادقون في ذلك ، وكذبه الكاذبون . ويقال : إن أهل مصر كانوا قد سألوا من عثمان أن يعزل عنهم ابن أبي سرح ، ويولي محمد بن أبي بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما وجدوا ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد بن أبي بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما رجعوا ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد بن أبي بكر وآخرين معه ، فرجعوا ، وقد حقنوا عليه حقنا شديداً ، وطاقوا بالكتاب على الناس ، فدخل ذلك في أذهان كثير من الناس . وروى ابن جرير من طريق محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار ، أن الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي ، على جمل لعثمان ، وذكر ابن جرير من هذه الطريق أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه ، وهذا كذب على الصحابة ، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم ، كما كتبوا من جهة على وطلحة والزبير إلى الخوارج كتباً مزورة عليهم أنكروها ، وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً ، فإنه لم يأمر به ولم يعلم به أيضاً . واستمر عثمان يصلي بالناس في تلك الأيام كلها ، وهم أحقر في عينه من التراب ، فلما كان في بعض الجمعات وقام على المنبر ، وفي يده العصا التي كان يمسك عليها رسول الله (ص) ، في خطبته ، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من بعده ، فقام إليه رجل من أولئك فسبه ونال منه ، وانزله عن المنبر ، فطمع الناس فيه من يومئذ ، كما قال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال : بينا أنا أنظر إلى عثمان على عصا النبي (ص) التي كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر ، فقال له جهجاه قم يا معتل فانزل عن هذا المنبر وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى فدخلت شظية منها فيها فبقى الجرح حتى أصابته الأكلة ، فرأيتهما تدود ، فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدوها ، فكانت مضربة ، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين ، حتى حصر فقتل .

قال ابن جرير : وحدثنا أحمد بن إبراهيم ثنا عبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر عن نافع أن الجهماء الغفاري أخذ عصا كانت في يد عثمان فكسرها على ركبته ، فرمى في ذلك المكان بأكلة . وقال الواقدي : وحدثني ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن ابن أبي حبيبة قال : خطب عثمان الناس في بعض أيامه فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين : إنك ركبت بهاتين وركبناهما معك ، فتب نتب معك . فاستقبل عثمان القبلة وشمر يديه ، قال ابن أبي حبيبة : فلم أرى يوماً أكثر باكية ولا باكية من يومئذ . ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس فقام إليه جهجاه الغفاري فصاح إليه : يا عثمان ألا إن هذه شارف قد جئنابها عليها عباءة وجامعة ، فانزل فلندرجك في العباءة ولنطرحك في الجامعة

ولنحملك على الشارف ثم نطرحك في جبل الدخان . فقال عثمان : قبحك الله وقبح ما جئت به ، ثم نزل عثمان . قال ابن أبي حبيبة : وكان آخر يوم رأيته فيه * وقال الواقدي : حدثني أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد . قال : كان أول من اجترأ على عثمان بالنطق السي جيلة بن عمرو الساعدي مر به عثمان وهو في نادي قومه ، وفي يد جيلة جامعة ، فلما مر عثمان سلم فرد القوم ، فقال جيلة : لم تردون عليه ؟ رجل قال كذا وكذا ، ثم أقبل على عثمان فقال : والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتترك بطانتك هذه ، فقال عثمان : أي بطانة ؟ فوالله لا تخير الناس ، فقال مروان تخيرته ، ومعاوية تخيرته ، وعبد الله بن عامر بن كريز تخيرته ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح تخيرته ، منهم من نزل للقرآن بدمه ، وأباح رسول الله (ص) دمه ، قال : فانصرف عثمان فما زال الناس يجترئين عليه إلى هذا اليوم . قال الواقدي : وحدثني محمد بن صالح عن عبيد الله بن رافع بن قفاخة عن عثمان بن الشريد . قال : مر عثمان على جيلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ، ومعه جامعة ، فقال : يا نعمتل ! والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوب جرباء ، ولأخرجنك إلى حرة النار . ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه . وذكر سيف بن عمر أن عثمان بعد أن صلى بالناس يوم الجمعة صعد المنبر فخطبهم أيضاً فقال في خطبته : يا هؤلاء الغرباء ! الله الله ، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد (ص) ، فاحموا الخطأ بالصواب ، فان الله لا يمحو السيء إلا بالحسن ، فقام محمد بن مسلمة فقال : أنا أشهد بذلك ، فأخذه حكيم بن جيلة فأقعد ، فقام زيد بن ثابت فقال : إنه في الكتاب . فثار إليه من نلاحية أخرى محمد بن أبي مريرة فأقعد وقال يانطع ، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد ، وحصبوا عثمان حتى صرع من المنبر مغشياً عليه ، فاحتمل وأدخل داره ، وكان المصريون لا يطعمون في أحد من الناس ، أن يساعدهم إلا محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر ، وعمار ابن ياسر . وأقبل على وطلحة والزبير إلى عثمان في أناس يعودونه ويشكون إليه بشتم وماحل بالناس ، ثم رجعوا إلى منازلهم ، واستقبل جماعة من الصحابة ، منهم أبو هريرة وابن عمر ، وزيد بن ثابت في المحاربة عن عثمان ، فبعث إليهم يقسم عليهم لما كفوا أيديهم وسكنوا حتى يقضى الله ما يشاء .

ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان

لما وقع ما وقع يوم الجمعة ، وشج أمير المؤمنين عثمان ، وهو في رأس المنبر ، وسقط مغشياً عليه ، واحتمل إلى داره وتفاقم الأمر ، وطمع فيه أولئك الأجلاف الأخلاط من الناس ، وألجأوه إلى داره وضيقوا عليه ، وأحاطوا بها محاصرين له ، ولزم كثير من الصحابة بيوتهم ، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة ، عن أمر آبائهم ، منهم الحسن والحسين ، وعبد الله بن الزبير - وكان أمير الدار - وعبد الله ابن عمرو ، وصاروا ، يحاجون عنه ، ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم ، وأسلمه بعض الناس

رجاء أن يجيب أولئك إلى واحدة مما سألوا ، فانهم كانوا قد طلبوا منه إما أن يعزل نفسه ، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم ، ولم يقع في خلد أحد أن القتل كان في نفس الخارجين . واقطع عثمان عن المسجد فكان لا يخرج إلا قليلا في أوائل الأمر ، ثم انقطع بالكلية في آخره ، وكان يصلي بالناس في هذه الأيام الغافقي بن حرب . وقد استمر الحصر أكثر من شهر : وقيل أربعين يوما ، حتى كان آخر ذلك أن قتل شهيداً رضي الله عنه ، على ما سنبينه إن شاء الله تعالى . والذي ذكره ابن جرير أن الذي كان يصلي بالناس في هذه المدة وعثمان محصور ، طلحة بن عبيد الله . وفي صحيح البخاري عن (١) وروى الواقدي أن علياً صلى أيضاً ، وصلى أبو أيوب ، وصلى بهم سهل بن حنيف ، وكان يجمع بهم على ، وهو الذي صلى بهم بعد ، وقد خاطب الناس في غيوب ذلك بأشياء ، وجرت أمور سنورد منها ما تيسر وبالله المستعان .

قال الامام أحمد : حدثنا بهز ثنا أبو عوانة ثنا حصين عن عمرو بن جاوران قال : قال الأحنف انطلقنا حجاجاً فمرنا بالمدينة ، فبينما نحن في منزلنا إذ جاءنا آت فقال : الناس في المسجد ، فانطلقت أنا وصاحبي ، فاذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد ، قال : فتخلاتهم حتى قتت عليهم ، فاذا على ابن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، قال : فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي ، فقال : ههنا على ؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا الزبير ؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا طلحة ؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا سعد بن أبي وقاص ؟ قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، تعلمون أن رسول الله (ص) قال : « من يتناع مر بد بني فلان غفر الله له فابتعته فأتيت رسول الله (ص) فقلت : إني قد ابتعته ، فقال : « اجعله في مسجدنا وأجره لك » قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله (ص) قال : « من يتناع بئر رومة » فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله (ص) فقلت : إني قد ابتعتها - يعني بئر رومة - قال : « اجعلها سقاية للمسلمين ولك أجرها » قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله (ص) نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال : « من يجهز هؤلاء غفر الله له » فجهزتهم حتى ما يفتقدون خطأ ولا عقلاً ؟ قالوا : اللهم نعم ! فقال : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثم انصرف . ورواه النسائي من حديث حصين وعنده إذ جاء رجل وعليه ملاء صفراء .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثني عبد الله بن عمر القواريري حدثني القاسم بن الحكم بن أوس (١) بياض بأصل المصرية وفي الرياض النضرة وتاريخ الخيس : وروى عن عبد الله بن سلام أنه قال لما حصر عثمان ولي أبي هريرة على الصلاة .

الأنصاري حدثني أبو عبادة الدرقى الأنصاري ، من أهل الحديبية ، عن زيد بن أسلم عن أبيه . قال : شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز ، ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل ، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلى مقام جبريل ، فقال : أيها الناس ! أفياكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس : أفياكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال أيها الناس ! أفياكم طلحة ؟ فقال : نعم ! قال أيها الناس ! أفياكم طلحة ؟ فقال : نعم ! قال : فقال له عثمان : ألا أراك هنا ؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع نداي إلى آخر ثلاث مرات ، ثم لا تجيبني ؟ أنشدك الله ياطلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله (ص) في موضع كذا وكذا ، ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك ؟ فقال : نعم ! قال : فقال لك رسول الله (ص) : « ياطلحة إنه ليس من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق من أمته معه في الجنة ، وإن عثمان بن عفان هذا - يعني - رفيق في الجنة » فقال طلحة : اللهم نعم ! ثم انصرف ، لم يخرجوه .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثنا محمد بن أبي بكر المقنسي ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ثنا ملال بن إسحاق عن الجريري عن ثمامة بن جزء القشيري . قال : شهدت الدار يوم أصيب عثمان ، فاطلع عليه اطلاعة ، فقال ادعولي أصحابكم الذين ألباكم على ، فدعياه ، فقال : أنشدكم الله تعلمان أن رسول الله (ص) لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله ، فقال : من يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين ، وله خير منها في الجنة ؟ فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين وأنتم تمنعوني أن أصلي فيه ركعتين . ثم قال : أنشدكم الله أعلمون أن رسول الله (ص) لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا بئر رومة فقال رسول الله (ص) : « من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوها فيها كدلاء المسلمين ، وله خير منها في الجنة » فاشتريتها من خالص مالي ، وأنتم تمنعوني أن أشرب منها . ثم قال : هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة ؟ قالوا : اللهم نعم ! وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، وعباس الدوري وغير واحد ، أخرجه النسائي عن زياد بن أيوب كلهم عن سعيد بن عامر عن يحيى بن أبي الحجاج المنقري عن أبي مسعود الجريري به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا القاسم - يعني ابن الفضل - ثنا عمرو بن مرة عن سالم ابن أبي الجعد . قال : دعا عثمان رجلا من أصحاب رسول الله (ص) ، فيهم عمار بن ياسر ، فقال : إني سائلكم وإني أحب أن تصدقوني ، نشدتكم الله أعلمون أن رسول الله (ص) كان يؤثر قرشا على الناس ، ويؤثر بني هاشم على سائر قریش ؟ فسكت القوم . فقال : لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها

بنى أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم . فبعث إلى طلحة والزبير فقال عثمان : ألا أحدثكما عنه - . يعني عماراً - أقبلت مع رسول الله (ص) . أخذ بيدي يمشي في البطحاء حتى أتى على أبيه وأمه وهم يمدبون « فقال أبو عمار : يا رسول الله ، الدهر هكذا ؟ فقال له النبي (ص) ، اصبر ، ثم قال : « اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت » تفرد به أحمد ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا اسحاق بن سليمان سمعت معاوية بن سلم ان سلمة يذكر عن مطرف عن نافع عن ابن عمر أن عثمان أشرف على أصحابه وهو محصور ، فقال : على م تقتلونني ؟ فأتى سمعت رسول الله (ص) ، يقول : « لا يحل دم امرئ إلا بأحدى ثلاث ، رجل زنى بعد إحصائه فعليه الرجم ، أو قتل عمداً فعليه القتل ، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل » ، فوالله ما زينت في جاهلية ولا إسلام ، ولا قتلت أحداً فأقيد نفسي منه ، ولا ارتددت منذ أسلمت ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . ورواه النسائي عن أحمد بن الأزهري عن إسحاق بن سليمان به .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا يحيى بن سعيد عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال : كنت مع عثمان في الدار وهو محصور ، قال : وكنا ندخل مدخلا إذا دخلناه سمعنا كلام من على البلاط ، قال : فدخل عثمان يوما لحاجته فخرج إلينا منتقما لونه ، فقال : إنهم ليتواعدوني بالقتل آنفا . قال : قلنا يَكْفِيكُمُ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قال : ولم يقتلونني ؟ فأتى سمعت رسول الله (ص) ، يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأحدى ثلاث ، رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصائه ، أو قتل نفسا بغير نفس » فوالله ما زينت في جاهلية ولا إسلام قط ، ولا نعت بدلا بدني منذ هداني الله له ، ولا قتلت نفسا ، فبِمَ يقتلونني ؟ . وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد حدثني أبو أسامة . زاد النسائي وعبد الله بن عامر بن ربيعة قالوا : كنا مع عثمان ، فذكره . وقال الترمذي : حسن . وقد رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد فرفعه .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا قطن ثنا يونس - يعني ابن أبي إسحاق - عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن . قال : أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال : أُنشِدْ بِاللَّهِ من شهد رسول الله (ص) يوم حراء إذ اهتز الجبل فركله بقبضته ثم قال : « اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » وأنا معه ، فانتشد له رجال . ثم قال : أُنشِدْ بِاللَّهِ من شهد رسول الله يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة فقال : « هذه يدي وهذه يد عثمان » . ووضع يديه لإحداهما على الأخرى فبايع لي فانتشد له رجال . ثم قال :

قال : أنشد بالله من شهد رسول الله قال : من يوسع لنا بهذا البيت في المسجد بفيت له بيتا في الجنة ، فابتعته من مالى فوسعت به المسجد . فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رسول الله يوم جيش العسرة قال : « من ينفق اليوم نفقة متقبلة » ؟ فجهزت نصف الجيش من مالى ، فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالى فابتعتها ابن السبيل قال : فانتشد له رجال . ورواه النسائي عن عمران بن بكار عن حطاب بن عثمان عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن جده أبي إسحاق السبيعي به .

وقد ذكر ابن جرير أن عثمان رضى الله عنه لما رأى ما فعل هؤلاء الخوارج من أهل الأمصار ، من محاصرته في داره ، ومنعه الخروج إلى المسجد ، كتب إلى معاوية بالشام ، وإلى ابن عامر بالبصرة وإلى أهل الكوفة ، يستنجدم في بئث جيش يطردون هؤلاء من المدينة ، فبئث معاوية مسلمة بن ابن حبيب ، وانتدب يزيد بن أسد القشيري في جيش ، وبئث أهل الكوفة جيشا ، وأهل البصرة جيشا ، فلما سمع أولئك بخروج الجيوش إليهم صمموها في الحصار ، فما اقترب الجيوش إلى المدينة حتى جاءهم قتل عثمان رضى الله عنه كما سنذكره . وذكر ابن جرير أن عثمان استدعى الأشتر النخعي ووضعت لعثمان وسادة في كوة من داره ، فأشرف على الناس ، فقال له عثمان : يا أشتر ماذا يريدون ؟ فقال : إنهم يريدون منك إما أن تعزل نفسك عن الأمور ، وإما أن تقتدى من نفسك من قد ضربته ، أو جلده ، أو حبسته ، وإما أن يقتلوك . وفي رواية أنهم طلبوا منه أن يعزل نوابه عن الأمصار ويولى عليها من يريدونهم ، وإن لم يعزل نفسه أن يسلم لهم مروان بن الحكم فيعاقبوه كما زور على عثمان كتابه إلى مصر ، فخشي عثمان إن سلمه إليهم أن يقتلوه ، فيكون سببا في قتل امرئ مسلم وما فعل من الأمر ما يستحق بسببه القتل ، واعتذر عن الاقتصاص مما قالوا بأنه رجل ضعيف البدن كبير السن . وأما ما سأله من خلعه نفسه فانه لا يفعل ولا يترع قيصا قصه الله إياه ، ويترك أمة محمد يمدو بعضها على بعض ويولي السفهاء من الناس من يختاروه هم فيقع المهرج ويفسد الأمر بسبب ذلك ووقع الأمر كما ظننه فسدت الأمة ووقع المهرج ، وقال لهم فيما قال ، وأى شيء إلى من الأمر إن كنت كلما كرهتم أميرا عزلته ، وكلما رضيتم عنه وليته ؟ وقال لهم فيما قال : والله لئن قتلته ونى لا تتحاولوا بهدى ولا نصلوا جبيما أبدا ، ولا تقاتلوا بهدى عدوا جبيما أبدا ، وقد صدق رضى الله عنه فيما قال .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن أبي قيس حدثني النعمان بن بشير قال : كتب معى عثمان إلى عائشة كتابا فدفعت إليها كتابه فحدثتني أنها سمعت رسول الله (ص) يقول لعثمان : « إن الله لعله يقمصك قيصا . فان أرادك أحد على خلعه فلا تخلعه ، ثلاث مرات » قال النعمان : قتلته يأم المؤمنين ! فأين كنت عن هذا الحديث ؟ فقالت : يا بني والله أنسيته . وقد رواه الترمذي من حديث الليث عن معاوية بن صالح

عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان عن عائشة به . ثم قال : هذا حديث حسن غريب . ورواه ابن ماجه من حديث الفرّج بن فضالة عن ربيعة بن يزيد عن النعمان ، فأسقط عبد الله بن عامر .

قال الامام أحمد ، حدثنا يحيى بن إسماعيل ثنا قيس عن أبي سهلة عن عائشة قالت قال رسول الله (س) : « ادعولي بعض أصحابي ، قلت أبو بكر ؟ قال : لا ، قلت عمر ؟ قال : لا ؟ قلت ابن عمك علي ؟ قال : لا ! قالت قلت عثمان ؟ قال : نعم ! فلما جاء قال : تنحى فجعل يسارده ولون عثمان يتغير ، فلما كان يوم الدار وحصر فيها ، قلنا : يا أمير المؤمنين ألا تقاتل ؟ قال : لا ! إن رسول الله (س) عهد إلى عهداً وإني صابر نفسي عليه » تفرد به أحمد . وقال محمد بن عائذ الدمشقي : حدثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو أنه سمع أبا ثور الفقيمي يقول : قدمت على عثمان فبينما أنا عنده فخرجت فاذا بوفد أهل مصر قد رجعوا فدخلت على عثمان فأعلمته ، قال : فكيف رأيتمهم ؟ فقلت : رأيت في وجوههم الشر ، وعليهم ابن عديس البلوي ، فصعد ابن عديس منبر رسول الله (س) فصلى بهم الجمعة ، وتنقص عثمان في خطبته ، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قال فيهم ، فقال : كذب والله ابن عديس ، ولولا ما ذكر ما ذكرت ، إني رابع أربعة في الاسلام ، ولقد أنكحني رسول الله (س) ابنته ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى ، ولا زنت ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام ، ولا تعنيت ولا تمنيت منذ أسلمت ، ولا مسست فرجى يميني منذ بايعت بهار رسول الله (س) ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله (س) ، ولا أتت على جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت ، إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية . ورواه يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن أبي بكر عن ابن لهيعة ، قال : لقد اختبأت عند ربي عشرّاً ، فذكرهن .

فَضْلُ النَّبِيِّ

كان الحصار مستمراً من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة ، فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار - وكانوا قريباً من سبعمائة ، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة ، وخلقه من مواليه ، ولو تركهم لمنعه فقال لهم : أقسم على من لى عليه حق أن يكفّ يده وأن ينطلق إلى منزله ، وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفيرة ، وقال لرفيقه : من أغمد سيفه فهو حر . فبرد القتال من داخل ، وحى من خارج ، واشتد الأمر ، وكان سبب ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء موغوده ، وشوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليكون خيراً من بني آدم حيث

قال حين أراد أخوه قتله : (إني أريد أن تبوء بائني وإيمتك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين) وروى أن آخر من خرج من عند عثمان من الدار ، بعد أن عزم عليهم في الخروج ، الحسن بن علي وقد خرج ، وكان أمير الحرب على أهل الدار عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم . وروى موسى بن عقبة عن سالم أو نافع أن ابن عمر لم يلبس سلاحه بعد رسول الله (ص) ، إلا يوم الدار ويوم نجرة الحروري . قال أبو جعفر الداري عن أيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر : إن عثمان رضي الله عنه أصبح يحدث الناس ، قال : رأيت النبي (ص) ، في المنام فقال : يا عثمان افطر عندنا . فأصبح صائماً وقتل من يومه ، وقال سيف بن عمر عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن رجل قال دخل عليه كثير بن الصلت فقال : يا أمير المؤمنين اخرج فاجلس بالغناء فيرى الناس وجهك فانك إن فعلت ارتدعوا . فضحك وقال : يا كثير رأيت البارحة وكأني دخلت على نبي الله وعنده أبو بكر وعمر ، فقال : « ارجع فانك مفطر عندى غدا » ثم قال عثمان : ولن تغيب الشمس والله غداً أو كذا وكذا إلا وأنا من أهل الآخرة ، قال : فوضع سعد وأبو هريرة السلاح وأقبلتا حتى دخلا على عثمان . وقال موسى بن عقبة : حدثني أبو علقمة - مولى لعبد الرحمن بن عوف - حدثني ابن الصلت قال : أغفى عثمان بن عفان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ فقال : لولا أن يقول الناس تمنى عثمان أمنية لحدثتكم . قال : قلنا أصلحك الله ، حدثنا فلاننا يقول ما يقول الناس ، فقال : إني رأيت رسول الله (ص) في منامي هذا ، « فقال : إنك شاهد معنا الجمعة » . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو عبد الرحمن القرشي ، ثنا خلف بن تميم ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البجلي ، ثنا عبد الملك بن عمير حدثني كثير بن الصلت قال : دخلت على عثمان وهو محصور ، فقال لي : يا كثير ما أراي إلا مقتولا يومى هذا . قال : قلت ينصرك الله على عدوك يا أمير المؤمنين ، قال : ثم أعاد على فقلت وقت لك في هذا اليوم شيء ؟ أو قيل لك شيء ؟ قال : لا ! ولكنى سهرت في ليلتى هذه الماضية ، فلما كان وقت السحر أغفيت إغفاءة فرأيت فيما يرى النائم رسول الله (ص) ، وأبا بكر وعمر ، ورسول الله (ص) يقول لي : يا عثمان الحقنا لا نجبسننا ، فانا ننتظرك » قال : فقتل من يومه ذلك . وقال (١) ابن أبي الدنيا حدثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا يزيد بن هارون ، عن فرج بن فضالة عن مروان بن أبي أمية عن عبد الله بن سلام . قال : أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصور ، فدخلت عليه فقال : مرحباً بأخي ، رأيت رسول الله (ص) الليلة في هذه الخوخة - قال : وخوخة في البيت - فقال : « يا عثمان - صرورك ؟ قلت : نعم ! قال : عطشوك ؟ قلت : نعم ! فأدلى دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إني

لأجد برده بين يديي وبين كفي ، وقال لي : إن شئت نصرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده . فقتل ذلك اليوم .

وقال محمد بن سعد : أنا عفان بن مسلم ثنا وهيب ثنا داود عن زياد بن عبد الله عن أم هلال بنت وكيع عن امرأة عثمان - قال : وأحسبها بنت الغرافصة - قالت : أغفى عثمان فلما استيقظ قال : إن القوم يقتلونني ، قلت : كلا يا أمير المؤمنين . قال : إني رأيت رسول الله (ص) وأبا بكر وعمر ، فقالوا : افطر عندنا الليلة ، أو إنك مفطر عندنا الليلة . وقال الهيثم بن كليب : حدثنا عيسى بن أحمد المستقلاني ثنا شبابة ثنا يحيى بن أبي راشد مولى عمر بن حريث عن محمد بن عبد الرحمن الجرشي . وعقبه بن أسد عن النعمان بن بشير عن نائلة بنت الفرافصة السكبية - امرأة عثمان - قالت : لما حصر عثمان ظل اليوم الذي كان فيه قتله صائماً ، فلما كان عند إفطاره سألهم الماء العذب فأبوا عليه ، وقالوا : دونك ذلك الركي . وركي في الدار الذي يلقي فيه النتن - قالت : فلم يفطر فرأيت جاراً على أحاجير متواصلة - وذلك في السحر - فسألتهم الماء العذب ، فأعطوني كوزاً من ماء ، فأتيته فقلت : هذا ماء عذب أتيتك به ، قالت : فنظر فإذا الفجر قد طلع فقال : إني أصبحت صائماً ، قالت : فقلت : ومن اين أكلت ؟ ولم ارا احداً أأناك بطعام ولا شراب ؟ فقال : إني رأيت رسول الله (ص) اطلع على من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال : اشرب يا عثمان ، فشربت حتى رويت ، ثم قال : ازدد فشربت حتى نهلت ، ثم قال : أما ان القوم سينكرون عليك ، فان قاتلتهم ظفرت ، وإن تركتهم أفطرت عندنا ، قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه .

وقال أبو يعلى الموصلي وعبد الله بن الامام أحمد : حدثني عثمان بن أبي شيبة ثنا يونس بن أبي يعفور العبدى عن أبيه عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان أن عثمان أعتق عشرين مملوكاً ودعا بسر اويل فشدّها ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ، وقال : إني رأيت رسول الله (ص) في المنام ، وأبا بكر وعمر ، وأنهم قالوا لي : اصبر فانك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه . قلت : إنما لبس السر اويل رضى الله عنه في هذا اليوم لثلاثاً تبدو موارثه إذا قتل فانه كان شديد الحياء ، كانت تستحي منه ملائكة السماء ، كما نطق بذلك النبي (ص) ، ووضع بين يديه المصحف يتلو فيه ، واستسلم لقضاء الله عز وجل ، وكف يده عن القتال ، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه ، ولولا عزيمة عليهم لنصروه من أعدائه ، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً . وقال هشام بن عروة عن أبيه : إن عثمان رضى الله عنه أوصى إلى الزبير . وقال الأصمعي عن الملاء بن الفضل عن أبيه . قال : لما قتل عثمان فقتلوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ففتحوه

فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها : « هذه وصية عثمان . بسم الله الرحمن الرحيم ، عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث من في القبور ، ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها يحيى وعليها يموت ، وعليها يبعث إن شاء الله تعالى » .

وروى ابن عساکر أن عثمان رضي الله عنه قال يوم دخلوا عليه فقتلوه :
أرى الموت لا يبقى عزيزاً ولم يدع * لعاذر ملاذاً في البلاد ومرتما
وقال أيضا :

يُبَيِّتُ أَهْلَ الْحَصْنِ وَالْحَصْنُ مَغْلُوقٌ * وَيَأْتِي الْجِبَالَ الْمَوْتُ فِي شَمَارِيحِهَا الْعَلَا
صفة قتله رضي الله عنه

وقال خليفة بن خياط : حدثنا ابن علية ثنا ابن عوف عن الحسن قال أنبأني رباب . قال : بعثنى عثمان فدعوت له الأشر فقال : ما يريد الناس ؟ قال : ثلاث ليس من إحداهن بد ، قال : ما هن ؟ قال : يخبرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول : هذا أمركم فاخاروا من شئتم ، وبين أن تقتص من نفسك ، فان أبيت فان القوم قاتلوك . فقال : أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سر بالاسر بلنيه الله ، وأما أن أقتص لهم من نفسي ، فوالله لئن قتلتموني لا تحابون بعدي ، ولا تصلون بعدي جميعا ، ولا تقاتلون بعدي جميعا عدواً أبداً . قال : وجاء رويجل كأنه ذئب فاطلع من باب ورجع ، وجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلا ، فأخذ بلحيته فعال بها حتى سمعت وقع أضراسه ، فقال : ما أغنى عنك معاوية ، وما أغنى عنك ابن عامر ، وما أغنت عنك كتبك ، قال : اسل لحيتي يا ابن أخي ، قال : فأنا رأيته استعدي رجلا من القوم بعينه - يعني أشا - إليه - فقام إليه بمشقص فوجى به رأسه . قلت : ثم مه ؟ قال : ثم تعاورا عليه حتى قتله .

قال سيف بن عمر التميمي رحمه الله عن العيص بن القاسم عن رجل عن خنساء مولاة أسامة بن زيد - وكانت تكون مع نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان - أنها كانت في الدار ودخل محمد بن أبي بكر وأخذ بلحيته وأهوى بمشاقص معه فبأ بها في حلقة ، فقال مهلا يا ابن أخي ، فوالله لقد أخذت مأخذاً ما كان أبوك ليأخذ به ، فتركه وانصرف مستحييا نادماً ، فاستقبله القوم على باب الصفة فردهم طويلا حتى غلبوه ، فدخلوا وخرج محمد راجعاً . فأتاه رجل بيده جريدة يقدمهم حتى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجه ، فقطرده على المصحف حتى لطمه ، ثم تعاورا عليه فأتاه رجل فضربه على الشدى بالسيف ، ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه ، وقالت :

يأبنت شعبة أَيْ قَتَلَ أمير المؤمنين؟ وأخذت السيف، فقطع الرجل يدها، وانهبوا متاع^(١) [الدار] ومرّ رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضرب رأسه برجله ونجاه عن المصحف وقال: ما رأيت كالיום وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم. قال: والله ما تركوا في داره شيئاً حتى الأقداح إلا ذهبوا به.

وروى الحافظ ابن عساكر أن عثمان لما عزم على أهل الدار في الانصراف ولم يبق عنده سوى أهله تسوروا عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه، وليس فيهم أحد من الصحابة ولا أبنائهم، إلا محمد بن أبي بكر، وسبقه بعضهم، فضربوه حتى غشى عليه وصاح النسوة فانزعروا وخرجوا ودخل محمد بن أبي بكر وهو يظن أنه قد قتل، فلما رآه قد أفاق قال: على أي دين أنت يا نعل؟ قال: على دين الإسلام، ولست بنعل ولكني أمير المؤمنين، فقال: غيرت كتاب الله، فقال: كتاب الله بيني وبينكم، فتقدم إليه وأخذ بلحيته وقال: إنا لا يقبل منا يوم القيامة أن نقول: [ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً] وشطحه بيده من البيت إلى باب الدار، وهو يقول: يا ابن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي. وجاء رجل من كندة من أهل مصر، يلقب حماراً، ويكنى بأبي رومان. وقال قتادة: اسمه رومان، وقال غيره: كان أزرق أشقر، وقيل كان اسمه سودان بن رومان [المرادى]. وعن ابن عمر قال: كان اسم الذي قتل عثمان أسود بن حمران ضربه بحربة وبيده السيف صلنا قال ثم جاء فضربه به في صدره حتى أقعصه، ثم وضع ذباب السيف في بطنه واتكى عليه وتحامل حتى قتله، وقامت نائلة دونه فقطع السيف أصابعها رضى الله عنها، وروى أن محمد بن أبي بكر طعنه بمشاقص في أذنه حتى دخلت في حلقه. والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره، وأنه استحي ورجع حين قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها. فتندم من ذلك وغطى وجهه ورجع وحاجز دونه فلم يفد وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً.

وروى ابن عساكر عن ابن عون أن كنانة بن بشر ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبه، وضربه سودان بن حمران المرادى بعد ما خر لجنبه فقتله، وأما عمرو بن الحلق فوثب على عثمان فجلس على صدره، وبه رمق، فطعنه تسع طعنات، وقال: أما ثلاث منهن فله، وست لما كان في صدرى عليه.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي، وإسحاق بن داود الصواف التستري قالا: ثنا محمد بن خالد بن خدّاش ثنا مسلم بن قتيبة ثنا مبارك عن الحسن. قال: «حدثني سيف عثمان أن رجلاً من الأنصار دخل على عثمان فقال: ارجع يا ابن أخي فلست بقاتلي، قال: وكيف

(١) بياض بأصل المضربة والتصحيح من عقد الجمان للبدر المعنى.

علمت ذلك ؟ قال : لأنه أتى بك النبي (ص)، يوم سابعك فحنكك ودعا لك بالبركة . ثم دخل عليه رجل آخر من الأنصار فقال له مثل ذلك سواء . ثم دخل محمد بن أبي بكر فقال : أنت قاتلي . قال : وما يدريك يا نعل ؟ قال : لأنه أتى بك رسول الله (ص)، يوم سابعك ليحنكك ويدعوك بالبركة ، فخرت على رسول الله (ص)، قال : فوثب على صدره وقبض على لحيته ، ووجأه بمشاقص كانت في يده . « هذا حديث غريب جداً وفيه نكارة . وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى (فسيفكهم الله وهو السميع العليم) [ويروى أنه كان قد وصل إليها في التلاوة أيضاً حين دخلوا عليه ، وليس ببعيد فانه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن .

وروى ابن عساكر أنه لما طعن قال : بسم الله توكلت على الله ، فلما قطر الدم قال : سبحان الله العظيم . وقد ذكر ابن جرير في تاريخه بأسانيده أن المصريين لما وجدوا ذلك الكتاب مع البريد إلى أمير مصر ، فيه الأمر بقتل بعضهم ، وصلب بعضهم ، وبقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ، وكان قد كتبه مروان بن الحكم على لسان عثمان ، متأولاً قوله تعالى [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم] وعنده أن هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه من جملة المفسدين في الأرض ، ولا شك أنهم كذلك ، لكن لم يكن له أن يفتات على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه ، ويزور على خطه وخاتمه ، ويبعث غلامه على بيعه ، بعد ما وقع الصلح بين عثمان وبين المصريين ، على تأمير محمد بن أبي بكر على مصر ، بخلاف ذلك كله ، ولهذا لما وجدوا هذا الكتاب على خلاف ما وقع الاتفاق عليه ، وظنوا أنه من عثمان ، أعظموا ذلك ، مع ما هم مشتملون عليه من الشر فرجعوا إلى المدينة فطافوا به على رؤس الصحابة ، وأعانهم على ذلك قوم آخرون ، حتى ظن بعض الصحابة أن هذا عن أمر عثمان رضي الله عنه ، فلما قيل لعثمان رضي الله عنه في أمر هذا الكتاب بحضرة جماعة من أعيان الصحابة وجمهور المصريين ، حلف بالله العظيم ، وهو الصادق البار الراشد ، أنه لم يكتب هذا الكتاب ولا أملاه على من كتبه ، ولا علم به ، فقالوا له : فان عليه خاتمك . فقال : إن الرجل قد يزور على خطه وخاتمه قالوا : فانه مع غلامك وعلى جمحك . فقال : والله لم أشعر بشيء من ذلك . فقالوا له - بعد كل مقالة - إن كنت قد كتبتة فقد خنت ، وإن لم تكن قد كتبتة بل كتب على لسانك وأنت لا تعلم فقد عجزت ، ومثلك لا يصلح للخلافة ، إنما لحياتك ، وإما لعجزك ، وهذا الذي قالوا باطل على كل تقدير فانه لو فرض أنه كتب الكتاب ، وهو لم يكتبه في نفس الأمر ، لا يضره ذلك لأنه قد يكون رأى ذلك مصلحة للأمة في إزالة شوكة هؤلاء البغاة الخارجين على الإمام ، وأما إذا لم يكن قد علم به فأى

عجز ينسب إليه إذا لم يكن قد اطلع عليه وزور على لسانه ؟ وليس هو بمعصوم بل الخطأ والغفلة جائزان عليه رضى الله عنه ، وإنما هؤلاء الجهالة البغاة متمتتون خونة ، ظلمة مفترون ، ولهذا صمموا بعد هذا على حصره والتضييق عليه ، حتى منعه الميرة والماء والخروج إلى المسجد ، وتهددوه بالقتل ، ولهذا خاطبهم بما خاطبهم به من توسعة المسجد وهو أول من منع منه ، ومن وقفه بئر رومة على المسلمين وهو أول من منع ماءها ، ومن أنه سمع رسول الله (ص) يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا باحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وذكر أنه لم يقتل نفساً ، ولا ارتد بعد إيمانه ، ولا زنى فى جاهلية ولا إسلام ، بل ولا مس فرجه يمينه بعد أن بايع بهار رسول الله (ص) ، وفى رواية بعد أن كتب بها الفصل . ثم ذكر لهم من فضائله ومناقبه ما لعله ينجع فيهم بالكف عنه والرجوع إلى الطاعة لله ولرسوله ولأولى الأمر منهم ، فأبوا إلا الاستمرار على ما هم عليه من البغى والعدوان ، ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده ، حتى اشتد عليه الحال ، وضاق المجال ، ونفذ ما عنده من الماء ، فاستغاث بالمسلمين فى ذلك فركب على نفسه وحمل معه قرباً من الماء فبالجهد حتى أوصلها إليه بعد ما ناله من جهلة أولئك كلام غليظ ، وتغير لدايته ، وإخراق عظيم بليغ ، وكان قد زجرهم أمم الزجر ، حتى قال لهم فيما قال : والله إن فارس والروم لا يفعلون كفعلكم هذا هذا الرجل ، والله إنهم ليأمررون فيطمعون ويسقون ، فأبوا أن يقبلوا منه حتى رعى بمأتمته فى وسط الدار . وجاءت أم حبيبة راءكة بغلة وحولها حشمها وخدمها ، فقالوا ، ما جاء بك ؟ فقالت : إن عنده وصايا بنى أمية ، لأيتام وأرامل ، فأحببت أن أذكره بها ، فكذبوها فى ذلك ونالها منهم شدة عظيمة ، وقطعوا حزام البغلة وندت بها ، وكادت أو سقطت عنها ، وكادت تقتل لولا تلاحق بها الناس فأمسكوا بدابتها ، ووقع أمر كبير جداً ، ولم يبق يحصل لعثمان وأهله من الماء إلا ما يوصله إليهم آل عمرو بن حزم فى الخفية ليلاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما وقع هذا أعظمه الناس جداً ، ولزم أكثر الناس بيوتهم ، وجاء وقت الحج فخرجت أم المؤمنين عائشة فى هذه السنة إلى الحج ، فقيل لها : إنك لو أقمت كان أصلح ، لعل هؤلاء القوم يهابونك ، فقالت : إني أخشى أن أشير عليهم برأى فينالى منهم من الأذى ما نال أم حبيبة ، فعزمت على الخروج . واستخلف عثمان رضى الله عنه فى هذه السنة على الحج عبد الله بن عباس ، فقال له عبد الله ابن عباس : إن مقامى على بابك أحاجف عنك أفضل من الحج . فعزم عليه ، فخرج بالناس إلى الحج واستمر الحصار بالدار حتى مضت أيام التشريق ورجع اليسير من الحج ، فأخبر بسلامة الناس ، وأخبر أولئك بأن أهل الموسم عازمون على الرجوع إلى المدينة ليكفوكم عن أمير المؤمنين . وبلغتهم

أيضاً أن معاوية قد بعث جيشاً مع حبيب بن مسلمة ، وأن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد نفذ آخر مع معاوية بن خديج ، وأن أهل الكوفة قد بعثوا القعقاع بن عمرو في جيش ، وأن أهل البصرة بعثوا لبحاشعاني جيشاً فعند ذلك صموا على أمرهم بالغوا فيه ، وانتهزوا الفرصة بقتل الناس وغيبتهم في الحج ، وأحاطوا بالدار ، وجدوا في الحصار ، وأحرقوا الباب ، وتسوروا من الدار المتاخمة للدار ، كدار عمرو بن حزم وغيرها ، وحاجف الناس عن عثمان أشد المحاجة ، واقتتلوا على الباب قتالاً شديداً ، وتبارزوا وتراجزوا بالشعر في مبارزتهم ، وجعل أبو هريرة يقول : هذا يوم طاب في الضراب فيه . وقتل طائفة من أهل الدار وآخر من أولئك الفجار ، وجرح عبد الله بن الزبير جراحات كثيرة ، وكذلك جرح الحسن بن علي ومروان ابن الحكم فقطع إحدى علباويه فعاش أوقص حتى مات . ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان ، زياد بن نعيم الفهري ، والمغيرة بن الأخنس بن شريق ، ونيار بن عبد الله الأسلمي ، في أناس وقت المعركة ، ويقال إنه انهزم أصحاب عثمان ثم رجعوا . ولما رأى عثمان ذلك عزم على الناس لينصرفوا إلى بيوتهم ، فانصرفوا كما تقدم ، فلم يبق عنده أحد سوى أهله ، فدخلوا عليه من الباب ، ومن الجدران وفزع عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه ، وكان سريع القراءة - فقرأها والناس في غلبة عظيمة ، قد احترق الباب والسقيفة التي عنده ، وخافوا أن يصل الحريق إلى بيت المال ، ثم فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف ، وجعل يتلو هذه الآية [الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل] فكان أول من دخل عليه رجل يقال له الموت الأسود فحققه حقاً شديداً حتى غشى عليه ، وجعلت نفسه تتردد في حلقة ، فتركه وهو يظن أنه قد قتله ، ودخل ابن أبي بكر فسك بلحيته ثم ند وخرج ، ثم دخل عليه آخر ومعه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها ، فقيل : إنه أبانها : وقيل : بل قطعها ولم يبينها ، إلا أن عثمان قال : والله إنها أول يد كتبت المفصل ، فكان أول قطرة دم منها سقطت على هذه الآية (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) ثم جاء آخر شاهراً سيفه فاستقبلته نائلة بنت الفرافصة لتمنعه منه ، وأخذت السيف فأنزعه منها فقطع أصابعها . ثم إنه تقدم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه ، رضى الله عن عثمان . وفي رواية أن العافقي بن حرب تقدم إليه بعد محمد بن أبي بكر فضربه بمحديدة في فيه ، ورفس المصحف الذي بين يديه برجله فاستدار المصحف ثم استقر بين يدي عثمان رضى الله عنه . وسالت عليه الدماء ، ثم تقدم سودان بن حمران بالسيف فما نعتة نائلة فقطع أصابعها فولت فضرب عجيزتها بيده وقال : إنها لكبيرة العجيزة . وضرب عثمان فقتله ، فجاء غلام عثمان فضرب سودان فقتله ، فضرب الغلام رجل يقال له قتره فقتله .

وذكر ابن جرير أنهم أرادوا حزن رأسه بعد قتله ، فصاح النساء وضربن وجوههن ، فبهن أمراته

نائلة وأم البنين ، وبناته ، فقال ابن عديس : أتركوه ، فتركوه . ثم مال هؤلاء الفجرة على مافي البيت فتهبوه ، وذلك أنه نادى مناد منهم : أيجل لنادمه ولايجل لنا ماله ، فانهبوه ثم خرجوا فأغلقوا الباب على عثمان وفيلين معه ، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قتره فقتله ، وحملوا لايمرون على شيء إلا أخذوه حتى استلب رجل يقال له كاثوم التجبي ، ملاءة نائلة ، فضربه غلام لعثمان فقتله ، وقتل الغلام أيضا ، ثم تنادى القوم : أن أدركوا بيت المال لا تستبقوا إليه ، فسمعهم حفظة بيت المال فقالوا : يا قوم النجاة النجاة ، فإن هؤلاء القوم لم يصدقوا فيما قالوا من أن قصدهم قيام الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما ادعوا أنهم انما قاموا لاجله وكذبوا انما قصدهم الدنيا ، فانهمزوا وجاء الخوارج فاخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدا .

فصل في بيان

ولما وقع هذا الأمر العظيم ، الفظيع الشنيع ، أسقط في أيدي الناس ، فأعظموه جدا ، وندم أكثر هؤلاء الجهالة الخوارج بما صنعوا ، وأشبهوا من تقدمهم ممن قص الله علينا خبرهم في كتابه العزيز ، من الذين عبدوا العجل . في قوله تعالى [ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرجعنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين]

ولما بلغ الزبير مقتل عثمان - وكان قد خرج من المدينة - قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم ترحم على عثمان ، وبلغه أن الذين قتلوه تدموا فقال : تبا لهم ، ثم تلا قوله تعالى [ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون] وبلغ عليا قتله فترحم عليه . وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى [كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين] ولما بلغ سعد بن أبي وقاص قتل عثمان استغفر له وترحم عليه ، وتلا في حق الذين قتلوه [فل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا] ثم قال سعد : اللهم اندمهم ثم خذهم . وقد أقسم بعض السلف بالله إنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولا . رواه ابن جرير .

وهكذا ينبغي أن يكون لوجوه (منها) دعوة سعد المستجابة كما ثبت في الحديث الصحيح . وقال بعضهم : ما مات أحد منهم حتى جن . وقال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال : الذي قتل عثمان كنانة بن بشر بن عتاب التجبي . وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاري تقول : خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل ، حتى إذا كنا بالمرج سمعنا رجلا يفتي تحت الليل :

الآيات خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجبي الذي جاء من مصر
ولما رجع الحج وجدوا عثمان رضى الله عنه قد قتل ، وبائع الناس على بن أبي طالب رضى الله
عنه . ولما بلغ أمهات المؤمنين في أثناء الطريق أن عثمان قد قتل ، رجعن إلى مكة فأقمن بها نحواً من
أربعة أشهر كما سيأتي

قصة عثمان

كانت مدة حصار عثمان رضى الله عنه في داره أربعين يوماً على المشهور ، وقيل كانت بضعا وأربعين
يوماً . وقال الشعبي : كانت ثنتين وعشرين ليلة . ثم كان قتله رضى الله عنه في يوم الجمعة بلا خلاف .
قال سيف بن عمر عن مشايخه : في آخر ساعة منها ، ونص عليه مصعب بن الزبير وآخرون .
وقال آخرون ضحوة نهارها ، وهذا أشبه ، وكان ذلك لثمانى عشر ليلة خلت من ذى الحجة على
المشهور ، وقيل في أيام التشريق ، رواه ابن جرير : تحدثني أحمد بن زهير ثنا أبو خيثمة ثنا وهب بن
جرير سمعت يونس عن يزيد عن الزهري . قال : قتل عثمان فرغم بعض الناس أنه قتل في أيام
التشريق ، وقال بعضهم قتل يوم الجمعة لثلاث خلت من ذى الحجة . وقيل قتل يوم النحر ، حكاه
ابن عساكر ويستشهد له بقول الشاعر :

ضحوا بأشخط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

قال : والأول هو الأشهر ، وقيل إنه قتل يوم الجمعة لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة
خمس وثلاثين على الصحيح المشهور ، وقيل سنة ست وثلاثين ، قال مصعب بن الزبير وطائفة : وهو
غريب . فكانت خلافته ثنتى عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً ، لأنه بويح له في مستهل الحرم سنة
أربع وعشرين . فأما عمره رضى الله عنه فإنه حاوز ثنتين وثمانين سنة ، وقال صالح بن كيسان : توفى
عن ثنتين وثمانين سنة وأشهر ، وقيل : أربع وثمانون سنة ، وقال قتادة : توفى عن ثمان وثمانين أو
تسعين سنة . وفي رواية عنه توفى عن ست وثمانين سنة . وعن هشام بن الكلبي : توفى عن خمس
وسبعين سنة ، وهذا غريب جداً ، وأغرب منه ما رواه سيف بن عمر عن مشايخه ، وهم محمد وطلحة
وأبو عثمان وأبو حارثة أنهم قالوا : قتل عثمان رضى الله عنه عن ثلاث وستين سنة .

وأما موضع قبره فلا خلاف أنه دفن بمش كوكب - شرق البقيع - وقد بنى عليه زمان بنى
أمية قبة عظيمة وهي باقية إلى اليوم . قال الامام مالك رضى الله عنه : بلغني أن عثمان رضى الله عنه
كان يمر بمكان قبره من حش كوكب فيقول : إنه سيدفن ههنا رجل صالح .
وقد ذكر ابن جرير أن عثمان رضى الله عنه بقي بعد أن قتل ثلاثة أيام لا يدفن . قلت : وكأنه

اشتغل الناس عنه بمبايعة على رضى الله عنه حتى تمت ، وقيل إنه مكث ليلتين ، وقيل بل دفن من ليلته ، ثم كان دفنه ما بين المغرب والعشاء خيفة من الخوارج ، وقيل بل استؤذن في ذلك بعض رؤسائهم . فخرجوا به في نفر قليل من الصحابة ، فيهم حكيم بن حزام ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو الجهم بن حذيفة ، ونيار بن مكرم الأسلى ، وجبير بن مطعم ، وزيد بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وطلحة والزبير ، وعلى بن أبي طالب وجماعة من أصحابه ونسائه ، منهن امرأاته نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصين ، وصبيان . - وهذا مجموع من كلام الواقدي وسيف بن عمر التميمي - وجماعة من خدمه حملوه على باب بعد ما غسلوه وكفنوه . وزعم بعضهم أنه لم يغسل ولم يكفن ، والصحيح الأول . وصلى عليه جبير بن مطعم ، وقيل الزبير بن العوام ، وقيل حكيم بن حزام ، وقيل مروان ابن الحكم . وقيل المسور بن مخرمة وقد عارضه بعض الخوارج وأرادوا رجحه ، وإلقاءه عن سريره ، وعزموا على أن يدفن بمقبرة اليهود بدير سلع ، حتى بعث على رضى الله عنه إليهم من نهام عن ذلك وحمل جنازته حكيم بن حزام ، وقيل مروان بن الحكم ، وقيل المسور بن مخرمة ، وأبو جهم بن حذيفة ونيار بن مكرم ، وجبير بن مطعم ، وذكر الواقدي أنه لما وضع ليصلى عليه - عند مصلى الجنائز - أراد بعض الأنصار أن يمنعهم من ذلك ، فقال أبو جهم بن حذيفة : ادفنوه فقد صلى الله عليه وملائكته ثم قالوا : لا يدفن في البقيع ولكن ادفنوه وراء الحائط ، فدفنوه شرقي البقيع تحت نخلات هناك .

وذكر الواقدي أن عمير بن ضابي نزا على سريره وهو موضوع للصلاة عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال : أحبست ضابياً حتى مات في السجن . وقد قتل الحجاج فيما بعد عمير بن ضابي هذا وقال البخاري في التاريخ : حدثنا موسى بن إسماعيل عن عيسى بن منهال ثنا غالب عن محمد بن سيرين قال : كنت أطوف بالكعبة وإذا رجل يقول : اللهم اغفر لي ، وما أظن أن تغفر لي ، فقلت : يا عبد الله ما سمعت أحداً يقول ما تقول ، قال : كنت أعطيت الله عهداً إن قدرت أن ألطم وجه عثمان إلا لطمته ، فلما قتل وضع على سريره في البيت والناس يجيئون يصلون عليه ، فدخلت كأني أصلى عليه ، فوجدت خلوة ففقت الثوب عن وجهي ولطمته وقد يبست يميني . قال ابن سيرين : فرأيتها يابسة كأنها عود . ثم أخرجوا بمعدى عثمان الذين قتلوا في الدار ، وهما صبيح ونجيح ، رضى الله عنهما ، فدفنا إلى جانبه بحش كوكب ، وقيل إن الخوارج لم يمكنوا من دفنهما ، بل جروهما بأرجلهما حتى ألقوهما بالبلاط فأكلتهما الكلاب ، وقد اعتنى معاوية في أيام إمارته بقبر عثمان ، ورفع الجدار بينه وبين البقيع ، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتصلت بمقابر المسلمين .

ذكر صفته رضي الله عنه

كان رضي الله عنه حسن الوجه دقيق البشرة ، كبير اللحية ، معتدل القامة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، حسن الثغر ، فيه سمرة ، وقيل كان في وجهه شيء من آثار الجدي ، رضي الله عنه . وعن الزهري : كان حسن الوجه والثغر ، مربوعاً ، أصلع ، أزوح الرجلين .

يخضب بالصفرة وكان قد شد أسنانه بالذهب وقد كسى ذراعيه الشعر .
وقال الواقدي : حدثنا ابن أبي سبرة عن سعيد بن أبي زيد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة . قال : كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ، ثلاثون ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ، ومائة ألف دينار ، غانتهبت وذهبت ، وترك ألف بعير بالرفة ، وترك صدقات كان تصدق بها ، بئر أريس ، وخير ، ووادي القرى ، فيه مائتا ألف دينار . [وبئر رومة كان اشتراها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسبها] (١)

فضائل

قال الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة أنه قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن الدجال . وروى الحافظ بن عساكر من طريق شبابة عن حفص بن مروق الباهلي ، عن حجاج بن أبي عمار الصواف عن زيد بن وهب عن حذيفة . قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن خروج الدجال ، والذي نفسى بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه ، وإن لم يدركه ، آمن به في قبره . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا وغيره : أنا محمد بن سعد أنا عمرو بن عاصم الكلبي ثنا أبو الأشهب حدثني عوف عن محمد بن سيرين أن حذيفة بن اليمان قال : اللهم إن كان قتل عثمان بن عفان خيراً . فليس لي فيه نصيب ، وإن كان قتله شراً فأنا منه بريء ، والله لئن كان قتله خيراً ليحلبنه لبناً ، وإن كان قتله شراً ليمتص به دماً . وقد ذكره البخاري في صحيحه .

طريق أخرى عنه

قال محمد بن عائذ : ذكر محمد بن حمزة حدثني أبو عبد الله الحراني أن حذيفة بن اليمان في مرضه الذي هلك فيه كان عنده رجل من إخوانه وهو يناحى امرأته ففتح عينيها فسالها فقالا خيراً ، فقال : شيئاً تسرانه دوني ما هو بخير ، قال : قتل الرجل - يعني عثمان - قال فاسترجع ثم قال : اللهم إني كنت من هذا الأمر بمنزل ، فإن كان خيراً فهو لمن حضره وأنا منه بريء ، وإن كان شراً فهو لمن حضره وأنا منه بريء ، اليوم تغيرت القلوب يا عثمان ، الحمد لله الذي سبق بي الفتن ، قادتها وعلو جها الخطي ، من تردى بغيره فشييع شحماً وقبل عمله . وقال الحسن بن عرفة : ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن

(١) زيادة من عقد الجمان منسوبة لابن كثير .

عليه عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي موسى الأشعري . قال لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبنا ، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دما ، وهذا منقطع . وقال محمد بن سعد : أنا حازم بن الفضل أنا الصعق بن حزن ثنا قتادة عن زهدم الجرمي . قال : خطب ابن عباس فقال : لولم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء . وقد روى من غير هذا الوجه عنه . وقال الأعمش وغيره عن ثابت بن عبيد عن أبي جعفر الأنصاري . قال : لما قتل عثمان جنت عليا وهو جالس في المسجد وعليه عمامة سوداء فقلت له : قتل عثمان ، فقال : تبأ لهم آخر الدهر . وفي رواية : خيبة لهم . وقال أبو القاسم البغوي : أنبأنا علي بن الجعد أنا شريك عن عبد الله بن عيسى عن ابن أبي ليلى . قال : سمعت عليا وهو بيناب المسجد أو عند أحجار الزيت رافعا صوته يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان . وقال أبو هلال عن قتادة عن الحسن . قال : قتل عثمان وعلى غائب في أرض له ، فلما بلغه قال : اللهم إني لم أرض ولم أمأ إلى . وروى الربيع بن بدر عن سيار بن سلامة عن أبي العالية : أن عليا دخل على عثمان فوقع عليه وحمل يبكي حتى ظنوا أنه سيلحق به . وقال الثوري وغيره عن ليث عن طاووس عن ابن عباس قال : قال علي يوم قتل عثمان : والله ما قتلت ولا أمرت ولكني غلبت . ورواه غير ليث عن طاووس عن ابن عباس عن علي نحوه ، وقال حبيب بن أبي العالية عن مجاهد عن ابن عباس . قال : قال علي إن شاء الناس حلفت لهم عند مقام إبراهيم بالله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله ، ولقد نبيتهم فعضوني ، وقد روى من غير وجه عن علي بنحوه . وقال محمد بن يونس الكندي : ثنا هارون بن إسماعيل ثنا قرة بن خالد عن الحسن عن قيس بن عباد . قال : سمعت عليا يوم الجمل يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان ، وأنا نكرت نفسي ، وجاءوني للبيعة فقلت : والله إني لأستحي من الله أن أبياع قوما قتلوا رجلا قال فيه رسول الله (ص) : « إني لأستحي ممن تستحي منه الملائكة » وإني لأستحي من الله أن أبياع وعثمان قتيل في الأرض لم يدفن بعد ، فانصرفوا ، فلما دفن رجع الناس يسألوني البيعة فقلت : اللهم إني أشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزمة فبايعت . فلما قالوا : أمير المؤمنين كان صدق قلبه وأسكت نفرة من ذلك ، وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر بجميع الطرق الواردة عن علي أنه تبرأ من دم عثمان ، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالا ولا رضى به ، ولقد نبهني عنه فلم يسمعوا منه . ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث والله الحمد والمنة . وثبت عنه أيضا من غير وجه أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم [ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين] وثبت عنه أيضا من غير وجه أنه قال : [كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا] وفي رواية

أنه قال : كان عثمان رضى الله عنه خيراً وأوصلنا للرحم ، وأشدنا حياء ، وأحسننا طهوراً ، وأتقانا للرب عز وجل . وروى يعقوب بن سفيان عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مجالد عن عمير ابن رودى (كذا) أبى كثير . قال : خطب على قطع الخوارج عليه خطبته فترل فقال : إن مثلى ومثل عثمان كمثل أثوار ثلاثة ، أحمر وأبيض وأسود ، ومعهم فى أجمة أسد ، فكان كلما أراد قتل أحدهم منعه الآخران ، فقال للأسود والأحمر : إن هذا الأبيض قد فضحنا فى هذه الأجمة فغلبنا عنه حتى آكله ، فغلبنا عنه فأكله ، ثم كان كلما أراد أحدهما منعه الآخر فقال للأحمر : إن هذا الأسود قد فضحنا فى هذه الأجمة ، وإن لوفى على لونك فلو خليت عنه أكلته فغلبنا عنه فأكله ، ثم قال للأحمر : إني آكلك ، فقال : دعنى حتى أصبح ثلاث صيحات ، فقال دونك ، فقال : ألا إني إنما أكلت يوم أكل البيض ثلاثاً فلو إني نصرته لما أكلت ثم قال علي : وإنما أنا وهنت يوم قتل عثمان ، ولو إني نصرته لما وهنت قالها ثلاثاً . وروى ابن عساكر من طريق محمد بن هارون الحضرمي عن سويد بن عبد الله القشيري القاضي عن ابن مهدي عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب . قال : كانت المرأة تبيح في زمان عثمان إلى بيت المال فتحمل وقرها وتقول : اللهم بدل ، اللهم غير . فقال حسان بن ثابت حين قتل عثمان رضى الله عنه .

قلتمُ بدلٌ فقد بدلکم * سنة حرى وحرأ كاللهب

ما قيمتم من ثياب خلفه * وعبيد وإماء وذهب

قال : وقال أبو حميد أخو بني ساعدة - وكان ممن شهد بدرأ ، وكان ممن جانب عثمان - فلما قتل قال : والله ما أردنا قتله ، ولا كنا نرى أن يبلغ منه القتل ، اللهم إن لك على أن لا أفضل كذا وكذا ولا أضحك حتى ألقاك ، وقال محمد بن سعد أنا عبد الله بن إدريس أنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . قال : لقد رأيتني وأن عمر موثق وأخته على الاسلام ، ولو أرفض أحد فيما صنعتم بآبن عفان لكان حقيقاً . وهكذا رواه البخارى في صحيحه . وروى محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عباس عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير . قال : سمع عبد الله بن سلام رجلاً يقول لا آخر : قتل عثمان بن عفان فلم ينتطح فيه عتران . فقال ابن سلام أجل ! إن البقر والمعر لا تنتطح فى قتل الخليفة ، ولكن ينتطح فيه الرجال بالسلاح ، والله لنفتلن به أقوام إنهم لفي أصلاب آبائهم ما ولدوا بعد . وقال ليث عن طاووس . قال : قال ابن سلام : بحكم عثمان يوم القيامة فى القاتل والغازل . وقال أبو عبد الله المحاملى : ثنا أبو الأشعث ثنا حزم بن أبي حزم سمعت أبا الأسود يقول سمعت أبا بكره يقول : لأن آخر من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أشرك فى قتل عثمان . وقال أبو يعلى : ثنا إبراهيم بن محمد بن عريرة ثنا محمد بن عباد الهباني ثنا البراء

ابن أبي فضال ثنا الحضرمي عن أبي مريم رضيع الجارود . قال : كنت بالكوفة فقام الحسن بن علي خطيباً فقال : أيها الناس ! رأيت البارحة في منامي عجبا ، رأيت الرب تبارك وتعالى فوق عرشه فجاء رسول الله (ص) ، حتى قام عند قائمة من قوائم العرش ، فجاء أبو بكر فوضع يده على منكب النبي (ص) ثم جاء عمر فوضع يده على منكب أبي بكر ، ثم جاء عثمان فكان بيده - يعني رأسه - فقال : رب سل عبادك فيم قتلوني ؟ فانبعث من السماء ميزا بان من دم في الأرض ، قال قليل لعلي ألا ترى ما يحدث به الحسن ؟ فقال : حدث بما رأي . ورواه أبو يعلى أيضا عن سفیان بن وكيع عن جميع بن عمير عن عبد الرحمن بن مجالد عن حرب العجلي : سمعت الحسن بن علي يقول : ما كنت لأقاتل بعد رؤيا رأيتها ، رأيت العرش ورأيت رسول الله (ص) ، متعلق بالعرش ، ورأيت أبا بكر واضعا يده على منكب رسول الله ، وكان عمر واضعا يده على منكب أبي بكر ، ورأيت عثمان واضعا يده على منكب عمر ، ورأيت دما دونهم ، فقلت : ما هذا ؟ قليل : دم عثمان يطلب الله به . وقال مسلم بن إبراهيم : ثنا سلام بن مسكين عن وهب بن شبيب عن زيد بن صوحان أنه قال : يوم قتل عثمان ففرت القلوب منا فرها ، والذي نفسى بيده لا تتألف إلى يوم القيامة ، وقال محمد بن سيرين : قالت عائشة : مصصتموه مص الاثاء ثم قتلتموه ؟ وقال خليفة بن خياط ثنا أبو قتيبة ثنا يونس بن أبي إسحاق عن عون بن عبد الله ابن عتبة . قال : قالت عائشة : غضبت لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف ، استعبتتموه حتى إذا تركتموه كالمعقب المصفي قتلتموه . وقال أبو معاوية عن الأعمش عن خيشمة عن مسروق . قال : قالت عائشة حين قتل عثمان : تركتموه كالثوب النقي من الدنس ثم قتلتموه . وفي رواية : ثم قربتموه ثم ذبحتموه كما يذبح الكبش ؟ فقال لها مسروق : هذا عملك ، أنت كتبت إلى الناس تأمرهم أن يخرجوا إليه ، فقالت : لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ، ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا . قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كذب على لسانها . وهذا إسناد صحيح إليها . وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله ، زوروا كتبنا على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان ، كما قدمنا بيانه والله الحمد والمنة .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا حزم القطبي ثنا أبو الأسود بن سودة أخبرني طلق بن حسان قال : قال قتل عثمان ففرقنا في أصحاب محمد (ص) ، نسألهم عن قتله فسمعت عائشة تقول : قتل ظلوماً لمن الله قتله . وروى محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة عن أنس . قال : قالت أم سليم لما سمعت بقتل عثمان : رحمه الله ، أما إنه لم يحلبوا بعده إلا دما .

وأما كلام أئمة التابعين في هذا الفصل فكثير جداً يطول ذكرنا له ، فمن ذلك قول أبي مسلم الخولاني حين رأى الوفد الذين قدموا من قتله انكم مثلهم أو أعظم جريماً
أما مررتم ببلاد ثمود ؟ قالوا : نعم ! قال : فاشهد

أنكم مثلهم ، خليفة الله أكرم عليه من ناقة . وقال ابن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن .
قال : لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبنا ، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دماً .
وقال أبو جعفر الباقر : كان قتل عثمان على غير وجه الحق .

وهذا ذكر بعض ما رُئي به رضي الله عنه

قال مجاهد عن الشعبي : ما سمعت من مرأى عثمان أحسن من قول كعب بن مالك :

فكفَّ يديه ثم أغلق بابه * وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوه * عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيته صب عليهم * العداوة والبغضاء بعد التوصل
وكيف رأيته الخير أدبر بعمه * عن الناس إدار النعام الجوافل

وفد نسب هذه الأبيات سيف بن عمر إلى أبي المغيرة الأخنس بن شريق . وقال سيف بن
عمر : وقال حسان بن ثابت :

ماذا أردتم من أخي الدين بركت * يدُ الله في ذاك الأديم المقدر
فقلتم ولئى الله في جوف داره * وجئتم بأمر جائر غير مهتر
فهل رعيتم فمة الله بينكم * وأوفيتهم بالعهد عهد محمد
ألم يك فيكم ذا بلاء ومصديق * وأوفاكم عهداً لدى كل مشهد
فلا ظفرت أيمان قوم تباعوا * على قتل عثمان الرشيد السدد

وقال ابن جرير : وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

من سره الموت صرفاً لا مزاج له * فليأت مأسدة في دار عثمان
مستحقي حلق الماذى قد سغت * فوق الحاطم بيض زان أبدانا
ضحوا بأشخط عنوان السجود به * يقطع اللير تسبيحاً وقرآنا
صبراً فدى لكم أمى وما ولدت * قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
قد رضينا بأرض الشام نافرة * وبالأمر وبالإخوان إخوانا
إني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا * مادمت حياً وما سميت حسانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمان
يا ليت شعري وليت الطير تخبرني * ما كان شأن علي وابن عفانا

[وهو القائل أيضاً

إِنْ تَمَسَّ دَارُ ابْنِ أَرْوَى مِنْهُ خَلْوِيَّةٌ * بَابٌ صَرِيحٌ وَبَابٌ مُحَرَقٌ خَرِبُ
 قَدْ يَصَادَفُ بَاغِيَّ الْإِمْرَفِ حَاجَتُهُ * فِيهَا وَيَأْذِي إِلَيْهَا الْمَجْدُ وَالْحَسْبُ
 يَمَعُشَرُ النَّاسِ ابْدُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ * لَا يَسْتَوِي الصَّدَقُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْكَذِبُ
 وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ

إِنَّ الْخِلَافَةَ لَمَّا أَظْمَنْتْ ظَمَنْتُ * عَنْ أَهْلِ يَثْرِبَ إِذْ غَيَّرَ الْهَدْيَ سَلَكُوا
 صَارَتْ إِلَى أَهْلِهَا مِنْهُمْ وَوَارِنَهَا * لَمَّا رَأَى اللَّهُ فِي عُمَانَ مَا انْتَهَكُوا
 السَّافِكِي دَمَهُ ظَلَمًا وَمَعْصِيَةً * أَيُّ دَمٍ لَا هَدْيًا مِنْ غِيْثِهِمْ سَفَكُوا^(١)
 وَقَالَ رَاعِي الْأَبْلِ الْفَيْرِي فِي ذَلِكَ :

عَشِيَّةً يَدْخُلُونَ بَنْيَرَ إِذْنِي * عَلَى مَتَوَكِّلٍ أَوْفَى وَطَابَا
 خَلِيلُ مُحَمَّدٍ وَوَزِيرُ صَدِيقِي * وَرَابِعُ خَيْرِ مَنْ وَطَى التُّرَابَا

قَصَّةُ الْأَنْزَالِ

إِنْ قَالَ قَائِلٌ كَيْفَ وَقَعَ قَتْلُ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْمَدِينَةِ وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ فْجَوَابُهُ مِنْ وَجْهِهِ (أَحَدُهَا) أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ كَلَامَهُمْ لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَبْلُغُ
 الْأَمْرَ إِلَى قَتْلِهِ ، فَإِنَّ أَوْلَئِكَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَكُونُوا يَحَاوِلُونَ قَتْلَهُ عَيْنًا ، بَلْ طَلَبُوا مِنْهُ أَحَدَ أُمُورِ
 ثَلَاثَةِ إِمَامٍ أَنْ يَعِزْلَ نَفْسَهُ ، أَوْ يَسْلَمْ إِلَيْهِمْ مِرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ ، أَوْ يَقْتُلُوهُ ، فَكَانُوا يَرْجُونَ أَنْ يَسْلَمَ إِلَى
 النَّاسِ مِرْوَانَ ، أَوْ أَنْ يَعِزْلَ نَفْسَهُ وَيَسْتَرْجِعَ مِنْ هَذِهِ الصَّائِقَةِ الشَّدِيدَةِ . وَأَمَّا الْقَتْلُ فَمَا كَانَ يَظُنُّ أَحَدٌ
 أَنَّهُ يَقَعُ ، وَلَا أَنَّ هَؤُلَاءِ يَجْتَرِؤْنَ عَلَيْهِ إِلَى مَا هَذَا حَدَثُهُ ، حَتَّى وَقَعَ مَا وَقَعَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . - الثَّانِي - أَنَّ
 الصَّحَابَةَ مَانَعُوا دُونَهُ أَشَدَّ الْمَانَعَةِ ، وَلَكِنْ لَمَّا وَقَعَ التَّضْيِيقُ الشَّدِيدُ ، عَزَمَ عُمَانُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَكْفُوا
 أَيْدِيَهُمْ وَيَقْسِدُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَفَعَلُوا ، فَتَمَكَّنَ أَوْلَئِكَ مِمَّا أَرَادُوا ، وَمَعَ هَذَا مَاظَنَّ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ
 يَقْتُلُ بِالْكَلْبَةِ - الثَّلَاثُ - أَنَّ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجَ لَمَّا اغْتَنَمُوا غِيْبَةً كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي أَيَّامِ الْحُجِّ ،
 وَلَمْ تَقْدَمِ الْجَيْشُ مِنَ الْآفَاقِ لِلنَّصْرَةِ ، بَلْ لَمَّا اقْتَرَبَ مَجِيئُهُمْ ، انْتَهَزُوا فُرْصَتَهُمْ ، قَبِضُوا عَلَى اللَّهِ ، وَصَنَعُوا
 مَا صَنَعُوا مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ - الرَّابِعُ - أَنَّ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجَ كَانُوا قَرِيبًا مِنَ الْغَنِيِّ مَقَاتِلَ مِنَ الْأَبْطَالِ ، وَرَبَّمَا
 لَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنَ الْمَقَاتِلَةِ ، لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا فِي الثَّغُورِ وَفِي الْأَقَالِيمِ فِي كُلِّ جِهَةٍ ،
 وَمَعَ هَذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ اعْتَزَلَ هَذِهِ الْفِتْنَةَ وَلَزِمُوا بَيْتَهُمْ ، وَمَنْ كَانَ يَحْضُرُ مِنْهُمْ الْمَسْجِدَ لَا يَجِيءُ
 إِلَّا وَمَعَهُ السِّيفُ ، يَضَعُهُ عَلَى حَبْوَتِهِ إِذَا احْتَبَى ، وَالْخَوَارِجَ مُحَدِّقُونَ بِدَارِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَبَّمَا

(١) زِيَادَةُ مِنْ تَارِيخِ الْبَدْرِ الْعَيْنِيِّ قَلَمَهَا فِي سِيَاقِ عِبَارَةِ ابْنِ كَثِيرٍ .

لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك ، ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجفون عن عثمان رضى الله عنه ، لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته ، فما فجئ الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها ، وأحرقوا بابها ، وتسوروا عليه حتى قتلوه ، وأما ما يذكرونه بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضى بقتله ، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضى بقتل عثمان رضى الله عنه ، بل كلهم كرهه ، ومقته ، وسب من فعله ، ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الأمر ، كعمار بن ياسر ، ومحمد بن أبى بكر ، وعمر و بن الحنفية وغيرهم .

وقد ذكر ابن عساکر في ترجمة سهم بن خنيس أوخنيش أوخنش الأزدى - وكان قد شهد الدار - ورواه محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرعي عنه وكان قد استعاده عمر بن عبد العزيز إلى دير سمعان فسأله عن مقتل عثمان فذكر ما ملخصه أن وفد السبائية وفد مصر كانوا قد قدموا على عثمان فأجازهم وأرضاهم فانصرفوا راجعين ثم كروا إلى المدينة فوافقوا عثمان قد خرج لصلاة الغداة أو الظهر فخصبوه بالحصى والنعال والخفاف فانصرف إلى الدار ومعه أبو هريرة والزبير وابنه عبد الله وطليحة ومروان والمغيرة بن الأحنس في ناس ، وطاف وفد مصر بهاردا ، فاستشار الناس فقال عبد الله ابن الزبير : يا أمير المؤمنين إني أشير بأحدى ثلاث خصال إما أن نحرم بعمرة فيحرم عليهم دماؤنا وإما أن نركب معك إلى معاوية بالشام ، وإما أن نخرج فنضرب بالسيف إلى أن يحكم الله بيننا وبينهم فأنا على الحق وهم على الباطل . فقال عثمان : أما ما ذكرت من الاحياء بعمرة فنحرم دماؤنا فانهم يرونا ضلالا الآن وحال الأحرار وبعد الأحرار ، و . . . الذهاب إلى الشام فإني استحي أن أخرج من بينهم خائفا فيراى أهل الشام وتسمع الأعداء من الكفار ذلك ، وأما القتال فإني أرجو أن ألقى الله وليس يهراق بسبى محجمة دم . قال : ثم صلينا معه صلاة الصبح ذات يوم فلما فرغ أقبل على الناس فقال : إني رأيت أبا بكر وعمر أتياى الليلة فقالا لى : يا عثمان فانك تظفر عندنا ، وإني أشهدكم أنى قد أصبحت صائما وإني أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالما مسلوما منه . قلنا : يا أمير المؤمنين إن خرجنا لم نأمن منهم علينا فأذن لنا أن نكون معه في بيت من الدار تكون لنا فيه جماعة ومنعة ، ثم أمر بيباب الدار ففتح ودعا بالمصحف فأكب عليه وغندة امرأاته بنت الفرافصة وابنة شيبة فكان أول من دخل عليه محمد بن أبى بكر فأخذ بلحيته فقال : دعها يا ابن أخى فوالله لقد كان أبوك يتلف لها بأذى من هذا ، فاستحي فخرج فقال للقوم : قد أشعرتكم لسكم وأخذ عثمان ما امتعط من لحيته فأعطاه إحدى امرأتيه ثم دخل رومان بن سودان رجل أزدى قصير محدد عداة من مراد منه حرف من حديد فاستقبله فقال : على أى ملة أنت يا نعل ؟ فقال عثمان : لست بنعل ولكنى عثمان بن عفان ، وأنا على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما أنا من المشركين فقال : كذبت ، وضربه بالحرف على صدغه الأيسر فقتله فخر فأدخلته نائلة بينها وبين ثيابها - وكانت جسيمة ضليعة - فألقت نفسها عليه وألقت بنت شيبة نفسها على ما بقى من جسده ودخل رجل من أهل مصر بالسيف مصلنا فقال : والله لأقطعن أنفه فمالج المرأة عنه فقلبت فكشف عنها درعها من

خلفها حتى نظر إلى منها فلما لم يصل إليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها فقبضت على السيف فقطع أناملها، فقالت: يارباح، لغلام عثمان أسود يا غلام ادفع عني هذا الرجل، فشى إليه الغلام فضر به فقتله وخرج أهل البيت يقاتلون عن أنفسهم فقتل المغيرة بن الأخنس وجرح مروان قال: فلما أُمسينا قلنا: إن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به فاحتملناه إلى بقيع الفرقد في جوف الليل وغشيناه سواد من خلفنا فبيناهم وكدنا أن نتفرق عنه فنادى مناديه: أن لا روع عليكم البشوا إنما جئنا لنشهد معكم - وكان أبو حبيش يقول: هم ملائكة الله - فدفناه ثم هربنا إلى الشام من ليلتنا فلقينا الجيش بوادي القرى عليه حبيب بن مسلمة قد أتوا في نصرة عثمان فأخبرناهم بقتله ودفنه .

قال أبو عمر بن عبد البر: دفنوا عثمان رضي الله عنه بمحش كركب - وكان قد اشتراه وزاده في البقيع - ولقد أحسن بعض السلف إذ يقول وقد سئل عن عثمان: هو أمير البررة، وقبيل الفجرة، مخنول من خنله، منصور من نصره .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في آخر ترجمة عثمان وفضائله - بعد حكايته هذا الكلام: الذين قتلوه أو ألجأوا عليه قتلوا إلى عفو الله ورحمته، والذين خذلوه خذلوا وتنقص عيشهم، وكان الملك بعده في نائبه معاوية وبنه، ثم في وزيره مروان وثمانية من ذريته، استطالوا حياته وملوه مع فضله وسوابقه، فتملك عليهم من هو من بني عمه بضعا وثمانين سنة، فالحكم لله العلي الكبير. وهذا لفظه بحروقه

بعض الأحاديث الواردة في فضائل عثمان بن عفان

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أبو عمرو وأبو عبد الله، القرشي، الأموي، أمير المؤمنين، ذو التورين، وصاحب المهجرتين، وزوج الابنتين. وأمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن عبد شمس. وأما أم حكيم وهي البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ص)، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة، ثم تعينت فيه باجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فكان ثالث الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، المأمور باتباعهم والافتداء بهم.

أسلم عثمان رضي الله عنه قديما على يدي أبي بكر الصديق، وكان سبب إسلامه عجيبا فيما ذكره الحافظ ابن عساكر، وملخص ذلك أنه لما بلغه أن رسول الله (ص) زوج ابنته رقية - وكانت ذات جمال - من ابن عمها عتبة بن أبي لهب، تأسف إذ لم يكن هو تزوجها، فدخل على أهله مهموما فوجد عندهم خالته سمدي بنت كرز - وكانت كاهنة - فقالت له: أبشر وحييت ثلاثا تورا، ثم تلا

وثلاثاً أخرى ، ثم بأخرى كى تم عشرا ، أذاك خير ووقيت شراً ، أنكحت والله حصانا زهرا ، وأنت بكر ولقيت بكرا ، وافيتها بنت عظيم قدرا ، بنيت أمراً قد أشاد ذكرها * قال عثمان : فعجبت من أمرها حيث تبشرني بالمرأة قد تزوجت بغيري : فقلت : ياخاله ! ماتقولين ؟ فقالت : عثمان لك الجلال ، ولك اللسان ، هذا النبي معه البرهان . أرسله بحقه الديان . وجاءه التنزيل والفرقان ، فاتبعه لا تمناك الأوثان . قال : فقلت إنك لتدكرين أمراً ما وقع ببلدنا . فقالت : محمد بن عبد الله ، رسول من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو به إلى الله ، ثم قالت : مصباحه مصباح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ، ما ينفع الصباح ، لو وقع الذباح ، وسلت الصفاح ومدت الرماح . قال عثمان : فانطلقت مفكراً فلقيني أبو بكر فأخبرته ، فقال : ويحك يا عثمان إنك لرجل حازم ، ما يخفى عليك الحق من الباطل ، ما هذه الأصنام التي يعبدونها قومنا ؟ أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ؟ قال : قلت بلى ! والله إنها لكذلك ، فقال : والله لقد صدقتك خالتك ، هذا رسول الله محمد بن عبد الله ، قد بعثه الله إلى خلقه برسائه ، هل لك أن تأتيه ؟ فاجتمعنا برسول الله فقال : يا عثمان أجب الله إلى حقه ، فإني رسول الله إليك وإلى خلقه قال : فوالله ما تمالك نفسي منذ سمعت رسول الله (س) أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم لم ألبث أن تزوجت رقية بنت رسول الله (س) . فكان يقال :

أحسن زوج رآه إنسان * رقية وزوجها عثمان

فكانت في ذلك سعدى بنت كريب :

هدى الله عثماناً بقولي إلى الهدى * وأرشدني الله يهدي إلى الحق
فتابع بالرأي السيد محمد * وكلّ برأي لا يصد عن الصدق
وأنكحه المبعوث بالحق بنته * فكأننا كبدر مازج الشمس في الأفق
فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتي * وأنت أمين الله أرسلت للخلق

قال : ثم جاء أبو بكر من الغد بعثمان بن مظعون ، وبأبي عبيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، فأسلموا وكاتوا مع من اجتمع مع رسول الله ثمانية وثلاثون رجلاً . وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله (س) ، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة ، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض ابنة رسول الله (س) ، وأقام بسببها في المدينة ، وضرب له رسول الله (س) ، بسهم منها وأجره فيها ، فهو معدود فيمن شهد بها . فلما توفيت زوجه رسول الله (س) ، بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضاً في محبته ، وقال رسول الله (س) : « لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان » وشهد أحداً وفريومث فيمن تولى ، وقد نص الله على العفو عنهم ، وشهد

الخلق والحديدية ، وبايع عنه رسول الله (س) يومئذ باحدى يديه ، وشهد خبير وعمره القضاء ، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك ، وجيز جيش العسرة . وتقدم عن عبد الرحمن بن خباب أنه جهزهم يومئذ بثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها ، وعن عبد الرحمن بن سمرة أنه جاء يومئذ بألف دينار فصبتها في حجر رسول الله (س) ، فقال (س) : ماضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم مرتين . وحج مع رسول الله (س) حجة الوداع ، وتوفي وهو عنه راض ، وصحب أبا بكر فأحسن صحبته ، وتوفي وهو عنه راض ، وصحب عمر فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض . ونص عليه في أهل الشورى السنة ، فكان خیرم كما سیأتی .

فولى الخلافة بعده ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأقطار ، وتوسعت المملكة الإسلامية ، وامتدت الدولة الحمديّة ، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها ، وظهر للناس مصداق قوله تعالى : [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً] وقوله تعالى : [هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون] وقوله (س) : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتنفق كنوزها في سبيل الله » وهذا كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطد في زمان عثمان رضي الله عنه .

وقد كان رضي الله عنه حسن الشكل ، مليح الوجه ، كريم الأخلاق ، ذا حياة كثير ، وكرم غزير ، يؤثر أهله وأقاربه في الله ، تأليفاً لقلوبهم من متاع الحياة الدنيا الفاني ، لعله برغبهم في إيثار ما يبقى على ما يفنى ، كما كان النبي (س) . يعطى أقواماً ويدع آخرين ، يعطى أقواماً خشية أن يكبههم الله على وجوههم في النار ، ويكل آخرين إلى ما جعل الله في قلوبهم من الهدى والإيمان ، وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام ، كما تعنت بعض الخوارج على رسول الله (س) في الايثار . وقد قدمنا ذلك في غزوة حنين حيث قسم غنائمها * وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل عثمان رضي الله عنه نذكر ما تيسر منها إن شاء الله وبه الثقة ، وهي قسماً - الأول - فيما ورد في فضائله مع غيره .

فمن ذلك الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه : حدثنا مسدد ثنا يحيى بن سعيد عن سعيد عن قتادة أن أنساً حدثهم قال : « صعد النبي (س) أحداً معه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف فقال : اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان » تفرد به دون مسلم وقال الترمذي : ثنا قتيبة ثنا عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله (س) « كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير ،

فتحركت الصخرة ، فقال النبي (ص) : اهدئي فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد . ثم قال في الباب : عن عثمان بن سعيد بن زيد وابن عباس ، وسهيل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وبريدة الأسلمي ، وهذا حديث صحيح . قلت : ورواه أبو الدرداء ، ورواه الترمذي عن عثمان في خطبته يوم الدار ، وقال : على ثبير .

حديث آخر

وهو عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال : كنت مع رسول الله (ص) في حائط ، فأمرني بحفظ الباب ، فجاء رجل يستأذن فقلت : من هذا ؟ قال : أبو بكر ، فقال رسول الله (ص) : ائذن له وبشره بالجنة . ثم جاء عمر فقال ائذن له وبشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فقال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فدخل وهو يقول : اللهم صبراً وفي رواية - الله المستعان « رواه عنه قتادة . وأيوب السخيتاني . وقال البخاري : وقال حماد بن زيد : حدثنا عاصم الأحول وعلي بن الحكم سمعا أبا عثمان يحدث عن أبي موسى الأشعري بنحوه ، وزاد عاصم أن رسول الله (ص) كان قاعداً في مكان قد انكشف عن ركبتيه ، أو ركبته ، فلما دخل عثمان غطاها . وهو في الصحيحين أيضاً من حديث سعيد بن المسيب عن أبي موسى ، وفيه « أن أبا بكر وعمر دليا أرجلهما مع رسول الله في باب القف وهو في البئر ، وجاء عثمان فلم يجد له موضعاً » قال سعيد : فأولت ذلك قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان .

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن مروان ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة . قال : قال نافع بن الحارث : « خرجت مع رسول الله (ص) حتى دخل حائطاً فقال : امسك على الباب ، فجاء حتى جلس على القف ودلى رجله ، ف ضرب الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر ، قال : ائذن له وبشره بالجنة ، فدخل فجلس مع رسول الله (ص) على القف ودلى رجله في البئر ، ثم ضرب الباب : فقلت : من هذا ؟ قال : عثمان ، قلت : يا رسول الله هذا عمر ، قال : ائذن له وبشره بالجنة ، ففعلت ، فجاء فجلس مع رسول الله (ص) على القف ودلى رجله في البئر ، ثم ضرب الباب فقلت : من هذا ؟ قال : عثمان ، قلت : يا رسول الله هذا عثمان ، قال : ائذن له وبشره بالجنة معها بلاء ، فأذنت له وبشرته بالجنة ، فجلس مع رسول الله (ص) على القف ودلى رجله في البئر « هكذا وقع في هذه الرواية ، وقد أخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي سلمة ، فيحتمل أن أبا موسى ونافع بن عبد الحارث كانا موكلين بالباب ، أو أنها قصة أخرى .

وقد رواه الامام أحمد عن عفان عن وهيب عن موسى بن عقبة سمعت أبا سلمة ولا أعلمه إلا عن نافع بن عبد الحارث « أن رسول الله (ص) دخل حائطاً فجلس على قف البئر ، فجاء أبو بكر

فاستأذن فقال لأبي موسى : ائذن له وبشره بالجنة . ثم جاء عمر فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فقال : ائذن له وبشره بالجنة وسيلقى بلاء . وهذا السباق أشبه من الأول ، على أنه قد رواه اللسائي من حديث صالح بن كيسان عن أبي الزناد عن أبي سلمة عن عبد الرحمن بن نافع بن عبد الخارث عن أبي موسى الأشعري قاله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد أنا همام عن قتادة عن ابن سيرين ومحمد بن عبيد عن عبد الله بن عمرو قال : « كنت مع رسول الله (ص) ، فجاء أبو بكر فاستأذن فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، ثم جاء عمر فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فاستأذن فقال : ائذن له وبشره بالجنة . قال : قلت فأين أنا ؟ قال : أنت مع أبيك » تفرد به أحمد . وقد رواه البزار وأبو يدي من حديث أنس بن مالك بنحو ما تقدم .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا ليث حدثني عقيبن عن ابن شهاب عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي (ص) ، وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على النبي (ص) وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة ، فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، فاستأذن عمر فؤذن له وهو على تلك الحالة فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، قال عثمان : ثم استأذنت عليه فجلس وقال : اجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت ، فقالت عائشة : يا رسول الله ! مالي لا أراك فرغت لأبي بكر وعمر كما فرغت لعثمان ؟ فقال رسول الله (ص) : إن عثمان رجل حي ، وإني خشيت إن أدت له على تلك الحالة لا يبلغ إلى حاجته » قال الليث : وقال جماعة الناس : إن رسول الله (ص) قال لعائشة : « ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟ »^(١) ورواه مسلم من حديث محمد بن أبي حرملة عن عطاء وسليمان بن يسار عن أبي سلمة عن عائشة . ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث سهيل عن أبيه عن عائشة . ورواه جبير بن نفير وعائشة بنت طلحة عنها .

وقال الامام أحمد : حدثنا مروان ثنا عبد الله بن يسار سمعت عائشة بنت طلحة تذكر عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله (ص) « كان جالسا كاشفاً عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه ، فلما قاموا قلت : يا رسول الله استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك ، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك : فقال : يا عائشة ألا نستحي من رجل والله إن الملائكة لتستحي منه ؟ » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

(١) كذا في المصرية . وفي الحلبية : ملائكة الرحمن .

طريق أخرى عن حفصة

رواه الحسن بن عرفة وأحمد بن حنبل عن روح بن عبادة عن ابن جريج ، أخبرني أبو خالد عثمان بن خالد عن عبد الله بن أبي سعيد المدني حدثني حفصة ، قد ذكر مثل حديث عائشة ، وفيه : فقال « ألا تستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟ » .

طريق أخرى عن ابن عباس

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبو كريب ثنا يونس بن بكير ثنا النضر - هو ابن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز الكوفي - عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال رسول الله (ص) : « ألا تستحي ممن تستحي منه الملائكة عثمان بن عفان ؟ » ثم قال البزار : لا أعلمه يروي عن ابن عباس إلا بهذا الاسناد قلت هو على شرط الترمذي ولم يخرجوه .

طريق أخرى عن ابن عمر

قال الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا أبو معشر حدثني إبراهيم بن عمر بن أبان حدثني أبي عمر بن أبان عن أبيه . قال سمعت عبد الله بن عمر يقول : « بينما رسول الله (ص) جالس وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل ، ثم استأذن عمر فدخل ، ثم استأذن سعد بن مالك فدخل ، ثم استأذن عثمان بن عفان فدخل ورسول الله (ص) يتحدث كاشفاً بن ركبته ، فرد ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان ، وقال لامراته : استأخرى ، فتحدثوا ساعة ثم خرجوا ، فقالت عائشة : يا نبي الله ! دخل أبي وأصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبك ولم تؤخرني عنك ، فقال النبي (ص) : ألا أستحي من رجلي تستحي منه الملائكة ؟ والذي نفسي بيده إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله ، ولو دخل وأنت قريب مني لم يتحدث ولم يرفع رأسه حتى يخرج » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه زيادة على ما قبله ، وفي سنده ضعف . قلت : وفي الباب عن علي وعبد الله بن أبي أوفى ، وزيد بن ثابت : وروى أبو مروان القرشي عن أبيه عن مالك ، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « عثمان حي تستحي منه الملائكة » .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس . قال قال رسول الله (ص) : « أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر ، وأشدّها حياء عثمان ، وأعلمها بالحلل والحرام معاذ بن جبل ، وأقرؤها لكتاب الله أبي . وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » [وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من

حديث خالد الحذاء ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وفي صحيح البخارى ومسلم آخره «ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» [١] وقد روى هشيم عن كريب بن حكيم عن نافع عن ابن عمر مثل حديث أبي قلابة عن أنس أو نحوه .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا محمد بن حرب حدثني الزبيدي عن ابن شهاب عن عمرو بن أبان بن عثمان عن جابر بن عبد الله . أنه كان يحدث أن رسول الله (ص) قال : «أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ، ونيط عمر بأبي بكر ، ونيط عثمان بعمر ، فلما قمنا من عند رسول الله (ص) قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله (ص) ، وأما ما ذكره رسول الله (ص) من نوط بعضهم ببعض ، فهو لاء ولالة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه (ص) .» ورواه أبو داود عن عمرو بن عثمان عن محمد بن حرب ، ثم قال : ورواه يونس وشعيب عن الزهري فلم يذكره عمر آ .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا أبو داود - عمر بن سعد - ثنا بدر بن عثمان عن عبيد الله بن مروان عن أبي عائشة عن ابن عمر قال : خرج علينا رسول الله (ص) ذات غداة بعد طلوع الشمس فقال : « رأيت قبل الفجر كأني أعطيت المقاليد والموازين ، فأما المقاليد فهذه المفاتيح ، وأما الموازين فهي التى يوزن بها ، فوضعت فى كفة ووضعت أمتى فى كفة فوزنت بهم فرجحت ، ثم جئى بأبي بكر فوزن فوزن بهم ، ثم جئى بعمر فوزن فوزن بهم ، ثم جئى بعثمان فوزن فوزن بهم ، ثم رفعت » تفرد به أحمد . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا هشام بن عمار ثنا عمرو بن واقد ثنا يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن معاذ بن جبل . قال قال رسول الله (ص) : « إني رأيت أمتى وضعت فى كفة وأمتى فى كفة فعدلتها ، ثم وضع أبو بكر فى كفة وأمتى فى كفة فعدلتها ، ثم وضع عمر فى كفة وأمتى فى كفة فعدلتها ، ثم وضع عثمان فى كفة وأمتى فى كفة فعدلتها » .

حديث آخر

قال أبو يعلى : حدثنا عبد الله بن مطيع ثنا هشيم عن العوام ، عن حدثه عن عائشة . قالت : لما أسس رسول الله (ص) مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه ، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه وجاء عمر بحجر فوضعه ، وجاء عثمان بحجر فوضعه ، قالت : فسل رسول الله (ص) عن ذلك فقال : « هم أمراء الخلافة من بعدى » . وقد تقدم هذا الحديث فى بناء مسجده أول مقدمه المدينة عليه الصلاة والسلام ، وكذلك تقدم فى دلائل النبوة من حديث الزهري عن رجل عن أبي ذر فى تسبيح الحصا فى يده

عليه السلام ثم في كف أبي بكر ، ثم في كف عمر ، ثم في كف عثمان ، رضى الله عنهم ، وفي بعض الروايات : فقال رسول الله (ص) : « هذه خلافة النبوة » وسيأتي حديث سفينة أن رسول الله (ص) قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » فكانت ولاية عثمان ومدتها ثنتي عشرة سنة ، من جملة هذه الثلاثين بلا خلاف بين العلماء العاملين ، كما أخبر به سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

حديث آخر

وهو ما روى من طرق متعددة عن رسول الله (ص) أنه شهد للعشرة بالجنة ، وهو أحدهم بنص النبي (ص) .

حديث آخر

قال البخارى : حدثنا محمد بن حازم بن بزيع ثنا شاذان ثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن أبي سعيد الله عن نافع عن ابن عمر . قال : « كنا في زمن النبي (ص) | لاندل بأبي بكر أحدا ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نذر أصحاب النبي (ص) | لافاضل بينهم » تابعه عبد الله بن صالح بن عبد العزيز ، تفرد به البخارى ، ورواه إسماعيل بن عياش ، والفرج بن فضالة ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن نافع عن ابن عمر . ورواه أبو يعلى عن أبي معشر عن يزيد بن هارون عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عمر به .

طريق أخرى عن ابن عمر

قال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية ثنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن ابن عمر . قال : « كنا نمد رسول الله (ص) وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر وعثمان ثم نسكت » .

طريق أخرى عن ابن عمر بلفظ آخر

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا سمر بن علي وعقبة بن مكرم قالا : ثنا أبو عاصم عن عمر بن محمد عن سالم عن أبيه . قال : كنا نقول في عهد النبي (ص) : أبو بكر وعمر وعثمان . يعني في الخلافة . وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجه ، لكن قال البزار : وهذا الحديث قد روى عن ابن عمر من وجوه « كنا نقول أبو بكر وعمر وعثمان ، ثم لافاضل بعد » وعمر بن محمد لم يكن بالحافظ ، وذلك : يتبين في حديثه إذا روى عن غير سالم فلم يقل شيئا . وقد رواه غير واحد من الضعفاء عن الزهري عن سالم عن أبيه به . وقد اعتنى الحافظ بن عساكر بجمع طرقه عن ابن عمر فأجاد . فأما الحديث الذي قال الطبراني : حدثنا سعيد بن عبد ربه الصغار البغدادي حدثنا علي بن جميل الرقي أنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس . قال قال رسول الله (ص) : « في الجنة شجرة - أو ما في الجنة شجرة - شك على بن حنبل ، ما عليها ورقة إلا مكتوب عليها لا إله

إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين » فانه حديث ضعيف في إسناده من تكلم فيه ولا يخلو من نكارة ، والله أعلم .

القسم الثاني فيما ورد من فضائله وحده

قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة ثنا عثمان بن موهب . قال : « جاء رجل من أهل مصر حج البيت ، فرأى قوما جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : قریش ، قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا ابن عمر ! إني سألك عن شيء فحدثني ، هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد ؟ قال : نعم ! قال : تعلم أنه تغيب يوم بدر ولم يشهدا ؟ قال : نعم ! قال : تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان ولم يشهدا ؟ قال : نعم ! قال : الله أكبر ، قال ابن عمر : تعال ابين لك ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحت بنت رسول الله وكانت مريضة ، فقال له رسول الله : إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطان مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله (ص) عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي (ص) : بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك » تفرد به دون مسلم .

طريق أخرى

وقال الامام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن عاصم عن سفيان . قال : لقي عبد الرحمن ابن عوف الوليد بن عقبة ، فقال له الوليد : مالى أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال له عبد الرحمن : أبلغه أنى لم أفر يوم حنين ، قال عاصم : يقول يوم أحد - ولم تخلف عن يوم بدر ، ولم أترك سنة عمر ، قال : فانطلق فخبّر بذلك عثمان فقال : أما قوله : إني لم أفر يوم حنين ، فكيف يعيرني بذلك وقد عفا الله عني فقال : [إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم] وأما قوله : إني تخلفت يوم بدر ، فاني كنت أمرض رقية بنت رسول الله (ص) ، وقد ضرب لى رسول الله (ص) ، ومن ضرب له رسول الله (ص) بسهم فقد شهد ، وأما قوله : ولم أترك سنة عمر ، فاني لا أطيقها ولا هو ، فانه يحدثه بذلك .

حديث آخر

قال البخارى : حدثنا أحمد بن شبيب بن سعد ثنا أبي عن يونس قال ابن شهاب : أخبرني عروة أن عبيد الله بن عدي بن الحبار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا : ما يمتك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه ؟ فقضت لثمان حين خرج إلى الصلاة . قلت : إن لى إليك حاجة ، وهى نصيحة لك ، فقال : يا أيها المرء منك قال

أبو عبد الله قال معمّر : أعوذ بالله منك - فأنصرفت فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ، وهاجرت الهجرة ، وصحبت رسول الله (ص) ، ورأيت هديه ، وقد أكثر الناس في شأن الوليد . فقال : أدركت رسول الله (ص) ؟ فقلت : لا ! ولكن خلص إلى من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها ، قال : أما بعد ! فإن الله بعث محمداً بالحق وكنت ممن استجاب لله ولرسوله فامنت بما بعث به ، وهاجرت الهجرة كما قالت ، وصحبت رسول الله (ص) ، وبإيعته ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل ، ثم أبو بكر مثله ، ثم عمر مثله ، ثم استخلفت ، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم ؟ قلت : بلى ! قال : فما هذه الأحاديث التي تبغني عنكم ؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد فساخذه فيه بالحق إن شاء الله . ثم دعا علياً فأمره أن يجلبه فجلده ثمانين .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا الوليد بن مسلم حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت : « أرسل رسول الله (ص) إلى عثمان بن عفان فبعاء فأقبل عليه رسول الله (ص) ، فلما رأينا إقبال رسول الله (ص) ، على عثمان أقبلت إحداها على الأخرى فسكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه وقال : يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أراذك المنافقون على خلمه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثاً . فقلت لها يا أم المؤمنين ؟ فأين كان هذا عنك ؟ قالت : نسيت والله ما ذكرته ، قال : فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين : أن اكتبني إلى به ، فبكتبت إليه به كتاباً » وقد رواه أبو عبد الله الجعفي عن عائشة وحفصة بنحو ما تقدم . ورواه قيس بن أبي حازم وأبو سلمة عنها . ورواه أبو سهلة عن عثمان : « إن رسول الله (ص) عهد إلى عهداً فأنا صابر نفسي عليه » ورواه فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري عن عروة عن عائشة فذكره ، قال الدارقطني : تفرد به الفرّج بن فضالة ورواه أبو مروان محمد عن عثمان بن خالد العامي عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه [عن هشام بن عروة عن أبيه]^(١) عن عائشة . ورواه ابن عسّاكر من طريق المنهال بن عمر عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عنها . ورواه ابن أسامة عن الجريري : حدثني أبو بكر العدوي . قال : سألت عائشة ، وذكر عنها بنحو ما تقدم [تفرد به الفرّج بن فضالة]^(٢) ورواه حصين عن مجاهد عن عائشة بنحوه .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن كنانة الأسدي أبو يحيى ثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه . قال :

بلغنى أن عائشة قالت : « ما استمعت رسول الله (ص) ، إلا مرة ، فان عثمان جاءه في حبر الظهيرة فظننت أنه جاءه في أمر النساء ، فحملتني الغيرة على أن أصفيت إليه فسمعتة يقول : إن الله ملبسك قيصاً يريدك أمتي على خلمه فلا تخلمه . فلما رأيت عثمان يبدل لهم ما سألوه إلا خلمه علمت أنه عهد من رسول الله (ص) ، الذي عهد إليه .

طريق أخرى

قال الطبري : حدثنا مطلب بن سعيد الأزدي ثنا عبد الله بن صالح ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف ، قال : كنا عند شفي الأصبحي فقال : حدثنا عبد الله بن عمر قال : « التفت رسول الله (ص) ، فقال : يا عثمان إن الله كساك قيصاً فأرادك الناس على خلمه فلا تخلمه ، فوالله لئن خلعت لآرى الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » وقد رواه أبو يعلى من طريق عبد الله بن عمر عن أخته حفصة أم المؤمنين . وفي سياق متنه غرابة والله أعلم .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثني فاطمة بنت عبد الرحمن قالت : حدثتني أمي أنها سألت عائشة وأرسلها معها فقال : قولي إن أحببتمكم يقرنكم السلام ويسألكم عن عثمان بن عفان فان الناس قد شتموه ، فقالت : « لعن الله من لعنه ، فوالله لقد كان قاعداً عند رسول الله (ص) ، وإن رسول الله لمسند ظهره إلى ، وإن جبريل ليوسى إليه القرآن ، وإنه ليقول له : اكتب يا عيشم ، قالت عائشة : فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كرماً على الله ورسوله » ثم رواه الامام أحمد عن يونس عن عمر بن إبراهيم الشكري عن أمه عن أمها أنها سألت عائشة عند الكعبة عن عثمان فذكرت مثله .

حديث آخر

قال البزار : حدثنا عمر بن الخطاب قال : ذكر أبو المغيرة عن صفوان بن عمرو عن ماعز التميمي عن جابر « أن رسول الله (ص) ، ذكر فتنة فقال أبو بكر : أنا أدركها ؟ فقال : لا ! فقال عمر أنا يارسول الله أدركها ؟ قال : لا ! فقال عثمان : يارسول الله فأنا أدركها ؟ قال : بك يبتلون » قال البزار : وهذا لانعلمه يروى إلا من هذا الوجه .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عمرو ثنا سنان بن هارون ثنا كليب بن واصل عن ابن عمر . قال : « ذكر رسول الله (ص) ، فتنة فقال يقتل فيها هذا المقنع برشد مظلوماً ، فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان » . ورواه الترمذي عن إبراهيم بن سعيد عن شاذان به وقال : حسن غريب .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا وهيب ثنا موسى بن عقبة حدثني أبو أمي ابو حنيفة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها ، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنكم تلقون بعدى فتنة واختلافاً - أو قال : اختلافاً وفتنة - فقال له قائل من الناس : فن لنا يا رسول الله ؟ قال : عليكم بالأمين وأصحابه وهو يشير إلى عثمان بذلك » تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أسامة ثنا حماد بن أسامة ثنا كههم بن الحسن عن عبد الله بن شقيق حدثني هرم بن الحارث وأسماء بن خزيمة - وكانا يغازيان - فحدثاني حديثاً ولم يشرك كل واحد منهما أن صاحبه حدثني عن مرة البهزي قال « بينما نحن مع رسول الله (ص) في طريق من طرق المدينة فقال : كيف تصنعون في فتنة تنور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر ؟ قالوا : نصنع ماذا يا رسول الله ؟ قال : عليكم هذا وأصحابه - أو اتبعوا هذا وأصحابه - قال : فأسرعت حتى عييت فأدركت الرجل فقلت : هذا يا رسول الله ؟ قال : هذا ، فإذا هو عثمان بن عفان » فقال : هذا وأصحابه فذكره .

طريق أخرى

وقال الترمذي في جامعه : حدثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي ثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني أن خطباً قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب النبي (ص) رجل يقال له مرة بن كعب ، فقال : لولا حديث سمعته من رسول الله (ص) ماتكلمت ، وذكر الفتنة فقر بها فمر رجل متنعق في ثوب ، فقال : هذا يومئذ علي الهدي فقلت اليه . فإذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت عليه بوجهه فقلت : هذا ؟ قال نعم ! ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة . قلت : وقد رواه أسد بن موسى عن معاوية بن صالح حدثني سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن مرة بن كعب البهزي فذكر نحوه ، [وقد رواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية عن صالح عن سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن كعب بن مرة البهزي] (١) ، الصحيح مرة بن كعب كما تقدم ، وأما حديث ابن حوالة ، فقال حماد بن سلمة عن سعيد الجري عن عبد الله بن سفيان (٢) عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة . قال قال رسول الله (ص) : « كيف أنت وفتنة تكون في أقطار الأرض ؟ قلت : ماخار الله لي ورسوله ، قال اتبع هذا الرجل ، فإنه يومئذ ومن اتبعه على الحق قال : فاتبعته فأخنت بمنكبه ففتلته فقلت : هذا

(١) زيادة من الحلبية . (٢) كذا في المصرية بزيادة عبد الله بن سفيان .

يارسول الله؟ فقال: نعم! فإذا هو عثمان بن عفان» وقال حرملة بن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن ابن حوالة. قال قال رسول الله (ص): «ثلاث من نجا منهن فقد نجا، موتى، وخروج الدجال وقتل خليفة مصطبر قوام بالحق يعطيه.

وأما حديث كعب بن عجرة. فقال الامام أحمد: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي أخبرني عواوية بن سلم عن مطر الوراق عن ابن سيرين عن كعب بن عجرة قال: «ذكر رسول الله (ص) فتنة قمرها وعظمها قال ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال: هذا يومئذ على الحق قال فانطلقت مسرعا أو محضرا وأخذت بضبعيه فقلت: هذا يارسول الله؟ قال: هذا فإذا هو عثمان بن عفان» ثم رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة فذكر مثله. ورواه أبو يعلى عن هذبة عن همام عن قتادة عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة. وكذا رواه أبو عون عن ابن سيرين عن كعب. وقد تقدم حديث أبي ثور التيمي عنه في قوله في الخطبة التي خاطب بها الناس من داره: والله ما تغني ولا تمنيت ولا زنت في جاهلية ولا إسلام ولا مسست فرجى يميني منذ بايعت بها رسول الله (ص)، وأنه كان يعتق كل يوم جمعة عتيقا فان تعذر عليه أعتق في الجمعة الأخرى عتيقين. وقال مولاة حران: كان عثمان يفتسل كل يوم منذ أسلم. رضى الله عنه.

حديث آخر

قال الامام أحمد: حدثنا علي بن عباس ثنا الوليد بن مسلم أنبأنا الأوزاعي عن محمد بن عبد الملك ابن مروان أنه حدثه عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال: «إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى وإني أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر إحداهن، إما أن تخرج فتقاتلهم فان ملك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل، وإما أن تحرق بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحك فتلحق مكة، فانهم لن يستلوك وأنت بها، وإما أن تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية. فقال عثمان: أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله (ص) في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فانهم لن يستلوني بها، فاني سمعت رسول الله (ص) يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم، ولن أكون أنا، وأما أن ألحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله (ص).» وقال الامام أحمد: ثنا أبو المغيرة ثنا أروطة - يعني ابن المنذر - حدثني أبو عون الأنصاري أن عثمان قال لابن مسعود: «هل أنت منته عما بلغني عنك؟ فاعتذر بعض العذر، فقال عثمان: ويحك! إني قد سمعت وحفظت - وليس كما سمعت -، أن رسول الله (ص) قال سيقتل أمير، ويتبرى متبري، وإني أنا المقتول، وليس عمر، إنما قتل عمر واحد، وأنه يجتمع على» وهذا الذي قاله لابن مسعود قبل مقتله بنحو من أربع سنين فإنه مات قبله بنحو ذلك.

حديث آخر

[قال عبد الله بن أحمد : ثنا عبيد الله بن عمر الفريدي : ثنا القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري حدثني أبو عباد الزرق الأنصاري - من أهل المدينة - عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : « شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلى باب مقام جبريل ، فقال : أيها الناس ! أفياكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفياكم طلحة بن عبيد الله ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفياكم طلحة ؟ فقام طلحة بن عبيد الله فقال له عثمان : ألا أراك ههنا ؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع نداي آخر ثلاث مرات ، ثم لا يجيئني ؟ أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله (ص) ، في موضع كذا وكذا ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك ؟ فقال : نعم ! قال : فقال لك رسول الله (ص) : إنه ما من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق في الجنة ، وإن عثمان بن عفان هذا - يعني نفسه - رفيق في الجنة ؟ فقال طلحة : اللهم نعم ! » تفرد به أحمد ^(١)]

حديث آخر عن طلحة

قال الترمذي : حدثنا أبو هشام الرافعي ثنا يحيى بن اليمان عن شريح بن زهرة عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي وناب عن طلحة بن عبيد الله قال قال رسول الله (ص) : « لكل نبي رفيق ورفيق في الجنة عثمان » ثم قال : هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوى ، وإسناده منقطع . ورواه أبو عثمان محمد بن عثمان عن أبيه عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة ، وقال الترمذي : حدثنا الفضل بن أبي طالب البغدادي وغير واحد قالوا : حدثنا عثمان بن زفر حدثنا محمد بن زياد عن محمد بن عجلان عن أبي الزبير عن جابر قال : « أتى النبي (ص) ، بجنازة رجل ليصلى عليه فلم يصل عليه ، فقيل يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا ؟ فقال : إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عز وجل » ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب ، ومحمد بن زياد هذا صاحب ميمون ابن مهران ضعيف الحديث جداً ، ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة بصري ثقة ، يكنى أبا الحارث ، ومحمد بن زياد الألهاني صاحب أبي أمامة ثقة شامي يكنى أبا سفيان .

حديث آخر

روى الحافظ بن عساكر من حديث أبي مروان العثماني ثنا أبي عثمان بن خالد عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة « أن رسول الله (ص) ، لقي عثمان بن عفان على هذا الحديث أعيد هنا ثانياً في النسخة الحلبية . وقد تقدم ذكره قبل هذا الموضع كما

باب المسجد فقال : يا عثمان ! هذا جبريل يخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمنل صدق رقية ، على مثل مصاحبها » وقد روى ابن عساكر أيضاً من حديث ابن عباس وعائشة وعمار بن روية وعصمة بن مالك الخطمي وأنس بن مالك وابن عمر وغيرهم ، وهو غريب ومنكر من جميع طرقه ، وروى بإسناد ضعيف عن علي أن رسول الله (ص) قال « لو كان لي أربعون ابنة لزوجتهن بثمان واحدة بعد واحدة ، حتى لا يبقى منهن واحدة » وقال محمد بن سعيد الأموي عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن المهلب بن أبي صفرة قال : « سألت أصحاب رسول الله (ص) لم قلم في عثمان : أعلنا فوقاً ؟ قالوا : لأنه لم يتزوج رجل من الأولين والآخرين ابنتي نبي غيره رواه ابن عساكر .

وقال إسماعيل بن عبد الملك عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله (ص) رافعاً يديه حتى يبدو ضبعيه إلا لعثمان بن عفان ، إذا دعا له . وقال مسعر عن عطية عن أبي سعيد قال : رأيت رسول الله (ص) من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول : « اللهم عثمان رضيته عنه فارض عنه » وفي رواية يقول لعثمان : « غفر الله لك ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كأنك إلى يوم القيامة » ورواه الحسن بن عرفة عن محمد ابن القاسم الأسدي عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن النبي (ص) مرسل . وقال ابن عدي عن أبي يعلى عن عمار بن ياسر المستملي عن إسحاق بن إبراهيم المستملي عن أبي إسحاق عن أبي وائل عن حذيفة : أن رسول الله (ص) بعث إلى عثمان يستعينه في غزاة غزاها ، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار ، فوضعها بين يديه ، فجعل يقلبها بين يديه ويدعو له : « غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كأنك إلى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها » .

حديث آخر

وقال ليث بن أبي سليم : أول من خبص الخبيص عثمان خلط بين العسل والنقي ثم بعث به إلى رسول الله (ص) إلى منزل أم سلمة ، فلم يصادفه ، فلما جاء وضعوه بين يديه ، فقال : من بعث هذا ؟ قالوا : عثمان : قالت : فرفع يديه إلى السماء فقال : « اللهم إن عثمان يترضاك فارض عنه » .

حديث آخر

روى أبو يعلى عن سنان بن فروخ عن طلحة بن يزيد عن عبيدة بن حسان عن عطاء الكيخاراني عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنق عثمان وقال : « أنت ولي في الدنيا ، ولي في الآخرة » .

حديث آخر

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة وحماد بن زيد عن الجري عن عبد الله بن

شقيق عن عبد الله بن حوالة . قال قال رسول (ص) : « تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل الجنة ، يبيزع الناس » قال فهجمنا على عثمان بن عفان قرأيناه معتجراً يبايع الناس .

ذكر شيء من سيرته وهي دالة على فضيلته

قال ابن مسعود : لما توفي عمر بايعنا خيرنا ولم نأل ، وفي رواية بايعوا خيرهم ولم يألوا ، وقال الأصمعي عن أبي الزناد عن أبيه عن عمرو بن عثمان بن عفان قال : كان نقش خاتم عثمان آمنت بالذي خلق فسوى . وقال محمد بن المبارك بلغني أنه كان نقش خاتم عثمان آمن بالله العظيم . وقال البخاري في التاريخ : ثنا موسى بن إسماعيل ثنا مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول : أدركت عثمان على ما نعموا عليه ، قل ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً ، يقال لهم : يا معشر المسلمين اغدوا على أعطيائكم ، فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم : اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم اغدوا على السمن والعسل ، الأ عطيات جارية ، والأرزاق دارة ، والعدو متقى ، وذات البين حسن ، والخير كثير ، وما من مؤمن يخاف مؤمناً ، ومن لقيه فهو أخوه ، قد كان من إلفته ونصيحته ومودته قد عهد إليهم أنها ستكون أثره ، فإذا كانت فاصبروا « قال الحسن : فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير ، بل قالوا لا والله متصابرها : فوالله ما وردوا وما سلموا ، والأخرى كان السيف مغمداً عن أهل الاسلام فسلوه على أنفسهم ، فوالله ما زال مسلولا إلى يوم الناس ، هذا وأيم الله إني لأراه سيفاً مسلولا إلى يوم القيامة » وقال غير واحد عن الحسن البصري قال : سمعت عثمان يأمر في خطبته بذيبح الحمام وقتل الكلاب . وروى سيف ابن عمر أن أهل المدينة اتخذ بعضهم الحمام ورمى بعضهم بالجلاهقات [فوكل عثمان رجلاً من بني ليث يتبع ذلك ، فيقص الحمام ويكسر الجلاهقات] - وهي قسي البندق - وقال محمد بن سعد : « أنبأنا القعني وخالد بن مخلد ثنا محمد بن هلال عن جدته - وكانت تدخل على عثمان وهو محصور - فولدت هلالاً ، فقدها يوماً فقيل له : إنها قد ولدت هذه الليلة غلاماً ، قالت : فأرسل إلى بخمسين درهماً وشقيقة سنبلانية ، وقال : هذا عطاء ابنك وكسوته ، فإذا مرت به سنة رفعناه إلى مائة » وروى الزبير ابن أبي بكر عن محمد بن سلام عن ابن بكار قال : قال ابن سعيد بن يربوع بن عتكة الحزومي : انطلقت وأنا غلام في الظهيرة ومعى طير أرسله في المسجد ، والمسجد بيننا ، فإذا شيخ جميل حسن الوجه نائم ، تحت رأسه لبنة أو بعض لبنة ، فقامت أنظر إليه أتعجب من جماله ، ففتح عينيه فقال : من أنت يا غلام ؟ فأخبرته ، فإذا غلام نائم قريباً منه فدعاه فلم يجبه ، فقال لي : ادعه ! فدعوته فأمره بشيء وقال لي : اقم ! فذهب الغلام فجاء بحلة وجاء بألف درهم ، ونزع ثوبي وألبسني الحلة ؟ وجعل الألف

دorm فيها ، فرجعت إلى أبي فأخبرته ؟ فقال : يا بني من فعل هذا بك ؟ قلت : لا أدرى إلا أنه رجل في المسجد فأتيت لم أرقط أحسن منه ، قال : ذاك أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وقال عبد الرزاق عن ابن جريج : أخبرني يزيد بن خصيفة عن أبي السائب بن يزيد « أن رجلاً سأل عبد الرحمن بن عثمان التميمي أمي صلاة طلحة بن عبيد الله عن صلاة عثمان قال : نعم ! قال : قلت لأغلب الليلة نفر على الحجر - يعني المقام - فلما قلت فإذا رجل يرجئ مقتناً قال فالتفت فإذا بعثمان يزحف فثأخرت عنه فصلى فإذا هو يسجد بسجود القرآن ، حتى إذا قلت هذا هو أذان الفجر أو تر بركة لم يصل غيرها ثم انطلق . » وقد روى هذا من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود ، أيام الحج ، وقد كان هذا من دأبه رضى الله عنه . ولهذا رويناه عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » [قال : هو عثمان بن عفان . وقال ابن عباس في قوله تعالى (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) قال : هو عثمان . وقال حسان :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

وقال سفيان بن عيينة : ثنا إسرائيل بن موسى سمعت الحسن يقول قال عثمان : لو أن قلوبنا طهرت ماشعنا من كلام ربنا ، وإني لأكره أن يأتي على يوم لا أنظر في المصحف ، وما مات عثمان حتى خرق مصحفه سن كثيرة ما يديم النظر فيه . وقال أنس ومحمد بن سيرين : قالت امرأة عثمان يوم الدار : اقلوه أو دعوه ، فوالله لقد كان يحجي الليل بالقرآن في ركعة . وقال غير واحد : إنه رضى الله عنه كان لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل ليمينه على وضوئه ، إلا أن يجده يقظاناً ، وكان يصوم الدهر ، وكان يعاتب فيقال : لو أيقظت بعض الخدم ؟ فيقول : لا ! الليل لهم يستريحون فيه . وكان إذا اغتسل لا يرفع المئزر عنه ، وهو في بيت مغلق عليه ، ولا يرفع صلبه جيداً من شدة حيائه رضى الله عنه .

شيء من خطبه

قال الواقدي : حدثني إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي عن أبيه أن عثمان لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس أول كل مركب صعب ، وإن بعد اليوم أياماً ، وإن أعش تأتكم الخطب على وجهها ، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله . وقال الحسن : خطب عثمان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! اتقوا الله فان تقوى الله غنم ، وإن أكيس الناس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، واكتسب من نور الله نوراً وظلمة القبر ، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى ، وقد كان بصيراً ، وقد يلقي الحكيم جوامع الكلم ، والأصم ينادي من مكان بعيد ، واعلموا أن من كان الله له لم يخف شيئاً ، ومن كان الله

عليه فمن يرجو بعده؟. وقال مجاهد: خطب عثمان فقال: ابن آدم! اعلم أن ملك الموت الذي وكل بك لم يزل يخلفك ويتخطى إلى غيرك منذ أنت في الدنيا، وكأنه قد تخطى غيرك إليك، وقصدك، فخذ حذرَكَ، واستعدله، ولا تغفل فإنه لا يغفل عنك، واعلم ابن آدم إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لها لم يستعد لها غيرك، ولا بد من لقاء الله، فخذ لنفسك ولا تكلها إلى غيرك والسلام. وقال سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه. قال: آخر خطبة خطبها عثمان في جماعة «إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفتن وإن الآخرة تبقى، لا تبطلنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله، اتقوا الله فإن تقواهُ جنة من بأسه، ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغير، والزوا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً] واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً] إلى آخر الآيتين *

فَضِيلَةُ

قال الامام أحمد: حدثنا هشيم، ثنا محمد بن قيس الأسدي عن موسى بن طلحة. قال: سمعت عثمان بن عفان وهو على المنبر والمؤذن يقيم الصلاة وهو يستخير الناس يسألهم عن أخبارهم، وأسفارهم. وقال أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ثنا يونس - يعني ابن عبيد - حدثني عطاء بن فروخ مولى القرشيين أن عثمان اشترى من رجل أرضاً فأبطأ عليه فلقبه فقال: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إنك غبتني، فما ألتى من الناس أحداً إلا وهو يلومني، قال: أذلك يمنك؟ قال: نعم! قال: فاختر بين أرضك ومالك، ثم قال: قال رسول الله (ص): «أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائماً وقاضياً ومقتضياً». وروى ابن جرير أن طلحة لقي عثمان وهو خارج إلى المسجد فقال له طلحة: إن الحسنين ألفاً التي لك عندي قد حصلت فأرسل من يقبضها، فقال له عثمان: إنا قد وهبنا كما لمروءتك. وقال الأصمعي: استعمل ابن عامر قطن بن عوف الهلالي على كرمان، فأقبل جيش من المسلمين - أربعة آلاف - وجرى الوادي فقطعهم عن طريقهم، وخشى قطن الفوت فقال: من جاز الوادي فله ألف درهم، فحملوا أنفسهم على العوم، فكان إذا جاز الرجل منهم قال قطن: اعطوه جائزته، حتى جازوا جميعاً وأعطاهم أربعة آلاف ألف درهم، فأبى ابن عامر أن يحسبها له، فكتب بذلك إلى عثمان بن عفان، فكتب عثمان: أن احسبها له، فإنه إنما أعان المسلمين في سبيل الله فمن ذلك اليوم سميت الجوائز لأجازة الوادي، فقال الكنتاني في ذلك:

فدى لأكرمين بنى هلال * على علائهم أهلي ومالي

هـو سنوا الجوائز في معدية • فعات ستة أخرى الليالي
رماحهم تزيد على ثمانين • وعشر قبل تركيب النصال

قصة عثمان

ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على قراءة واحدة ، وكتب المصحف على
العرضة الأخيرة ، التي درسها جبريل على رسول الله (ص) ، في آخر سني حياته ، وكان سبب ذلك أن
حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات ، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ، ممن يقرأ على قراءة
المقداد بن الأسود ، وأبي الدرداء ، وجماعة من أهل العراق ، ممن يقرأ على قراءة عبدالله بن مسعود ،
وأبي موسى ، وجعل من لا يعلم بسوған القراءة على سبعة أحرف ، يفضل قراءته على قراءة غيره ، وربما
خطأ الآخر أو كفره ، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد ، وانتشار في الكلام السي بين الناس ، فركب
حذيفة إلى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود
والنصارى في كتبهم . وذكر له مشاهد من اختلاف الناس في القراءة ، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة
وشاورهم في ذلك ، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد ، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على
القراءة به ، دون ما سواه ، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة ، ودفع الاختلاف ، فاستدعى
بالمصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها ، فكانت عند الصديق أيام حياته ، ثم كانت
عند عمر ، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين ، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت
الأنصاري أن يكتب وأن يمل عليه سعيد بن العاص الأموي ، بحضرة عبدالله بن الزبير الأسدي
وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخزومي ، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش ،
فكتب لأهل الشام مصحفاً ، ولأهل مصر آخر ، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر ،
وأرسل إلى مكة مصحفاً وإلى اليمن مثله ، وأقر بالمدينة مصحفاً . ويقال لهذه المصاحف الأئمة ،
وليست كلها بخط عثمان ، بل ولا واحد منها ، وإنما هي بخط زيد بن ثابت ، وإنما يقال لها المصاحف
العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه ، وإمارته ، كما يقال دينار هرقل ، أي ضرب في زمانه ودولته . قال
الواقدي : حدثنا ابن أبي سبرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة . ورواه غيره من
وجه آخر عن أبي هريرة قال : « لما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال : أصبت ووقفت ،
أشهد لسمعت رسول الله (ص) ، يقول : « إن أشد أمتي حياءً إلى قوم يأتون من بعدى يؤمنون بي ولم
يروني ، يعملون بما في الورق المعلق » فقلت : أي ورق ؟ حتى رأيت المصاحف ، قال : فأعجب
ذلك عثمان وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف ، وقال : والله ما عانت أنك لتعجب علينا حديث نبينا

(س.،) « ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فخره ، لتلايق بسببه اختلاف ، فقال أبو بكر بن أبي داود - في كتاب المصاحف - حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن قالا : ثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال : قال لي علي حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعتة » وهكذا رواه أبو داود الطيالسي وعمر بن مرزوق عن شعبة مثله ، وقد رواه البيهقي وغيره من حديث محمد بن أبان - زوج أخت حسين - عن علقمة بن مرثد قال : سمعت الميزاري بن جرويل سمعت سويد بن غفلة قال : « قال علي : أيها الناس ! إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف ، والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد (س.،) ، ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل » وقد روى عن ابن مسعود أنه تعجب لما أخذ منه مصحفه فحرق ، وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف ، وأمر أصحابه أن يفلوا مصاحفهم ، وتلا قوله تعالى [ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة] فكتب إليه عثمان رضى الله عنه يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك ، وجمع الكلمة ، وعدم الاختلاف ، فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضى الله عنهم أجمعين .

وقد قال أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد أن عبد الله بن مسعود دخل مسجد منى فقال : كم صلى أمير المؤمنين الظهر ؟ قالوا : أربعاً ، فصلى ابن مسعود أربعاً فقالوا : ألم تحدثنا أن رسول الله (س.،) وأبا بكر وعمر صلاوا ركعتين ؟ فقال : نعم ! وأنا أحدثكموه الآن ، ولكنى أكره الاختلاف . وفي الصحيح أن ابن مسعود قال : لبت حظي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين . وقال الأعمش : حدثني معاوية بن قرة - بواسط - عن أشياخه قالوا : صلى عثمان الظهر بمضى أربعاً فبلغ ذلك ابن مسعود فغاب عليه ، ثم صلى بأصحابه العصر في رحله أربعاً ، فقيل له : عتبت على عثمان وصليت أربعاً ؟ فقال : إني أكره الخلاف . وفي رواية الخلاف شر فإذا كان هذا متابعاً من ابن مسعود إلى عثمان في هذا الفرع فكيف بمتابعته إياه في أصل القرآن ؟ والاقتداء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرأوا بها لا بغيرها ؟ وقد حكى الزهري وغيره أن عثمان إنما أتم خشية على الأعراب أن يعتقدوا أن فرض الصلاة ركعتان ، وقيل بل قد تأهل بمكة ، فروى يعلى وغيره من حديث عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ذباب عن أبيه أن عثمان صلى بهم بمضى أربع ركعات ، ثم أقبل عليهم فقال : إني سمعت رسول الله (س.،) يقول : « إذا تزوج الرجل ببلد فهو من أهله » وإني أنمت لأثني تزوجت بها منذ قدمتها . وهذا الحديث لا يصح ، وقد تزوج رسول الله (س.،) في عمرة القضاء بميمونة بنت الحارث ولم يتم الصلاة ، وقد قيل إن عثمان تأول أنه أمير المؤمنين حيث كان [وهكذا تأولت عائشة فأنمت ، وفي هذا التأويل نظر ، فان رسول الله (س.،) هو رسول الله

حيث كان ، ومع هذا ما أتم الصلاة في الأسفار . ومما كان يعتمد عليه عثمان بن عفان أنه كان [١] يلزم عماله بحضور الموسم كل عام ، ويكتب إلى الرعايا : من كانت له عند أحد منهم مظلة فليواف إلى الموسم فاني آخذ له حقه من عامله ، وكان عثمان قد سمح لكثير من كبار الصحابة في السير حيث شاءوا من البلاد ، وكان عمر يحجر عليهم في ذلك ، حتى ولا في الغزو ، ويقول : إني أخاف أن تروا الدنيا وأن يراكم أبناءها ، فلما خرجوا في زمان عثمان اجتمع عليهم الناس ، وصار لكل واحد أصحاب ، وطمع كل قوم في تولية صاحبهم الامارة العامة بعد عثمان ، فاستعجلوا موته ، واستطلوا حياته ، حتى وقع ما وقع من بهض أهل الأمصار ، كما تقدم ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ، العلي العظيم .

ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم

تزوج رقية بنت رسول الله (ص) ، فولد له منها عبد الله ، وبه كان يكنى ، بعد ما كان يكنى في الجاهلية بأبي عمرو ، ثم لما توفيت تزوج بأختها أم كلثوم ، ثم توفيت فتزوج بفاخته بنت غزوان بن جابر ، فولد له منها عبيد الله الأصغر ، وتزوج بأم عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدي ، فولدت له عمراً ، وخالداً ، وأبانا ، وعمر . ومريم ، وتزوج بفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس الخزومية ، فولدت له الوليد وسعيداً . وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ، فولدت له عبد الملك ، ويقال وعتبة ، وتزوج رملة بنت شيبه بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو ، بنات عثمان . وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن حصن ابن ضمضم بن عدى بن حيان بن كليب ، فولدت له مريم ، ويقال وعنبسة . وقتل رضى الله عنه وعنده أربع نائلة ، ورملة ، وأم البنين ، وفاخته . ويقال إنه طلق أم البنين وهو محصور .

فضائله

تقدم في دلائل النبوة الحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث سفيان الثوري عن منصور عن ربي عن البراء بن ناجية الكاهلي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال قال رسول الله (ص) : « إن راحا الاسلام ستدور خمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ، فان تهلك فسبيل ما هلك وإن يقيم لهم دينهم يقيم لهم سبعين عاما قال : فقال عمر يا رسول الله أبما مضى أم بما بقي ؟ قال : بل بما بقي » وفي لفظ له ولأبي داود « تدور راحا الاسلام لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين » الحديث . وكان هذا الشك من الراوى ، والمحفوظ في نفس الأمر خمس وثلاثين ، فان فيها قتل أمير المؤمنين

عثمان على الصحيح ، وقيل ست وثلاثين ، والصحيح الأول وكانت أمور شنيعة ولكن الله سلم ووقى بحوله وقوته فلم يكن بأسرع من أن يبيع الناس على بن أبي طالب رضى الله عنه ، وانتظم الأمر ، واجتمع الشمل ، ولكن جرت بعد ذلك أمور في يوم الجمل وأيام صفين على ماسنينه إن شاء الله تعالى .

قصة عثمان

في ذكر من توي زمان عثمان من لا يعرف وقت وفاته على التعيين

أنس بن معاذ بن أنس بن قيس الأنصارى النجارى ، ويقال له أنيس أيضاً ، شهد المشاهد كلها رضى الله عنه .

أوس بن الصامت ، أخو عبادة بن الصامت الأنصارى ، شهد بدرًا ، وأوس هو زوج المجادلة المذكور في قوله تعالى [قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير] وامرأته خولة بنت ثعلبة .

أوس بن خولى الأنصارى من بنى الحلبى ، شهد بدرًا ، وهو المنفرد من بين الأنصار بحضور غسل النبي (ص) ، والتزول مع أهله فى قبره ، عليه الصلاة والسلام .

الحر بن قيس ، كان سيداً فى الأنصار ، ولكن كان بخيلاً ومتهمًا بالنفاق ، يقال إنه شهد بيعة الرضوان فلم يبايع ، واستتر ببيعير له ، وهو الذى نزل فيه قوله تعالى [ومنهم من يقول ائذنى لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا] الآية . وقد قيل إنه تاب وأقلم فآله أعلم .

الخطيئة الشاعر المشهور . قيل اسمه جرول ويكنى بأبى مليكة ، من بنى عبس ، أدرك أيام الجاهلية ، وأدرك صدرًا من الاسلام ، وكان يطوف فى الآفاق يمتدح الرؤساء من الناس ، ويستجديهم ويقال كان بخيلاً مع ذلك ، سافر مرة فودع امرأته فقال لها :

عدي السنين إذا خرجت لغيري * ودعى الشهر فانهن قصار

[وكان مداحًا هجاء ، وله شعر جيد ، ومن شعره ما قاله بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاستجاد منه قوله :

من يفعل الخير لم يعمم جوارزه * لا يذهب العرف بين الله والناس] (١)

خبيب بن يساف بن عتبة الأنصارى أحد من شهد بدرًا * سلمان بن ربيعة الباهلى ، يقال له صحبة ، كان من الشجعان الأبطال المذكورين ، والفرسان المشهورين ، ولده عمر قضاء الكوفة ، ثم

ولى فى زمن عثمان إمرة على قتال الترك ، قتل بيلنجر ، قـبـره هناك فى تابوت يستسقى به الترك إذا قـحـطوا * عبد الله بن حذافة بن قيس القرشى السهمى ، هاجر هو وأخوه قيس إلى الحبشة ، وكان من سادات الصحابة ، وهو القائل : يا رسول الله من أبى ؟ - وكان إذا لاحى الرجال دعى لغير أبيه - فقال : أبوك حذافة ، وكان رسول الله (ص) ، [أرسله إلى كسرى فدفع كتابه إلى عظيم بصرى فبعث معه من يوصله] (١) إلى هرقل كما تقدم ، وقد أسرته الروم فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فى جملة ثمانين من المسلمين ، فأرادوه على الكفر فأبى عليهم ، فقال له الملك : قبل رأسى وأنا أطلقك ومن معك من المسلمين ، فقبل رأسه [فأطلقهم ، فلما قدم على عمر قال له : حق على كل مسلم أن يقبل رأسك ، ثم قام عمر فقبل رأسه] (٢) قبل الناس رضى الله عنه * عبد الله بن سراقه بن المعتمر ، العدوى صحابى أحدى ، وزعم الزهرى أنه شهد بدرآ فأنه أعلم * [عبد الله بن قيس بن خالد الأنصارى ، شهد بدرآ *] (٣) عبد الرحمن بن سهل بن زيد الأنصارى الحارثى ، شهد أحدًا وما بعدها ، وقال ابن عبد البر شهد بدرآ ، استعمله عمر على البصرة بعد موت عتبة بن غزوان ، وقد نهشته حية فراه عمار بن حزم ، وهو القائل لأبى بكر - وقد جاءته جدعان فأعطى السدس أم الأم وترك الأخرى وهى أم الأب - فقال له : أعطيت التى لومات لم يرثها ، وترك التى لومات لورثها ، فشركت بينهما * عمرو بن سراقه بن المعتمر العدوى أخو عبد الله بن سراقه ، وهو بدرى كبير ، روى أنه جاع مرة فربط حجراً على بطنه من شدة الجوع ، ومشى يومه ذلك إلى الليل ، فأضافه قوم من العرب ومن معه ، فلما شبع قال لأصحابه : كنت أحسب الرجلين يحملان البطن ، فإذا البطن يحمل الرجلين .

عمير (٤) بن سعد الأنصارى الأوسى ، صحابى جليل القدر ، كبير المحل كان يقال له نسبج وحده ، لكثرة زهادته وعبادته ، شهد فتح الشام مع أبى عبيدة ، وناب بمحصر ودمشق أيضاً فى زمان عمر ، فلما كانت خلافة عثمان عزله وولى معاوية الشام بكاله ، وله أخبار يطول ذكرها * عروة بن حزام أبو سعيد العدوى كان شاعراً مغرمًا فى ابنة عم له ، وهى عفراء بنت مهاجر ، يقول فيها الشعر واشتهر بحبها ، فارتحل أهلها من الحجاز إلى الشام ، فتبعهم عروة فخطبها إلى عمه فامتنع من تزويجه لفقره ، وزوجها بابن عمها الآخر ، فهلك عروة هذا فى محبتها ، وهو مذكور فى كتاب مصارع العشاق ، ومن شعره فيها قوله :

وماهى إلا أنت أراها فجأة * فأبته حتى ما أكاد أجيب
وأصرف عن رأى الذى كنت أرتأى * وأنسى الذى أعدت حين تغيب
قطبة بن عامر أبو زيد الأنصارى عقي بدرى * قيس بن مهدي بن قيس بن ثعلبة الأنصارى

النجارى ، له حديث فى الركعتين قبل الفجر ، وزعم ابن ما كولا أنه شهد بدرآ ، قال مصعب الزبيرى : هو جد يحيى بن سعيد الأنصارى ، وقال الأكترون : بل هو جد أبى مریم عبد الغفار ابن القاسم الكوفى فآله أعلم * لبید بن ربیعة أبو عقيل العامرى الشاعر المشهور . صح أن رسول الله (س) قال : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبید .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وتما البيت : وكل نعيم لا محالة زائل
فقال عثمان بن مظعون : إلا نعيم الجنة ، وقد قيل إنه توفى سنة إحدى وأربعين فآله أعلم *
المسيب بن حزن بن أبى وهب الخزومى ، شهد بيعة الرضوان وهو والد سعيد بن المسيب سيد السابعين * معاذ بن عمرو بن الجوح الأنصارى شهد بدرآ ، وضرب يومئذ أباه جيل بسيفه فقطع رجله ، وحمل عكرمة بن أبى جهل على معاذ هذا فضربه بالسيف فحل يده من كتفه ، فقاتل بقية يومه وهى معلقة يسحبها خلفه ، قال معاذ : فلما انتهيت وضعت قدمى عليها ثم تخطأت عليها حتى طرحتها رضى الله عنه . وعاش بعد ذلك الى هذه السنة سنة خمس وثلاثين .

محمد بن جعفر بن أبى طالب ، القرشى الهاشمى ، ولد لأبيه وهو بالحبشة ، فلما هاجر إلى المدينة سنة خير ، وتوفى يوم مؤتة شهيدآ ، جاء رسول الله (س) إلى منزلهم فقال لأهمهم أسماء بنت عميس : « إيتينى ببنى أخى ، فجئى بهم كأنهم أفرخ فجعل يقبلهم ويشمهم ويبيكى ، فبكى أهمهم فقال أنخافين عليهم العيلة وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة ؟ ثم أمر الحلاق فخلق رؤسهم » وقد مات محمد وهو شاب المطلب بن عم رسول الله (س) ، قتل شابآ بأفريقية من بلاد المغرب * معيقب بن أبى فاطمة الدوسى ، صاحب خاتم النبى (س) ، قيل توفى فى أيام عثمان ، وقيل قبل ذلك ، وقيل سنة أربعين وآله أعلم * منقذ بن عمرو الأنصارى ، أحد بنى مازن بن النجار . كان قد أصابته آمة فى رأسه فكسرت لسانه ، وضعف عقله ، وكان يكثر من البيع والشراء ، فقال له النبى (س) : « من بايعت قتل لاخلابة ، ثم أنت باختيار فى كل ما تشتره ثلاثة أيام » قال الشافعى : كان مخصصآ بأبواب الخيل ثلاثة فى كل بيع ، سواء اشترط الخيل أم لا * نعيم بن مسعود ، أبو سلمة الطغفانى ، وهو الذى خنل بين الأحزاب وبين بنى قريظة كما قدمناه ، فله بذلك اليد البيضاء ، والراية العليا * أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلى ، الشاعر ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد موت النبى (س) ، وشهد يوم السقيفة وصلى على النبى (س) ، وكان أشعر هذيل ، وهذيل أشعر العرب وهو القائل :

وإذا النية أنشبت أظفارها * ألفيت كل نعمة لا تنفع

وتجلى للشامتين أريهم * أنى لرب الدهر لا أنضع

توفى غازيا بأفريقية فى خلافة عثمان * أبو رهم سبرة ابن عبد العزى القرشى الشاعر ذكره

في هذا الفصل محمد بن سعد وحده * أبو زيد الطائي، الشاعر، اسمه حرمله بن المنذر كان نصرانياً وكان يجالس الوليد بن عقبة فأدخله على عثمان فاستنشد شيثاً من شعره فأنشده قصيدة له في الأسد بديعة ، فقال له عثمان : تفناً تذكر الأسد ما حييت ؟ إني لأحسبك جباناً نصرانياً * أبو سبرة بن أبي رهم العامري ، أخو أبي سلمة بن عبد الأسد ، أمهما برة بنت عبد المطلب ، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرها وما بعدها ، قال الزبير : لا نعلم بدرياً سكن مكة بعد النبي (ص) ، سواء ، قال : وأهله يبدرو في ذلك * أبو لبابة بن عبد المنذر أحد ثقباء ليلة العقبة ، وقيل إنه توفي في خلافة علي والله أعلم * أبو هاشم بن عتبة تقدم وفاته في سنة إحدى وعشرين ، وقيل في خلافة عثمان والله أعلم .

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شيبه بن هاشم واسمه عمرو ابن عبد مناف ، واسمه المغيرة ، بن قصي ، واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو الحسن والحسين ، ويكنى بأبي تراب ، وأبي القسم الهاشمي ، ابن عم رسول الله (ص) ، وختنه علي ابنته فاطمة الزهراء . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، ويقال إنها أول هاشمية ولدت هاشمياً . وكان له من الإخوة طالب ، وعقيل ، وجعفر ، وكانوا أكبر منه ، بين كل واحد منهم وبين الآخر عشر سنين ، وله أختان ، أم هانئ وجمانة ، وكلهم من فاطمة بنت أسد ، وقد أسلمت وهاجرت * كان علي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان ممن توفي ورسول الله (ص) راض عنهم وكان رابع الخلفاء الراشدين وكان رجلاً آدم شديداً الأدمة أشكل العينين عظيمهما ، ذو بطن ، أصلع ، وهو إلى القصر أقرب وكان عظيم اللحية ، قد ملأت صدره ومنكبيه ، أبيضها ، وكان كثير شعر الصدر والكتفين ، حسن الوجه ، ضحوك السن ، خفيف المشي على الأرض * أسلم على قدماء ، وهو ابن سبع وقيل ابن ثمان ، وقيل تسع ، وقيل عشر ، وقيل أحد عشر ، وقيل إثني عشر ، وقيل ثلاثة عشر ، وقيل أربع عشرة ، وقيل ابن خمس عشرة ، أو ست عشرة سنة قاله عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن ، ويقال إنه أول من أسلم [والصحيح أنه أول من أسلم] من الظلمة ، كما أن خديجة أول من أسلمت من النساء ، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وكان سبب اسزيم على صغيراً أنه كان في كفالة رسول الله (ص) ، لأنه كان قد أصابهم سنة مجاعة ، فأخذه من أبيه ، فكان عنده ، فلما

بمنه الله بالحق أنت خديجة وأهل البيت ومن جملتهم على ، وكان الإيمان النافع المتعدى نفعه إلى الناس إيمان الصديق رضى الله عنه . وقد ورد عن علي أنه قال أنا أول من أسلم ولا يصح إسناده إليه . وقد روى في هذا المعنى أحاديث أوردها ابن عساکر كثيرة منكورة لا يصح شئ منها والله أعلم . وقد روى الامام أحمد من حديث شعبة عن عمرو بن مرة سمعت أبا حمزة - رجلاً من موالى الأنصار - قال سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله (ص) ، على * وفي رواية أول من صلى . قال عمرو : فذكرت ذلك للنخعي فأنكره ، وقال أبو بكر : أول من أسلم * وقال محمد بن كعب القرظي : أول من آمن من النساء خديجة وأول رجلين آمنّا أبو بكر وعلي ولكن كان أبو بكر يظهر إيمانه وعلي يكتم إيمانه ، قلت : يعني خوفاً من أبيه ، ثم أمره أبوه بمتابعة ابن عمه ونصرته ، وهاجر على بعد خروج رسول الله (ص) من مكة وكان قد أمره بقضاء ديونه ورد ودائمه ، ثم يلحق به ، فامتل ما أمره به ، ثم هاجر ، وأخى النبي (ص) بينه وبين سهل بن حنيف ، وذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي أن رسول الله (ص) ، أخى بينه وبين نفسه ، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شئ منها لضعف أسانيدها ، وركعة بعض متونها ، فإن في بعضها « أنت أخى ووارثى وخليفتى وخير من أمر بعدى » وهذا الحديث موضوع مخالف لما ثبت في الصحيحين وغيرهما والله أعلم * وقد شهد على بدرآ وكانت له اليد البيضاء فيها ، بارز يومئذ فغلب وظهر وفيه وفي عمه حمزة وابن عمه عبيدة ابن الحارث وخصومهم الثلاثة - عتبة وشيبة والوليد بن عتبة - نزل قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) الآية . وقال الحكم وغيره عن مقسم عن ابن عباس قال : « دفع النبي (ص) الراية يوم بدر إلى علي وهو ابن عشرين سنة » وقال الحسن بن عرفة : حدثني عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الحنظلي عن أبي جعفر محمد بن علي قال : نادى مناد في السماء يوم بدر يقال له رضوان لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . قال ابن عساکر وهذا مرسل وإنما تنفل رسول الله (ص) سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه من علي بعد ذلك وقال يونس بن بكير عن مسعر عن أبي عوف عن أبي صالح عن علي قال : قيل لي يوم بدر ولا بى بكر قيل لأحدنا معك جبريل ومع الآخر ميكائيل قال وإسرافيل ذلك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ويكون في الصف . وشهد على أجداً وكان على الميمنة ومعه الراية بعد مصعب ابن عمير ، وعلى اليسرة المنذر بن عمرو الأنصاري ، وحمزة بن عبد المطلب ، على القلب وعلى الرجال الزبير بن العوام ، وقيل المقداد بن الأسود ، وقد قاتل على يوم أحد قتالاً شديداً ، وقتل خلقاً كثيراً من المشركين ، وغسل عن وجه النبي (ص) ، الدم الذي كان أصابه من الجراح حين شج في وجهه وكسرت ربايعته وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب ، وأحد شجعانهم المشاهير ، عمرو ابن عبدود العامري ، كما قدمنا ذلك في غزوة الخندق ، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان ، وشهد خيبر

وكانت له بها مواقف هائلة ، ومشاهد طائلة ، منها أن رسول الله (س) قال : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها ، فدعا علياً - وكان أرمداً - فدعاه ، وبصق في عينه فلم يرمد بعدها ، فبرأ وأعطاه الراية ، ففتح الله على يديه ، وقتل مرجأ اليهودي

وذكر محمد بن إسحاق عن عبد الله بن حسن عن بعض أهله عن أبي رافع أن يهودياً ضرب علياً فطرح ترسه ، فتناول باباً عند الحصن فترس به ، فلم يزل في يده حتى فتح الله على يديه ثم ألقاه من يده ، قال أبو رافع : فلقد رأيتني أنا وسبعة معي نجتهد أن نقلب ذلك الباب على ظهره يوم خير فلم نستطع . وقال ليث عن أبي جعفر عن جابر أن علياً حمل الباب على ظهره يوم خير حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، فلم يحملوه إلا أربعون رجلاً * ومنها أنه قتل مرجأ فارس يهود وشجعانهم * وشهد على عمرة القضاء وفيها قال له النبي (س) : « أنت مني ، وأنا منك » وما يذكره كثير من القصص في مقاتلته الجن في بثر ذات العلم - وهو بئر قريب من الجنة - فلا أصل له ، وهو من وضع الجبهة من الأخباريين فلا يفتقر به . وشهد الفتح وحنينا والطائف ، وقاتل في هذه المشاهد قتالاً كثيراً ، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله (س) ، [ولما خرج رسول الله (س) ،] (١) إلى تبوك واستخلفه على المدينة ، قال له : يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » وبعثه رسول الله (س) ، أميراً وحاكماً على اليمن ، ومعه خالد ابن الوليد ، ثم وافى رسول الله (س) ، عام حجة الوداع ، إلى مكة ، وساق معه هدياً ، وأهل كاهل النبي (س) ، فأشركه في هديه ، واستمر على إحرامه ، [ونحرا هديهما بعد فراغ نسكهما كما تقدم] (٢) ولما مرض رسول الله (س) ، قال له العباس : سل رسول الله (س) ، فيمن الأمر بعده ؟ فقال : والله لا أسأله فإنه إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبداً ، والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله (س) ، لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة ، بل لوح بذكر الصديق ، وأشار إشارة مفهومة ظاهرة جداً إليه ، كما قدمنا ذلك والله الحمد .

وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الاغبياء ، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة ، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير ، من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه ، وصرفهم إياها إلى غيره ، لا لمعنى ولا لسبب ، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الاسلام هو الحق ، يعلم بطلان هذا الافتراء ، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء ، وهم خير قرون هذه الأمة ، التي هي أشرف الأئمة بنص القرآن ، وإجماع

السلف والخلف ، في الدنيا والآخرة ، والله الحمد . وما قد يقصه بعض القصاص من العوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصية لعل في الآداب والأخلاق في المأكل والمشرب والملبس ، مثل ما يقولون : يا علي لا تغم وأنت قاعد ، يا علي لا تلبس سراويلك وأنت قائم ، يا علي لا تمسك عضادتي الباب ، ولا تجلس على أسكفة الباب ، ولا تخط ثوبك وهو عليك ، ونحو ذلك ، كل ذلك من الهدايات فلا أصل لشيء منه ، بل هر اختلاق بعض السفلة الجهلة ، ولا يعول على ذلك ويفتربه إلا غبي عبي . ثم لما مات رسول الله (س) كان على من جملة من غسله وكفنه ، ولى دفنه كما تقدم ذلك مفصلاً والله الحمد والمنة . وسيأتي في باب فضائله ذكر تزويج رسول الله (س) له من فاطمة بعد وفاة بدر فولد له منها حسن وحسين ومحسن كما قدمنا . وقد وردت أحاديث في ذلك لا يصح شيء منها بل أكثرها من وضع الروافض والقصاص . ولما بويج الصديق يوم السقيفة كان على من جملة من بايع بالمسجد كما قدمنا . وكان بين يدي الصديق كثيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضا عليه ، وأحب الأشياء إليه ، ولما توفيت فاطمة بعد ستة أشهر - وكانت قد تغضبت بعض الشيء على أبي بكر بسبب الميراث الذي قاتها من أبيها عليه السلام ، ولم تكن اطلعت على النص المختص بالأنبياء وأنهم لا يورثون ، فلما بلغها سألت أبا بكر أن يكون زوجها ناظراً على هذه الصدقة ، فأبى ذلك عليها ، فبقى في نفسها شيء كما قدمنا ، واحتاج على أن يداريها بعض المداراة - فلما توفيت جدد البيعة مع الصديق رضي الله عنهما ، فلما توفي أبو بكر وقام عمر في الخلافة بوصية أبي بكر إليه بذلك ، كان على من جملة من بايعه ، وكان معه يشاوره في الأمور ، ويقال إنه استغضاه في أيام خلافته ، وقدم معه من جملة سادات أمراء الصحابة إلى الشام ، وشهد خطبته بالجائية ، فلما طعن عمر وجعل الأمر شورى في ستة أحدهم على ، ثم خلص منهم بعثمان وعلي كما قدمنا ، فقدم عثمان على علي ، فسمع وأطاع ، فلما قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمسة وثلاثين على المشهور .

عد الناس إلى علي فبايعوه ، قبل أن يدفن عثمان ، وقيل بعد دفنه كما تقدم ، وقد امتنع على من إجابته إلى قبول الامارة حتى تكرر قولهم له وفر منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول ، وأغلق بابه فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه ، وجأؤوا معهم بطلحة والزبير ، فقالوا له : إن هذا الأمر لا يمكن بقاءه بلا أمير ، ولم يزالوا به حتى أجاب .

ذكر بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة

يقال أن أول من بايعه طلحة بيسد اليمنى وكانت شلاء من يوم أحد - لما وقى بها رسول الله (س) - فقال بعض القوم : والله إن هذا الأمر لا يتم ، وخرج على إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وعمامة خز وفتلاء في يده ، نوكاً على قوسه ، فبايعه عامة الناس ، وذلك يوم السبت التاسع عشر

من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، ويقال إن طلحة والزبير إنما بايعاه بعد أن طلبهما وسألاه أن يؤمرهما على البصرة والكوفة ، فقال لهما : بل تكونا عندي أستأنس بكما ، ومن الناس من يرغم أنه لم يبايعه طائفة من الأنصار ، منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة بن مخلد ، وأبو سعيد ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن خديج ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عجرة ذكره ابن جرير من طريق المدائني عن شيخ من بني هاشم عن عبد الله بن الحسن قال المدائني : حدثني من سمع الزهري يقول : هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا علياً ، ولم يبايعه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن سلام ، والغيرة بن شعبة ، قلت : وهرب مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وآخرون إلى الشام . وقال الواقدي : بايع الناس علياً بالمدينة ، وتربص سبعة نفر لم يبايعوا ، منهم ابن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ، وصهيب ، وزيد بن ثابت ، ومحمد بن أبي مسلمة ، ومسلمة بن سلامة بن رقش ، وأسامة بن زيد ، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيها نعلم . وذكر سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا : بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها العافقي بن حرب ، يلتبسون من يجيئهم إلى القيام بالأمر . والمصريون يلحون على علي وهو يهرب منهم إلى الحيطان ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيئهم ، فقالوا فيما بينهم لا نولى أحداً من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا : إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم ، ثم راحوا إلى ابن عمر فأبى عليهم ، فخاروا في أمرهم ، ثم قالوا : إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا إلى علي فألحوا عليه ، وأخذوا لا يشتريده فبايعه وبايعه الناس ، وأهل الكوفة يقولون : أول من بايعه الاشترا النخعي وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذى الحجة ، وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك ، وكلهم يقول : لا يصلح لها إلا علي ، فلما كان يوم الجمعة وصعد على المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس ، وكان أول من بايعه طلحة بيده السلاء ، فقال قائل : إن الله وإنا إليه راجعون ، ثم قال الزبير : إنما بايعت علياً والليج على عنقي والسلام ، ثم راح إلى مكة فأقام أربعة أشهر ، وكانت هذه البيعة يوم الجمعة لخمسة بقين من ذى الحجة ، وكان أول خطبة خطبها أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشر ، إن الله حرم حرماً مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق ، لا يحل لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب ، بادروا أمر العامة ، وخاصة أئمتكم الموت ، فإن الناس أمامكم ، وإنما خلفكم الساعة تحددوكم بكم فتخففوا تلتحقوا ، فانما ينتظر بالناس أخراهم ، اتقوا الله عباده في عباده وبلاده ، فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه ،

وإذا رأيتم الخيل تغفوا به وإذا رأيتم الشرّ فدعوه [واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض]
الآية ، فلما فرغ من خطبته قال المصريون :

خذها إليك واحفرن أبا الحسن * إنأمروا الأمر إمرار الرسن
صولة آساد كآساد السفن * بمشقيات كغدران اللبن
ونعلمن الملك بلين كالشطن * حتى يمرن على غير عنن

فقال على مجيبا لهم !

ان عجرت عجرة لا أعترن * سوف أكيس بعدها وأستمر
أرفع من ذيلي ما كنت أجز * وأجمع الأمر الشيت المنتشر
إن لم يشاغبن العجول المنتعز * أو يتركوني والسلاح يبتدر

وكان على الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة وعلى الحرب القعقاع بن عمرو وعلى الخراج جابر بن فلان المزني ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وقد تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة ، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان ، ونوابه على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعلى قنسرين حبيب بن سلمة ، وعلى الأردن أبو الأعور ، وعلى فلسطين حكيم بن علقمة ، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس ، وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى حلوان عتيبة بن النحاس ، وعلى قيسارية مالك بن حبيب ، وعلى همدان حميش . هذا ما ذكره ابن جرير من نواب عثمان الذين توفى وهم نواب الأمصار ، وكان على بيت المال عقبة بن عمرو ، وعلى قضاء المدينة زيد بن ثابت ، ولما قتل عثمان بن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضخ بدمه ، ومعه أصابع فائلة التي أصيبت حين حاجفت عنه يديها ، فقطعت مع بعض الكف فورد به على معاوية بالشام ، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس ، وعلق الأصابع في كم القميص ، وندب الناس إلى الأخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه ، فبأى الناس حول المنبر ، وجعل القميص يرفع قارة وبوضع قارة ، والناس يتباكون حوله سنة ، وحث بعضهم بعضا على الأخذ بثأره ، واعتزل أكثر الناس النساء في هذا العام ، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان ، ممن قتله من أولئك الخوارج : منهم عبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وأبو أمامة ، وعمرو بن عنبسة وغيرهم من الصحابة ، ومن التابعين : شريك بن حباشة ، وأبو مسلم الخولاني ، وعبد الرحمن بن غنم ، وغيرهم من التابعين . ولما استقر أمر بيعة على دخل عليه طلحة والزبير ورؤس الصحابة رضى الله عنهم ، وطلبوا منه إقامة الحدود ، والأخذ بدم عثمان . فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان ، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا ، فطلب منه الزبير أن يوليه

إمرة الكوفة ليأتيه بالجنود ، وطلب منه طلحة أن يوليه إمرة البصرة ، ليأتيه منها بالجنود ليقوى بهم على شوكه هؤلاء الخوارج ، وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم في قتل عثمان رضى الله عنه ، فقال لها : مهلاً على ، حتى أنظر في هذا الأمر . ودخل عليه المغيرة بن شعبة على إثر ذلك فقال له : إني أرى أن تقر عمالك على البلاد ، فإذا أتتك طاعتهم استبدلت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت ، ثم جاءه من الغد فقال له : إني أرى أن تعزلهم لتعلم من يطيعك ممن يعصيك ، فعرض ذلك على علي بن عباس فقال : لقد نصحك بالأمس وغشك اليوم ، فبلغ ذلك المغيرة فقال : نعم نصحته فلما لم يقبل غششته ثم خرج المغيرة فلحق بمكة ، ولحقه جماعة منهم طلحة والزبير : وكانوا قد استأذنوا علياً في الاعتبار فأذن لهم ، ثم إن ابن عباس أشار على علي باستمرار نوابه في البلاد ، إلى أن يتمكن الأمر ، وأن يقر معاوية خصوصاً على الشام وقال له : إني أخشى إن عزلته عنها أن يطلبك بدم عثمان ولا آمن طلحة والزبير أن يتكلموا عليك بسبب ذلك ، فقال علي : إني لا أرى هذا ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد وليتها ، فقال ابن عباس لعلي : إني أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان ، أو يجلسني لقرايتي منك ولكن اكتب معي إلى معاوية فتنة وعده ، فقال علي : والله إن هذا مالا يكون أبداً ، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين الحرب خدعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، فوالله لئن أعطيتني لأوردنهم بعد صدرهم ونهى ابن عباس علياً فيما أشار عليه أن يقبل من هؤلاء الذين يحسنون إليه الرحيل إلى العراق ، ومفارقة المدينة ، فأبى عليه ذلك كله ، وطاوع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قصد قسطنطين بن هرقل بلاد المسلمين في ألف مركب ، فأرسل الله عليه قاصفاً من الرياح ففرقه الله بحوله وقوته ، ومن معه ، ولم ينج منهم أحد إلا الملك في شردمة قليلة من قومه ، فلما دخل صقلية عملوا له حماماً فدخله فقتلوه فيه ، وقالوا : أنت قتلت رجالنا .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين من الهجرة

استهلت هذه السنة وقد تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة ، وولي علي الأمصار نواباً ، فولى عبد الله بن عباس على اليمن ، وولى سمرة بن جندب^(١) على البصرة ، وعماوة بن شهاب على الكوفة ، وقيس بن سعد بن عباد على مصر ، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية ، فسار حتى بلغ تبوك فتلقتة خيل معاوية ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : أمير ، قالوا : على أي شيء ؟ قال : على الشام ، فقالوا : إن كان عثمان بعثك في هلاكك ، وإن كان غيره فارجع . فقال : أو ما سمعتم الذي

(١) ذكر ابن جرير الطبري أن علياً ولي عثمان بن حنيف على البصرة وسيأتي أنه عثمان

ابن حنيف .

كان ؟ قالوا : بلى ، فرجع إلى علي . وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر فبايع له الجمهور ، وقالت طائفة : لانبائع حتى نقتل قتلة عثمان ، وكذلك أهل البصرة ، وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميراً على الكوفة فصدّه عنها طلحة بن خويلد غضبا لعثمان ، فرجع إلى علي فأخبره ، وانتشرت الفتنة وتفاقم الأمر ، واختلفت الكلمة ، وكتب أبو موسى إلى علي بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلا القليل منهم ، وبعث علي إلى معاوية كتباً كثيرة فلم يرد عليه جوابها ، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر ، ثم بعث معاوية طوماراً مع رجل فدخل به علي على فقال : ما وراءك ؟ قال جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القودّ كلهم موتور ، تركت سبعين ألف شيخ يبيكون تحت قميص عثمان ، وهو على منبر دمشق ، فقال علي : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علي فهمّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله ، فساأفلت إلا بعد جهد . وعزم علي رضي الله عنه على قتال أهل الشام ، وكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم ، وإلى أبي موسى بالكوفة : وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك ، وخطب الناس فحهم على ذلك . وعزم على التجهز ، وخرج من المدينة ، واستخلف عليها قثم بن العباس ، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس ، وجاء إليه ابنه الحسن ابن علي فقال : يا أباي دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين ، ووقوع الاختلاف بينهم ، فلم يقبل منه ذلك ، بل صمم على القتال ، ورتب الجيش ، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية ، وجعل ابن العباس على الميمنة ، وعمر بن أبي سلمة على الميسرة ، وقيل جعل علي الميسرة وعمر بن سفيان بن عبد الأسد ، وجعل علي مقدمته أبا ليلى بن عمرو بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة ، واستخلف علي المدينة قثم بن العباس ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً إلى الشام ، حتى جاءه ما شغله عن ذلك كله وهو ما سنورده .

إبتداء وقعة الجمل

لما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق ، كان أزواج النبي (ص) ، أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في هذا العام فرارا من الفتنة ، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل ، أقن بمكة بعد ما خرجوا منها ، ورجعوا إليها وأقاموا بها وجعلوا ينتظرون ما يصنع الناس ويتجسسون الأخبار فلما بويع لعلي وصار حظ الناس عنده بحكم الحال وغلبة الرأي ، لاعن اختيار منه لذلك رؤس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان ، مع أن علياً في نفس الأمر يكرهمهم ، ولكنه تربص بهم الدوائر ، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم ، ولكن لما وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه ، وحجبوا عنه عليه الصحابة فر جماعة من بني أمية وغيرهم إلى مكة ، واستأذنه طلحة والزبير في الاعتار ، فأذن لهما فخرجا إلى

مكة وتبعهم خلق كثير ، وجم غفير ، وكان على لما عزم على قتال أهل الشام قد نذب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه ، فطلب عبد الله بن عمر بن الخطاب وحرضه على الخروج معه ، فقال : إنما أنا رجل من أهل المدينة ، إن خرجوا خرجت على السمع والطاعة ، ولكن لا أخرج للقتال في هذا العام ، ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة ، وقدم إلى مكة أيضا في هذا العام يعلى بن أمية من اليمن ، - وكان عاملا عليها لعثمان - ، ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم ، وقدم لها عبد الله بن عامر من البصرة ، وكان نائبها لعثمان ، فاجتمع فيها خلق من سادات الصحابة ، وأمهاة المؤمنين ، فقامت عائشة رضى الله عنها في الناس تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان ، وذكرت ما افتات به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام ، ولم يراقبوا جوار رسول الله (ص) وقد سفكوا الدماء ، وأخذوا الأموال . فاستجاب الناس لها ، وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة ، وقالوا لها : حينما ماسرت سرنا معك ، فقال قائل نذهب إلى الشام ، فقال بعضهم : إن معاوية قد كفأكم أمرها ، [ولو قدموها لغلبنوا ، واجتمع الأمر كله لهم ، لأن أكابر الصحابة معهم] ^(١) وقال آخرون : نذهب إلى المدينة فنطلب من على أن يسلم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا ، وقال آخرون : بل نذهب إلى البصرة فنتقوى من هنالك باخيل والرجال ، ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان . فاتفق الرأي على ذلك وكان بقية أمهاة المؤمنين قد وافقن عائشة على المسير إلى المدينة ، فلما اتفق الناس على المسير إلى البصرة رجعن عن ذلك وقلن : لا نسير إلى غير المدينة ، وجهز الناس يعلى بن أمية فأنفق فيهم ستمائة بعير وستمائة ألف درهم وجهزم ابن عامر أيضا بمال كثير ، وكانت حفصة بنت عمر أم المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى البصرة ، فتنمها أخوها عبد الله من ذلك ، وأبى هو أن يسير معهم إلى غير المدينة ، وسار الناس صحبة عائشة في ألف فارس ، وقيل تسعمائة فارس من أهل المدينة ومكة ، وتلاحق بهم آخرون ، فصاروا في ثلاثة آلاف ، وأم المؤمنين عائشة تحمل في هودج على جمل اسمه عسكرة ، اشتراه يعلى بن أمية من رجل من عرينة بمائتي دينار ، وقيل بثمانين دينارا ، وقيل غير ذلك ، وسار معها أمهاة المؤمنين إلى ذات عرق ففارقنها هنالك وبكين للوداع ، وتباكى الناس ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم النحيب ، وسار الناس قاسدين البصرة ، وكان الذي يصلى بالناس عن أمر عائشة ابن أختها عبد الله ابن الزبير ، ومروان بن الحكم يؤذن للناس في أوقات الصلوات ، وقد مروا في مسيرهم ليلا بماء يقال له الحوآب ، فنبحتهم كلاب عنده ، فلما سمعت ذلك عائشة قالت : ما اسم هذا المكان ؟ قالوا الحوآب ، فضربت بإحدى يديها على الأخرى وقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أظننى إلا راجعة ، قالوا : ولم ؟ قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول لنسائه : « ليت شمري أيتكن التي تنبجها كلاب

الحوآب»، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، وقالت: ردوني ردوني، أنا والله صاحبة ماء الحوآب، وقد أوردنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه في دلائل النبوة كما سبق، فأناخ الناس حولها يوما وليلة، وقال لها عبد الله بن الزبير: إن الذي أخبرك أن هذا ماء الحوآب قد كذب، ثم قال الناس: النجا النجا، هذا جيش على بن أبي طالب قد أقبل، فارتحلوا نحو البصرة، فلما اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رؤوس الناس، أنها قد قدمت، فبعث عثمان بن حنيف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلى إليها ليعلما ما جاءت له، فلما قدما عليها سلما عليها واستعلا منها ما جاءت له، فذكرت لهما ما الذى جاءت له من القيام بطلب دم عثمان، لأنه قتل مظلوماً فى شهر حرام وبلد حرام. وتلت قوله تعالى [لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً] فخرجوا من عندها فجاءوا إلى طلحة فقالوا له: ما أقدمك؟ فقال: الطلب بدم عثمان، فقالا: ما بايعت علياً؟ قال: بلى والسيف على عنقي، ولا أستقبله إن هو لم يُخل بيننا وبين قتلة عثمان. فذهبوا إلى الزبير فقال مثل ذلك، قال: فرجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف، فقال أبو الأسود:

يا ابن الأحنف قد أتيتُ فافتر * وطاعن القوم وجالد واصبر *
* واخرج لهم مستلماً وشمر *

فقال عثمان بن حنيف: إنا لله وإنا إليه راجعون، دارت رحا الاسلام ورب الكعبة، فانظروا بأى زيفان زيف، فقال عمران إى والله لتعركنكم عركا طويلا، يشير عثمان بن حنيف إلى حديث ابن مسعود مرفوعا « تدور رحا الاسلام لخمس وثلاثين » الحديث كما تقدم، ثم قال عثمان بن حنيف لعمران بن حصين: أشر على، فقال اعتزل فأتى قاعد فى منزلى، أو قال قاعد على بعيرى، فذهب فقال عثمان: بل أمنعهم حتى يأتى أمير المؤمنين، فنادى فى الناس يأمرهم بلبس السلاح والاجتماع فى المسجد، فاجتمعوا فأمرهم بالتجهز، فقام رجل وعثمان على المنبر فقال: أيها الناس إن كان هؤلاء القوم جاؤا خائفين فقد جاؤا من بلد يأمن فيه الطير، وإن كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته، فأطيعوني وردوم من حيث جاؤا، فقام الأسود بن سريع السعدى فقال: إنما جاؤا يستعينون بنا على قتل عثمان منا ومن غيرنا، فغصبه الناس، فلم عثمان بن حنيف أن لقتله عثمان بالبصرة أنصاراً، فكره ذلك، وقدمت أم المؤمنين بمن معها من الناس، فقتلوا المرء من أعلاه قريبا من البصرة، وخرج إليهم أهل البصرة من أراد أن يكون معها، وخرج عثمان بن حنيف بالجيش فاجتمعوا بالمرء، فتكلم طلحة - وكان على الميمنة - فندب إلى الأخذ بثأر عثمان، والطلب بدمه، وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته فرد عليهما ناس من جيش عثمان بن حنيف، وتكلمت أم المؤمنين فخرت وحنّت على

القتال ، فتناور طوائف من أطراف الجيش فتراموا بالحجارة ، ثم تحاجز الناس ورجع كل فريق إلى حوزته ، وقد صارت طائفة من جيش عثمان بن حنيف إلى جيش عائشة ، فكثروا ، وجاء حارثة ابن قدامة السعدي فقال : يا أم المؤمنين ! والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل عرضة للسلاح ، إن كنت أتيتنا طائفة فارجمي من حيث جئت إلى منزلك ، وإن كنت أتيتنا مكروه فاستعيني بالناس في الرجوع وأقبل حكيم بن جبلة - وكان على خيل عثمان بن حنيف - فأنشب القتال وجعل أصحاب أم المؤمنين يكفون أيديهم ويمتنعون من القتال ، وجعل حكيم يقتحم عليهم فاقتلوا على فم السكة ، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن ، وحجز الليل بينهم ، فلما كان اليوم الثاني قصدوا للقتال ، فاقتلوا قتالا شديدا ، إلى أن زال النهار ، وقتل خلق كثير من أصحاب ابن حنيف ، وكثرت الجراح في الفريقين ، فلما عضتهم الحرب تداعوا إلى الصلح على أن يكتبوا بينهم كتابا ويبعثوا رسولا إلى أهل المدينة يسأل أهلها ، إن كان طلحة والزبير أكرها على البيعة ، خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وأخلاها ، وإن لم يكونا أكرها على البيعة خرج طلحة والزبير عنها وأخلوها لهم ، وبعثوا بذلك كعب بن سور القاضي ، فقدم المدينة يوم الجمعة ، فقام في الناس ، فسألهم : هل بايع طلحة والزبير طائعين أو مكهرين ؟ فسكت الناس فلم يتكلم إلا أسامة بن زيد ، فقال : بل كانا مكهرين ، فثار إليه بعض الناس فأرادوا عربه ، فحاجف دونه صهيب ، وأبو أيوب ، وجماعة حتى خلصوه ، وقالوا له : ما وسعك ما وسعنا من السكوت ؟ فقال : لا والله ما كنت أرى أن الأمر ينتهي إلى هذا ، وكتب على إلى عثمان بن حنيف يقول له : إنهما لم يكرها على فرقة ، ولقد أكرها على جماعة وفضل فإن كانا يريدان الخلع فلا عنرلها ، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرا ونظرنا ، وقدم كعب بن سور على عثمان بكتاب على ، فقال عثمان : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه ، وبعث طلحة والزبير إلى عثمان بن حنيف أن يخرج إليهما فأبى ، فجمعا الرجال في ليلة مظلمة وشهدا بهم صلاة العشاء في المسجد الجامع ، ولم يخرج عثمان بن حنيف تلك الليلة ، فصلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، ووقع من راع الناس من أهل البصرة كلام وضرب ، فقتل منهم نحواً أربعين رجلا ، ودخل الناس على عثمان بن حنيف قصره فأخرجوه إلى طلحة والزبير ، ولم يبق في وجهه شعرة إلا تنفوها ، فاستعظما ذلك وبعثا إلى عائشة فأعلمها الخبر ، فأمرت أن تخلى سبيله ، فأطلقوه وولوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبي بكر ، وقسم طلحة والزبير أموال بيت المال في الناس وفضلوا أهل الطاعة ، وأكب عليهم الناس يأخذون أرزاقهم ، وأخذوا الحرص ، واستبدوا في الأمر بالبصرة ، فمضى لذلك جماعة من قوم قتلة عثمان وأنصارهم ، فركبوا في جيش قريب من ثلثمائة ، ومقدمهم حكيم بن جبلة ، وهو أحد من باشر قتل عثمان ، فبارزوا وقاتلوا ،

فضرب رجل رجل حكيم بن جبلة فقطعها ، فزحف حتى أخذها وضرب بها ضاربها فقتله ثم اتسكأ عليه وجعل يقول :

يا ساقُ لن تراعى * إنَّ لكِ ذراعى * أحمى بها كراعى
وقال أيضاً :

ليس على أن أموت عار * والعار في الناس هو الفرار * والمجد لا يفضحه الدمار
فمر عليه رجل وهو متكئ برأسه على ذلك الرجل ، فقال له : من قتلك ؟ فقال له وسادتي . ثم مات حكيم قتيلاً هو ونحوه من سبعين من قتلة عثمان وأنصارهم أهل المدينة ، فضعف جأش من خالف طلحة والزبير من أهل البصرة ، ويقال : إن أهل البصرة بايعوا طلحة والزبير ، وندب الزبير ألف فارس يأخذهم معه ويلتقي بها علياً قبل أن يبحى فلم يجبه أحد ، وكتبوا بذلك إلى أهل الشام يبشرونهم بذلك ، وقد كانت هذه الواقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وقد كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان تدعوه إلى نصرتها والقيام معها فإن لم يبحى فليكيف يده وليسلم منزله ، أى لا يكون عليها ولا لها ، فقال : أنا في نصرتك ما دمت في منزلك ، وأبى أن يطيعها في ذلك ، وقال : رحم الله أم المؤمنين أمرها الله أن تلتزم بيتها وأمرنا أن نقاتل ، فخرجت من منزلها وأمرتنا بلزوم بيوتنا التي كانت هي أحق بذلك منا ، وكتبت عائشة إلى أهل البصرة والكوفة بمنزل ذلك .

مسير علي بن أبي طالب من المدينة إلى البصرة بدلاً من الشام

بعد أن كان قد تجهز قاصداً الشام كما ذكرنا ، فلما بلغه قصد طلحة والزبير البصرة ، خطب الناس وحثهم على المسير إلى البصرة ليمنع أولئك من دخولها ، إن أمكن ، أو يطردهم عنها إن كانوا قد دخلوها ، فتناقل عند أكثر أهل المدينة ، واستجاب له بعضهم ، قال الشعبي : ما نهض معه في هذا الأمر غير ستة نفر من البدرين ، ليس لهم سابع . وقال غيره أربعة . وذكر ابن جرير وغيره قال كان ممن استجاب له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن التيهان ، وأبو قتادة الأنصاري ، وزيد بن حنظلة ، وخزيمة بن ثابت . قالوا : وليس بنى الشهادتين ، ذاك مات في زمن عثمان رضي الله عنه . وسار على من المدينة نحو البصرة على تعبئته المتقدم ذكرها ، غير أنه استخلف على المدينة تمام بن عباس وعلى مكة قثم بن عباس وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وخرج علي من المدينة في نحو من تسعمائة مقاتل ، وقد لقي عبد الله بن سلام رضي الله عنه علياً وهو بالربذة ، فأخذ بعنان فرسه وقال : يا أمير المؤمنين لا تخرج منها ، فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً ، فسبه بعض الناس ، فقال علي : دعوه فنعهم الرجل من أصحاب النبي (ص) ، وجاء الحسن بن علي إلى أبيه في الطريق فقال : لقد نهيتك فعضيتني تقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك . فقال له علي : إنك لا تزال

نحن على حنين الجارية ، وما الذى نهيتنى عنه فعصيتك ؟ فقال : ألم أمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لتلا يقتل وأنت بها ، فيقول قائل أو يتحدث متحدث ؟ ألم أمرك أن لا تباع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر يبيعهم ؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس فى بيتك حتى يصطالحوا فعصيتنى فى ذلك كله ؟ فقال له على : أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به ، وأما مبايعتى قبل مجئ بيعة الامصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر ، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه . فتريد منى أن أكون كالضبع التى يحاط بها ، ويقال ليست هاهنا ، حتى يشق عرقوبها فتخرج ، فإذا لم أنظر فيما يلزمنى فى هذا الأمر ويعيننى ، فمن ينظر فيه ؟ فكف عنى يا بنى ، ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذى قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبى بكر ، ومحمد بن جعفر ، إني قد اخترتكم على أهل الأمصار ، فرغبت إليكم وفرغت لما حدث ، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا ، وانهبوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا ، ففضيا ، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب ، وقام فى الناس خطيبا فقال : إن الله أعزنا بالاسلام ورفعنا به ، وجعلنا به إخوانا ، بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد ، فجرى الناس على ذلك ماشاء الله ، الاسلام دينهم ، والحق قائم بينهم ، والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزعهم الشيطان ليتزعج بين هذه الامة ، ألا وإن هذه الامة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها ، فمعرض الله من شر ما هو كائن . ثم عاد ثانية فقال : إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ، ألا وإن هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة نجبى ولا تعمل بعملى ، وقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم ، واهتدوا بهدي فانه هدى نبيكم ، واتبعوا سنته ، وأعرضوا عما أشكل عليكم ، حتى تعرضوه على الكتاب ، فما عرفه القرآن فالزموه ، وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله ربا ، وبالاسلام ديننا ، وبمحمد نبيا ، وبالقرآن حكما وإماما . قال فلما عزم على المسير من الرينة قام إليه ابن أبى رفاع بن رافع ، فقال : يا أمير المؤمنين أى شئ تريد ؟ وأين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذى نريد وننوى فالإصلاح ، إن قبلوا منا وأجابوا إليه ، قال : فان لم يجيبوا إليه ؟ قال : ندعهم بفدومهم ونعطيهما الحق ونصبر . قال : فان لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فان لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعلم إذا . فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصارى فقال : لأرضينك بالفعل كما أرضيتنى بالقول ، والله لينصرنى الله كما سمانا أنصارا . قال : وأنت جماعة من طي وعلى بالرينة ، فقل له : هؤلاء جماعة جاؤا من طي منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد السلام عليك ، فقال : جزى الله كلا خيرا (وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجرا عظيما) قالوا : فسار على من الرينة على تمبئته وهو راكب ناقه حمراء يقود فرسا كميئا فلما كان بفيد جاءه جماعة من أسد

وطى ، ففرضوا أنفسهم عليه فقال : فيمن معى كفاية ، وجاء رجل من أهل الكوفة يقال له عامر بن
مطر الشيباني ، فقال له على : ما وراءك ؟ فأخبره الخبر ، فسأله عن أبي موسى فقال : إن أردت
الصلح فأبى موسى صاحبه ، وإن أردت القتال فليس بصاحبه ، فقال على : والله ما أريد إلا الصلح
من ترمد علينا . وسار ، فلما اقترب من الكوفة وجاءه الخبر بما وقع من الأمر على جليته ، من قتل
ومن إخراج عثمان بن حنيف من البصرة ، وأخذهم أموال بيت المال ، جعل يقول : اللهم عافني مما
ابتليت به طلحة والزبير ، فلما انتهى إلى ذي قار أتاه عثمان بن حنيف مهتما ، وليس في وجهه شعرة
فقال : يا أمير المؤمنين بعثني إلى البصرة وأنا ذو لحية ، وقد جئتكم أمدداً ، فقال : أصبت خيراً
وأجراً . وقال عن طلحة والزبير : اللهم احلل ما عقدا ، ولا تبرم ما أحكما في أنفسهما ، وأرهما المساءة
فيما قد عملا - يعني في هذا الأمر - وأقام على بذى قار ينتظر جواب ما كتب به مع محمد بن أبي
بكر وصاحبه محمد بن جعفر - وكانا قد قدما بكتابه على أبي موسى وقاما في الناس بأمره - فلم يجابا
في شيء ، فلما أمسوا دخل أناس من ذوى الحجب على أبي موسى يعرضون عليه الطاعة لعلى ،
فقال : كان هذا بالأس ففضب محمد ومحمد فقالا له قولاً غليظاً : فقال لهما : والله إن بيعة عثمان لفي
عنقي وعنق صاحبكما ، فان لم يكن بدمي قتال فلا تقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا
ومن كانوا ، فانطلقا إلى على فأخبراه الخبر ، وهو بذى قار ، فقال للأشتر : أنت صاحب أبي موسى
والمعرض في كل شيء فاذهب أنت وابن عباس فأصلح ما أفسدت ، فخرجا فقدموا الكوفة وكثما
أبا موسى واستعانا عليه بنفر من الكوفة فقام في الناس فقال : أيها الناس ، إن أصحاب محمد (ص)
الذين محبوه أعظم بالله ورسوله ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً وأنا مؤد إليكم نصيحة ، كان الرأي
أن لا تستخفوا بسلطان الله وإن لا تجربثوا على أمره ، وهذه فتنة التأم فيها خير من اليقظان ،
واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب ، والراكب خير من
الساعي فاعمدوا السيوف وانصلوا الأستنة ، واقطعوا الأوتار ، وأووا المضطهد والمظلوم حتى يلتئم هذا
الأمر ، وتسجل هذه الفتنة ، فرجع ابن عباس والأشتر إلى على فأخبراه الخبر ، فأرسل الحسن
وعمار بن يسر ، وقال لهما : انطلق فأصلح ما أفسدت ، فانطلقا حتى دخلا المسجد فكان أول من
سلم عليهما مسروق بن الأجدع ، فقال لهما : علام قتلتم عثمان ؟ فقال : على شتم أعراضنا وضرب
أبشارنا ، فقال : والله ما عقبتكم بمثل ما عوقبتكم به ، ولو صبرتم لكان خيراً للصابرين . قال : وخرج
أبو موسى فلقى الحسن بن علي فضمه إليه ، وقال لهما : يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين عثمان
قتلته ؟ فقال : لم أفعل ، ولم يسؤني ذلك ، قطع عليهما الحسن بن علي فقال لأبي موسى : لم تثبط
الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ، فقال : صدقت

بأنبي وامي ، ولكن المستشار مؤتمن ، فمعت من النبي (ص) يقول « إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الزاكب » وقد جعلنا الله إخوانا وحرم علينا دماءنا وأموالنا ، فنضب عمار وسبه ، وقال : يا أيها الناس ، إنما قال له رسول الله (ص) وحده أنت فيها قاعداً خير منك قائماً ، فنضب رجل من بني تميم لأبي موسى وقال من عمار ، ونار آخرون : وجعل أبو موسى يكتفك الناس ، وكثر اللفظ ، وارتفعت الأصوات ، وقال أبو موسى أيها الناس ، أطيعوني وكونوا خير قوم من خير أمة العرب ، يأوي إليهم المظلوم ، ويأمن فيهم الخائف ، وإن الفتنة إذا أقبلت شبت ، وإذا أدبرت تبينت ثم أمر الناس بكف أيديهم ولزوم بيوتهم ، فقام زيد بن صوحان فقال : أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، سيروا إليه أجمعون ، فقام القعقاع بن عمرو فقال : إن الحق ما قاله الأمير ، ولكن لابد للناس من أمير يردع الظالم ويمدّي المظلوم ، وينتظم به شمل الناس ، وأمير المؤمنين على ما ولي ، وقد أنصف بالدعاء ، وإنما يريد الإصلاح ، فانفروا إليه ، وقام عبد خير فقال : الناس أربع فرق ، على بمن معه في ظاهر الكوفة ، وطلحة والزبير بالبصرة ، ومعاوية بالشام ، وفرقة بالحجاز لا تقاوت ولا عناء بها ، فقال أبو موسى : أولئك خير الفرق ، وهذه فتنة . ثم ترأس الناس في الكلام ثم قام عمار والحسن بن علي في الناس على المنبر يدعوان الناس إلى النفير إلى أمير المؤمنين ، فانه إنما يريد الإصلاح بين الناس ، وسمع عمار رجلاً يسب عائشة فقال : اسكت مقبوحاً منبوحاً ، والله إنها لزوجرة رسول الله (ص) في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أطيعوه أو إياها ، رواد البخاري وقام حجر بن عدى فقال : أيها الناس ، سيروا إلى أمير المؤمنين ، [انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله] ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون [وجعل الناس كلما قام رجل فحرض الناس على النفير يثبطهم أبو موسى من فوق المنبر ، وعمار واحسن معه على المنبر حتى قال له الحسن بن علي : ويحك ! اعتزلنا لا أم لك ، ودع منبرنا ، ويقال إن علياً بعث الأشتر فعزل أبا موسى عن الكوفة وأخرجه من قصر الامارة من تلك الليلة ، واستجاب الناس للنفير فخرج مع الحسن تسعة آلاف في البر وفي دحلة ، ويقال سار معه اثني عشر ألف رجل ورجل واحد ، وقدموا على أمير المؤمنين فلقاهم بندي قار إلى أثناء الطريق في جماعة ، منهم ابن عباس فرحب بهم وقال : يا أهل الكوفة ! أنتم لتيتم ملوك المعجم ففضضتم جموعهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فان يرجعوا فذاك الذي نريده ، وإن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤنا بالظلم ، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى . فاجتمعوا عنده بندي قار ، وكان من المشهورين من رؤساء من الضاف إلى علي ، القعقاع بن عمرو ، وسعد بن مالك ، وهند بن عمرو ، والهيثم بن شهاب ، وزيد بن صوحان ،

والأشتر، وعدى بن حاتم، والمسيب بن نجبة، ويزيد بن قيس، وحجر بن عدى وأمناهم، وكانت عبد القيس بكاملها بين علي وبين البصرة ينتظرونه وهم ألوف، فبعث علي القمقاع رسولا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهم إلى الألفة والجماعة، ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف، فذهب القمقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين، فقال: أي أماء! ما أقدمك هذا البلد؟ فقالت: أي بني! الإصلاح بين الناس، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا فقال القمقاع: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت: إنما جئت للإصلاح بين الناس، فقالا: ونحن كذلك قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ وعلى أي شيء يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلحن، قالا: قتلة عثمان، فان هذا إن ترك كان تركا للقرآن، فقال: قتلنا قتلته من أهل البصرة، وأنما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف، فان تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتهم فاديلوا عليكم كان الذي حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعني أن الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها - وكما أنكم معجزتم عن الأخذ بشار عثمان من حرقوص بن زهير، اقيام ستة آلاف في منعه ممن يريد قتله، فعلى أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإنما أخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم، فان الكلمة في جميع الأمصار مختلفة، ثم أعلمهم أن خلقا من ربيعة ومضر قد اجتمعوا لحرهم بسبب هذا الأمر الذي وقع. فقالت له عائشة أم المؤمنين: فإذا تقول أنت؟ قال: أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا، فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتبشير رحمة، وإدراك النار، وإب أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واثنافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك، فأكثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا، ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وإيم الله إني لأقول قولي هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها، ونزل بها ما نزل، فان هذا الأمر الذي قد حدث أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة القبيلة. فقالوا: قد أصبت وأحسنست فارجع، فان قدم على وهو على مثل رأيك صلح الأمر، قال: فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه، وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنها إنما جاءت للصلح، ففرح هؤلاء وهؤلاء، وقام على في الناس خطيبا فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الاسلام وسعادة أهلها بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه (ص) على الخليفة أبي بكر الصديق، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان ثم حدث هذا

الحدث الذي جرى على الأئمة ، أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها ، وعلى الفضيلة التي من الله بها ، وأرادوا رد الاسلام والأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره . ثم قال : ألا إني مرتحل غدا فارتحلوا ، ولا يرتحل معي أحد أعان على قتل عثمان بشئ من أمور الناس . فلما قال هذا اجتمع من رؤسهم جماعة كالأشتر النخعي ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، وسالم بن ثعلبة ، وغلاب بن الهيثم ، وغيرهم في ألفين وخمسمائة ، وليس فيهم صحابي والله الحمد ، فقالوا : ما هذا ، الرأي وعلى والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان ، وأقرب إلى العمل بذلك ، وقد قال ماسمعتهم ، غدا يجمع عليكم الناس ، وإنما يريد القوم كلهم أنتم ، فكيف بكم وعدكم قليل في كثرتهم ؟ فقال الأشتر : قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا ، وأما رأي على فلم نعرفه إلى اليوم ، فإن كان قد اصطلح معهم فأنما اصطلحوا على دمائنا ، فإن كانت الأئمة هكذا ألحقنا عليا بعثمان ، فرضى القوم منا بالسكوت ، فقال ابن السوداء : بئس ما رأيت ، لو قتلناه قتلنا ، فأنما يامعشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمائة وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف ، لا طاقة لكم بهم ، وهم إنما يريدونكم ، فقال غلاب بن الهيثم دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها ، فقال ابن السوداء : بئس ما قلت ، إذاً والله كان يتخطفكم الناس ، ثم قال ابن السوداء قبحه الله : يا قوم إن غيركم في خلطة لناس فإذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجحد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهم عما يحبون ، ويأتهم مايكرهون ، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه ، وأصبح على مرتحلا ومر بعبد القيس فساروا من معه حتى نزلوا بالزاوية ، وسار منها يريد البصرة ، وسار طلحة والزبير ومن معهم للقائه ، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد ، ونزل الناس كل في ناحية . وقد سبق على جيشه وهم يتلاحقون به ، فكشوا ثلاثة أيام والرسل بينهم ، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، فأشار بعض الناس على طلحة والزبير بأنتهز الفرصة ، من قتلة عثمان ، فقالوا : إن عليا أشار بتسكين هذا الأمر ، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك ، وقام على في الناس خطيباً ، فقام إليه الأعور بن نيار المنقري ، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة ، فقال : الإصلاح وإطفاء النائرة ليجمع الناس على الخير ، ويلتئم شمل هذه الأئمة ، قال : فإن لم يجيبونا ؟ قال : تركناهم ما تركونا ، قال فإن لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا ، قال فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا ، قال : نعم ! وقام إليه أبو سلام الدالاني فقال هل لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ، إن كانوا أرادوا الله في ذلك ؟ قال : نعم ! قال : فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك ؟ قال : نعم ! قال فما حالنا وحالم إن ابتلينا غداً ؟ قال : إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نفي قلبه الله إلا أدخله الله الجنة ، وقال في خطبته : أيها الناس أمسكوا عن هؤلاء القوم أيديكم

والسنتكم ، وإياكم أن يسبقونا غداً ، فإن المحصور غداً محصور اليوم وجاء في غبون ذلك الأحنف بن قيس في جماعة فانضاف إلى علي - وكان قد منع حرقوس بن زهير من طلحة والزبير وكان قديبايع عليا بالمدينة وذلك أنه قدم المدينة وعثمان محصور فسأل عائشة وطلحة والزبير : إن قتل عثمان من أبيبايع ؟ فقالوا بأبيبايع عليا فلما قتل عثمان بايع عليا قل : ثم رجعت إلى قومي فجاءني بعد ذلك ما هو أفظع ، حتى قال الناس هذه عائشة جاءت لناخذ بدم عثمان ، فخرت في أمري لمن أتبع ، فمنعني الله بحديث سمعته من أبي بكر قال : قال رسول الله (ص) ، وقد بلغه أن الفرس قد ملكوا عليهم ابنة كسرى فقال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وأصل هذا الحديث في صحيح البخاري ، والمقصود أن الأحنف لما انحاز إلى علي ومعه ستة آلاف قوس ، فقال لعلي : إن شئت قاتلت معك ، وإن شئت كففت عنك عشرة آلاف سيف ، فقال : اكفف عنا عشرة آلاف سيف ، ثم بعث علي إلى طلحة والزبير يقول : إن كنتم علي ما فارقم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى نزل فننظر في هذا الأمر ، فأرسلا إليه في جواب رسالته : إنا على ما فارقنا القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس ، فاطمأنت النفوس وسكنت ، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين ، فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم ، وبعثوا إليه محمد بن طلحة السجاد وبات الناس بخير ليلة ، وبات قتلة عثمان بشر ليلة ، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس ، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفي رجل فأنصرف كل فريق إلى قراياتهم فجمعوا عليهم بالسيوف ، فنارت كل طائفة إلى قومهم لينعمهم ، وقام الناس من منامهم إلى السلاح ، فقالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلا ، وبيتونا وغدروا بنا ، وظنوا أن هذا عن ملا من أصحاب علي فبلغ الأمر عليا فقال : ما للناس ؟ فقالوا ، بيتنا أهل البصرة ، فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا الأئمة وركبوا الخيول ، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر ، وكان أمر الله فدرا مقدورا وقامت الحرب على ساق وقدم ، وتبارز الفرسان ، وجالت الشجعان ، فنشبت الحرب ، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفاً ، والنف على عائشة ومن معها نحواً من ثلاثين ألفاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، والسابئة أصحاب ابن السوداء قبحة الله لا يقترون عن القتل ، ومنادى علي ينادي : ألا كفوا ألا كفوا ، فلا يسمع أحد ، وجاء كعب بن سوار قاضي البصرة فقال : يا أم المؤمنين أدركي الناس لعل الله أن يصلح بك بين الناس ، فجلست في هودجها فوق بعيرها وستروا الهودج بالدروع ، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس عند حركاتهم ، فصاولوا وتجاولوا ، وكان في جملة من تبارز الزبير وعمار ، فحمل عمار ينزخه بالرمح والزبير كاف عنه ، ويقول له ، أقتلني يا أبا اليقظان ؟ فيقول : لا يا أبا عبد الله ، وإنما تركه الزبير لقول رسول الله (ص) : « تقتلك الفئة الباغية » وإلا فازبير أقدر عليه منه عليه ، فلهذا كف عنه ، وقد كان من سنتهم في هذا اليوم أنه لا يذف على

جريح ، ولا يتبع مدبر ، وقد قتل مع هذا خلق كثير جدا ، حتى جعل على يقول لابنه الحسن : يا بني ليت أباك مات قبل هذا اليوم يمشين عما فقال له : يا أبت قد كنت أنكهك عن هذا . قال سعيد بن أبي عجرة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد قال : قال علي يوم الجمل : يا حسرت ليت أباك مات منذ عشرين سنة ، فقال له : يا أبة قد كنت أنكهك عن هذا ، قال : يا بني إني لم أر أن الأمر يبلغ هذا . وقال مبارك بن فضالة عن الحسن بن أبي بكرة : لما اشتد القتال يوم الجمل ، ورأى علي الرأس تنذر أخذ على ابنه الحسن فضمه إلى صدره ثم قال : إنا لله يا حسن ! أي خير يرجي بعد هذا ؟ فلما ركب الجيشان وتراى الجمعان وطلب على طلحة والزبير ليكاملهما ، فاجتمعوا حتى التفت أعناق خيولهم ، فيقال إنه قال لها : إني أراك قد جمعنا خيلا ورجالا وعدداً ، فهل أعدت ما عندنا يوم القيامة ؟ فأتيا الله ولا تكونا كالتى تقضت غزلهما من بعد قوة أنكما ، ألم أكن حاكما في دمكما نحرمان دمي وأحرم دمكما ، فهل من حديث أحل لكما دمي ؟ فقال طلحة : آلبت على عثمان . فقال علي [يومئذ يوفيه الله دينهم الحق] ، ثم قال : لمن الله قتلة عثمان ، ثم قال : يا طلحة ! أجنبت بمرس رسول الله (ص) ، تقاتل بها ، وخبأت عرسك في البيت ؟ أما بايعتني ؟ قال : بايعتك والسيوف على عنقي . وقال للزبير : ما أخرجك ؟ قال : أنت ، ولا أراك بهذا الأمر أولى به مني . فقال له علي : أما تذكر يوم مررت مع رسول الله (ص) في بني غنم فنظر إلى وضحك وضحكت إليه ، فقلت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال لك رسول الله (ص) : « إنه ليس بمتنرد لتقاتله وأنت ظالم له » ؟ فقال الزبير : اللهم نعم ! ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا ، والله لا أقاتلك . وفي هذا السياق كله نظر ، والمحفوظ منه الحديث ، فقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي فقال : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدوري حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي عن جده عبد الملك عن أبي حزم المازني . قال : شهدت عليا والزبير حين تواقفا ، فقال له علي : يا زبير ! أنشدك الله أسمعت رسول الله (ص) يقول : « إنك تقاتلني وأنت ظالم » ؟ قال : نعم ! لم أذكره إلا في موقفى هذا ، ثم انصرف . وقد رواه البيهقي عن الحاكم عن أبي الوليد الفقيه عن الحسن بن سفيان عن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي عن جده عن أبي حزم المازني عن علي والزبير به • وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن قتادة قال : لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ علياً فقال : لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ما ولى ، وذلك أن رسول الله (ص) لقيهما في سقيفة بني ساعدة فقال : « آتجه يا زبير ؟ فقال : وما بمنعني ؟ قال : فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له ؟ » قال : فيرون أنه إنما ولى لذلك . قال البيهقي : وهذا مرسل وقدرى موصولا من وجه آخر أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن القاضي أنا أبو عاصم بن مطر أنا أبو العباس عبد الله بن

محمد بن سوار الهاشمي الكوفي أنا منجاب بن الحارث ثنا عبد الله بن الأجلح ثنا أبي عن مرتد القتيبة عن أبيه . قال : سمعت فضل بن فضالة يحدث عن حرب بن أبي الأسود الدؤلي - دخل حديث أحدهما في حديث صاحبه - قال : لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير ، ودنت الصفوف بعضها من بعض ، خرج علي وهو على بغلة (رسول الله ص) ، فنادى : ادعوا لي الزبير بن العوام فاني علي ، فدعى له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما ، فقال علي : يا زبير ! نشدتك الله ، أتذكر يوم مرّ بك رسول الله ص) ونحن في مكان كذا وكذا ، فقال : « يا زبير ألا تحب علياً ؟ قلت : ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني ؟ فقال يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له ؟ » فقال الزبير : بلى ! والله لقد نسيت منذ سمعته من رسول الله ص) ، ثم ذكرته الآن ، والله لا أقاتلك . فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف ، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير ، فقال : مالك ؟ فقال : ذكرني علي حديثاً سمعته من رسول الله ص) ، سمعته يقول : « لتقاتلنه وأنت ظالم له » فقال : أول القتال جثت ؟ إنما جثت لتصلح بين الناس ويصلح الله بك هذا الأمر ، قال : قد حلفت أن لا أقاتله ، قال : اعتق غلامك سرجس وقف حتى تصلح بين الناس . فأعتق غلامه ووقف ، فلما اختلف أمر النار ذهب على فرسه ، قالوا : فرجع الزبير إلى عائشة فذكر أنه قد آلى أن لا يقاتل علياً ، فقال له ابنه عبد الله : إنك جمعت الناس ، فلما تراءى بعضهم لبعض خرجت من بينهم ، كفر عن يمينك واحضر . فأعتق غلاماً ، وقيل غلامه سرجس . وقد قيل إنه إنما رجع عن القتال لما رأى عماراً مع علي وقفه سمع رسول الله ص) يقول لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » نخشى أن يقتل عمار في هذا اليوم .

وعندي أن الحديث الذي أوردناه إن كان صحيحاً عنه فما رجهه سواء ، ويبعد أن يكفر عن يمينه ثم يحضر بعد ذلك لقتال علي والله أعلم .

والمقصود أن الزبير لما رجع يوم أجل سار قتل وادياً يقال له وادي السباع ، فاتبه رجل يقال له عمرو بن جرموز ، فجاءه وهو نائم فقتله غيلة كما سنذكر تفضيله . وأما طلحة فجاءه في المعركة سهم غرب يقال رماه به مروان بن الحكم فآله أعلم ، فانتظم رجله مع فرسه فجمعت به الفرس فجعل يقول : إلى عباد الله ، إلى عباد الله ، فاتبه مولى له فأمسكها ، فقال له : ويحك ! اعدل بي إلى البيوت ، وأما أخيه دماً فقال لغلامه : اردفني ، وذلك أنه نزفه الدم وضعف ، فركب وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه ، رضى الله عنه .

وتقدمت عائشة رضى الله عنها في هودجها ، وناولت كعب بن سوار قاضي البصرة مصحفاً وقالت : دعهم إليه - وذلك أنه حين اشتد الحرب وحى القتال ، ورجع الزبير ، وقتل طلحة رضى الله عنهم -

فلما تقدم كعب بن سوار بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين ، وكان عبد الله بن سبأ - وهو ابن السوداء - وأتباعه بين يدي الجيش ، يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة ، لا يتوقفون في أحد ، فلما رأوا كعب بن سوار رافعاً المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد قتلوه ، ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فجعلت تنادي : الله الله ! يا بني اذكروا يوم الحساب ورفضت يديها تدعو على أولئك النفر من قلة عثمان ، فضج الناس معها بالدعاء حتى بلغت الضجة إلى علي فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أم المؤمنين تدعو على قلة عثمان وأشياعهم . قال : اللهم المن قلة عثمان ، وجعل أولئك النفر لا يولدون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقي مثل القنفذ ، وجعلت تعرض الناس على منهمم وكفهم ، فجعلت معه الحفيظة فطردوهم حتى وصلت الحملة إلى الموضع الذي فيه علي بن أبي طالب ، فقال لابنه محمد بن الحنفية : ومجك ! تقدم بالراية ، فلم يستطع ، فأخذها على من يده فتقدم بها ، وجعلت الحرب تأخذ وتعطى ، فتارة لأهل البصرة ، وتارة لأهل الكوفة ، وقتل خلق كثير ، وجم غفير ، ولم تُر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة ، وجعلت عائشة تعرض الناس على أولئك النفر من قلة عثمان ، ونظرت عن يمينها فقالت : من هؤلاء المقوم ؟ فقالوا : نحن بكر بن وائل ، فقالت : لكم يقول القائل :

وجاؤا إلينا بالحديد كأنهم • من الغرة القمساء بكر بن وائل

ثم لجأ إليها بنو ناجية ثم بنو ضبة فقتل عنده منهم خلق كثير ، ويقال إنه قطعت يد سبعين رجلاً وهي آخنة بخطام الجمل فلما انحنوا تقدم بنو عدى من عبد مناف فقاتلوا قتالاً شديداً ، ورفعوا رأس الجمل ، وجعل أولئك يقصدون الجمل وقالوا : لا يزال الحرب قائماً مادام هذا الجمل واقفاً ، ورأس الجمل في يد عمرة بن يثرب ، وقيل أخوه عمرو بن يثرب ثم صمد عليه علباء بن المهيم وكان من الشجعان المذكورين ، فتقدم إليه عمرو الجمل فقتله ابن يثرب وقتل زيد بن صوحان ، وأرث صمصمة ابن صوحان فدعا عمار إلى البراز فبرز له ، فتجاولا بين الصفين - وعمار ابن تميم سنة عليه فزوة قد ربط وسطه بجبل ليف - فقال الناس : إنا لله وإنا إليه راجعون الآن يلحق عماراً بأصحابه ، فضربه ابن يثرب بالسيف فأتاه عمار بدرقته فنص فيها السيف ونشب ، وضربه عمار فقطع رجله وأخذ أسيراً إلى بين يدي علي فقال : استبقني يا أميرا المؤمنين ، فقال : أبعد ثلاثة تقتلهم ؟ ثم أمر به فقتل واستمر زمام الجمل بعده بيد رجل كان قد استنابه فيه من بني عدى فبرز إليه ربيعة العقيلي فتجاولا حتى قتل كل واحد صاحبه وأخذ الزمام الحارث الضبي فما رأى أشد منه وجعل يقول :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل • نبارز القرن إذا القرن نزل

تنعى ابن عفان بأطراف الأسن • الموت أحلى عندنا من العسل

• ردوا علينا شيخنا ثم بجمل •

وقيل إن هذه الأبيات لوسيم بن عمرو الضبي . فكلما قتل واحد من يمسك الجمل يقوم غيره حتى قتل منهم أربعون رجلا قالت عائشة : ما زال جملي معتدلا حتى فقدت أصوات بني ضبة ثم أخذ الخطام سبعون رجلا من قريش وكل واحد يقتل بعد صاحبه ، فكان منهم محمد بن طلحة المعروف بالسجاد قتال لمائشة مريني بأمرك يا أمه . فقالت : أمرك أن تكون كخير ابني آدم فامتنع أن ينصرف وثبت في مكانه وجعل يقول حم لا ينصرون ، فتقدم إليه نفر فحملوا عليه فقتلوه وصار لكل واحد منهم بعد ذلك يدعى ، قتله وقد طعنه بعضهم بحربة فأفذه وقال :

وأشعث قوامي بآياتِ ربه * قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قبصر * نخر صريعا للدين وللهم
يناشدني حم والرمح شاجر * فهلا تلا حم قبل التقدم
على غير شيء غير أن ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يندم
وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف فجعل لا يدنونه أحد إلا حطه بالسيف فأقبل إليه الحارث بن زهير الأزدي وهو يقول :

يا أمنا يا خير أم نعلم * أما ترين كم شجاع يكلم * وتجتلي هامته والمعصم
واختلفا ضربتين قتل كل واحد صاحبه ، وأحدق أهل النجدات والشجاعة بمائشة ، فكان لا يأخذ الراية ولا بخطام الجمل إلا شجاع معروف ، فيقتل من قصده ثم يقتل بعد ذلك ، وقد فقا بعضهم عين عدى بن حاتم ذلك اليوم ، ثم تقدم عبد الله بن الزبير فأخذ بخطام الجمل وهو لا يتكلم فقتل لمائشة إنه ابنك ابن أختك فقالت : وائسكل أسماء ! وجاء مالك بن الحارث الأشتر النخعي فاقنتلا فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحا شديدا وضربه عبد الله ضربة خفيفة ثم اعتنقا وسقطا إلى الأرض يتركان فجعل عبد الله بن الزبير يقول :

اقتلوني ومالكاً * واقتلوا مالكاً مني

فجعل الناس لا يعرفون مالكا من هو وإنما هو معروف بالأشتر فجعل أصحاب علي وعائشة يخلصونها وقد جرح عبد الله بن الزبير يوم الجمل بهذه الجراحة سبعاً وثلاثين جراحة ، وجرح مروان بن الحكم أيضا ، ثم جاء رجل فضرب الجمل على قوائمه فقره وسقط إلى الأرض ، فسمع له عجيح مسمع أشد ولا أفند منه ، وآخر من كان الزمام بيده زفر بن الحارث فقرر الجمل وهو في يده ، ويقال إنه اتفق هو وبجير بن دلجة على عقره ، ويقال إن الذي أشار بمقر الجمل على ، وقيل القعقاع بن عمرو ثلثا تصاب أم للؤمنين ، فانها بقيت غرضا للرملة ، ومن يمسك بالزمام برجاسا للرماح ، ولينفضل هذا الموقف الذي

قد تفانى فيه الناس ولما سقط البعير إلى الارض اهزم من حوله من الناس ، وحمل هودج عائشة وانه
لكانتفد من السهام ، وفادى منادى على في الناس : إنه لا يتبع مدبر ولا يذف على جريح ، ولا
يدخلوا الدور ، وأمر على فترأ أن يحملوا الهودج من بين القتلى ، وأمر محمد بن أبي بكر وعماراً أن
يضربا عليها قبة ، وجاء إليها أخوها محمد فسألها هل وصل إليك شيء من الجراح ؟ فقالت : لا ! وما
أنت ذاك يا ابن الخثعمية . وسلم عليها عمار فقال : كيف أنت يا أم ؟ قالت : أنت لك بأم . قال :
بلى ! وإن كرهت ، وجاء إليها على بن أبي طالب أمير المؤمنين مسلماً فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت :
بخير فقال : يغفر الله لك . وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان يسلمون على أم المؤمنين رضى الله
عنها ، ويقال إن أعين بن ضبيعة المجاشعي اطلع في الهودج فقالت : إليك لعنك الله ، فقال : والله
ما أرى إلا حميراً ، فقالت : هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك . فقتل بالبصرة وسلب
وقطعت يده ورمى عرياناً في خربة من خرابات الأزدي . فلما كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرة -
ومعها أخوها محمد بن أبي بكر - فترلت في دار عبد الله بن خلف الخزاعي - وهي أعظم دار بالبصرة -
على صفية بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وهي أم طلحة
الطلحات عبد الله بن خلف ، وتسلسل الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة ، وقد طاف على بين
القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحم عليه ويقول : يعز على أن أرى قریشاً صرعى . وقد مر على
ما ذكر على طلحة بن عبيد الله وهو مقتول فقال : لهفى عليك يا أبا محمد ، إنا لله وإنا إليه راجعون
والله لقد كنت كما قال الشاعر :

ففى كان يدينه الغنى من صديقه * إذا ما هو استغنى وبيمده الفقر

وأقام على بظاهر البصرة ثلاثاً ثم صلى على القتلى من الفريقين ، وخص قریشاً بفضلة من بينهم ،
ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة ، فمن عرف شيئاً هو
لأهلهم فليأخذه ، إلا سلاحاً كن في الخزائن عليه سمة السلطان . وكان مجموع من قتل يوم الجمل من
الفريقين عشرة آلاف ، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء ، رحمهم الله ورضى عن الصحابة منهم .
وقد سأل بعض أصحاب على علياً أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير ، فأبى عليهم فظعن فيه
السبائية وقالوا : كيف يحمل لنا دماؤهم ولا تحمل لنا أموالهم ؟ فبلغ ذلك علياً فقال : أيكم يحب أن
تصير أم المؤمنين في سهمه ؟ فسكت القوم ، ولهذا لما دخل البصرة فض في أصحابه أموال بيت
المال ، فنال كل رجل منهم خمسمائة ، وقال : لكم مثلها من الشلم ، فتكلم فيه السبائية أيضاً ونالوا
منه من وراء وراء .

٢٢٢

فضائل آل البيت

ولما فرغ دلي من أمر الجمل أتاه وجوه الناس يسلمون عليه ، فكان من جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد - وكانوا قد اعتزلوا القتال - فقال له علي : تربعت - يعني بنا - فقال : ما كنت أراي إلا قد أحسنت ، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين ، فارتقى فان طريقتك الذي سلكت بعيد ، وأنت إلى غداً أحوج منك أمس ، فاعرف إحسانى ، واستبق مودتى لند ، ولا تقل مثل هذا فاني لم أزل لك ناصحاً . قالوا : ثم دخل على البصرة يوم الإثنين فبايحه أهلها على راياتهم ، حتى الجرحى والمستأمنة . وجاءه عبد الرحمن بن أبي بكره الثقفي فبايحه فقال له علي : أين المريض ؟ - يعني أباه - فقال : إنه والله مريض يا أمير المؤمنين ، وإنه على مسرتك لحريض . فقال : امش أمامي ، فمضى إليه فعاده ، واعتذر إليه أبو بكره فمذره ، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال : رجل من أهلك يسكن إليه الناس ، وأشار عليه بآبن عباس فولاه على البصرة ، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال ، وأمر آبن عباس أن يسمع من زياد - وكان زياد - منزلاً - ثم جاء على إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة ، فاستأذن ودخل فسلم عليها ورحبت به ، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على من قتل ، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف ، فبدا الله قتل مع عائشة ، وعثمان قتل مع علي ، فلما دخل على قالت له صفية امرأة عبد الله ، أم طلحة الطلحات : أيتيم الله منك أولادك كما أيتمت أولادى ، فلم يرد عليها على شيئاً ، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع ؟ فقال : ويحك ! إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات ، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات ؟ فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين بنالان من عائشة ، فأمر على القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة وأن يخرجهما من ثيابهما ، وقد سألت عائشة عن قتل معها من المسلمين ومن قتل من عسكر على ، فجعلت كلما ذكر لها واحد منهم ترحمت عليه ودعت له ، ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها على رضى الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك ، وأذن لمن نجا من جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المروقات ، يسير معها أخاها محمد بن أبي بكر ، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء على فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار في الهودج فودعت الناس ودعت لهم ، وقالت : يا بني لا يعتب بعضنا على بعض ، إنه والله ما كان بيني وبين على في القسم إلا ما يكون بين المرأة وأحملها هو إنه على معتبى إن الأختيار . فقال على : صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك ، وإنيها زوجة نبيكم - صلى الله عليه وآله وسلم - في الدنيا والآخرة . وسار على معها

ودعاً ومشيعاً أميالا ، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم - وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين - وقصت في مسيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رضى الله عنها .

وأما مروان بن الحكم فانه لما فرغ استجار بمالك بن مسمع فأجاره ووفى له ، ولهذا كان بنو مروان يكرمون مالكا ويشرفونه ، ويقال إنه نزل دار بني خلف فلما خرجت عائشة خرج معها ، فلما سارت هي إلى مكة سار إلى المدينة قالوا : وقد علم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة يوم الوقعة ، وذلك مما كانت النسور تحطفه من الأيدي والأقدام فيسقط منها هنالك ، حتى أن أهل المدينة علموا بذلك يوم الجمل قبل أن تغرب الشمس ، وذلك أن نسرأ مر بهم ومعه شيء فسقط فاذا هو كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب .

هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر بن جرير رحمه الله عن أئمة هذا الشأن ، وليس فيما ذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلفة على الصحابة والأخبار الموضوعة التي ينقلونها بما فيها ، وإذا دعوا إلى الحق الواضح أعرضوا عنه وقالوا : لنا أخبارنا ولكم أخباركم ، فمن حينئذ نقول لهم : سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين .

فَضْلُ اللَّهِ

في ذكر أعيان من قتل يوم الجمل من السادة النجباء من الصحابة وغيرهم من الفريقين رضى الله عنهم أجمعين ، وقد قدمنا أن عدة القتلى نحو من عشرة آلاف ، وأما الجرحى فلا يحصون كثرة فمن قتل يوم الجمل في المعركة

طلحة بن عبيد الله

ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة أبو محمد القرشي التيمي ، ويعرف بطلحة الخير ، وطلحة الفياض لكرمه ولكثرة جوده أسلم قديماً على يدى أبي بكر الصديق ، فكان نوفل بن خويلد بن العدوية يشدهما في جبل واحد ، ولا تستطيع بنو تميم أن تمنعهما منه ، فلذلك كان يقال لطلحة وأبي بكر القرينان ، وقد هاجر وأخى رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أبي أيوب الأنصاري ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بدرأ - فانه كان بالشام لتجارة - وقيل في رسالة ، ولهذا ضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله بسهم وأجره من بدر ، وكانت له يوم أحد اليد البيضاء وشلت يده يوم أحد ، وبقى بها رسول الله صلى الله عليه وآله واستمرت كذلك إلى أن مات ، وكان الصديق إذا حدث عن يده أحد يقول : ذاك يوم كان كله لطلحة ، وقد

قال له رسول الله (ص)، يومئذ : « أوجب طلحة » وذلك أنه كان على رسول الله (ص)، درعان فأراد أن ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع، فطأ طأ له طلحة فصعد على ظهره حتى استوى عليها، وقال : « أوجب طلحة » وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وقد صحب رسول الله (ص)، فأحسن صحبته حتى توفي وهو عنه راض، وكذلك أبو بكر وعمر، فلما كان قضية عثمان اعتزل عنه فنسبه بهض الناس إلى تحامل فيه، فلهذا لما حضر يوم الجمل واجتمع به على فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم غرب فوقع في ركبته وقيل في رقبته، والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجرح به حتى كاد يلقيه، وجعل يقول : إلى عباد الله، فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها، ويقال إنه مات بالمعركة، وإن علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب وقال : رحمة الله عليك أبا محمد، يمز على أن أراك مجدولاً تحت نجوم السماء، ثم قال : إلى الله أشكو عجري وبجري، والله لوددت أني كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. ويقال إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم، وقال لأبان بن عثمان : قد كفيته رجلاً من قتلة عثمان، وقد قيل إن الذي رماه غيره، وهذا عندي أقرب، وإن كان الأول مشهوراً، الله أعلم

وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، ودفن طلحة إلى جانب الكلاء وكان عمره ستين سنة، وقيل بضعاً وستين سنة، وكان آدم، وقيل أبيض، حسن الوجه كثير الشعر إلى القصر أقرب وكانت غلته في كل يوم ألف درهم.

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبيه أن رجلاً رأى طلحة في منامه وهو يقول : حولوني عن قبري فقد أذاقني الماء، ثلاث ليال، فأتى ابن عباس فأخبره - وكان نائباً على البصرة - فاشترى له داراً بالبصرة بمائة ألف درهم فحمله من قبره إليها، فإذا قد اخضر من جسده ما يلي الماء، وإذا هو كهينته يوم أصيب، وقد وردت له فضائل كثيرة. فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي عاصم : حدثنا الحسن بن علي بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عن جده عن موسى بن طلحة عن أبيه قال : سماني رسول الله (ص)، يوم أحد طلحة الخير، ويوم العسرة طلحة الفياض. ويوم حنين طلحة الجود، وقال أبو يعلى الموصلي ثنا أبو كرييب ثنا يونس عن ابن بكر عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن ناساً من أصحاب رسول الله (ص)، قالوا لأعرابي جاء يسأل عن قضى نجيبة فقالوا : سل رسول الله (ص)، فسأله في المسجد فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم اطلعت من باب المسجد وعلى ثياب خضر فقال رسول الله : « أين السائل ؟ » قال ها أنا ذا فقال : « هذا من قضى نجيبة » وقال أبو القاسم البغوي : ثنا داود بن رشيد ثنا مكي ثنا علي

ابن إبراهيم ثنا الصلت بن دينار عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) : « من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجله فليتنظر إلى طلحة بن عبيد الله » وقال الترمذي : حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو عبد الرحمن بن منصور المعزى - اسمه النضر - ثنا عقبة بن علقمة البشكري سمعت علي بن أبي طالب يقول : سمعت أذناني رسول الله (ص) يقول : « طلحة والزبير جاراي في الجنة » وقد روى من غير وجه عن علي أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلى رضي الله عنهم فجل سعد ينهيه ويقول : لا تقع في إخواني فأبى فقام فصلى ركعتين ثم قال : اللهم إن كان سخطاً لك فبأقول ، فأرني فيه اليوم آية واجعله للناس عبرة . فخرج الرجل فاذا يبختي يشق الناس فأخذه بالبلاط فوضه بين كركرته والبلاط فسحقه حتى قتله . قال سعيد بن المسيب : فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون : هنيئاً لك أبا إسحاق أجيت دعوتك .

والزبير بن العوام بن خويلد

ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة أبو عبد الله القرشي الأسدي ، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ص) . أسلم قديماً وعمره خمس عشرة سنة ، وقيل أقل وقيل أكثرها . جري إلى الحبشة ثم إلى المدينة فأخى رسول الله (ص) بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش ، وقد شهد المشاهد كلها وقد قال رسول الله (ص) : يوم الأحزاب « من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال : أنا ، ثم نعب الناس فانتعب الزبير ، ثم ندبهم فانتعب الزبير ، فقال رسول الله (ص) : إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير » ثبت ذلك من رواية زر عن علي ، وثبت عن الزبير أنه قال : « جمع لي رسول الله (ص) أبويه يوم بني قريظة » وروى أنه أول من سل سيفاً في سبيل الله ، وذلك بمكة حين بلغ الصحابة أن رسول الله قد قتل فجاء شاهرأ سيفه حتى رأى رسول الله (ص) فشام سيفه ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله (ص) وهو عنهم راض ، وصحب الصديق فأحسن صحبته ، وكان ختنه على ابنته أسماء بنت الصديق ، وابنه عبد الله منها أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة ، وخرج مع الناس إلى الشام مجاهداً فشهد اليرموك فتشرفوا بحضوره ، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العليا ، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين من أولهم إلى آخرهم ، وكان من جملة من دافع عن عثمان وحاجف عنه ، فلما كان يوم الجمل ذكروه على بما ذكروه به فرجع عن القتال وكر راجعاً إلى المدينة ، فربقهم الأخنف بن قيس - وكانوا قد انزلوا عن الفريقين - فقال قاتل يقال له الأخنف : ما بال هذا جمع بين الناس

حتى إذا التقوا كراجماً إلى بيته ؟ من رجل يكشف لنا خبره ؟ فاتبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بني تميم فيقال إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه ويقال بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو : إن لي إليك حاجة فقال : ادن ! فقال مولى الزبير ، واسمه عطية - إن معه سلاحاً فقال : وإن ، فتقدم إليه فجعل يحدته وكان وقت الصلاة فقال له الزبير : الصلاة فقال : الصلاة فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنهما عمرو بن جرموز فقتله ويقال بل أدركه عمرو بوادي قال له وادي السباع وهو نائم في القائلة فهجم عليه فقتله وهذا القول هو الأشهر ، ويشهد له شعر امرأته عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق فقتل عنها فلما قتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت :

غدرَ ابنِ جرموزَ بفارسٍ بهمةٍ * يومَ اللقاءِ وكانَ غرماً معرِدَ
يا عمرو لو نَهتَهُ لوجدتُهُ * لا طائشاً رَعشَ الجَنانَ ولا اليَدِ
نكَلتَكَ أَمَكُ أنْ طَفَرْتَ بِمِثْلِهِ * مِمَّنْ بَقِيَ مِمَّنْ يَرُوحُ وَيَفْتَدِي
كَمْ غَمْرَةٍ قَدْ خَاضَهَا لَمْ يَنْتَهِرْ * عَنْهَا طَرَادُكَ يَا ابْنَ قَعْقَعِ العُرْدِ
واللهِ رَبِّي إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلاً * حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحترأه وذهب به إلى علي ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال علي : لا تأذنوا له وبشروه بالنار ، وفي رواية أن علياً قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « بشر قاتل ابن صفية بالنار » ودخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير فقال علي : إن هذا السيف طال ما فرج الكرب عن وجه رسول الله (ص) ، فيقال إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه ، وقيل بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير ، على العراق فاخفى منه ، فقبل لمصعب : إن عمرو بن جرموز ها هنا وهو مخنف ، فهل لك فيه ؟ فقال : مروه فليظهر فهو آمن ، والله ما كنت لأقيد للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير ، وقد كان الزبير ذا مال جزيل وصدقات كثيرة جداً ، لما كان يوم الجمل أوصى إلى ابنه عبد الله فلما قتل وجدوا عليه من الدين ألفي ألف ومائتا ألف فوفوها عنه ، وأخرجوا بعد ذلك ثلث ماله الذي أوصى به ثم قسمت التركة بعد ذلك فأصاب كل واحدة من الزوجات الأربع من ربيع الثمن ألف ألف ومائتا ألف درهم ، فعلى هذا يكون مجموع ما قسم بين الورثة ثمانية وثلاثين ألف ألف وأربعمائة ألف والثلث الموصى به تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف فذلك الجملة سبعة وخمسون ألف ألف وستمائة ألف والدين المخرج قبل ذلك ألفا ألف ومائتا ألف فعلى هذا يكون جميع ما تركه من الدين والوصية والميراث تسعة وخمسين ألف ألف ونمائمائة

ألف ، وإنما نهينا على هذا لأنه وقع في صحيح البخارى ما فيه نظر ينبغي أن ينبه له والله أعلم .
وقد جمع ماله هذا بعد الصدقات الكثيرة والمآثر الغزيرة مما آفاه الله عليه من الجهاد ومن خمس
الحبس ما يخص أمه منه ، ومن التجارة المبرورة من الخلال المشكورة ، وقد قيل إنه كان له ألف
مملوك يؤدون إليه الخراج ، فربما تصدق في بعض الأيام بخراجهم كلهم رضى الله عنه وأرضاه ، وكان
قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقد نيف على الستين بست أو
سبع وكان أمير أربعة من الرجال معتدل اللحم خفيف اللحية رضى الله عنه .

وفي هذه السنة اعني سنة ست وثلاثين

ولى على بن أبى طالب نيابة الديار المصرية لقيس بن سعد بن عباد ، وكان على نيابتها في أيام
عثمان عبد الله بن سعد بن أبى سرح فلما توجه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان
وكان الذى جهزهم إليه مع عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء محمد بن أبى حذيفة بن عتبة ، وكان لما
قتل أبوه بالجمامة أوصى به إلى عثمان ، فكفله ورباه في حجره ومنزله وأحسن إليه إحساناً كثيراً ونشأ في
عبادة وزهادة ، وسأل من عثمان أن يوليّه عملاً فقال له : متى ما صرت أهلاً لذلك وليتك ، فتعقب في
نفسه على عثمان فسأل من عثمان أن يخرج إلى الغزو فأذن له ، فقصد الديار المصرية وحضر مع أميرها
عبد الله بن سعد بن أبى سرح غزوة الصواري كما قمنا ، وجعل ينتقص عثمان رضى الله عنه وساعده
على ذلك محمد بن أبى بكر ، فكذب بذلك ابن أبى سرح إلى عثمان يشكوها إليه فلم يعبأ بهما عثمان
ولم يزل ذلك دأب محمد بن أبى حذيفة حتى استنفر أولئك إلى عثمان فلما بلغه أنهم قد حصروا عثمان
تقلب على الديار المصرية وأخرج منها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وصلى بالناس فيها ، فلما كان ابن
أبى سرح ببعض الطريق جاءه الخبر بقتل أمير المؤمنين عثمان فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وبلغه
أن علياً قد بعث على إمرة مصر قيس بن سعد بن عباد ، فشمت بمحمد بن أبى حذيفة ، إذ لم يمنع
بملك الديار المصرية سنة ، وسار عبد الله بن سعد إلى الشام إلى معاوية فأخبره بما كان من أمره بديار
مصر ، وأن محمد بن أبى حذيفة قد استحوذ عليها ، فسار معاوية وعمرو بن العاص ليخرجاه منها لأنه من
أكبر الأعوان على قتل عثمان مع أنه كان قد رباه وكفله وأحسن إليه ، فعالجا دخول مصر فلم يقدر
فلم يزالا يخذلانه حتى خرج إلى العريش في ألف رجل فتحصن بها ، وجاء عمرو بن العاص فنصب
عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه قتلوا ، ذكره محمد بن جرير . ثم سار إلى مصر قيس
ابن سعد بن عباد بولاية من على ، فدخل مصر في سبعة نفر ، فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب أمير
المؤمنين على بن أبى طالب .

بسم الله الرحمن الرحيم ١ من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين

والمسلمين ، سلام عليكم فاني أحمد الله كثيرا الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فان الله بحسن صنيعه وتقديره وتدبيره اختار الاسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله ، وبعث به الرسل إلى عباده وخص به من انتخب من خلقه ، فكان مما أكرم الله به هذه الأمة ، وخصهم به من الفضيلة أن بعث محمداً (ص) يعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة ، لكيما يهتدوا ، وجمعهم لكيما يتفرقوا ، وزكاهم لكي يتطهروا ، ووقفهم لكيلا يجوروا . فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه ، صلوات الله وسلامه عليه وبركاته ورحمته ، ثم إن المسلمين استخلفوا بعده أميرين صالحين ، عملاً بالكتاب ، وأحسن السيرة ولم يمدوا السنة ثم توفاهما الله فرحمهما الله ، ثم ولي بعدهما وال أحدث أحداثاً ، فوجدت الأمة عليه مقلداً فقالوا ، ثم تقوموا عليه فغيروا ، ثم جاءوني فبايعوني فاستهدى الله بهداه وأستعينه على التقوى ، ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ، والقيام عليكم بحقه والنصح لكم بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقد بعثت إليكم قيس بن سعد بن عبادة فوازره وكانفه وأعينوه على الحق ، وقد أمرته بالاحسان إني محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم ، وهو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته أسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً وثواباً جزيلاً ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب عبد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين قال : ثم قام قيس بن سعد فخطب الناس ودعاهم إلى البيعة لى ، فقام الناس فبايعوه ، واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى قرية منها يقال لها خربنا ، فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان - وكانوا سادة الناس ووجوههم وكانوا في نحو من عشرة آلاف وعليهم رجل يقال له يزيد بن الحارث المدلجى - وبعثوا إلى قيس بن سعد فوادعهم ، وكذلك مسلمة بن مدالج الأنصارى تأخر عن البيعة فتركه قيس بن سعد ووادعه ، ثم كتب معاوية ابن أبي سفيان - وقد استوثق له أمر الشام بمخذافيره - إلى أقصى بلاد الروم والسواحل وجزيرة قبرص أيضاً تحت حكمه وبعض بلاد الجزيرة كالرها وحران وقرقيسيا وغيرها ، وقد ضوى إليها الذين هربوا يوم الجمل من العثمانية ، وقد أراد الأشر انتراع هذه البلاد من يد نواب معاوية ، فبعث إليه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ففر منه الأشر ، واستقر أمر معاوية على تلك البلاد فكتب إلى قيس بن سعد يدعوه إلى القيام بطلب دم عثمان وأن يكون مؤازراً له على ما هو بصده من القيام في ذلك ، ووعدته أن يكون نائبه على العراقيين إذا تم له الأمر مادام سلطاناً فلما بلغه الكتاب - وكان قيس رجلاً حازماً - لم يخالفه ولم يوافق بل بعث يلاطف معه الأمر وذلك لبعده عن على وقربه من بلاد الشام ومما مع معاوية من الجور ، فسله قيس وتاركة ولم يوافق على مادعه إليه ولا واقفه عليه : فكتب إليه معاوية : إنه لا يملك مني تسوية في وخديمتك لى ولا بد أن أعلم أنك سلم أو

عدو - وكان معاوية حازماً أيضاً - فكذب إليه بما صميم عليه : إني مع علي إذ هو أحق بالأمر منك فلما بلغ ذلك معاوية بن أبي سفيان يثس منه ورجع ثم أشاع بعض أهل الشام أن قيس بن سعد يكاتبهم في الباطن و يمالئهم على أهل العراق ، وروى ابن جرير أنه جاء من جهته كتاب مزور بمبايعته معاوية والله أعلم بصحته . ولما بلغ ذلك علياً فأنهم وكتب له أن يغزو أهل خربنا الذين تخلفوا عن البيعة ، فبعث إليه يفتنهم إليه بانهم عدد كثير ، وهم وجوه الناس . وكتب إليه : إن كنت إنما أمرتني بهذا لتختبرني لأنك اتهمتني ، فابعث علي عمالك بمصر غيري ، فبعث علي على إمرة مصر الأشتر النخعي ، فسار إليها الأشتر النخعي فلما بلغ القازم شرب شربة من عسل فكان فيها حتفه فبلغ ذلك أهل الشام فقالوا : إن لله جنساً من عسل ، فلما بلغ علياً مهلك الأشتر بعث محمد بن أبي بكر على إمرة مصر ، وقد قيل وهو الأصح إن علياً ولي محمد بن أبي بكر بعد قيس بن سعد ، فارتحل قيس إلى المدينة ، ثم ركب هو وسهل بن حنيف إلى علي فاعتذر إليه قيس بن سعد فمنزله علي ، وشهدا معه صفين كما سنذكره ، فلم يزل محمد بن أبي بكر بمصر قائم الأمر مهيباً باليل المصرية ، حتى كانت وقعة صفين ، وبلغ أهل مصر خبر معاوية ومن معه من أهل الشام على قتال أهل العراق ، وصاروا إلى التحكيم فطعم أهل مصر في محمد بن أبي بكر واجترأوا عليه وبارزوه بالمعاهدة فكان من أمره ما سنذكره وكان عمرو بن العاص قد بايع معاوية على القيام بطلب دم عثمان ، وكان قد خرج من المدينة حين أرادوا حصره لئلا يشهد مهلكه ، مع أنه كان متعتباً عليه بسبب عزله له عن ديار مصر وتوليته بدله عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فتنسرح عن المدينة على تفضب فتزل قريباً من الأردن ، فلما قتل عثمان صار إلى معاوية فبايعه على ما ذكرنا .

فَضْرِبْهُمُ الْيَوْمَ

في وقعة صفين

بين أهل العراق وبين أهل الشام

قد تقدم ما رواه الامام أحمد عن إسماعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين . أنه قال : « هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله (ص) ، عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين » وقال الامام أحمد : حدثنا أمية بن خالد قال لشعبة إن أبا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : « شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً ، قال : كذب أبو شيبة ، والله لقد ذاكرنا الحكم في ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت ؟ وقد قيل انه شهداهم ، أهل بدر سبعة ، حنيف ، وكذا أبو أيوب الأنصاري . قاله شيخنا العلامة ابن تيمية في

كتاب الردّ على الرافضة - وروى ابن بطة بإسناده عن بكير بن الأشج أنه قال : أما إن رجالاً من
من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم .

وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه لما فرغ من وقعة الجمل ودخل البصرة وشيع أم المؤمنين
عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة ، سار من البصرة إلى الكوفة قال أبو الكنود عبد الرحمن بن
عبيد فدخلها على يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين فقبل له : انزل
بالقصر الأبيض ، قال : لا ! إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك ، فنزل في الرحبة
وصلى في الجامع الأعظم ركعتين ، ثم خطب الناس فحثهم على الخير ونهاهم عن الشر ، ومدح أهل
الكوفة في خطبته هذه ، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله - وكان على همدان من زمان عثمان - وإلى
الأشعث بن قيس - وهو على نيابة أذربيجان من زمان عثمان - أن يأخذ البيعة على من هنالك من
الراعياء ثم يقبلوا إليه ، ففعلوا ذلك . فلما أراد علي رضي الله عنه أن يبعث إلى معاوية رضي الله عنه
يدعوه إلى بيعته قال جرير بن عبد الله : أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين فإن بيني وبينه ودا ، فأخذ
لك منه البيعة ، فقال الأشعث : لا تبعه يا أمير المؤمنين فاني أخشى أن يكون هواه معه . فقال علي :
دعه ، وبسته وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ، ويخبره بما
كان في وقعة الجمل ، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس . فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه
الكتاب فطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل
قتلة عثمان ، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان ، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان بن عفان
رضي الله عنه . فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا ، فقال الأشعث : يا أمير المؤمنين ألم أنهمك أن
تبعث جريراً ؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته . فقال له جرير : لو كنت ثم لتلوك
بدم عثمان . فقال الأشعث : والله لو بعثني لم يعنى جواب معاوية ولا أعجله عن الفكرة ، ولو أطاعني
قبل . لبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة ، فقام جرير مفضباً وأقام بقرقيسيا ، وكتب إلى معاوية
يخبره بما قال وما قيل له ، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه . وخرج أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب من الكوفة عازماً على الدخول إلى الشام فمسكر بالنخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة
ابن عامر البصري الأنصاري وكان قد أشار عليه جماعة بأن يقيم بالكوفة ويبعث الجنود وأشار
آخرون أن يخرج فيهم بنفسه ، وبلغ معاوية أن علياً قد خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال
له : أخرج أنت أيضاً بنفسك ، وقام عمرو بن العاص في الناس فقال : إن صناديد أهل الكوفة
والبصرة قد تقاتلوا يوم الجمل ، ولم يبق مع علي إلا شذمة قليلة من الناس ، ممن قتل ، وقد قتل

الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فآله الله في حكم أن تضيعوه ، وفي دمكم أن تطلوه ، وكتب إلى أجناد الشام فحضروا ، وعقدت الألوية والرايات للأمراء ، ونهيا أهل الشام وتأهبوا ، وخرجوا أيضاً إلى نحو الفرات من ناحية صفين - حيث يكون مقدم علي بن أبي طالب رضى الله عنه - وسار علي رضى الله عنه بمن معه من الجنود من النخيلة قاصداً أرض الشام . قال أبو إسرائيل عن الحكم ابن عيينة : وكان في جيشه ثمانون بدرية ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة . رواه ابن ديزيل . وقد اجتاز في طريقه راهب فكان من أمره ما ذكره الحسين بن ديزيل في كتابه فيما رواه عن يحيى ابن عبد الله الكرايىسى عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد حدثني مسلم الأعور عن حبة العرفى قال : لما أتى على الرقة نزل بمكان يقال له البلبلخ على جانب الفرات فنزل إليه راهب من صومعته فقال لعلى : إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم عليهما السلام ، فأعرضه عليك ؟ فقال علي : نعم ! فقرأ الراهب الكتاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم الذى قضى فيما قضى وستر فيما سطر ، وكتب فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويدلهم على سبيل الله ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف ، وفي كل صعود وهبوط ، تذل أسنتهم بالتهليل والتكبير ، وينصره الله على كل من ناواه فإذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت ثم يمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضى بالحق ولا ينكس الحكم ، الدنيا أهون عليه من الرماد أو قال التراب - في يوم عصفت فيه الريح - والموت أهون عليه من شرب الماء ، يخاف الله في السر ، وينصح في العلانية ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، فمن أدرك ذلك النبي من أهل البلاد فأمن به كان ثوابه رضوانى والجنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فان القتل معه شهادة » ثم قال لعلى : فأنا أصاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك . فبكى على ثم قال : الحمد لله الذى لم يجعلني عنده نسباً منسياً ، والحمد لله الذى ذكرني عنده في كتب الأبرار . فضى الراهب معه وأسلم فكان مع علي حتى أصيب يوم صفين ، فلما خرج الناس يطلبون قتلاهم قال علي : اطلبوا الراهب ، فوجدوه قتيلاً ، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه واستغفر له . وقد بعث علي بين يديه زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف ، ومعه شريح بن هانئ ، في أربعة آلاف ، فساروا في طريق بين يديه غير طريقه ، وجاء على فقطع دجلة من جسر منبج وسارت القمستان ، فبلغهم أن معاوية قد ركب في أهل الشام ليلتقي أمير المؤمنين علياً فهموا بآتياء فخافوا من قلة عددهم بالنسبة إليه ، فعدلوا عن طريقهم وجاؤا ليعبروا من عاتات فمنهم أهل عاتات فساروا

فعبروا من هيت ثم لحقوا عليا - وقد سبقهم - فقال علي : مقدمتي تأتي من ورأى ؟ فاعتذروا إليه عما جرى لهم ، فعزهم ثم قدمهم أمامه إلى معاوية بعد أن عبر الفرات فتلقاهم أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي في مقدمة أهل الشام فتواقفوا ، ودعاهم زياد بن النضر أمير مقدمة أهل العراق ، إلى البيعة فلم يجيبوه بشئ فكتب إلى علي بذلك فبعث إليهم على الأشتر النخعي أميراً ، وعلى ميمنته زياد ، وعلى ميسرته شريح ، وأمره أن لا يتقدم إليهم بقتال حتى يبدوه بالقتال ، ولكن ليدعهم إلى البيعة مرة بعد مرة ، فان امتنعوا فلا يقاتلهم حتى يقاتلوه ولا يقرب منهم قرب من يريد الحرب ، ولا يبتعد منهم ابتعاد من يهاب الرجال ، ولكن صابروهم حتى آتيتك فأنا حثيث السير ورائك إن شاء الله ، فتحاجزوا يومهم ذلك ، فلما كان آخر النهار حمل عليهم أبو الأعور السلمي وبعث معه بكتاب الامارة على المقدمة مع الحارث بن جهمان الجعفي ، فلما قدم الأشتر على المقدمة امثل ما أمره به علي ، فتواقف هو ومقدمة معاوية وعليها أبو الأعور السلمي فثبتوا له واصطبروا لهم ساعة ثم انصرف أهل الشام عند المساء ، فلما كان الغد تواقفوا أيضاً وتصابروا فحمل الأشتر فقتل عبد الله بن المنذر التنوخي - وكان من فرسان أهل الشام - قتله رجل من أهل العراق يقال له ظبيان بن عمارة التميمي ، فعند ذلك حمل عليهم أبو الأعور بمن معه ، فتقدموا إليهم وطلب الأشتر من أبي الأعور أن يبارزه فلم يجبه أبو الأعور إلى ذلك ، وكأنه رآه غير كف له في ذلك والله أعلم . وتحاجز القوم عن القتال عند إقبال الليل من اليوم الثاني ، فلما كان صباح اليوم الثالث أقبل على رضى الله عنه في جيوشه ، وجاء معاوية رضى الله عنه في جنوده ، فتواجه الفريقان وتقابل الطائفتان فبالله المستعان ، فتواقفوا طويلاً . وذلك بمكان يقال له : صفين وذلك في أوائل ذى الحجة ، ثم عدل على رضى الله عنه فارتاد لجيشه منزلاً ، وقد كان معاوية سبق بجيشه فترلوا على مشرعة الماء في أسهل موضع وأفسحه ، فلما نزل على نزل بعيداً من الماء ، وجاء سرعان أهل العراق ليردوا من الماء فتنهم أهل الشام ، فوقع بينهم مقاتلة بسبب ذلك ، وقد كان معاوية وكل على الشريعة أبا لأعور السلمي ، وليس هناك مشرعة سواها ، فعطش أصحاب على عطشاً شديداً فبعث على الأشعث بن قيس الكندي في جماعة ليصلوا إلى الماء فتنهم أولئك وقال : موتوا عطشاً كما منعم عثمان الماء ، فتراموا بالنبل ساعة ، ثم تطاعنوا بالرماح أخرى ، ثم قاتلوا بالسيوف بعد ذلك كله ، وأمد كل طائفة أهلها ، حتى جاء الأشتر النخعي من ناحية العراقيين وعمرو بن العاص من ناحية الشاميين ، واشتدت الحرب بينهم أكثر مما كانت ، وقد قال رجل من أهل العراق - وهو عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي - وهو يقاتل .

خلوا لنا ماء الفرات الجاري • أو اثبتوا بجحفل جرار
لكل قوم مشرب تيار • مطاعن برمح كرار

* ضراب هامات العدى مغوار *

ثم ما زال أهل العراق يكشفون الشاميين عن الماء حتى أراحهم عنه وخلصوا بينهم وبينه ، ثم اصطلحوا على الورد حتى صاروا يزدهون في تلك الشريعة لا يكلم أحد أحداً ، ولا يؤذى إنسان إنساناً . وفي رواية أن معاوية لما أمر أبا لأعور بحفظ الشريعة وقف دونها برماح مشرعة ، وسيوف مسللة ، وسهام مفوقة ، وقسي موترة ، فجاء أصحاب على علياً فشكوا إليه ذلك فبعث صمصمة بن صوحان إلى معاوية يقول له : إنا جئنا كافين عن قتالكم حتى نقيم عليكم الحجة ، فبعثت إلينا مقدمتك فقاتلنا قبل أن نبدأكم ، ثم هذه أخرى قد منعونا الماء ، فلما بلغه ذلك قال معاوية للقوم : ماذا يريدون ؟ فقال عمرو و خل بينهم وبينه ، فليس من النصف أن نكون ريانين وم عطش ، وقال الوليد : دعهم يذوقوا من العطش ما أذاقوا أمير المؤمنين عثمان حين حصروه في داره ، ومنعوه طيب الماء والطعام أربعين صباحاً ، وقال عبيد الله بن سعد بن أبي سرج : امنعهم الماء إلى الليل فلعلهم يرجعون إلى بلادهم . فسكت معاوية فقال له صمصمة بن صوحان : ماذا جوابك ؟ فقال : سيأتيكم رأيي بعد هذا ، فلما رجع صمصمة فأخبر الخبر ركب الخيل والرجال ، فما زالوا حتى أراحهم عن الماء ووردوه قهراً ، ثم اصطلحوا فيما بينهم على ورود الماء ، ولا يمنع أحد أحداً منه . وأقم على يومين لا يكتب معاوية ولا يكتب معاوية ، ثم دعا على بشير بن عمرو والأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبيث بن ربيع السهمي فقال : إيتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمحوا ما يقول لكم ، فلما دخلوا على معاوية قال له بشير بن عمرو : يا معاوية ! إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، والله محاسبك بعملك ، ومجازيك بما قدمت يداك ، وإني أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها . فقال له معاوية هلا أوصيت بذلك صاحبكم ؟ فقال له : إن صاحبي أحق هذه البرية بالأمر في فضله ودينه وسابقته وقربته ، وإنه يدعوك إلى مبايعته فانه أسلم لك في دينك ، وخير لك في آخرتك . فقال معاوية : ويطل دم عثمان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً ، ثم أراد سعيد بن قيس الهمداني أن يتكلم فبدره شبيث بن ربيع فتكلم قبله بكلام فيه غلظة وجفاء في حق معاوية ، فزجره معاوية وزبره في أفتيائه على من هو أشرف منه ، وكلامه بما لا علم له به ، ثم أمر بهم فأخرجوا من بين يديه ، وصمم على القيام بطلب دم عثمان الذي قتل مظلوماً ، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم ، وأمر على بالطلائع والأمرأه أن تتقدم للحرب ، وجعل على يؤمر على كل قوم من الحرب أميراً ، فن أمرائه على الحرب الأشتر النخعي - وهو أكبر من كان يخرج للحرب - وحجر بن عدي ، وشبيث بن ربيع ، وخالد بن المعتمر وزيد بن النضر ، وزيد بن حفصة ، وسعيد بن ليس ، ومقل بن قيس ، وقيس بن سعد ، وكذلك كان معاوية يبعث على الحرب كل يوم أميراً ،

فمن أمرائه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبو الأعور السلي ، وجيب بن مسلم ، وذو الكلاع الحميري ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وشرجيل بن السمط ، وحمزة بن مالك الهمداني ، وربما اقتتل الناس في اليوم مرتين ، وذلك في شهر ذي الحجة بكاله ، وحج بالناس في هذه السنة عبد الله ابن عباس عن أمر على له بذلك ، فلما انسلخ ذو الحجة ودخل الحرم تداعى الناس للفتاركة ، لعل الله أن يصلح بينهم على أمر يكون فيه حقن دمائهم ، فكان ما سنده

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

استهلت هذه السنة وأمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه متواقف هو ومعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ، كل منهما في جنوده بمكان يقال له صفين بالقرب من الفرات شرق بلاد الشام ، وقد اقتتلوا في مدة شهر ذي الحجة كل يوم ، وفي بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين ، ووجرت بينهم حروب يطول ذكرها ، والمقصود أنه لما دخل شهر الحرم تحاجز القوم رجاء أن يقع بينهم مهادنة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح بين الناس وحقن دمائهم ، فذكر ابن جرير من طريق هشام عن أبي مخنف مالك حدثني سعيد بن المجاهد الطائي عن محل بن خليفة أن علياً بعث عدى بن حاتم ويزيد ابن قيس الأرحبي ، وشبيث بن ربعي وزياد بن حفصة إلى معاوية ، فلما دخلوا عليه - وعمر بن العاص إلى جانبه - قال عدى بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد يا معاوية فانا جنناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمرنا ، ونحقق به الدماء ، ويأمن به السبل ، ويصلح ذات البين ، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة ، وأحسنها في الاسلام أثراً وقد استجمع له الناس وقد أرشدهم الله بالذي رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك من شيعتك ، فانت يا معاوية لا يصبك الله وأصحابك مثل يوم الجمل ، فقال له معاوية : كأنك إنما جئت مهدياً ولم تأت مصلحاً ، هيأت والله يا عدى ، كلا والله إنى لابن حرب ، لا يقيم لي بالشنان ، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان ، وإنك لمن قتلته ، وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتله الله به ، وتكلم شبيث بن ربعي وزياد بن حفصة فذكرا من فضل على وقالوا : اتق الله يا معاوية ولا تخالفه فانا والله مارأينا رجلاً قط أعمل بالتقوى ، ولا أزهدي في الدنيا ، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه . فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانكم دعوتهموني إلى الجماعة والطاعة ، فأما الجماعة فعناهي ، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلاً أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله ؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا ننهيه به ، ولكنه آوى قتلته ، فيدفعهم إلينا حتى تقتلهم ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة . فقال له شبيث بن ربعي : أنشدك الله يا معاوية ، لو تمكنت من عمار أ كنت قاتله بعثمان ؟ قال معاوية : لو تمكنت من ابن سمية ما قتلته بعثمان ، ولكني كنت قتلته بغلام عثمان . فقال له شبيث بن ربعي : وإله الأرض والسماء لا تدل إلى قتل عمار حتى تندبر الرؤس

عن كواهلها ، ويضيق فضاء الأرض ورجبها عليك . فقال معاوية : لو قد كان ذلك كانت عليك أضيقت . وخرج القوم من بين يديه فذهبوا إلى علي فأخبروه بما قال . وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الهفري ، وشرحبيل بن السمط ، ومن بن يزيد بن الاخنس إلى علي ، فدخلوا عليه فبدأ حبيب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهيأً عمل بكتاب الله وثبت لأمر الله ، فاستنقلم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلته إن زعمت أنك لم تقتله ، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شوري بينهم ، فيول الناس أمرهم من جمع عليه رأيهم ، فقال له علي : وما أنت لا أم لك ، وهذا الأمر وهذا العزل ، فاسكت فانك لست هناك ولا بأهل لذلك . فقال له حبيب : أما والله لتريني حيث تكره ، فقال له علي : وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت ، اذهب فصعد وصوب ما بدالك . ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم وبين علي ، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر فإن في مطاوي ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه ، وإني إنما دخلوا في الاسلام ولم يزالوا في تردد فيه وغير ذلك وإنه قال في غبون ذلك : لا أقول إن عثمان قتل مظلوماً ولا ظالماً . فقالوا : نحن نبرأ من لم يقل إن عثمان قتل مظلوماً ، وخرجوا من عنده ، فقال علي : [إني لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون] ثم قال لأصحابه : لا يكن هؤلاء أولى بالجد في ضلالتهم منكم بالجد في حكم وطلاعة نبيكم ، وهذا عندي لا يصح عن علي رضي الله عنه .

وروى ابن ديزيل من طريق عمرو بن سعد بأسناده أن قراء أهل العراق وقراء أهل الشام عسكروا ناحية وكانوا قريباً من ثلاثين ألفاً ، وأن جماعة من قراء العراق منهم عبيدة السلماني ، وعلقمة بن قيس ، وعامر بن عبد قيس ، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وغيرهم جاؤا معاوية فقالوا له : ما تطلب ؟ قال : أطلب بدم عثمان قالوا : فن تطلب به ؟ قال : عالياً ، قالوا : أهو قتله ؟ قال : نعم ! وأوى قتلته . فأنصرفوا إلى علي فذكروا له ما قال فقال : كذب ! لم أقتله وأنتم تعلمون أني لم أقتله . فرجعوا إلى معاوية فقال : إن لم يكن قتله بيده فقد أمر رجلاً . فرجعوا إلى علي فقال : والله لا قتلت ولا أمرت ولا ماليت . فرجعوا فقال معاوية : فإن كان صادقاً فليقدنا من قتله عثمان ، فإنهم في عسكره وجنده فرجعوا فقال علي : تأول القوم عليه القرآن في فتنة ووقعت الفرقة لأجلها وقتلوه في سلطانه وليس لي عليهم وسبيل . فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال : إن كان الأمر على ما يقول قتاله أفند الأمر دوننا من غير مشورة منا ولا من هاهنا ؟ فرجعوا إلى علي فقال علي : إنما الناس مع المهاجرين والأنصار ، فهم شهود الناس على ولايتهم وأمر دينهم ، ورضوا وبإيدي ، ولست أستحل

أن أدع مثل معاوية يحكم على الأمة ويشق عصاها ، فرجعوا إلى معاوية فقال : ما بال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر ؟ فرجعوا فقال على : إنما هذا للبدرين دون غيرهم ، وليس على وجه الأرض بدرى إلا وهو معي ، وقد بأيمني وقد رضى ، فلا يفرنكم من دينكم وأنفسكم ، قال : فأقاموا يتراسلون في ذلك شهر ربيع الآخر وجهاديين ويقرعون في غبون ذلك القرعة بعد القرعة ويحذف بعضهم على بعض ، ويحجز بينهم القراء ، فلا يكون قتال قال : فمرعوا في ثلاثة أشهر خمسة وثمانين قرعة . قال : وخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فدخلوا على معاوية فقالا له : يا معاوية على م تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً ، وأقرب منك إلى رسول الله (ص) ، وأحق بهذا الأمر منك . فقال : أقاتله على دم عثمان وإنه آوى قتلته ، فاذهبإ إليه فقولاً له فليقتلنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من بأيمه من أهل الشام ، فذهبإ إلى على فقالا له ذلك فقال : هؤلاء الذين تريان نخرج خلق كثير فقالوا : كلنا قتلة عثمان فمن شاء فليمرنا . قال : فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة فلم يشهدا لهم حرباً . قال عمرو بن سمدة باسناده حتى إذا كان رجب وخشى معاوية أن تبائع القراء كلهم علياً كتب في سهم من عبد الله الناصح : يا معشر أهل العراق ! إن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات ليعرقكم فخذوا حذركم ، ورمى به في جيش أهل العراق . فأخذته الناس فقرؤوه وتحدثوا به ، وذكروه لعلى فقال : إن هذا مالا يكون ولا يقع . وشاع ذلك ، وبعث معاوية مائتي فاعل يحفرون في جنب الفرات وبلغ الناس ذلك فتشوش أهل العراق من ذلك وفرعوا إلى على فقال : ويحكم ! إنه يريد خديتكم ليزيلكم عن مكانكم هذا وينزل فيه لأنه خير من مكانه . فقالوا : لا بد من أن نحلى عن هذا الموضع فارتحلوا منه ، وجاء معاوية فتنزل بجيشه . وكان على آخر من ارتحل - فتنزل بهم وهو يقول :

فلو أنى أطعت عصمت قومي * إلى ركن البلمة أو شام

ولكنى إذا أبرمت أمراً * يخالفه الطغام بنو الطغام

قال : فأقاموا إلى شهر ذى الحجة ثم شرعوا في المقاتلة فجعل على يؤمر على الحرب كل يوم رجلاً وأكثر من كان يؤمر الأشتر . وكذلك معاوية يؤمر كل يوم أميراً فاقتتلوا شهر ذى الحجة بكمالها ، وربما اقتتلوا في بعض الأيام مرتين قال ابن جرير رحمه الله : ثم لم نزل الرسل تتردد بين على ومعاوية والناس كلّفون عن القتال حتى انسلخ المحرم من هذه السنة ولم يقع بينهم صلح ، فأمر على ابن أبي طالب يزيد بن الحارث الجشمي فنأدى أهل الشام عند غروب الشمس ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم : إني قد استأنتكم لتراجعوا الحق ، وأقت عليكم الحجة فلم يجيبوا ، وإني قد نبئت إنيكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . ففرع أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادى

ينادى قتهض عند ذلك معاوية وعمر و فعبيا الجيش مينة وميسرة ، وبات على يعبي جيشه من ليلته ، فجعل على خيل أهل الكوفة الأشتر النخعي ، وعلى رجالهم عمار بن ياسر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجالهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة ، وعلى قرائهم سعد بن فديكى التميمي ، وتقدم على إلى الناس أن لا يبدأوا واحداً بالقتال حتى يبدأ أهل الشام ، وأنه لا ينفض على جريح ولا يتبع مدبر ولا يكشف ستر امرأة ولا تهان ، وإن شتمت أمراء الناس وصلحاهم وبرز معاوية صبح تلك الليلة وقد جعل على المينة ابن ذى الكلاع الحيرى ، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة القهري ، وعلى المقدمة أبا الأعور السلمي ، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص ، وعلى رجالهم الضحك بن قيس . ذكره ابن جرير

وروى ابن ديزيل من طريق جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر ويزيد بن الحسن بن علي وغيرهما . قالوا : لما بلغ معاوية سير على سار معاوية نحو على واستعمل على مقدمته سفيان بن عمرو بالأعور السلمي وعلى الساقة بسر بن أبي أرطاة حتى توافوا جميعاً سائرين إلى جانب صفين . وزاد ابن الكلبي فقال : جعل على المقدمة أبا الأعور السلمي ، وعلى الساقة بسر ، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وجعل على المينة حبيب بن مسلمة ، وعلى رجالها يزيد بن زحر العنسي ، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى رجالها حابس بن سعد الطائي ، وعلى خيل دمشق الضحك بن قيس وعلى رجالهم يزيد بن لبيد بن كرز البجلي ، وجعل على أهل حصن ذا الكلاع وعلى أهل فلسطين مسلمة بن مخلد وقام معاوية في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! والله ما أصبت الشام إلا بالطاعة ولا أضبط حرب أهل العراق إلا بالصبر ولا أكابد أهل الحجاز إلا باللطف ، وقد نهيتهم وسرتم لتمنوا الشام وتأخذوا العراق ، وسار القوم ليعنوا العراق ويأخذوا الشام ولعمري ما للشام رجال العراق ولا أموالها ، ولا للعراق خبرة أهل الشام ولا بصائرهما ، مع أن القوم وبعدهم أعدادهم ، وليس بعدكم غيركم فان غلبتموهم لم تغلبوا إلا من أناتكم وإن غلبوكم غلبوا من بعدكم والقوم لا قومكم بكيد أهل العراق ، ورقة أهل اليمن وبصائر أهل الحجاز ، وقسوة أهل مصر ، وإنما ينصر غداً من ينصر اليوم [استمعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين] وقد بلغ علياً خطبة معاوية فقام في أصحابه فحرضهم على الجهاد ومدحهم بالصبر وشجعهم بكثرتهم بالنسبة إلى أهل الشام ، قال جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر ويزيد بن أنس وغيرهما قالوا : سار على في مائة وخمسين ألفاً من أهل العراق وأقبل معاوية في نحو منهم من أهل الشام . وقال غيرهم : أقبل على في مائة ألف أو يزيدون ، وأقبل معاوية في مائة ألف وثلاثين ألفاً - رواها ابن ديزيل في كتابه - وقد تعاهد جماعة من أهل الشام على أن لا يفروا فمقلوا أنفسهم بالعام ، وكان هؤلاء خمسة

صفوف ومعه ستة صفوف آخرين وكذلك أهل العراق كانوا أحد عشر صفاً فتوافقوا على هذه الصفة أول يوم من صفر وكان ذلك يوم الأربعاء ، وكان أمير الحرب يومئذ للمراقبين الأشتر النخعي ، وأمير الحرب يومئذ للشاميين حبيب بن مسلمة ، فاقتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد انتصف بعضهم من بعض وتكافؤوا في القتال ثم أصبحوا من الغد يوم الخميس وأمير حرب أهل العراق هاشم بن عتبة ، وأمير الشاميين يومئذ أبا الأعرور السلمي فاقتلوا قتالاً شديداً فحمل الخليل على الخليل والرجال على الرجال ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافؤوا ثم خرج في اليوم الثالث - وهو يوم الجمعة - عمار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج إليه عمرو بن العاص في الشاميين فاقتل الناس قتالاً شديداً وحمل عمار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه وبارز زياد بن النضر الحارثي وكان على الخيالة رجلاً فلما توافقا تعارفا فاذا هما أخوان من أم ، فانصرف كل واحد منهما إلى قومه وترك صاحبه ، وتراجع الناس من العشي وقد صبر كل فريق لصاحبه ، وخرج في اليوم الرابع - وهو يوم السبت - محمد بن علي - وهو ابن الحنفية - ومعه جمع عظيم فخرج إليه في كثير من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر ، فاقتل الناس قتالاً شديداً ، وبرز عبيد الله بن عمر فطلب من ابن الحنفية أن يبرز إليه فبرز إليه ؟ فلما كادا أن يقتربا قال علي : من المبارز ؟ قالوا محمد ابنك وعبيد الله ، فيقال إن علياً حرك دابته وأمر ابنه أن يتوقف وتقدم إلى عبيد الله فقال له : تقدم إلى قال له : لا حاجة لي في مبارزتك ، فقال : بلى ، فقال : لا ! فرجع عنه على وتحاجز الناس يومهم ذلك ثم خرج في اليوم الخامس - وهو يوم الأحد - في العراقيين عبد الله بن عباس وفي الشاميين الوليد بن عقبة ، واقتل الناس قتالاً شديداً ، وجعل الوليد ينال من ابن عباس ، فيما ذكره أبو مخنف ويقول : قتلتم خليفتم ولم تتألموا ما طلبتم ، ووالله إن الله ناصرنا عليكم . فقال له ابن عباس : فبرز إلى فأبى عليه ويقال إن ابن عباس قاتل يومئذ قتالاً شديداً بنفسه رضي الله عنه ، ثم خرج في اليوم السادس - وهو يوم الاثنين - وعلى الناس من جهة العراقيين قيس بن سعد ، ومن جهة أهل الشام بن ذى الكلاع فاقتلوا قتالاً شديداً أيضاً وتصابروا ثم تراجعوا ، ثم خرج الأشتر النخعي في اليوم السابع - وهو يوم الثلاثاء وخرج إليه قرنه حبيب بن مسلمة فاقتلوا قتالاً شديداً أيضاً ولم يغلب أحد أحداً في هذه الأيام كلها . قال أبو مخنف : حدثني مالك بن أعين الجهمي عن زيد بن وهب أن علياً قال : حتى متى لا تنهض هؤلاء القوم بأجمعنا ؟ ثم قام في الناس عشية الأربعاء بعد ما سرق قال : الحمد لله الذي لا يرم ما تقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون ، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره ، ولا جحد المفضل ذا الفضل فضله ، وقد ساقنا هؤلاء القوم الأقدار وألقت بيننا في هذا المكان ، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع

فلو شاء لمجل النعمة وكان منه التفسير حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم الحق أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويمجزى الذين أحسنوا بالحسن) ألا وأنكم لا قوا القوم غداً فاطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا تلاوة القرآن ، واسألوا الله النصر والصبر والقوة بالجد والحزم وتكونوا صادقين . قال : فوثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها قال : ومر بالناس وهم كذلك كعب بن جعل التغلبى فرأى ما يصفون فجعل يقول :

أصبحت الأمة في أمر عجب * والملك مجموع غداً لمن غلب
قلت قولاً صادقاً غير كذب * إن غداً تملك أعلام العرب

قال : ثم أصبح على في جنوده قد عبأهم كما أراد ، وركب معاوية في جيشه قد عبأهم كما أراد ، وقد أمر على كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام فتقاتل الناس قتالاً عظيماً لا يفر أحد من أحد ولا يغلب أحد أحداً ، ثم تحاجزوا عند العشي ، وأصبح على فصلى الفجر بفلس وباكر القتال ، ثم استقبل أهل الشام فاستقبلوه بوجوههم ، فقال على فيما رواه ابن عزم عن مالك بن أعين عن ريد بن وهب : اللهم رب السقف المحفوظ المكفوف الذى جعلته سقفاً لليل والنهار ، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم ، وجعلت فيه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة ، ورب الأرض التى جعلتها قراراً للأنام والهوام والأثنام ، ومالا يحصى مما ترى ومالا ترى من خلقك العظيم ، ورب الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض ، ورب البحر المسجور المحبط بالعالم ، ورب الجبال الرواسى التى جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق متاعاً ، إن أظهرتنا على عدونا فجنبتنا البغي والفساد وسددنا للحق ، وإن أظهرتهم علينا فارزقنى الشهادة وجنب بقية أصحابى من الفتنة . ثم تقدم على وهو فى القلب فى أهل المدينة وعلى ميمنه يومئذ عبد الله بن بديل ، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس ، وعلى القراء عمار بن ياسر وقيس بن سعد ، والناس على راياتهم فرحف بهم إلى القوم ، وأقبل معاوية - وقد بايعه أهل الشام على الموت - فتواقف الناس فى موطن مهول وأمر عظيم ، وحمل عبد الله بن بديل أمير ميمنة على على ميسرة أهل الشام وعليها حبيب ابن مسلمة ، فاضطره حتى ألقاه إلى القلب ، وفيه معاوية ، وقام عبد الله بن بديل خطيباً فى الناس يحرضهم على القتال ويحثهم على الصبر والجهاد ، وحرص أمير المؤمنين على الناس على الصبر والتبلى والجهاد ، وحثهم على قتال أهل الشام ، وقام كل أمير فى أصحابه يحرضهم ، وتلا عليهم آيات القتال . أما كن متفرقة من القرآن ، فمن ذلك قوله تعالى [إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص] ثم قال : قسموا المدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس ، فانه أنكى للسيوف

عن الهام ، وألبوا إلى أطراف الرماح فانه أفوق للأسنة ، وغضوا الأبصار فانه أربط للجأش وأسكن للقلب ، وأميتوا الأصوات فانه أطرده للفشل وأولى بالوقار ، راياتكم لا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم . وقد ذكر علماء التاريخ وغيرهم أن علياً رضي الله عنه بارز في أيام صفين وقاتل وقتل خلقاً حتى ذكر بعضهم أنه قتل خمسمائة ، فمن ذلك أن كريب بن الصباح قتل أربعة من أهل العراق ثم وضعهم تحت قدميه ثم نادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه علي فتجاولا ساعة ثم ضربه علي فقتله ثم قال علي : هل من مبارز ؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحيرى فقتله ، ثم برز إليه راود ابن الحارث الكلاعى فقتله ، ثم برز إليه المطاع بن المطلب القيسى فقتله . فتلا على قوله تعالى [والحرمات قصاص] ثم نادى وبجك يا معاوية ! ابرز إلى ولا تغنى العرب بينى وبينك ، فقال له عمرو بن العاص : اغتنمه فانه قد أنخن بقتل هؤلاء الأربعة ، فقال له معاوية : والله لقد علمت أن علياً لم يقهر قط ، وإنما أردت قتلى لتصيب الخلافة من بعدى ، اذهب إليك ! فليس مثلى يخذع وذكروا أن علياً حمل على عمرو بن العاص يوماً فضربه بالرمح فألقاه إلى الأرض فبست سوءته فرجع عنه ، فقال له أصحابه : مالك يا أمير المؤمنين رجعت عنه ؟ فقال : أتدرون ما هو ؟ قالوا : لا ! قال : هذا عمرو بن العاص تلقاني بسوءته فذكرنى بالرحم فرجعت عنه ، فلما رجع عمرو إلى معاوية قال له : احمد الله واحمد إسنك . وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : ثنا يحيى ثنا نصر ثنا عمرو بن شمير عن جابر الجعفي عن نعيم الأنصاري قال : والله لكأنني أسمع علياً وهو يقول لأصحابه يوم صفين أما تخافون مقت الله حتى متي ، ثم انفتل إلى القبلة يدعو ثم قال : والله ما سمعنا برئيس أصاب يده ما أصاب علي يومئذ إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة رجل ، يخرج فيضرب بالسيف حتى ينحني ثم يجيء فيقول معذرة إلى الله وإليك والله لقد هممت أن أقتله ولكن يحجزني عنه أي سمعت رسول الله (ص) يقول « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » قال : فيأخذه فيصلحه ثم يرجع به . وهذا إسناد ضعيف وحديث منكر وحدثنا يحيى ثنا ابن وهب أخبرني الليث عن يزيد بن حبيب أنه أخبره من حضر صفين مع علي ومعاوية قال ابن وهب : وأخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط قال : شهدنا صفين مع علي ومعاوية قال فطرت السماء علينا دماً عبيطاً قال الليث في حديثه حتى أن كانوا ليأخذونه بالصحاف والآنية قال ابن لهيعة : فتملئ ونهر يقها وقد ذكرنا أن عبد الله بن بديل كسر الميسرة التي فيها حبيب بن مسلمة حتى أضافها إلى القلب فأمر معاوية الشجعمان أن يعاونوا حبيباً على الكرة وبعث إليه معاوية يأمره بالحلة والكرة علي ابن بديل ، فحمل حبيب بمن معه من الشجعمان على ميمنة أهل العراق فأزالوهم عن أماكنهم وانكشفوا عن أميرهم حتى لم يبق معه إلا زهاء ثلثمائة وانجفل بقية أهل العراق ، ولم يبق مع علي من تلك القبائل إلا أهل

مكة وعليهم سهل بن حنيف، وثبت ربيعة مع علي رضي الله عنه واقترب أهل الشام منه حتى جعلت نبالهم تصل إليه، وتقدم إليه مولى لبني أمية فاعترضه مولى لعلی قتلته الأموي وأقبل يريد علياً وحوله بنوه الحسن والحسين ومحمد بن حنفية، فلما وصل إلى علي أخذه على يده فرفعه ثم ألقاه على الأرض فكسر عضده ومنكبه وابسدره الحسين ومحمد بأسيا فهما قتلاه فقال علي للحسن ابنه وهو واقف معه: ما منعك أن تصنع كما صنعنا فقال: كفيان أمره يا أمير المؤمنين وأسرع إلى علي أهل الشام فجعل علي لا يزيد قريتهم منه سرعة في مشيته، بل هو سائر على هيئته، فقال له ابنه الحسن: يا أبا لوسيعت أكثر من مشيتك هذه فقال: يا بني إن لا ييك يوماً لن يعدوه ولا يبطئ به عنه السعي ولا يعجل به إليه المشي إن أباك والله ما يبالي وقع على الموت أو وقع عليه ثم إن علياً أمر الأشتر النخعي أن يلحق المنهزمين فيردم فصار أسرع حتى استقبل المنهزمين من العراق فجعل يؤنبهم ويوبخهم ويحرض القبائل والشجعان منهم على السكرة فجعل طائفة تتابعه وآخرون يستمرون في هزيمتهم فلم يزل ذلك دأبه حتى اجتمع عليه خلق عظيم من الناس فجعل لا يلقى قبيلة إلا كشفها ولا طائفة إلا ردّها حتى انتهى إلى أمير الميمنة وهو عبد الله بن بديل ومعه نحو في ثلثائة قد ثبتوا في مكانهم فسألوا عن أمير المؤمنين فقالوا حي صالح فالتفتوا إليه، فتقدم بهم حتى تراجع كثير من الناس وذلك ما بين صلاة العصر إلى الغروب، وأراد ابن بديل أن يتقدم إلى أهل الشام فأمره الأشتر أن يثبت مكانه فانه خير له فأبى عليه ابن بديل، وحمل نحو معاوية، فلما انتهى إليه وجده واقفاً أمام أصحابه وفي يده سيفان وحوله كئائب أمثال الجبال، فلما اقترب ابن بديل تقدم إليه جماعة منهم فقتلوه وألقوه إلى الأرض قتيلاً، وفر أصحابه منهزمين وأكثرهم مجروح فلما انهزم أصحابه قال معاوية لأصحابه انظروا إلى أميرهم، فجاءوا إليه فلم يعرفوه فتقدم معاوية إليه فاذا هو عبد الله بن بديل، فقال معاوية: هذا والله كما قال الشاعر، وهو حاتم الطائي:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها * وإف شمرت يوماً به الحرب شمرت
ويحيي إذا ما الموت كان لقاءه * كذلك ذو الأشبال يحيي إذا ما تأمرا
كليب هزبر كان يحيي ذماره * رمت المنايا سهمها فنقطرا
ثم حمل الأشتر النخعي بمن رجع معه من المنهزمين فصعد الحلة حتى خالط الصفوف الخمسة الذين تعاقبوا أن لا يفرّوا وهم حول معاوية، ففرق منهم أربعة وبقي بينه وبين معاوية صف، قال الأشتر فرأيت هولا عظيماً، وكنت أن أفر فما ثبتني إلا قول ابن الاطنابة وهي أمه من بلقين وكان هو من الانصار وهو جاهلي:

أبت لي عفتي وأبى بلأني * وإقدامي على البطل المشيح

وإعطائي على المكروه مالي * وضربي هامة الرجل المسيح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

قال : هذا الذي ثبتني في ذلك الموقف . والعجب أن ابن ديزيل روى في كتابه أن أهل العراق حملوا حملة واحدة ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا أزالوه حتى أفضوا إلى معاوية فندما بفرسه لينجو عليه ، قال معاوية : فلما وضعت رجلي في الركاب تمثلت بأبيات عمرو بن الاطنابة :

أبت لي عفتي وأبي بلائي * وأخذني الحمل بالتمن الربيح
وإعطائي على المكروه مالي * وضربي هامة البطل المسيح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

قال : فثبت ونظر معاوية إلى عمرو بن العاص فقال : اليوم صبر وغدا نغر ، فقال له عمرو : صدقت قال معاوية فأصبت خير الدنيا وأنا أرجو أن أصيب خير الآخرة . ورواه محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن بن حاطب عن معاوية ، وبعث معاوية إلى خالد بن المعتمر وهو أمير الخيالة لعل فقال له : اتبعني على ما أنت عليه ولك إمرة العراق ، فطمع فيه ، فلما زل معاوية ولأه العراق فلم يصل إليها خالد رحمه الله ، ثم إن علياً لما رأى الميمنة قد اجتمعت رجع إلى الناس فأنبأ بعضهم وعذر بعضهم وحرص الناس وثبتهم ثم تراجع أهل العراق فاجتمع شملهم ودارت رحى الحرب بينهم وجالوا في الشاميين وصالوا ، وتبارز الشجعان فقتل خلق كثير من الأعيان من الفريقين فانا لله وإنا إليه راجعون . وقيل ممن قتل في هذا اليوم عبيد الله بن عمر بن الخطاب من الشاميين ، واختلفوا فيمن قتله من العراقيين ، وقد ذكر إبراهيم بن الحسين بن ديزيل أن عبيد الله لما خرج يومئذ أميراً على الحرب أحضر امرأته أسماء بنت عطار بن حاجب التيمي وبحرية بنت هاني بن قبيصة الشيباني - فوقفتا وراءه في راحلتين لينظرا إلى قتاله وشجاعته وقوته ، فواجهته من جيش العراقيين ربعة الكوفة وعليهم زياد بن حفصة التيمي ، فشدوا عليه شدة رجل واحد فقتلوه بعد ما انهزم عنه أصحابه ، ونزلت ربعة فضربوا لأمرهم خيمة فبقى طنب منها لم يجدوا له وتداً فشدوه برجل عبيد الله ، وجاءت امرأته يولولان حتى وقفنا عليه وبكتا عنده ، وشغفت امرأته بحرية إلى الأمير فأطلقه لها فاحتملته معها في هودجها وقتل معه أيضاً ذو الكلاع ، قال الشعبي : فني مقتل عبيد الله بن عمر يقول كعب بن جمل التغلبي

ألا إنما تبكي العيون لفارس * بصفين ولت خيله وهو واقف
تبدل من أسماء أسياف وائل * وكان قتي لو أخطأته المتألف
تركن عبيد الله بالقاع تلويًا * تسيل دماؤه والعروق نوازف

ينوءُ ويفشاهُ شأيب من دم • كالأح من جيب القميص الكفائفُ
وقد صبرت حول ابن عم محمد • لدى الموت أرباب المناقب شارفُ
فما برحوا حتى رأى الله صبرهم • وحتى رقت فوق الأكف المصاحفُ

وزاد غيره فيها

معاوى لا تنهض بغير وثيقة • فانك بعد اليوم بالذل عارفُ
وقد أجابه أبو جهم الأسدي بقصيدة فيها أنواع من الهجاء تركناها قصداً .

وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله أهل الشام
وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول (ص) من أنه تقتله الفئة الباغية وبان بذلك أن عليا
حق وأن معاوية باغ ، ومافى ذلك من دلائل النبوة ، ذكر ابن جرير من طريق أبي مخنف حدثني
مالك بن أعين الجهني عن زيد بن وهب الجهني أن عماراً قال يومئذ : من يبتغي رضوان ربه ولا يلوى
إلى مال ولا ولد ، قال : فأتته عصابة من الناس فقال : أيها الناس اقسدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين
يبتغون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوماً والله ما قصدم الأخذ بدمه ولا الأخذ بثأره ، ولكن القوم
ذاقوا الدنيا واستحلوها واستمروا الآخرة فقلوها ، وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين
ما يترغون فيه من دنياهم وشهواتهم ، ولم يكن للقوم سابقة في الاسلام يستحقون بها طاعة الناس لهم
ولا الولاية عليهم ولا تمكنت من قلوبهم خشية الله التي تمنع من تمكنت من قلبه عن نيل الشهوات ،
وتعقله عن إرادة الدنيا وطلب العلو فيها ، ونحمله على اتباع الحق والميل إلى أهله ، فغدعوا أتباعهم
بجهلهم إمامنا قتل مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا ، وتلك مكيدة بلغوا بها ماترون ، ولولا ذلك
ماتبهم من الناس رجالان وكانوا أذل وأخس وأقل ، ولكن قول الباطل له حلاوة في أسمع
للغافلين ، فسيروا إلى الله سيراً جيلاً ، واذكروا ذكراً كثيراً ثم تقدم فلقية عمرو بن العاص
وعبيد الله بن عمر فلامهما وأنبهما وعظهما ، وذكروه من كلامه لهما مافيه غلظة فآله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عبد الله بن سلمة يقول :
رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آثم طوالاً أخذ الحربة بيده ويده ترعد ، فقال : والذي نفسى
بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله (ص) ثلاث مرات وهذه الرابعة ، والذي نفسى بيده
لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سمفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق ، وأنهم على الضلالة . وقال
الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة وحجاج حدثني شعبة سمعت قتادة يحدث عن أبي نضرة
قال حجاج سمعت أبا نضرة عن قيس بن عباد قال . قلت لعمار بن ياسر رأيت قتالكم مع علي رأيا

رأيتموه ، فان رأى يخطئ ويصيب ، أو عهد عهده إليكم رسول الله (ص) ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله (ص) ، شينا لم يعهده إلى الناس كافة . وقد رواه مسلم من حديث شعبة وله تمام عن عمار عن حذيفة في المنافقين .

وهذا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من التابعين ، منهم الحارث بن سويد ، وقيس ابن عباد ، وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي ، ويزيد بن شريك ، وأبو حسان الأجرد وغيرهم أن كلا منهم قال : قلت لعلي : هل عندكم شيء عهده إليكم رسول الله (ص) ، لم يعهده إلى الناس ؟ فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهما يؤتياه الله عبداً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ فإذا فيها العقل وفكك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وأن المدينة حرم ما بين ثبير إلى ثور .

وثبت في الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن أبي وائل عن سفيان بن مسلم عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين : يا أيها الناس ! اتهموا الرأي على الدين ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر لرددت على رسول الله (ص) أمره ، والله ما حملنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلنا لأمر يقطعنا إلا أسهل لنا إلى أمر نعرفه ، غير أمرنا هذا ، فانا لا نسد منه خصماً إلا انفتح لنا غيره لا ندرى كيف نبالي له

وقال أحمد : حدثنا وكيع ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري . قال قام عمار يوم صفين فقال : إيتوني بشربة لبن ، فان رسول الله (ص) قال « آخر شربة تشربها من الدنيا تشربها يوم تقتل » وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري أن عماراً أتى بشربة لبن فضحك وقال : إن رسول الله قال لي : « آخر شراب أشربه لبن حين أموت » وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : ثنا يحيى بن نصر ثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال : سمعت الشعبي عن الأنخف بن قيس : قال ثم حمل عمار بن ياسر عليهم فحمل عليه ابن جوى السكسكى وأبو الغادية الفزاري ، فأما أبو الغادية فطعنه ، وأما ابن جوى فاحتز رأسه . وقد كان ذو الكلاع سمع قول عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله (ص) ، لعمار بن ياسر « تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شربة تشربها صاع لبن » فكان ذو الكلاع يقول لعمرو : ويحك ! ما هذا يا عمرو ؟ فيقول له عمرو : إنه سيرجع إلينا . قال : فلما أصيب عمار بعد ذو الكلاع قال عمرو لمعاوية : ما أدرى بقتل أيهما أنا أشد فرحاً ، بقتل عمار أودى الكلاع والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بمامة أهل الشام ولا فسد علينا جسدنا . قال : وكان لا يزال يحيى رجل فيقول لمعاوية وعمرو : أنا قتلت

عماراً فيقول له عمرو : فما سمعته يقول فيخلطون حتى جاء جوى فقال أنا سمعته يقول :

اليوم ألقى الأجرة • محمداً وحزبه

فقال له عمرو : صدقت أنت إنك لصاحبه ، ثم قال له : رويداً ، أما والله ما ظفرت يداك ولقد أسخطت ربك . وقد روى ابن ذرير من طريق أبي يوسف عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن الكندي عن أبيه عن عمرو بن العاص . أن رسول الله (ص) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » ورواه أيضاً من حديث جماعة من التابعين أرسلوه منهم عبد الله بن أبي الهذيل ومجاهد وحبيب بن أبي ثابت وحبّة العري ، وسأقه من طريق إبان عن أنس مرفوعاً ، ومن حديث عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي الزبير عن حذيفة مرفوعاً : « ما خير عمار بين شيئين إلا اختار أرشدهما » . وبه عن عمرو بن شمر عن السري عن يعقوب بن راقط قال : اختصم رجلان في سلب عمار وفي قتله فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص ليتحاكما إليه ، فقال لهما : وبمحكما أخرجاعني ، فان رسول الله (ص) قال - ولعبت قریش بعمار - : « ما لهم ولعمار ؟ عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، قاتله وسأله في النار » قال : فبلغني أن معاوية قال إنما قتله من أخرجه يخذع بذلك أهل الشام . وقال إبراهيم بن الحسين : حدثنا يحيى ثنا غدي بن عمر ثنا هشيم ثنا العوام بن حوشب بن الأسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد - وكان ناساً عند علي ومعاوية - قال : بينا هو عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في قتل عمار ، فقال لهما عبد الله بن عمرو : ليطلب كل واحد منكما نفسه لصاحبه بقتل عمار ، فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : « تقتله الفئة الباغية » فقال معاوية لعمرو : « ألا تنهى عنا مجنونك هذا ؟ » ثم أقبل معاوية على عبد الله فقال له : فلم تقاتل معنا ؟ فقال له إن رسول الله (ص) أمرني بطاعة والدي ما كان حياً وأنا معكم ولست أقاتل . وحدثنا يحيى بن نصر ثنا حفص بن عمران البرجمي حدثني نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن عمرو قال لأبيه : لولا أن رسول الله (ص) أمرني بطاعتك ماسرت معك هذا المسير ، أما سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار بن ياسر « تقتلك الفئة الباغية » وحدثنا يحيى ثنا عبد الرحمن بن زياد ؟ ثنا هشيم عن مجاهد عن الشعبي قال : جاء قاتل عمار يستأذن على معاوية وعنده عمرو وقال : ائذن له وبشره بالنار . فقال الرجل : أو ما تسمع ما يقول عمرو . قال : صدق ؟ إنما قتله الذين جاؤا به وهذا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من التابعين منهم الحارث بن سويد وقيس بن عباد وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي ويزيد بن شريك وأبو حسان الأجرد وغيرهم أن كلا منهم قال : قلت لعل هل عندكم شيء عهد إليكم رسول الله (ص) لم يعده إلى الناس ، فقال : لا ! والذي فلق

الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتية الله عبداً في القرآن وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في هذه الصحيفة ؟
 فاذا فيها العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وأن المدينة حرام ما بين ثبير إلى نور ، وثبت
 في الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن سهل بن حنيف أنه قال
 يوم صفين : أيها الناس اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر أن أرد على رسول
 الله (ص) أمره لرددته ، والله ما حملنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلنا لأمر يقطعنا إلا أسهل بنا إلى أمر
 نعرفه غير أمرنا هذا . وقال ابن جرير : وحدثنا أحمد بن محمد ثنا الوليد بن صالح ثنا عطاء بن مسلم عن
 الأعمش قال قال أبو عبد الرحمن السلمي : قال كنا مع علي بصفين وكنا قد وكلنا بفرسه نفسين
 بحفظانه بمعاناه أن يحمل ، فكان إذا حانت منهما غفلة حمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه ، وإنه حمل
 ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه ، فالتقاه إليهم وقال : لولا أنه انثنى مارجمت ، قال : ورأيت عماراً
 لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا اتبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله (ص) ، ورأيت به جاء
 إلى هاشم بن عتبة وهو صاحب راية علي فقال : يا هاشم تقدم ! الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت
 في أطراف الأُسنة ، وقد فتحت أبواب الجنة وتزينت الحور العين

اليوم ألقى الأُحبة * محمدًا وحزبه

ثم حملا هو وهاشم فقتلا رحمهما الله تعالى ، قال : وحمل حينئذ علي وأصحابه على أهل الشام حملة
 رجل واحد كأنهما : كان - يعني عماراً وهاشماً - علما لهم قال : فلما كان الليل قلت لأدخلن الليلة إلى
 العسكر الشاميين حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا ؟ - وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا
 إلينا وتحدثنا إليهم - فركبت فرسي وقد هدأت الرجل ، ثم دخات عسكرهم فاذا أنا بأربعة
 يتسامرون ، معاوية ، وأبو الأعور السلمي ، وعمر بن العاص ، وابنه عبد الله بن عمرو وهو خير
 الأربعة . قال : فدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول بعضهم لدهض ، فقال عبد الله لأبيه :
 يا أبة قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال فيه رسول الله ما قال ، قال : وما قال ؟ قال : ألم يكن
 معنا ونحن نبني المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ، ولبنة لبنة ، وعمار ينقل حجرين حجرين ولبنتين
 لبنتين ؟ فأتاه رسول الله (ص) فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : « ويحك يا ابن ممية الناس
 ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر
 وكنت مع ذلك ويحك تقتلك الفئة الباغية » قال فرجع عمرو صدر فرسه ثم جذب معاوية إليه فقال :
 يا معاوية أما تسمع ما يقول عبد الله ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول وأخبره الخبر فقال معاوية إنك
 شيخ أخرج ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدهض في بولك ، أو نحن قتلنا عماراً ؟ إنما قتل عماراً
 من جاء به ؟ قال : نفرج الناس من عند فساطيطهم وأخيبتهم وهم يقولون : إنما قتل عماراً من جاء

به ، فلا أدري من كان أعجب هو أو هم . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عبد الرحمن بن أبي زياد قال : إني لأسير مع معاوية منصرفه من صفين بينه وبين عمرو بن العاص فقال عبد الله بن عمرو : يا أبة أما سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار : « ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية قال فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع ما يقول عبد الله هذا فقال معاوية لا يزال يأتينا بهنة بعد هنة ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله الذين جاءوا به . ثم رواه أحمد عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن الأعمش به نحوه ، تفرد به أحمد بهذا السياق من هذا الوجه ، وهذا التأويل الذي سلكه معاوية رضى الله عنه بعيد ، ثم لم ينفرد عبد الله بن عمرو بهذا الحديث بل قد روى من وجوه آخر ، قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن خالد عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » . وقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد العزيز بن المختار وعبد الوهاب الثقفي عن خالد الخذاء عن عكرمة عن أبي سعيد في قصة بناء المسجد أن رسول الله (ص) قال لعمار : « يا ويح عمار يدعوك إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول عمار : أعود بالله من الفتن وفي بعض نسخ البخاري يا ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوك إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، وقال أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا شعبة ثنا عمرو بن دينار عن أبي هشام عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » وروى مسلم من حديث شعبة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله (ص) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » وروى مسلم أيضاً من حديث شعبة عن خالد الخذاء عن الحسن وسعيد ابني أبي الحسن عن أمها حرة عن أم سلمة أن رسول الله (ص) قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية ، ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة به وفي رواية وقائله في النار . وروى البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصنعاني عن أبي الجواب عن عمار بن زريق عن عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل - في سيرة علي - ثنا يحيى بن عبيد الله الكرابيسي ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن عمار بن زريق عن عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال : إن الله قد أمنا أن يظلمنا ولم يؤمننا أن يفتننا ، رأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال : عليك بكتاب الله ، قلت : رأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله ؟ فقال سمعت رسول الله (ص) يقول : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » . وروى ابن ديزيل عن عمرو بن لعاص نفسه حديثاً في ذكر عمار وأنه مع فرقة الحق ، وإسناده غريب ، وقال البيهقي : أنا علي بن

أحمد بن عبد بن أنس أحمد بن عبيد الله الصفار ثنا الأسفاطي ثنا أبو مصعب ثنا يوسف بن الماجشون عن أبيه عن أبي عبيدة عن محمد بن عمار بن ياسر عن مولاة لعمار قالت : « اشتكى عمار شكوى أرق منها فغشى عليه ، فأفاق ونحن نبكي حوله ، فقال : مات يكون ؟ أم تخشون أن أموت على فراشي ؟ أخبرني حبيبي (س) ، أنه تقتلني الفئة الباغية ، وأن آخر زادي من الدنيا مذقة من لبن » وقال أحمد : ثنا ابن أبي عدي عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : « أمرنا رسول الله (ص) بيناء المسجد فجعلنا ننقل لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين ، فترب رأسه قال : فحدثني أصحابي ولم أسمعه ن رسول الله أنه جعل ينفذ رأسه ويقول : ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » تفرد به أحمد وما زاده الروافض في هذا الحديث بعد قوله الباغية « لا أنالها والله شفاعتي يوم القيامة فهو كذب وبهت على رسول الله (ص) » ، فانه قد ثبتت الأحاديث عنه صلوات الله عليه وسلامه بتسمية الفريقين مسلمين ، كما سنورده قريباً إن شاء الله . قال ابن جرير وقد ذكر أن عماراً لما قتل قال على ربيعة وهمدان : أنتم درعي وورحى ، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً ، وتقدمهم على بيغلتة فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية وعلى يقاتل ويقول :

أضربهم ولا أرى معاوية * الجاحظ العين عظيم الحاوية

قال : ثم دعى على معاوية إلى أن يبارزه فأشار عليه بالخروج إليه عمرو بن العاص فقال له معاوية : إنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله ، ولكنك طمعت فيها بعدى ، ثم قدم على ابنه محمد في عصابة كثيرة من الناس ، فقاتلوه قتالاً شديداً ثم تبعه على في عصابة أخرى ، فحمل بهم فقتل في هذا الموطن خلق كثير من الفريقين لا يعلمهم إلا الله وقتل من العراقيين خلق كثير أيضاً ، وطارت أكنف ومعاصم ورؤس عن كواهلها ، رحمهم الله . ثم حانت صلاة المغرب فما صلى بالناس إلا إيماء صلاتي العشاء واستمر القتال في هذه الليلة كلها وهي من أعظم الليالي شراً بين المسلمين ، وتسمى هذه الليلة ليلة الهرير ، وكانت ليلة الجمعة تقصفت الرماح ونفدت النبال ، وصار الناس إلى السيوف ، وعلى رضى الله عنه يحرض القبائل ، ويتقدم إليهم يأمر بالصبر والثبات وهو أمام الناس في قلب الجيش ، وعلى الميمنة الأشر ، تولاها بعد قتل عبد الله بن بديل عشية الخميس ليلة الجمعة . وعلى الميسرة ابن عباس ، والناس يقتتلون من كل جانب فذكر غير واحد من علمائنا علماء السير - أنهم قتلوا بالرماح حتى تقصفت ، وبالنبال حتى فنيت ، وبالسيوف حتى تحطمت ثم صاروا إلى أن تقاتلوا الأيدي والرمي بالحجارة والتراب في الوجوه ، وتعاوضوا بالأسنان يقتتل الرجال حتى يشخنا ثم يجلسان يستريحان ، وكل واحد منهما يهر على الآخر ويهر عليه ثم يقومان فيقتلان كما كانا ، فانا لله

وإنما إليه راجعون . ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام ، وذلك أن الاشترا النخعي صارت إليه إمرة الميمنة ، فحمل بمن فيها على أهل الشام وتبعه على فتنة غلب صفوفهم وكادوا يهزمون ، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح : وقالوا ، هذا بيننا وبينكم قد فنى الناس فمن للغور ؟ ومن لجهاد المشركين والكفار .

وذكر ابن جرير وغيره من أهل التاريخ أن الذي أشار بهذا هو عمرو بن العاص ، وذلك لما رأى ، أن أهل العراق قد استظهروا في ذلك الموقف ، أحب أن ينفصل الحال وأن يتأخر الأمر . فان كلا من الفريقين صابر للآخر ، والناس يتفانون . فقال إلى معاوية : إني قد رأيت أمراً لا يزيدنا هذه الساعة إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة ، أرى أن نرفع المصاحف ندعوهم إليها ، فان أجابوا كلهم إلى ذلك برد القتال ، وإن اختلفوا فيما بينهم فن قائل نجيبهم ، وقائل لا نجيبهم ، فسلوا وذهب ربحهم ، وقال الامام أحمد ، حدثنا يعلى بن عبيد عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت . قال أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم على بالنهر وان فيما استجابوا له وفيما فارقوه ، وفيما استحل قتالهم فقال : كنا بصفين فلما استحر القتال بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية : أرسل إلى على بمصحف فأدعه إلى كتاب الله فانه لن يأتي عليك فجاء به رجل فقال : بيننا وبينكم كتاب الله [ألم تولى الذين اتوا تو نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم] يتولى فريق منهم بعد ذلك هم معرضون] فقال على : نعم ! أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله قال فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء وسيوفهم على عواتقهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ما ينتظر هؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشي إليهم سيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فتكلم سهل بن حنيف فقال : يا أيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعنى الصلح الذى كان بين رسول الله وبين المشركين - ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر إلى رسول الله فقال : يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل ؟ وذكر تمام الحديث كما تقدم في موضعه .

رفع أهل الشام المصاحف

فلما رفعت المصاحف قال أهل العراق : نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه . قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدى عن أبيه أن علياً قال : عباد الله أمضوا إلى حقكم وصدقكم وقاتل عننكم ، فان معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك ابن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، محبتهم أطفالا ، ومحبتهم رجالا ، فكانوا شر أطفال وشر رجال ، ويحكم والله إنهم ما رفعوها إنهم يقرأونها ولا يعملون بما فيها وما

رفعوها إلا خديعة ودهاء ومكيمة . فقالوا له : ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله . قال لهم : إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم به ، وتركوا عهده ، ونبذوا كتابه . فقال له مسمر بن فديك التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السبائي في عصابة معهما من القراء الذين ساروا بعد ذلك خوارج : يا علي أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو تفعل بك ما فعلنا بابن عفان ، إنه غلبنا أن يعمل بكتاب الله فقتلناه ، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك . قال : فاحفظوا عني إياكم واحفظوا مقاتلكم لي ، أما أنا فان تطيعوني فقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم ، قالوا : فابعث إلى الأشر فليأتك ويكف عن القتال ، فبعث إليه على ليكف عن القتال ، وقد ذكر الهيثم بن عدي في كتابه الذي صنفه في الخوارج فقال : قال ابن عباس : فحدثني محمد بن المنتشر الهمداني عن من شهد صفين وعن ناس من رؤس الخوارج ممن لا يتهم على كذب أن عمار بن ياسر كره ذلك وأبى وقال في علي بعض ما أكره ذكره ، ثم قال : من رأنح إلى الله قبل أن يبتغي غير الله حكما ؟ فحمل فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه . وكان ممن دعا إلى ذلك سادات الشاميين عبد الله بن عمرو بن العاص قام في أهل العراق فدعاهم إلى الموادعة والكف وترك القتال والانتقام بما في القرآن ، وذلك عن أمر معاوية له بذلك رضي الله عنهما ، وكان ممن أشار على علي بأبول والدخول في ذلك الأشعث بن قيس الكندي رضي الله عنه ، فروى أبو مخنف من وجه آخر أن عليا لما بعث إلى الأشر قال : قل له إنه ليس هذه ساعة ينبغي أن لا تزيلى عن موقفي فيها ، إني قد رجوت أن يفتح الله علي ، فلا تعجلني ، فرجع الرسول - وهو يزيد بن هاني - إلى علي فأخبره عن الأشر بما قال ، وصمم الأشر على القتال لينتزع الفرصة ، فارتفع الهرج وعلت الأصوات فقال أولئك القوم لعلي : والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل ، فقال : أرايتموني ساررته ؟ ألم أبعث إليه جهرة وأنتم تسمعون ؟ فقالوا : فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك ، فقال علي لزيد بن هاني : ويحك ! قل له أقبل إلى فان الفتنة قد وقعت ، فلما رجع إليه يزيد بن هاني فأبلغه عن أمير المؤمنين أنه ينصرف عن القتال ويقبل إليه ، جعل يتململ ويقول : ويحك ألا ترى إلي ما نحن فيه من النصر ولم يبق إلا القليل ؟ فقلت : أيهما أحب إليك أن تقبل أو يقتل أمير المؤمنين كما قتل عثمان ؟ ثم ماذا يعني عنك نصرتك هاهنا ؟ قال : فأقبل الأشر إلى علي وترك القتال فقال : يا أهل العراق ! يا أهل النذل والوهن أحيين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها ، وسنة من أنزلت عليه ، فلا تحييهم ، أمهلوني فاني قد أحسست بالفتح ، قالوا : لا ! قال : أمهلوني عدو الفرس فاني قد طمعت في النصر ، قالوا إذا تدخل معك في خطيئتك ، ثم أخذ الأشر ينظر أولئك القراء الداعين إلى إجابة أهل الشام

بما حاصله : إن كان أول قتالكم هؤلاء حقاً فاستمروا عليه ، وإن كان باطلاً فاشهدوا لقتلناكم بالنار ، فقالوا : دعنا منك فإنا لا نطيعك ولا صاحبك أبداً ، ونحن قاتلنا هؤلاء في الله ، وتركنا قتالهم لله ، فقال لهم الأشر : خذعتم والله فأنخدعتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتهم ، يا أصحاب السوء كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ، يا أشباه النبيب الجلالة ما أنتم بربانيين بعدها . فابعدوا كما بعد القوم الظالمون . فسيبوه وسيبهم فضربروا وجهه دابته بسياطهم ، وجرت بينهم أمور طويلة ، ورغب أكثر الناس من العراقيين وأهل الشام بكاملهم إلى المصالحة والمسألة مدة لعله يتفق أمر يكون فيه حقن لدماء المسلمين ، فان الناس تفاوتوا في هذه المدة ، ولا سيما في هذه الثلاثة الأيام المتأخرة التي آخر أمرها ليلة الجمعة وهي ليلة الهريز . كل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ما ليس يوجد في الدنيا مثله ، ولهذا لم يفر أحد عن أحد ، بل صبروا حتى قتل من الفريقين فيما ذكره غير واحد سبعون ألفاً . خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام ، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق . قاله غير واحد منهم ابن سيرين وسيف وغيره . وزاد أبو الحسن ابن البراء - وكان في أهل العراق - خمسة وعشرون بديراً ، قال : وكان بينهم في هذه المدة تسعون زحفاً واختلفاً في مدة المقام بصفين فقال سيف : سبعة أشهر أو تسعة أشهر . وقال أبو الحسن بن البراء مائة وعشرة أيام . قلت : ومقتضى كلام أبي مخنف أنه كان من مستهل ذي الحجة في يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من صفر وذلك سبعة وسبعون يوماً والله أعلم ، وقال الزهري : بلغني أنه كان يدفن في القبر الواحد خمسون نفساً . هذا كله ملخص من كلام ابن جرير وابن الجوزي في المنظم

وقد روى البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان عن أبي اليان عن صفوان بن عمرو كان أهل الشام ستين ألفاً قتل منهم عشرون ألفاً ، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفاً قتل منهم أربعون ألفاً . وحمل البيهقي هذه الواقعة على الحديث الذي أخرجه في الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة ورواه البخاري من حديث شعيب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، ومن حديث شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) : « انه قال : لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة » . ورواه مجالد عن أبي الحوارى عن أبي سعيد مرفوعاً مثله ورواه الثوري عن ابن جديعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد . قال قال رسول الله (ص) : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة فينهما مرق منهما مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وقد تقدم ما رواه الامام أحمد عن مهدي وإسحاق عن سفيان عن منصور عن ربيع بن خراش عن البراء بن ناجية الكاهلي عن ابن مسعود . قال قال رسول الله (ص) : « إن رعى الاسلام ستزول الخمس وثلاثين أو ست

وثلاثين ، فان يهلكوا فسبيل من هلك ، وإن يقيم لهم دينهم يقيم لهم سبعين عاماً ، فقال عمر : يا رسول الله إنما مضى أم مما بقي ؟ قال : بل مما بقي . وقد رواه إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتاب جمعه في سيرة علي عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن شريك عن منصور به مثله . وقال أيضاً : حدثنا أبو نعيم ثنا شريك بن عبد الله النخعي عن مجالد عن عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله . قال قال لنا رسول الله (ص) : « إن ربحي الاسلام ستزول بعد خمس وثلاثين سنة فان يصطلحوا فيما بينهم بأكلوا الدنيا سبعين عاماً رغداً ، وإن يقتتلوا يركبوا سنين من كان قبلهم » وقال ابن ديزيل : حدثنا عبد الله بن عمر ثنا عبد الله بن خراش الشيباني عن العوام بن حوشب عن إبراهيم النخعي . قال قال رسول الله (ص) : « تدور ربحي الاسلام عند قتل رجل من بنى أمية » - يعني عثمان رضى الله عنه - وقال أيضاً : حدثنا الحكم عن نافع عن صفوان بن عمرو عن الأشياخ أن رسول الله (ص) دعى إلى جنازة رجل من الأنصار فقال - وهو قاعد ينتظرها - « كيف أنتم إذا راعيتم حملي [كذا] في الاسلام ؟ قال أبو بكر : أو يكون ذلك في أمة إلهها واحد ونبيها واحد ؟ قال : نعم ! قال : أفادرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : لا ! قال عمر : أفادرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : لا ! قال عثمان : أفادرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم ! بك يفنون » وقال أيضاً عمر لابن عباس : كيف يختلفون وإلههم واحد وكتابهم واحد وملتهم واحدة ؟ فقال : إنه سيجي قوم لا يفهمون القرآن كما نفهمه ، فيختلفون فيه فاذا اختلفوا فيه اقتتلوا . فأقر عمر بن الخطاب بذلك . وقال أيضاً : حدثنا أبو نعيم ثنا سعيد بن عبد الرحمن - أخو أبي حمزة - ثنا محمد بن سيرين قال : لما قتل عثمان قال عدى بن حاتم : لا ينتطح في قتله عثران . فلما كان يوم صفين فقتت عينه فتميل : لا ينتطح في قتله عثران ، فقال : بلى وتفقأ عيون كثيرة . وروى عن كعب الأبحار أنه مر بصفين فرأى حجارتهما فقال : لقد اقتتل في هذا الموضع بنو إسرائيل تسع مرات ، وإن العرب ستقتل فيها العاشرة ، حتى يتقاذفوا بالحجارة التي تقاذف فيها بنو إسرائيل ويتفانوا كما تفانوا . وقد ثبت في الحديث أن رسول الله (ص) قال : « سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من سواي فاستبىح بيضتهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط بعضهم على بعض فنفعنيها » ذكرنا ذلك عند تفسير قوله تعالى [أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض] قال رسول الله : هذا أهون .

قصة التحكيم

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها على التحكيم ، وهو أن يحكم كل واحد من الأميرين - علي ومعاوية - رجلاً من جهته . ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة للمسلمين . فوكل معاوية عمرو بن العاص ، وأراد علي أن يوكل عبد الله بن عباس - وليته فعل -

ولكنه منعه القراء ممن ذكرنا وقالوا : لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري . وذكر الهيثم بن عدي في كتاب الخوارج له أن أول من أشار بأبي موسى الأشعري الأشعث بن قيس ، وتابعه أهل اليمن ، ووصفوه أنه كان ينهى الناس عن الفتنة والقتال ، وكان أبو موسى قد اعتزل في بعض أرض الحجاز . قال علي : فاني أجعل الأشتر حكماً ، فقالوا : وهل سعر الحرب وشعر الأرض إلا الأشتر ؟ قال : فاصنعوا ما شئتم ، فقال الأحنف لعلی : والله لقد رميت بحجر إنه لا يصلح هؤلاء القوم إلا رجل منهم ، يدنو منهم حتى يصير في أكنفهم ، ويبتعد حتى يصير بمنزلة النجم ، فان أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً وثالثاً ، فانه لن يعقد عقدة إلا أحلها ، ولا يحل عقدة إلا عقدت لك أخرى مثلها أو أحكم منها . قال : فأبوا إلا بأبوموسى الأشعري فذهبت الرسل إلى أبي موسى الأشعري . وكان قد اعتزل . فلما قيل له إن الناس قد اصطلحوا قال : الحمد لله ، قيل له : وقد جعلت حكماً ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم أخذوه حتى أحضروه إلى علي رضي الله عنه وكتبوا بينهم كتاباً هذه صورته .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، فقال عمرو بن العاص : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم وليس بأمرنا ، فقال الأحنف : لا تكتب إلا أمير المؤمنين ، فقال علي : امح أمير المؤمنين واكتب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ثم استشهد علي بقصة الحديبيه حين امتنع أهل مكة هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فامتنع المشركون من ذلك وقالوا : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فكتب الكاتب : هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى عليّ عليّ أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين ، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من المؤمنين والمسلمين إنا ننزل عند حكم الله وكتابه ونحیی ما أحیی الله ، ونمیت ما أمات الله فما وجد الحكمان في كتاب الله - وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص - ، عملا به وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المتفرقة

ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين اليهود والمواثيق أنهما آمانان على أنفسهما وأهلهم ، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الـ "مقتنين" كتبهما عهد الله وميثاقه أنهما على ما في هذه الصحيفة ، وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أجباً أن يوخرا ذلك على تراض منهما ، وكتب في يوم الأربعاء ثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين ، على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحككين بدومة الجندل في رمضان ، ومع كل واحد من الحككين أربع مائة من أصحابه ، فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح ، وقد ذكر الهيثم في كتابه في الخوارج أن الأشعث بن قيس لما ذهب إلى معاوية بالكتاب وفيه : « هذا ما قاضى عبد الله علي

أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان « قال معاوية : لو كان أمير المؤمنين لم أقاتله ، ولكن ليكتب اسمه وليبدأ به قبل اسمي لفضله وسابته ، فرجع إلى علي فكتب كما قال معاوية . وذكر الهيثم أن أهل الشام أبوا أن يبدأ باسم علي قبل معاوية ، وباسم أهل العراق قبلهم ، حتى كتب كتابان كتاب لهؤلاء فيه تقديم معاوية على علي وكتاب آخراً لأهل العراق بتقديم اسم علي وأهل العراق على معاوية وأهل الشام وهذه تسمية من شهد على هذا التحكيم من جيش علي : عبد الله بن عباس ، والأشعث ابن قيس الكندي ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وعبد الله بن الطفيل المعافري ، وحجر بن يزيد الكندي ، وورقاء بن محمى العجلي ، وعبد الله بن بلال العجلي ، وعقبة بن زياد الأنصاري ، ويزيد ابن جحظة التميمي ، ومالك بن كعب الهمداني . فهؤلاء عشرة . وأما من الشاميين فعشرة آخرون ، وهم أبو الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلمة ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ومخارق بن الحارث الزبيدي ، ووائل بن علقمة العدوي ، وعلقمة بن يزيد الحضرمي ، وحزمة بن مالك الهمداني ، وسبيع بن يزيد الحضرمي ، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية ، ويزيد بن الحر العبسي . وخرج الأشعث بن قيس بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه على الطائفتين . ثم شرع الناس في دفن قتلاهم قال الزهري : بلغني أنه دفن في كل قبر خمسون نفساً ، وكان علي قد أسرجاعة من أهل الشام ، فلما أراد الانصراف أطلقهم ، وكان مثلهم أو قريب منهم في يد معاوية وكان قد عزم على قتلهم لظنه أنه قد قتل أسراهم ، فلما جاءه أولئك الذين أطلقهم أطلق معاوية الذين في يده ، ويقال إن رجلاً يقال له عمرو بن أوس - من الأزد - كان من الأسارى فأراد معاوية قتله فقال : امنن علي فانك خالي ، فقال : ويحك ! من أين أنا خالك ؟ فقال : إن أم حبيبة زوجة رسول الله (ص) ، وهي أم المؤمنين وأنا ابنها وأنت أخوها وأنت خالي ، فأعجب ذلك معاوية وأطلقه . وقال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم - وذكر أهل صفين - فقال : كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً في الجاهلية فالتقوا في الإسلام معهم على الحمية وسنة الإسلام ، فتصابروا واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا تهاجروا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، وهؤلاء في عسكر هؤلاء ، فيستخرجون قتلاهم فيدفنهم . قال الشعبي : هم أهل الجنة ، أتى بعضهم بعضاً فلم يفر أحد من أحد .

خروج الخوارج

وذلك أن الأشعث بن قيس مر على ملا من بني نعيم فقرأ عليهم الكتاب فقام إليه عروة بن أذينة وهي أمه وهو عروة بن جرير من بني ربيعة بن حنظلة وهو أخو أبي بلال بن مرداس بن جرير فقال : أتحكمون في دين الله الرجال ؟ ثم ضرب بسيفه عجز دابة الأشعث بن قيس ، فغضب الأشعث وقومه ، وجاء الأخنف بن قيس وجماعة من رؤسائهم يعتنرون إلى الأشعث بن قيس من ذلك ،

قال الهيثم بن عدي : والخوارج يزعمون أن أول من حكم عبد الله بن وهب الراسبي . قلت : والصحيح الأول وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل طوائف من أصحاب علي من القراء وقالوا : لا حكم إلا لله ، فسموا المحكية . وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين ، وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه ، ورجع علي إلى الكوفة على طريق هيت فلما دخل الكوفة سمع رجلا يقول : ذهب علي ورجع في غير شيء . فقال علي : للذين فارقناهم خير من هؤلاء وأنشأ يقول :

أخوك الذي إن أخرجك ملة * من الدهر لم يبرح لبك راحا
وليس أخوك بالذي إن تشعبت * عليك أمور ظل يلحاك لأنما

ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الامارة من الكوفة ، ولما كان قد قارب دخول الكوفة اعتزل من جيشه قريب من - اثني عشر ألفا - وهم الخوارج ، وأبوا أن يساكنوه في بلده ، ونزلوا بمكان يقال له حروراء وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها ، فبعث إليهم على رضى الله عنه عبد الله بن عباس فناظرهم فرجع أكثرهم وبقي بقيتهم ، فقاتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه كما سيأتي بيانه وتفصيله قريبا إن شاء الله تعالى . والمقصود أن هؤلاء الخوارج هم المشار إليهم في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله (ص) : « قال تمرق مارقة على حين فرقة من الناس - وفي رواية من المسلمين ، وفي رواية من أمي - فيقتلها أولى الطائفتين » . وهذا الحديث له طرق متعددة وألفاظ كثيرة قال الامام أحمد : حدثنا وكيع وعفان بن القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد .. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » . رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن القاسم بن محمد به . وقال أحمد : حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (ص) : « تكون أمي فرقتين نخرج بينهما مارقة تلي قتلها أولاها » . ورواه مسلم من حديث قتادة وداود بن أبي هند عن أبي نضرة به . وقال أحمد : حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (ص) : « ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس ، سيأهم التحليق هم شر الخلق - أو من شر الخلق - يقتلهم أدنى الطائفتين من الحق » . قال أبو سعيد : فأنتم قتلتموهم يا أهل العراق . وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري . قال قال رسول الله (ص) : « تفرق أمي فرقتين فتمرق بينهما مارقة فيقتلها أولى الطائفتين بالحق » . ورواه عن يحيى القطان عن عوف وهو الأعرابي به مثله فهذه طرق متعددة عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة العبدي ، وهو أحد الثقات الرفاه ورواه مسلم أيضا من حديث سفیان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاک المشرق عن أبي سعيد بنحوه .

فهذا الحديث من دلائل النبوة إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق ، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجملة الظعام ، من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن أصحاب على أدنى الطائفتين إلى الحق ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً ، وهو مأجور إن شاء الله ، ولكن على هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخارى من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله (ص) قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » وسيأتى بيان كيفية قتال على رضى الله عنه للخوارج ، وصفة المخدج الذى أخبر عنه عليه السلام فوجد كما أخبر ففرح بذلك على رضى الله عنه وسجد للشكر .

قصة علي بن أبي طالب

قد تقدم أن علياً رضى الله عنه لما رجع من الشام بعد وقعة صفين ، ذهب إلى الكوفة ، فلما دخلها انزل عنه طائفة من جيشه ، قيل ستة عشر ألفاً وقيل اثني عشر ألفاً ، وقيل أقل من ذلك ، فباينوه وخرجوا عليه وأنكروا أشياء ، فبعث إليهم عبد الله بن عباس فناظرهم فيها ورد عليهم ما توهموه شبهة ، ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر ، فرجع بعضهم واستمر بعضهم على ضلالهم حتى كان منهم ما سنورده قريباً ، ويقول إن علياً رضى الله عنه ذهب إليهم فناظرهم فيما نعموا عليه حتى استرجعهم عما كانوا عليه ، ودخلوا معه الكوفة ، ثم إنهم عاهدوا فسكثوا ما عاهدوا عليه وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام على الناس في ذلك ثم تحيزوا إلى موضع يقال له النهر وان ، وهناك قاتلهم على كما سيأتى . قال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع حدثني يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الله بن عياض بن عمرو القارى قال : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها مرجعه من العراق ليالى قبل على ، فقالت له : يا عبد الله بن شداد هل أنت صادق عما أسألك عنه ؟ فحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم على ، فقال : ومالى لا أصدقك ؟ قالت : فحدثني عن قصتهم ، قال : فان علياً لما كاتب معاوية وحكم الحكيم خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس قتلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة ، وأنهم عتبوا عليه فقالوا : انسلخت من قيص ألبسكه الله ، واسم سمالك به الله ثم انطلقت فحكمت في دين الله ولا حكم إلا الله ، فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه وطارقوه عليه ، أمر فأذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل إلا رجلاً قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول : أيها المصحف ! حدث الناس فناداه الناس فقالوا :

يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه، فإذا تريد؟ قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل : [وإن ختم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما] فامة محمد (س) أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل ، ونقموا على أن كاتبت معاوية كتبت على بن أبي طالب ، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله (س) بالحديبية حين صالح قومه قريشا فكتب رسول الله (س) : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : كيف تكتب ؟ « قال أكتب باسمك اللهم ! فقال رسول الله (س) : أكتب فكتب ، فقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشا ، يقول الله تعالى في كتابه [لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر] فبعث إليهم عبد الله بن عباس فخرجت معه حتى إذا توسطت عسكرهم ققام ابن الكوا فخطب الناس فقال يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس فن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه ممن يخاصم في كتاب الله بما لا يعرفه ، هذا ممن نزل فيه وفي قومه [بل هم قوم خصمون] فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله ، فقال بعضهم : والله لنواضعه فان جاء بحق نعمه فله لتبغينه وإن جاء بباطل لنكتبته بباطله ، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام ، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب ، فيهم ابن الكوا ، حتى أدخلهم على الكوفة ، فبعث على إلى بقيتهم فقال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم ، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد (س) بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً أو تقطعوا سبيلاً أو تظلموا ذمة فأنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء [إن الله لا يحب الخائنين] فقالت له عائشة : يا ابن شداد فقتلهم فقالوا والله ما بعثت إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدماء واستحلوا أهل الذمة ، فقالت الله ، قال : الله لا إله إلا هو قد كان ذلك ، قالت : فما شئ بلغني عن أهل العراق يقولون ذو الندى وذو الندية ؟ قال : قد رأيته وكنت مع علي في القتلى فدعا الناس فقال : أتعرفون هذا ؟ فما أكثر من جاء يقول : قد رأيته في مسجد بني فلان ، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك . قالت : فما قول علي حيث قام عليه كما يزعم أهل العراق ؟ قال سمعته يقول صدق الله ورسوله قالت : هل سمعت منه أنه قال غير ذلك ؟ قال : اللهم لا ! قالت أجل ! صدق الله ورسوله ، يرحم الله علياً إنه كان لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله ، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث تفرد به أحمد وإسناده صحيح واختاره الضياء في هذا السياق ما يقتضي أن عندهم كانوا ثمانية آلاف ، ليكن من القراء ، وقد يكون واطأهم على منذهبهم آخرون من غيرهم حتى بلغوا

اثني عشر ألفاً ، أو ستة عشر ألفاً . ولما ناظرهم ابن عباس رجع منهم أربعة آلاف وبقي بقيتهم على ما هم عليه ، وقد رواه يعقوب بن سفيان عن موسى بن مسعود عن عكرمة بن عمار عن سماك أبي زميل عن ابن عباس فذكر القصة وأنهم عتبوا عليه في كونه حكم الرجال ، وأنه يحى اسمه من الأثرة ، وأنه غزا يوم الجمل فقتل الأنفس الحرام ولم يقسم الأموال والسبي ، فأجاب عن الأولين بما تقدم ، وعن الثالث بما قال : قد كان في السبي أم المؤمنين فان قلتم ليست لكم بأم فقد كفرتم ، وإن استحلتم سبي أمهاتكم فقد كنزتم . قال : فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا . وذكر غيره أن ابن عباس لبس حلة لما دخل عليهم ، فناظروه في لبسه إياها ، فاحتج بقوله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق [الآية . وذكر ابن جرير أن علياً خرج بنفسه إلى بقيتهم فلم يزل يناظرهم حتى رجعوا معه إلى الكوفة وذلك يوم عيد الفطر أو الأضحى شك الراوى في ذلك ، ثم جعلوا يعرضون له في الكلام ويسمعونه شتما ويتأولون بتأويل في قوله . قال الشافعي رحمه الله : قال رجل من الخوارج لعل وهو في الصلاة [لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين] فقرأ على [فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون] .

وقد ذكر ابن جرير أن هذا كان وعلى في الخطبة . وذكر ابن جرير أيضاً أن علياً بينما هو يخطب يوماً إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال : يا على أشركت في دين الله الرجال ولا حكم إلا لله ، فتنادوا من كل جانب لاحكم إلا لله ، لاحكم إلا لله ، فجعل على يقول : هذه كلمة حق يراد بها باطل ، ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم فيها ما دامت أيديكم معنا ، وأن لا نمنعكم مساجد الله ، وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤنا . ثم إنهم خرجوا بالسكينة عن الكوفة ونحيزوا إلى النهر وان على ما ساند كره بعد حكم الحكيم .

اجتماع الحكمين أبي موسى وعمر بن العاص بدومة الجندل

وذلك في شهر رمضان كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصقين ، وقال الواقدي اجتمعوا في شعبان . وذلك أن علياً رضي الله عنه لما كان محجى رمضان بعث أربعمائة فارس مع شريح بن هانئ ، ومعهم أبو موسى ، وعبد الله بن عباس ، وإليه الصلاة وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة فارس من أهل الشام ومنهم عبد الله بن عمر ، فتوافوا بدومة الجندل بأذرح - وهي نصف [المسافة] بين الكوفة والشام ، بينها وبين كل من البلدين تسع مراحل - وشهد معهم جماعة من رؤس الناس ، كعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخزومي .

وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبي جهم بن حديفة . وزعم بعض الناس أن سعد بن أبي وقاص شهدهم أيضاً ، وأنكر حضوره آخرون . وقد ذكر ابن جرير أن عمر بن سعد خرج إلى أبيه وهو على ماء لبنى سليم بالبادية معتزل : فقال يا أبة : قد بلغك ما كان من الناس بصفين ، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري وعمر بن العاص ، وقد شهدهم نفر من قريش ، فاشهدهم فانك صاحب رسول الله (ص) ، وأحد أصحاب الشورى ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة . فقال : لا أفعل ! إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنه ستكون فتنة خیر الناس فيها الخفي البقي » والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً . وقد قال الامام أحمد - حدثنا أبو بكر الخفي عبد الكبير بن عبد المجيد ثنا بكر بن سيار عن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فلما أتاه قال : يا أبة أرضيت أن تكون أعرايياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة ؟ فضرب سعد صدر عمر وقال : اسكت فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي » وهكذا رواه مسلم في صحيحه . وقال أحمد أيضاً : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا كثير بن زيد الأسلمي عن المطلب عن عمر بن سعد عن أبيه أنه جاءه ابنه عامر فقال : يا أبة : الناس يقاتلون على الدنيا وأنت ههنا ؟ فقال : يا بني أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأساً ؟ لا والله حتى أعطى سيفاً إن ضربت به مؤمناً نبا عنه وإن ضربت به كافراً قتلت ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن الله يحب الغني الخفي التقي » وهذا السياق كان عكس الأول ، والظاهر أن عمر بن سعد استعان بأخيه عامر على أبيه ليشير عليه أن يحضر أمر التحكيم لعلهم يعدلون عن معاوية وعلى ويولونه فامتنع سعد من ذلك وأباه أشد الأباء وقنع بما هو فيه من الكفاية والخفاء كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله (ص) قال : قد « أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » وكان عمر بن سعد هذا يحب الامارة ، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنه كما سيأتي بيانه في موضعه ، ولو قنع بما كان أبوه عليه لم يكن شيء من ذلك . وللقصود أن سعداً لم يحضر أمر التحكيم ولا أراد ذلك ولا لم به ، وإنما حضره من ذكرنا . فلما اجتمع الحكماء تراووا على المصلحة للمسلمين ، ونظروا في تقدير أمورهم اتفاقاً على أن يعزلا عليا ومعاوية ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما ، وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال له عمرو : فوالأبي عبد الله فانه يقاربه في العلم والعمل والزهد . فقال له أبو موسى : إنك قد غمست ابنك في الفتن معك ، وهو مع ذلك رجل صدق .

قال أبو مخنف : فحدثني محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال قال عمرو بن العاص : إن هذا

الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرر يأكل ويطعم . وكان ابن عمر فيه غفلة ، فقال له ابن الزبير : افطن وانتبه ، فقال ابن عمر : لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً ، ثم قال : يا ابن العاص إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تقارعت بالسيوف وتشاكت بالرماح ، فلا تردنهم في فتنة مثلها أو أشد منها ثم إن عمرو بن العاص حاول أبا موسى على أن يقر معاوية وحده على الناس فأبى عليه ، ثم حاوله ليكون ابنه عبد الله بن عمرو هو الخليفة ، فأبى أيضاً ، وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمرو فامتنع عمرو أيضاً ، ثم اصطلحا على أن يخلعا معاوية وعليها ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم ، ثم جاء إلى الجمع الذي فيه الناس - وكان عمرو لا يتقدم بين يدي أبي موسى بل يقدمه في كل الأمور أدباً وإجلالاً - ، فقال له : يا أبا موسى قم فأعلم الناس بما اتفقنا عليه ، فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على رسول الله (ص) ، ثم قال : أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصلح لها ولا ألم لشعبها من رأى اتفقت أنا وعمرو عليه ، وهو أنا نخلع عليا ومعاوية ونترك الأمر شورى ، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه ، وإني قد خلعت عليا ومعاوية . ثم تنحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هذا قد قال ما سمعتم ، وإنه قد خلع صاحبه ، وإني قد خلعت كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فانه ولي عثمان بن عفان ، والطالب بدمه ، وهو أحق الناس بمقامه - وكان عمرو بن العاص رأى أن ترك الناس بلا إمام والحالة هذه يؤدي إلى مفسدة طويلة عريضة أربى مما الناس فيه من الاختلاف ، فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة ، والاجتهاد يخطئ ويصيب . ويقال إن أبا موسى تكلم معه بكلام فيه غلظة ورد عليه عمرو بن العاص مثله .

وذكر ابن جرير أن شريح بن هانئ - مقدم جيش على - وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط وقام إليه ابن عمرو فضربه بالسوط ، وتفرق الناس في كل وجه إلى بلادهم ، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة ، وأما أبو موسى فاستحي من على فذهب إلى مكة ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى على فأخبراه بما فعل أبو موسى وعمرو ، فاستضعفوا رأى أبي موسى وعرفوا أنه لا يوازن عمرو بن العاص . فذكر أبو مخنف عن أبي حباب الكلبي أن عليا لما بلغه ما فعل عمرو كان يلعن في قنوته معاوية ، وعمرو بن العاص ، وأبا الأعور السلمي ، وحبيب ابن مسلمة ، والضحاك بن قيس ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والوليد بن عتبة ، فلما بلغ ذلك معاوية كان يلعن في قنوته عليا وحسنا وحسينا وابن عباس والأشتر النخعي ، ولا يصح هذا والله أعلم . فأما الحديث الذي قال البيهقي في الدلائل : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا إسماعيل بن الفضل ثنا قتيبة بن سعيد عن جرير عن زكريا بن يحيى عن عبد الله

ابن يزيد وجبيب بن يسار عن سويد بن غفلة قال : إني لا مشى مع على بشط الفرات فقال : قال رسول الله ص : « إني بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكيم فضلا وأضلا ، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكيم فيضلان ويضلان من اتبعهما » فانه حديث منكر ورفع موضوع والله أعلم . إذ لو كان هذا معلوماً عند على لم يوافق على تحكيم الحكمين حتى لا يكون سبباً لا ضلال الناس ، كما نطق به هذا الحديث . وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى وهو الكندي الحميري الأعمى قال ابن معين ليس بشيء .

خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم علياً

لما بعث على أبا موسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل اشتد أمر الخوارج وبالغوا في النكير على على وصرحوا بكفره ، فجاء إليه رجلان منهم ، وهما زرعة بن البرج الطائي ، وحر قوص بن زهير السعدي فقالا : لا حكم إلا لله ، فقال على : لا حكم إلا لله ، فقال له حر قوص : تب من خطيئتك واذهب بنا إلى عدونا حتى نقاتلهم حتى نلقى ربنا . فقال على : قد أردتكم على ذلك فأبيت ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهداً وقد قال الله تعالى : [وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم] الآية فقال له حر قوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه ، فقال على : ما هو بذنب ولا سكة عجز من الرأي ، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ، ونهيتكم عنه ، فقال له زرعة بن البرج : أما والله يا على لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله لأقاتلنك أطلب بذلك رحمة الله ورضوانه ، فقال على : تباً لك ما أشقاك ! كأني بك قتيلاً تسقى عليك الريح ، فقال : وددت أن قد كان ذلك ، فقال له على : إنك لو كنت محقاً كان في الموت تعزية عن الدنيا ، ولكن الشيطان قد استهمواكم . فخرجا من عنده يحكان وفشي فيهم ذلك ، وجاهروا به الناس ، وتعرضوا لعلى في خطبه وأسمعوه السب والشتم والتعريض بآيات من القرآن ، وذلك أن علياً قام خطيباً في بعض الجمع فذكر أمر الخوارج فذمه وعابه . فقام جماعة منهم كل يقول لا حكم إلا لله ، وقام رجل منهم وهو واضح إصبه في أذنيه يقول : [ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين] فجعل على يقلب يديه هكذا وهكذا وهو على المنبر ويقول : حكم الله تنتظر فيكم . ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا ما لم تخرجوا علينا ولا نمنعكم نصيبكم من هذا النقي ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقتلونا . وقال أبو مخنف عن عبد الملك عن أبي حرة أن علياً لما بعث أبا موسى لأفاد الحكومة اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسي فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في هذه الدنيا ورغبتهم في الآخرة والجنة ،

وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم قال : فأخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال ، أو بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه الأحكام الجائرة . ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا يدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها ، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم [إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون] فقال سنان بن حمزة الأسدي : يا قوم إن الرأي ما رأيتم ، وإن الحق ما ذكرتم ، فولوا أمركم رجلا منكم ، فانه لا بد لكم من عماد وسناد ، ومن راية تحفون بها وترجعون إليها ، فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي - وكان من رؤسهم - فعرضوا عليه الأمانة فأبى ، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى ، وعرضوها على سنان فأبى ، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي قبلها وقال : أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت . واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصن الطائي السبسي فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى [يادأود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله] الآية . وقوله تعالى : [ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون] وكذا التي بعدها وبعدها الظالمون الفاسقون ثم قال : فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ، ونبذوا حكم الكتاب ، وجاروا في القول والأعمال ، وأن جهادهم حق على المؤمنين ، فيكي رجل منهم يقال له عبد الله بن سبخرة السلي ، ثم عرض أولئك على الخروج على الناس ، وقال في كلامه : اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم ، فإن أنتم ظفرتهم وأطيع الله كما أردتم أنابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره . وإن قتلتم فأى شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله ورحمته ؟ قلت : وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم ، فسبحان من نوع خلقه كما أراد ، وسوق في قدره العظيم . وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج إنهم المذكورون في قوله تعالى : [قل هل ننبتكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فخبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا] والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال ، والأشقياء في الأقوال والأفعال ، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ، وتواطئوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها ويعيشوا إلى إخوانهم وأضرابهم - ممن هو على رأيهم ومذهبهم ، من أهل البصرة وغيرها - فيوافقهم إليها . ويكون اجتماعهم عليها . فقال لهم زيد بن حصن الطائي : إن المدائن لا تقدر أن تكون عليها ، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعوها منكم ، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوحى ، ولا تخرجوا من الكوفة جماعت ،

ولكن اخرجوا وحدانا ثلاثا يظن بكم ، فكتبوا كتابا علما إلى من هو على منهيهم ومسلهم من أهل البصرة وغيرها وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يدا واحدة على الناس ، ثم خرجوا يتسللون وحدانا ثلاثا يعلم أحد بهم فيمنعهم من الخروج فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأخوال والخلالات وفارقوا سائر القربات ، يعتقدون بحبلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضى رب الأرض والسماوات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات ، والمظالم والخطيئات ، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السماوات الذي نصب العداوة لأبينا آدم ثم لنديته مادامت أرواحهم في أجسادهم مترددات ، والله المستول أن يعصنا منه بحوله وقوته إنه مجيب الدعوات ، وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم فردوهم وأنبوهم ووبخوهم فمنهم من استمر على الاستقامة ، ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخر إلى يوم القيامة ، وذهب الباقيون إلى ذلك الموضع ووافي إليهم من كانوا كتبوا إليه من أهل البصرة وغيرها ، واجتمع الجميع بالتهروان وصارت لهم شوكة ومنعة ، وهم جند مستقلون وفيهم شجاعة وعندهم أنهم مقربون بذلك . فهم لا يصطلي لهم بنار ، ولا يطمع في أن يؤخذ منهم بثأر ، وبالله المستعان . وقال أبو مخنف عن أبي روق عن الشعبي أن عليا لما خرجت الخوارج إلى النهروان وهرب أبو موسى إلى مكة ، ورد ابن عباس إلى البصرة ، قام في الناس بالكوفة خطيبا فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدثان الجليل الكادح ، وأشهد أن لا إله غيره وأن محمدا رسول الله ، أما بعد فإن المعصية تشين وتسوء وتورث الحسرة ، وتغيب الندم ، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة بأمرى ، ونحلتكم رأيى ، فأيتيم إلا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغدر

ثم تكلم فيما فعله الحكمان فرد عليهما ما حكما به وأنهما ، وقال ما فيه حظ عليهما ، ثم ندب الناس إلى الخروج إلى الجهاد في أهل الشام ، وعين لهم يوم الاثنين يخرجون فيه ، وكتب إلى ابن عباس وإلى البصرة يستنفر له الناس إلى الخروج إلى أهل الشام ، وكتب إلى الخوارج يعلمهم أن الذي حكم به الحكمان مردود عليهما ، وأنه قد عزم على الذهاب إلى الشام ، فلهوا حتى نجتمع على قتالهم . فكتبوا إليه : أما بعد فأنك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك وإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سواء [إن الله لا يحب الخائنين] ، فلما قرأ على كتابهم يئس منهم وعزم على الذهاب إلى أهل الشام ليناجزهم ، وخرج من الكوفة إلى النخيلة في عسكر كثيف - خمسة وستين ألفا - وبعث إليه ابن عباس بثلاثة آلاف ومائتي فارس من أهل البصرة مع جارية بن قدامة ألف وخمسة مائة ، ومع أبي الأسود

الدولى ألف وسبعمائة ، فكل جيش على في ثمانية وستين ألف فارس ومائتى فارس وقام على أمير المؤمنين خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر عند لقاء العدو ، وهو عازم على الشام ، فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الخوارج قد عاثوا في الأرض فساداً وسفكوا الدماء وقطعوا السبل واستحلوا المحارم ، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (ص) ، أسروه وامراته معه وهى حامل فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (ص) . وانكم قد روعتموه فقالوا : لا بأس عليك ، حدثنا ما سمعت من أيك فقال : سمعت أبى يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : « ستكون فتنه القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى خير من الساعى » فاقنادوه بيده فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمة فضربه بعضهم فشق جلده فقال له آخر : لم فعلت هذا وهو لذى ؟ فذهب إلى ذلك الذى فاستحله وأرضاه وبينما هو معهم إذ سقطت ثمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها فى فمه ، فقال له آخر : بغير إذن ولا تمن ؟ فألقاها ذاك من فمه ، ومع هذا قدموا عبد الله بن خباب فذبجوه ، وجاؤا إلى امرأته فقالت : إني امرأة حبلى ، ألا تتقون الله ، فذبجوها وبقروا بطنها عن ولدها ، فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهله أن يخلفهم هؤلاء فى ذراريهم وديارهم بهذا الصنع ، فخافوا غائلتهم ، وأشاروا على على بأن يبدأ هؤلاء ، ثم إذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام بعد ذلك والناس آمنون من شر هؤلاء فاجتمع رأى على هذا وفيه خيرة عظيمة لهم ولأهل الشام أيضاً فأرسل على إلى الخوارج رسولاً من جهته وهو الحرب بن مرة العبدى ، فقال : أخبر لى خبرهم ، واعلم لى أمرهم واكتب إلى به على الجلية ، فلما قدم عليهم قتلوه ولم ينظروه ، فلما بلغ ذلك علياً عزم على الذهاب إليهم أولاً قبل أهل الشام .

مسير أمير المؤمنين على إلى الخوارج

لما عزم على ومن معه من الجيش على البداءة بالخوارج ، نادى مناديه فى الناس بالرجيل فبهر الجسر فصلى ركعتين عنده ثم سلك على دير عبد الرحمن ، ثم دير أبى موسى ، ثم على شاطئ الفرات ، فلقى هنالك منجم فأشار عليه بوقت من النهار يسير فيه ولا يسير فى غيره ، فانه يخشى عليه نخالقه على فسار على خلاف ما قال فأظفره الله ، وقال على : إنما أردت أن أبين للناس خطاه وخشيت أن يقول جاهل ، إنما ظفر لكونه واقفه ، وسلك على ناحية الأنبار وبث بين يديه قيس ابن سعد ، وأمره أن يأتى المدائن وأن يتلقاه بنائها سعد بن مسعود ، وهو أخو عبد الله بن مسعود الثقفى - فى جيش المدائن فاجتمع الناس هنالك على على ، وبث إلى الخوارج : أن ادفءوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم ثم أنا تارككم وذاهب إلى العرب - يعنى أهل الشام - ثم لعل الله أن يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه . فبعثوا إلى على يقولون : كلنا قتل إخوانكم ونحن

مستحلون دماءهم ودماءكم ، فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، فلم ينفع وكذلك أبو أيوب الأنصاري أنبهم ووبخهم فلم ينجع ، وتقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إليهم فوعظهم وخوفهم وحذرهم وأنذرهم وتوعدهم وقال : إنكم أنكرتم علي أمراً أنتم دعوتوني إليه فبهيتكم عنه فلم تقبلوا بها أنا وأنتم فارجعوا إلى ما خرجتم منه ولا ترتكبوا محارم الله فانكم قد سولت لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليه المسلمين ، والله لو قتلتم عليه دجاجة لكان عظيمًا عند الله ، فكيف بدماء المسلمين ؟ فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تسكلموهم وتهيؤوا للقاء الرب عز وجل ، الرواح الرواح إلى الجنة . وتقدموا فاصطموا للقتال وتأهبوا للنزال فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصن الطائي السنبسي ، وعلى اليسرة شريح بن أوفى ، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان ، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي . ووقفوا مقاتلين على وأصحابه . وجعل علي على ميمنته حجر بن عدى ، وعلى اليسرة شبيث بن ربعي ومعل بن قيس الرياحي ، وعلى الخليل أبا أيوب الأنصاري ، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري ، وعلى أهل المدينة - وكانوا في سبعمائة - قيس بن سعد بن عبادة ، وأمر علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم : من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا قيمن قتل إخواننا ، فانصرف منهم طوائف كثيرون - وكانوا في أربعة آلاف - فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي ، فزحفوا إلى علي فقدم علي بين يديه الخليل وقدم منهم الرماة وصف الرجالة وراء الخيالة ، وقال لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدوكم ، وأقبلت الخوارج يقولون : لا حكم إلا لله ، الرواح الرواح إلى الجنة ، فخلوا على الخيالة الذين قدمهم علي ، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة ، وأخرى إلى اليسرة ، فاستبغت منهم الرماة بالنبل ، فرموا وجوههم ، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة واليسرة ونهض إليهم الرجال بالرمح والسيوف فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنانك الخيول ، وقتل أمراؤهم عبد الله بن وهب ، وحرقوص بن زهير ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله بن سخبرة السلمي ، قبحهم الله . قال أبو أيوب : وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح فانفذته من ظهره وقتلت له : أبشر يا عدو الله بالنار ، فقال : ستعلم أينما أولى بها صلياً . قالوا : ولم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة نفر وجعل علي يمشي بين القتلى منهم ويقول : بؤساً لكم ! لقد ضركم من غركم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ومن غركم ؟ قال : الشيطان وأنفس بالسوء أماراة ، غرتهم بالأمانى وزيدت لهم المعاصي ، ونبأتهم أنهم ظاهرون ثم أمر بالجرحي من بينهم فاذا هم أربعائة ، فسلمهم إلى قبائلهم ليدأوهم ، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم . وقال الهيثم بن عدى في كتاب الخوارج : وحدثننا محمد بن قيس الأسدي ومنصور بن دينار عن عبد الملك

ابن ميسرة عن التزال بن سبرة أن علياً لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهر وان ولكن رده إلى أهله كله حتى كان آخر ذلك مرجل أتى به فردّه . وقال أبو مخنف : حدثني عبد الملك بن أبي حرة أن علياً خرج في طلب ذي الندية ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو حرة والريان بن صبرة بن هودة فوجده الرياني في حفرة على جانب النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً ، قال : فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كئدى المرأة له حلقة عليها شعرات سود ، فإذا مدت امتدت حتى تحاذى يده الأخرى ثم تنزل فتعود إلى منكبه كئدى المرأة ، فلما رآه على قال : أما والله ما كذبت لولا أن تتكلموا على العمل لاخبرتكم بما قضى الله في قتالهم عارفاً للحق . وقال الهيثم بن عدي في كتابه في الخوارج : وحدثني محمد بن ربيعة الأحنسي عن نافع بن مسلمة الأحنسي قال كان ذو الندية رجلاً من عرنة من بجيلة ، وكان أسود شديد السواد ، له ريح منتنة معروف في العسكر ، وكان يرافقنا قبل ذلك وينازلنا وتنازله . وحدثني أبو إسماعيل الحنفي عن الريان بن صبرة الحنفي . قال : شهدنا النهر وان مع علي ، فلما وجد الخدج سجد سجدة طويلة . وحدثني سفيان الثوري عن محمد بن قيس الهمداني عن رجل من قومه يكنى أبا موسى أن علياً لما وجد الخدج سجد سجدة طويلة . وحدثني بونس بن أبي إسحاق حدثني إسماعيل عن حبة العرنى . قال : لما أقبل أهل النهر وان جعل الناس يقولون : الحمد لله يا أمير المؤمنين انذى قطع دابرهم . فقال علي : كلا والله إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فإذا خرجوا من بين الشرايين قتل ما يلقون أحداً إلا ألبوا أن يظهروا عليه ، قال : وكان عبد الله بن وهب الراسبي قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة السجود ، وكان يقال له : ذو البينات . وروى الهيثم عن بعض الخوارج أنه قال : ما كان عبد الله بن وهب من بغضه علياً يسميه إلا الجاحد . وقال الهيثم بن عدي : ثنا إسماعيل عن خالد عن علقمة بن عامر قال : سئل علي عن أهل النهر وان أمشركون هم ؟ فقال : من الشرك فروا ، قيل أفنفاقون ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً : فقيل فاهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : إخواننا يغفوا علينا فقاتلناهم يبغيهم علينا . فهذا ما أورده ابن جرير وغيره في هذا المقام .

ما ورد فيهم من الأحاديث الشريفة

الحديث الأول : عن علي رضي الله عنه ، ورواه عنه زيد بن وهب ، وسويد بن غفلة ، وطارق ابن زياد ، وعبد الله بن شداد ، وعبيد الله بن أبي رافع ، وعبيدة بن عمرو السلماني ، وكليب أبو عاصم ، وأبو كثير وأبو مریم ، وأبو موسى ، وأبو وائل الوضي فهذه اثنتا عشرة طريقاً إليه سترها بأسانيدها وألفاظها ومثل هذا يبلغ حد التواتر .

الطريق الاول

قال مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا عبد بن حميد ثنا عبد الرزاق عن همام ثنا عبد الملك ابن أبي سليمان ثنا سلمة بن كهيل حدثني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي : يا أيها الناس إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج قوم من أمي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم (ص) ، لا تسكوا على العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد ليس لها ذراع ، على رأس عضده مثل حلة الندي ، عليه شعرات بيض ، فيذهبون إلى معاوية وأهل الشام ويتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريتكم وأموالكم ، وإني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم ، فانهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس ، فسيروا على اسم الله . قال سلمة : فذكر زيد بن وهب منزلا منزلا حتى مروا على قطرة فلما التقينا - وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي - فقال لهم : ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم وكسروا جفونها فاني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حرواء ، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف فشجرهم الناس برماحهم . قال : وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان ، قال علي : التمسوا فيهم الخدج ، فالتسوه فلم يجدوه ، فقام على نفسه حتى أتى ناسا بعضهم إلى بعض ، فقال : أخروه فوجدوه مما يلي الأرض فقال : أخروهم فوجدوهم مما يلي الأرض فكبر ثم قال : صدق الله وبلغ رسوله قال : فقام إليه عبدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا من رسول الله (ص) ، إني والله الذي لا إله إلا هو ، فاستحلفه ثلاثا وهو يحلف له أنه سمعه من رسول الله (ص) ، « هذا لفظ مسلم . وقد رواه أبو داود عن الحسن بن علي الخلال عن عبد الرزاق بن حنوفه .

طريق أخرى عن علي

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ثنا الأعمش وعبد الرحمن عن سفيان عن الأعمش بن خيشمة عن سويد بن غفلة قال قال علي : إذا حدثتكم عن رسول الله (ص) فلا تخرن من السماء أحب إلي من أن أكنب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج قوم من أمي في آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم - قال عبد الرحمن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم - يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا لمن قاتلهم عند الله يوم القيامة » وأخرجاه في الصحيحين من طرق عن الأعمش به .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو نعيم ثنا الوليد بن القاسم الهمداني ثنا إسرائيل عن إبراهيم بن عبد الأعلى عن طارق بن زياد قال : سار على إلى النهر وان قال الوليد في روايته : وخرجنا معه متل الخوارج فقال اطلبوا الخدج فان رسول الله (ص) قال : « سيجي قوم يتكلمون بكلمة الحق لا تجاوز حلقهم يمزقون من الاسلام كما يمزق السهم من الرمية سيأهم أو فيهم رجل أسود مخدج اليد في يده شعرات سود ، إن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس ، وإن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس . قال الوليد ، في روايته : فبكينا قال : إنا وجدنا الخدج نخرزنا سجوداً وخر على ساجداً معنا » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

طريق أخرى

رواه عبد الله بن شداد عن علي كما تقدم قريباً بإسناده بطوله .

طريق أخرى عن علي

قال مسلم : حدثني أبو الطاهر ويونس بن عبد الأعلى ثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج عن بشر بن سعيد عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله أن الحرورية لما خرجت - وهو مع علي بن أبي طالب - قالوا : لاحكم إلا الله ، قال علي : كلمة حق أريد بها باطل ، إن رسول الله (ص) وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء ، يقولون : الحق بالأسنتهم لا يجاوز هذا منهم - وأشار إلى خلقه - من أبغض خلق الله منهم أسود إحدى يديه طي شاة أو حلة ثدى « فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال : انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً فقال : ارجعوا فانظروا ، فوالله ما كذبت ولا كذبت - مرتين أو ثلاثاً - فوجدوه في خربة فأتوا به علياً حتى وضعوه بين يديه ، قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم ، وقول علي فيهم ، زاد يونس في روايته قال بكير : وحدثني رجل عن ابن حنبل أنه قال : رأيت ذلك الأسود . تفرد به مسلم .

طريق أخرى

قال أحمد : حدثنا إسماعيل ثنا أيوب عن محمد عن عبيدة عن علي قال : ذكرت الخوارج عند علي فقال : فيهم مخدج اليد أو مثدون اليد ؟ - أو قال مودن اليد - ولولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد (ص) ، قال قلت : أنت سمعته من محمد ؟ قال : إى ورب الكعبة إى ورب الكعبة ، إى ورب الكعبة ، وقال أحمد : ثنا وكيع ثنا جرير بن حازم وأبو عمرو بن العلاء عن ابن سيرين سمعاه عن عبيدة عن علي قال قال رسول الله (ص) : « يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد ولولا أن تبطروا لأنباتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان

نبيه (س)، قال عبيدة قلت لعلي : أنت سمعته من رسول الله (س) ؟ قال : إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة وقال أحمد : ثنا يزيد ثنا هشام عن محمد عن عبيدة قال قال علي لأهل النهر وآن : بهم رجل مشدون اليد أو مخدوج اليد ، ولولا أن تبطروا لأخبرتكم بما قفى الله على لسان نبيه (س) لمن قتلهم ، قال عبيدة : فقلت لعلي : أنت سمعته ؟ قال : إي ورب الكعبة ، يحلف عليها ثلاثا . وقال أحمد : ثنا ابن أبي عدى عن أبي بن عون عن محمد قال قال عبيدة : لا أحدثك إلا ما سمعت منه ، قال محمد : خلف لنا عبيدة ثلاث مرات ، وحلف له على قال قال : لولا أن تبطروا لأنباتكم ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد (س) . قال : قلت أنت سمعته ؟ قال : إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة ، فيهم رجل مخدج اليد أو مشدون اليد أحسبه قال : أو مودن اليد . وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن علية وحامد بن زيد كلاهما عن أيوب وعن محمد بن المثني عن ابن أبي عدى عن ابن عون كلاهما عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي . وقد ذكرناه من طرق متعددة تفيد القطع عند كثيرين عن محمد بن سيرين . وقد حلف على أنه سمعه من عبيدة وحلف عبيدة أنه سمعه من علي أنه سمعه من رسول الله (س) ، وقد قال علي : لأن آخر من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أكذب على رسول الله (س) .

طريق أخرى

قال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : حدثني إسماعيل أبو معمر ثنا عبد الله بن إدريس ثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال : كنت جالسا عند علي إذ دخل رجل عليه ثياب السفر فاستأذن علي علي وهو يكلم الناس فشغل عنه فقال علي : إني دخلت على رسول الله (س) عنده عائشة فقال : « كيف أنت ويوم كذا وكذا ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال : فقال قوم يخرجون من قبل المشرق بقرؤن القرآن لا يجارز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فيهم رجل مخدج اليد كأن يديه يدي حبشية ، أنشدكم بالله هل أخبرتكم أنه فيهم » فذكر الحديث بطوله ، ثم رواه عبد الله ابن أحمد عن أبي خيشمة زهير بن حرب عن القاسم بن مالك عن عاصم بن كليب عن أبيه عن علي . فذكر نحوه إسناده جيد .

طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي : أخبرنا أبو القاسم الأزهرى أنا علي بن عبد الرحمن لكناني أنا محمد بن عبد الله بن عطاء عن سليمان الحضرمي أنا يحيى بن عبد الحميد الحماني أنا خا بن عبيد الله عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال قال أبو جحيفة : قال علي حين فرغنا من الخ إن فيهم رجلا ليس في عضده عظم ثم عضده كدلة الثدي عليها شمرات طوال عتف ، فالتمسوه ثم

يجدوه قال : فما رأيت عليا جزع جزعاً أشد من جزعه يومئذ ، فقالوا : ما نجده يا أمير المؤمنين .
فقال : ويلكم ما اسم هذا المكان ؟ قالوا : النهر وان ، قال : كذبتُم إنه لفهم ، فتورنا القنلى فلم نجده
فعدنا إليه قلنا : يا أمير المؤمنين ما نجده ، قال : ما اسم هذا المكان ؟ قلنا : النهر وان ، قال : صدق
الله ورسوله وكذبتم ، إنه لفهم فالتسوه ، فالتمسناه فوجدناه في ساقية فحشنا به فنظرت إلى عضده ليس
فيها عظم وعليها كحلة ثدى المرأة عليها شعرات طوال عقف .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ثنا إسماعيل بن مسلم العبدى ثنا أبو كثير مولى
الانصار قال : كنت مع سيدى مع على بن أبى طالب حيث قتل أهل النهر وان ، فكأن الناس
وجدوا في أنفسهم من قتلهم ، فقال على : يا أيها الناس إن رسول الله (ص) ، « قد حدثنا بأقوام يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه ، وإن آية ذلك
أن فيهم رجلاً أسود مخدج اليد إحدى يديه كثنى المرأة ، لها حلة كحلة ثدى المرأة ، حوله سبع
هلبات فالتسوه فأتى أراه فيهم ، فالتسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القنلى فأخرجوه فكبر على ،
فقال : الله أكبر ! صدق الله ورسوله ، وإنه لمتقلد قوساً له عربية فأخذها بيده فجعل يطن بها في
مخدجته ويقول : صدق الله ورسوله . وكبر الناس حين رأوه واستبشروا وذهب عنهم ما كانوا
يجدون » تفرد به أحمد .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثنا أبو خيثمة ثنا شبابة بن سوار حدثني نعيم بن حكيم حدثني أبو مریم
ثنا على بن أبى طالب أن رسول الله (ص) ، قال : « إن قوماً يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من
الرمية يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، علامتهم رجل مخدج » وقال أبو
داود في سننه : حدثنا بشر بن خالد ثنا شبابة بن سوار عن نعيم بن حكيم عن أبى مریم قال : إن كان
ذاك المخدج لمعنا يومئذ في المسجد نجالسه الليل والنهار ، وكان فقيراً ، ورأيتُه مع المساكين يشهد
طعام على مع الناس ، وقد كسوته برنساً لى ، قال أبو مریم : وكان المخدج يسمى نافعاً ذا الشدية ،
ودان في يده مثل ثدى المرأة ، على رأسه حلة مثل حلة الثدى عليه شعرات مثل صبالة السنور .

طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو على الروزبارى أنا أبو محمد عبد الله بن عمرو
ابن شاذب المقرئ الواسطي بها ثنا شعيب بن أيوب ثنا أبو الفضل بن دكين عن سفيان - هو
الثورى - عن محمد بن قيس عن أبى موسى رجل من قومه قال : كنت مع على فجعل يقول : التمسوا
المخدج فالتسوه فلم يجده ، قال : فأخذ يمرق ويقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، فوجدوه في نهر

أود إليه فسجد . طريق أخرى

قال أبو بكر البزار : حدثني محمد بن مثنى ومحمد بن معمر ثنا عبد الصمد ثنا سويد بن عبيد العجلي ثنا أبو مؤمن . قال : شهدت على بن أبي طالب يوم قتل الحرورية وأنا مع مولاي فقال : أنظروا فإن فيهم رجلاً إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، وأخبرني النبي صلى الله عليه وسلم ، أنى صاحبه ، فقلبوا القتلى فلم يجدوه ، وقالوا : سبعة نفر تحت النخلة لم نقلبهم بعد ، قال : ويلكم انظروا ، قال أبو مؤمن : فرأيت في رجله جبلين يجرون بهما حتى ألقيوه بين يديه فخر على ساجداً وقال : أبشروا قتلاًكم في الجنة وقتلهم في النار ، ثم قال البزار : لا نعلم روى أبو موسى عن علي غير هذا الحديث .

طريق أخرى

قال البزار : حدثنا يوسف بن موسى ثنا إسحاق بن سليمان الرازي سمعت أبا سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت قال : قلت لشقيق بن سلمة - يعني أبا وائل - حدثني عن ذى الثدية ، قال : لما قاتلناهم قال علي : اطلبوا رجلاً علامته كذا وكذا ، فطلبناه فلم نجده ، فبكي وقال : اطلبوه ، فوالله ما كذبت ولا كذبت ، قال : فطلبناه فلم نجده فبكي وقال : اطلبوه فوالله ما كذبت ولا كذبت ، قال : فطلبناه فلم نجده قال : وركب بغلته الشهباء فطلبناه فوجدناه تحت بردى فلما رآه سجد . ثم قال البزار : لا نعلم روى حبيب عن شقيق عن علي إلا هذا الحديث .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثني عبيد الله بن عمرو القواريري ثنا حماد بن زيد ثنا جميل بن مرة عن أبي الوضئ قال : شهدت علياً حين قتل أهل النهر وان قال : التمسوا الخدج : فطلبوه في القتلى فقالوا ليس نجده فقال : ارجعوا فالتمسوه فوالله ما كذبت ولا كذبت ، فرجعوا فطلبوه فردد ذلك مراراً ، كل ذلك يحلف بالله ما كذبت ولا كذبت ، فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى في طين فاستخرجوه فبكي به ، قال أبو الوضئ : فكأنني أنظر إليه حبشي عليه ثدى قد طبق ، إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، عليها شعرات مثل شعرات تكون على ذنب اليربوع » وقد رواه أبو داود عن محمد بن عبيد بن حساب عن حماد بن زيد ثنا جميل بن مرة ثنا أبو الوضئ - واسمه عباد بن نسيب - ولكنه اختصره وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدثنا حجاج بن يوسف الشاعر حدثني عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا يزيد بن أبي صالح أن أبا الوضئ عبداً حدثه أنه قال : كنا عائدين إلى الكوفة مع علي بن أبي طالب . فلما بلغنا مسيرة ليلتين أو ثلاثاً من حروراء شد منا ناس كثيرون فذكروا ذلك لعل فقال : لا يهولنكم أمرهم فانهم سيرجعون فذكر الحديث بطوله قال : فحمد الله على بن أبي طالب وقال : إن خليلي أخبرني أن قائد هؤلاء رجل مخدج اليد على حمة ثديه شعرات كأنهن ذنب اليربوع ، فالتمسوه فلم يجدوه فاتيناه

قلنا : إنا لم نجد ، فجعل يقول : اقلبوا ذا ، اقلبوا ذا ؟ حتى جاء رجل من أهل الكوفة فقال : هو هذا ؟ فقال علي : الله أكبر ، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه ، فجعل الناس يقولون : هذا مالك ، هذا مالك ، فقال علي : ابن من ؟ وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدثني حجاج بن الشاعر حدثني عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا يزيد بن أبي صالح أن أبا الوضئ عبداً حدثه قال : كنا عائدين إلى الكوفة مع علي فذكر حديث المحدث قال علي : « فوالله ما كذبت ولا كذبت ثلاثاً ، ثم قال علي : أما أن خليلي أخبرني بثلاثة إخوة من الجن هذا أكبرهم والثاني له جمع كثير ، والثالث فيه ضعف » وهذا السياق فيه غرابة جداً . وقد يمكن أن يكون ذو الندية من الجن ؟ بل هو من الشياطين إما شياطين الانس أو شياطين الجن ، إن صح هذا السياق والله تعالى أعلم . والمقصود أن هذه طرق متواترة عن علي إذ قد روى من طرق متعددة عن جماعة متباينة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، فأصل القصة محفوظ وإن كان بعض الألفاظ وقع فيها اختلاف بين الرواة ولكن معناها وأصلها الذي توطأت الروايات عليه صحيح لا يشك فيه عن علي أنه رواه عن رسول الله (ص) ، أنه أخبر عن صفة الخوارج وذو الندية الذي هو علامة عليهم . وقد روى ذلك من طريق جماعة من الصحابة غير علي كما تراها بأسانيدها وألفاظها والله المستعان . وقد رواه جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، ورافع بن عمرو الغفاري ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو سعيد سمع بن مالك بن سنان الأنصاري ، وسهل بن حنيف ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وعلي ، وأبو ذر ، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قدمنا حديث علي بطرقه لأنه أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة وصاحب القصة . ولندكر بعده حديث ابن مسعود لتقدم وفاته على وقعة الخوارج .

الحديث الثاني عن ابن مسعود رضي الله عنه

قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن أبي بكير ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن ذر عن عبد الله قال قال رسول الله (ص) ، « يخرج قوم في آخر الزمان سفهاء الأحلام ، أحداث - أو حدباء - الأسنان ، يقولون من خير قول الناس يقرؤون القرآن بالسنتهم لا يعدو تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، فمن أدركهم فليقتلهم فإن في قتلهم أجراً عظيماً عند الله لمن قتلهم » وقد رواه الترمذي عن أبي كريب وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعبد الله بن عامر بن ذرارة ثلاثتهم عن أبي بكر بن عياش به ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ابن مسعود مات قبل ظهور الخوارج بسبعين سنة فخره في ذلك من أقوى الأسانيد .

الحديث الثالث عن أنس بن مالك

قال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل ثنا سليمان التيمي ثنا أنس قال : ذكر لي أن نبي الله (ص) قال - ولم أسمع منه - : « إن فيكم فرقة يتعبدون ويدينون حتى يعجبوا الناس وتعجبهم أنفسهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي حدثني قتادة عن أنس بن مالك وأبي سعيد قال أحمد وقد حدثنا أبو المغيرة فقال عن أنس عن أبي سعيد ، ثم رجع أن النبي (ص) قال : « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسئون الفعل ، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يحقر أحدهم صلاته مع صلاتهم ، صيامه مع ، وصيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه ، هم شر الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء ، من قاتلهم كان أولى بالله منهم ، قالوا : يا رسول الله ما سيأمر ؟ قال : التحليق » . وقد رواه أبو داود في سننه عن نصر بن عاصم الانطاكي عن الوليد بن مسلم وقيس بن إسماعيل الحلبي كلاهما عن الأوزاعي عن قتادة وأبي سعيد عن أنس به . وأخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس وحده . وقد روى البزار من طريق أبي سفيان وأبو يعلى من طريق يزيد الرقاشي كلاهما عن أنس بن مالك حديثنا في الخوارج قريباً من حديث أبي سعيد كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

الحديث الرابع عن جابر بن عبد الله

قال الامام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن شهاب عن يحيى بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : كنت مع رسول الله (ص) عام الجعرانة وهو يقسم فضة في ثوب بلال للناس فقال رجل : يا رسول الله اعدل ، فقال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ لقد خبت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر : يا رسول الله دعني أقتل هذا المنافق ، فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، أو تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية » وقال أحمد : حدثنا علي بن عياش ثنا إسماعيل بن عياش حدثني يحيى بن سعيد أخبرني أبو الزبير قال : سمعت جابراً يقول : بصرت عيني وسمعت أذن رسول الله (ص) بالجعرانة وفي ثوب بلال فضة ورسول الله (ص) يقبضها للناس يعطيهم ، فقال رجل : اعدل فقال : « ويلك من يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ فقال عمر بن الخطاب : دعني أقتل هذا المنافق الخبيث ، فقال رسول الله (ص) : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ،

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة عن معاذ بن رفاعة ثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال : لما قسم رسول الله (ص) غنائم هوازن بالجرانة قام رجل من بني تميم فقال : أعدل يا محمد فقال : « ويلك ومن يعدل إن لم أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل قال : فقال عمر : يا رسول الله ألا أقوم فأقتل هذا المنافق ؟ قال : معاذ الله أن يتسامع الامم أن محمداً يقتل أصحابه ، ثم قال رسول الله (ص) : إن هذا وأصحاباً له يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » قال معاذ : فقال لي أبو الزبير : فرضت هذا الحديث على الزهري فما خالفني فيه إلا أنه قال النضو وقلت القدح قال : ألسنت رجلاً عربياً ؟ . وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع عن الليث وعن محمد بن مثنى عن عبد الوهاب الثقفي وأخرجه النسائي من حديث الليث ومالك بن أنس كلهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به بنحوه حديث رافع بن عمرو الأنصاري مع حديث أبي ذر رضى الله عنهما .

الحديث الخامس عن سعد بن أبي وقاص

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا الحميد بن ثنا سفيان - هو ابن عيينة - حدثني العلاء بن أبي عياش أنه سمع أبا الطفيل يحدث عن بكر بن قرواش عن سعد بن أبي وقاص قال : « ذكر رسول الله (ص) ذا الندية فقال : شيطان الردة كراعى الخيل يختنره رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب علاًبة في قوم ظلمة » قال سفيان : فأخبرني عمار الذهبي أنه جاء رجل يقال له : الأشهب وقد روى هذا الحديث الامام أحمد عن سفيان بن عيينة به مختصراً ولفظه « شيطان الردة يختنره رجل من بجيلة » تفرد به أحمد وحكى البخاري عن علي بن المديني قال : لم أسمع بذلك بكر بن قرواش إلا في هذا الحديث . وروى يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن أبي إسحاق عن حامد الهمداني قال : سمعت سعيد بن أبي وقاص يقول : « قتل على شيطان الردة » قال الحافظ أبو بكر البيهقي : يريد والله أعلم قتله أصحاب على بأمره . وقال الهيثم بن عدي : حدثنا إسرائيل بن يونس عن جده أبي إسحاق السبيعي عن رجل قال : بلغ سعد بن أبي وقاص أن علياً بن أبي طالب قتل بالخوارج فقال : قتل على بن أبي طالب شيطان الردة .

الحديث السادس عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري

وله طرق عنه الاولى منها

قال الامام أحمد : حدثنا بكر بن عيسى ثنا جامع بن قطر الحبطي ثنا أبو روية شداد بن عمر

المنسى عن أبي سعيد الخدري أن أبا بكر جاء إلى رسول الله (س) فقال يا رسول الله إني مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي ، فقال له رسول الله (س) : « اذهب إليه فاقتله » قال فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحالة كره أن يقتله . فجاء إلى رسول الله (س) فقال النبي (س) : « اذهب إليه فاقتله » قال : فذهب عمر فراه على تلك الحال التي رآه أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال : يا رسول الله إني رأيته متخشعاً فكرهت أن أقتله . قال : « يا علي اذهب فاقتله » فذهب على فلم يره فرجع ، فقال : يا رسول الله إني لم أراه فقال رسول الله (س) : « هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية لا يمودون فيه حتى يمود السهم في فوقه فاقتلهم هم بشر البرية » تفرد به أحمد . وقد روى البزار في مسنده من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك وأبو يعلى عن أبي خيثمة عن عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار وعن يزيد الرقاشي عن أنس من هذه القصة وأطول منها وفيها زيادات أخرى .

الطريق الثاني

قال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المشرق عن أبي سعيد الخدري عن النبي (س) في حديث « ذكر قوماً يخرجون على فرقة من الناس مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق » أخرجاه في الصحيحين كما سيأتي في ترجمة أبي سلمة عن أبي سعيد .

الطريق الثالث

قال الامام أحمد : ثنا وكيع ثنا عكرمة بن عمار ثنا عاصم بن شميخ عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله (س) إذا حلف فاجتهد في اليمين قال « والذي نفس أبي القاسم بيده ليخرجن قوم من أمتي تحرقون أعمالكم عند أعمالهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الاسلام كما يرق السهم من الرمية . قالوا : فهل من علامة يعرفون بها ؟ قال : فيهم رجل ذو يديّة أو ثديّة محلقى رؤسهم » قال أبو سعيد فحدثني عشرون أو بضع وعشرون من اصحاب النبي (س) ان علياً ولي قتلهم قال فرأيت أبا سعيد بعد ما كبر ويديه ترتعش ويقول : قتلهم عندي أحل من قتال عدتهم من الترك . وقد رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل به .

الطريق الرابع

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدري قال : « بث على وهو باليمن إلى رسول الله (س) بنهيية في تربتها قسمها رسول الله (س) بين الأقرع ابن حابس الحنظلي ثم أحد بنى مجاشع ، وبين عيينة بن بدر الفزاري وبين علقمة بن علاثة أو عامر ابن الطفيل أحد بنى كلاب ، وبين زيد الخليل الطائي ، ثم أحد بنى نهران . قال : فضضبت قريش

والأَنْصارُ قالوا تعطي صنابيرَ أهل نجد وتدعنا؟ قال : إنما أنا لفهم . قال : فأقبل رجلٌ عُائرُ العينين ناثي الجبين كثر الحية مشرف الوجنتين محلق الرأس فقال : يا محمد اتق الله فقال : من يطيع الله إذا عصيته ؟ يأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني ، قال : فسأل رجل من القوم قتله النبي (ص) - أراه خالد بن الوليد - فنهه ، فلما ولي قال : إن من ضئضئ هذا قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد . رواه البخاري من حديث عبد الرزاق به ، ثم رواه أحمد عن محمد ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن عبد الرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد وفيه الجزم بأن خالداً سأل أن يقتل ذلك الرجل ، ولا ينافي سؤال عمر بن الخطاب . وهو في الصحيحين من حديث عمارة بن القعقاع من سيرته : وقال فيه إنه سيخرج من صلبه ونسله ، لأن الخوارج الذين ذكرنا لم يكونوا من سلالة هذا ، بل ولا أعلم أحداً منهم من نسله وإنما أراد من ضئضئ هذا أي من شكله وعلى صفته فآله أعلم . وهذا لرجل هو ذو الخويصرة التميمي وسماه بعضهم حرقوصاً فآله أعلم .

الطريق الخامس

قال الامام أحمد : ثنا عفان ثنا مهدي بن ميمون ثنا محمد بن سيرين عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد عن النبي (ص) ، قال : « يخرج أناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه ، قيل : ما سيماهم؟ قال : سيماهم التحليق أو التسبيد » ورواه البخاري عن أبي النعمان محمد بن الفضل عن مهدي بن ميمون به .

الطريق السادس

قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ثنا سويد بن نجيح عن يزيد الفقير قال : قلت لأبي سعيد : إن منا رجالاً هم أقرؤنا للقرآن ، وأكثرنا صلاة وأوصلنا للرحم ، وأكثرنا صوماً ، خرجوا علينا بأسياهم . فقال أبو سعيد : سمعت النبي (ص) يقول : « يخرج قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » تفرد به أحمد ولم يخرجوه في الكتب الستة ولا واحد منهم ، وإسناده لا بأس به رجاله كلهم ثقات وسويد بن نجيح هذا مستور .

الطريق السابع

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد قال بينا رسول الله (ص) يقسم قسماً إذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمي فقال : اعدل يا رسول الله . فقال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله أتأذن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال : دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم يمرقون

من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قنذه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في رضافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، أو مثل البضعة تدردر ، يخرجون على حين فترة من الناس ، فنزلت فيه [ومنهم من يلزمك في الصدقات] الآية « قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله (ص) ، وأشهد أن عليا حين قتلهم وأنا معه جئ بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله (ص) . » ورواه البخاري عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام بن يوسف عن معمر ، ورواه البخاري من حديث شعبة ، ومسلم من حديث يونس بن يزيد عن الزهري به ، لكن في رواية مسلم عن حرملة وأحمد بن عبد الرحمن كلاهما عن ابن وهب عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة ، والضحاك الهمداني عن أبي سعيد به . ثم رواه أحمد عن محمد بن مصعب عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة والضحاك المشرقي عن أبي سعيد فذكر نحوه ما تقدم من هذا السياق ، وفيه أن عمر هو استأذن في قتله ، وفيه « يخرجون على حين فرقة من الناس يقتلهم أولى الطائفتين بالله » قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله (ص) ، وأنني شهدت عليا حين قتلهم ، فالتمس في القتلى فوجد على النعت الذي نعت رسول الله (ص) . » ورواه البخاري عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعي كذلك . وقال أحمد : قرأت على عبد الرحمن بن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد أنه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئا ، ثم ينظر في القدح فلا يرى شيئا ، ثم ينظر في الريش فلا يرى شيئا ويتأري في الفوق » قال عبد الرحمن : حدثنا به مالك - يعني هذا الحديث - ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك به . ورواه البخاري ومسلم عن محمد بن المثني عن عبد الوهاب عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة وعطاء بن يسار عن أبي سعيد به وقال أحمد : حدثنا يزيد أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة قال : جاء رجل إلي أبي سعيد فقال : هل سمعت رسول الله (ص) يذكر في الحرورية شيئا ؟ فقال : سمعته يذكر قوماً يتعمقون في الدين يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم ، وصومه عند صومهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، أخذ سهمه فينظر في نصله فلم ير شيئا ثم ينظر في رضافه فلم ير شيئا ، ثم ينظر في القدح فيأري هل يرى شيئا أم لا » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون به .

الطريق الثامن

قال الامام أحمد : حدثنا ابن عدى عن سليمان عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (س) : « ذكر قوماً يكونون في أمتي يخرجون في فرقة من الناس سيئهم التحليق ، ثم هم شر الخلق ، ومن شر الخلق ، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » قال : فضرب النبي (س) لهم مثلاً - أو قال قولاً - الرجل يرمى الرمية - أو قال الغرض - فينظر في النصل فلا يرى بصيرة ، وينظر في النضى فلا يرى بصيرة ، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة » فقال أبو سعيد : وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق . وقد رواه عن محمد بن المنثري عن محمد بن أبي عدى عن سليمان - وهو ابن طرخان التيمي عن أبي نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد الخدري بنحوه

الحديث الثامن

عن سلمان الفارسي

قال الهيثم بن عدى ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : جاء رجل إلى قوم فقال : إن هذه الخباء ؟ قالوا : لسلمان الفارسي ، قال أفلا تنطلقون معي فيحدثنا ونسمع منه ، فانطلق معه بعض القوم فقال : يا أبا عبد الله لو أدنيت خباك وكنت منا قريباً فحدثنا وسمعنا منك ؟ فقال : ومن أنت ؟ قال : فلان بن فلان . قال سلمان : قد بلغني عنك معروف . بلغني أنك تحف في سبيل الله ، وتقاتل العدو ، وتخدم أصحاب رسول الله (س) ، فإن أخطأناك واحدة أن تكون من هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله (س) . قالوا : فوجد ذلك الرجل قتيلًا في أصحاب النهر وان .

الحديث التاسع

عن سهل بن حنيف الأنصاري

قال الامام أحمد ! حدثنا أبو النضر ثنا حزام بن إسماعيل العامري عن أبي إسحاق الشيباني عن بسر بن عمرو قال : دخلت على سهل بن حنيف فقلت حدثني ما سمعت من رسول الله (س) . قال في الحرورية ، قال : أحدثك ما سمعت من النبي (س) ، لا أزيدك عليه شيئاً ، سمعت رسول الله (س) : « يذكر قوماً يخرجون من هاهنا - وأشار بيده نحو العراق - يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يرمقون من الدين كما يرمق السهم من الرمية » قال : قلت هل ذكر لهم علامة ؟ قال : هذا ما سمعت لا أزيدك عليه . وقد أخرجاه في الصحيحين ، من حديث عبيد الواحد بن زياد ومسلم من حديث علي ابن مسهر والعوام بن حوشب والنسائي من حديث محمد بن فضيل كلهم عن أبي إسحاق الشيباني به وقد رواه مسلم ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن بسر بن عمرو قال : سألت سهل بن حنيف سمعت رسول الله (س) ، يذكر الخوارج ؟ فقال : سمعته - وأشار بيده نحو المشرق -

قوم يقرؤن القرآن بالسنتهم لا يعمدو تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية حدثناه أبو كامل ثنا عبد الواحد ثنا سليمان الشيباني بهذا الاسناد وقال : « يخرج منه أقوام » حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق جميعاً عن يزيد قال أبو بكر : حدثنا يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب ثنا أبو إسحاق الشيباني عن بسر بن عمرو عن سهل بن حنيف عن النبي (ص) قال : فتنة قوم قبل المشرق محلقة رؤسهم .

الحديث العاشر عن ابن عباس

قال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا يوسف بن موسى ثنا الحسن بن الربيع ثنا أبو الأحوص عرو سمك عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : « يقرأ القرآن أقوام من أمتي يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وسويد بن سعيد كلاهما عن أبي الأحوص بإسناده مثله .

الحديث الحادي عشر عن ابن عمر

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد ثنا أبو حساب يحيى بن أبي حبة عن شهر بن حوشب قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج من أمتي قوم يسيئون الأعمال يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم » قال يزيد : لا أعلمه إلا قال : « يحقر أحدكم عمله مع عملهم يقتلون أهل الاسلام فاذا خرجوا فاقتلوهم فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله كلما طلع منهم قرن قطعه الله ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله » فرد ذلك رسول الله (ص) عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع . تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد ثبت من حديث سالم ونافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال : « الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان - وأشار بيده نحو المشرق - » .

الحديث الثاني عشر عن عبد الله بن عمرو

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال : لما جاءتنابيعة يزيد بن معاوية ، قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي ، فجننته فجاء رجل فانتبذ الناس عليه خميصة فاذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله : سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها ، تلفظهم أرضهم ، تقذرم نفس الرحمن ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت معهم إذا باتوا ، وتقبل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلف - » قال : وسمعت رسول الله (ص) يقول : « سيخرج ناس من أمتي قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع حتى عدوها زيادة على عشر مرات ، كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في

بقيتهم » وقد روى أبو داود أوله في كتاب الجهاد من سننه عن القواريري عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة . وقد تقدم حديث عبد الله بن مسعود وحديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

الحديث الثالث عشر عن أبي ذر

قال مسلم بن الحجاج : حدثنا شيبان بن فروخ ثنا سليمان بن المغيرة ثنا حبيب بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر . قال قال رسول الله (ص) : « إن بعدى من أمتي - أو سيكون بعدى من أمتي - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية لا يعودون فيه شر الخلق والخلقة قال ابن الصامت : فلقيت زلفع بن عمرو الغفاري أخا الحاكم الغفاري قال : ما حدث سمعت من أبي ذر كذا كذا ؟ فقال : وأنا سمعته من رسول الله (ص) . لم يروه البخاري .

الحديث الرابع عشر عن أم المؤمنين عائشة

قال الحافظ البيهقي : أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ثنا أبو العباس الأصبهاني ثنا السري عن يحيى ثنا أحمد بن يونس ثنا علي بن عباس عن حبيب بن مسلمة . قال قال علي : « لقد علمت عائشة أن جيش المردة وأهل النهر وإن ملعونون على لسان محمد (ص) » قال ابن عباس : جيش المشرق قتلة عثمان رضي الله عنه وقال الهيثم بن عدى : حدثني إسرائيل عن يونس عن جده أبي إسحاق السبيعي عن رجل عن عائشة قال : بلغها قتل علي الخوارج فقالت : قتل علي بن أبي طالب شيطان الردة - تعني الخدج - وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عمار بن صبيح ثنا سهل بن عامر البجلي ثنا أبو خالد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت : ذكر رسول الله (ص) الخوارج فقال : « شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي » قال : وحدثناه إبراهيم بن سعيد ثنا حسين بن محمد ثنا سليمان بن قرم ثنا عطاء ابن السائب عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة عن النبي (ص) . فذكر نحوه قال : فرأيت علياً قتلهم وهم أصحاب النهر وإن . ثم قال البزار : لا نعلم روى عن عطاء عن أبي الضحى عن مسروق إلا هذا الحديث ، ولا نعلم رواه عن عطاء إلا سليمان بن قرم وسليمان بن قرم قد تكلموا فيه لكن الاسناد الأول يشهد لهذا كما أن هذا يشهد للأول فهما متعاضان ، وهو غريب من حديث أم المؤمنين ، وقد تقدم في حديث عبد الله بن شمس . عن علي ما يدل على أن عائشة استغربت حديث الخوارج ولا سيما خبر ذي الندية كما تقدم ، وإنما أوردنا هذه الطرق كلها ليعلم الواقف عليها أن ذلك حق وصدق وهو من أكبر دلالات النبوة ، كما ذكره غير واحد من الأئمة فيها والله تعالى أعلم . وقال : سألت عائشة رضي الله عنها بعد ذلك عن خبر ذي الندية فتيقنته من طرق متعددة . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل : أنا أبو عبد الله أنا الحسين بن الحسن بن عامر الكندي بالكوفة من أصل سمعته ثنا محمد بن صدقة السكاكبي حدثني

أحمد بن أبان قرأت فيه حدثني الحسن بن عيينة ، وعبد الله بن أبي السيف بن عامر الشعبي عن مسروق قالت عائشة : عندك علم عن ذي الندية الذي أصابه على في الحرورية : قلت لا قالت : فكتب لي شهادة من شهدهم ، فرجعت إلى الكوفة وبها يومئذ أسباع فكتبت شهادة عشرة من كل سبع ثم أتيتها بشهادتهم قرأتها عليها ، قالت : أكل هؤلاء عيونه ؟ قلت : لقد سألتهم فأخبروني . بأن كلهم قد عيونه ، فقالت : لعن الله فلانا فإنه كتب إلى أنه أصابهم بليل مصر ثم أرخت عينيها فبككت فلما سكنت عبرتها قالت : رحم الله عليا لقد كان على الحق ، وما كان بيني وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها .

حديث آخر عن رجلين من الصحابة

قال الهيثم بن عدي في كتاب الخوارج : حدثني سليمان بن المغيرة عن حبيب بن ملال قال أقبل رجلان من أهل الحجاز حتى قدما العراق فقيل لهما : ما أقدمكما العراق ؟ قالا : رجونا أن ندرؤك هؤلاء القوم الذين ذكركم لنا رسول الله (ص) ، فوجدنا على بن أبي طالب قد سبقنا إليهم - يعنيان أهل النهر وان -

حديث في مدح علي رضي الله عنه على قتال الخوارج

قال الامام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ثنا مطر عن إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الزبيدي عن أبيه قال : سمعت أبا سعيد يقول : « كنا جلوساً ننتظر رسول الله (ص) ، فخرج علينا من بيوت بعض نسائه قال قمنا معه ، فانتظمت نعله فتخلف عليها على بخضفها فضى رسول الله (ص) ، ومضينا معه ثم قام ينتظره وقتنا معه ، فقال إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما فالت على تنزيله فاستشرف لها وفيهم أبو بكر ، وعمر فقال : لا ولكنه خاضف النعل ، قال : فجئنا نبشره قال : فكأنه قد سمعه » ورواه أحمد عن وكيع وأبي أسامة عن قطر بن خليفة فأما الحديث الذي قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا إسماعيل بن موسى ثنا الربيع بن سهل عن سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة قال : سمعت عليا على منبركم هذا يقول : « عهد إلى النبي (ص) ، أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين » وقد رواه أبو بكر بن المقرئ عن الجد بن عباد البصري عن يعقوب بن عباد عن الربيع بن سهل الفزاري به ، فإنه حديث غريب ومنكر ، على أنه قد روى من طرق عن علي وعن غيره ولا تخلو واجدة منها عن ضعف والمراد بالناكثين يعني أهل الجمل والقاسطين أهل الشام وأما المارقون فالخوارج لأنهم مرقوا من الدين وقد رواه الحافظ أبو أحمد بن عدي في كمله عن أحمد بن حفص البغدادي عن سليمان بن يوسف عن عبيد الله بن موسى عن قطر عن حكيم بن جبير عن إبراهيم عن علقمة عن علي قال : أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . وقال الحافظ : أبو بكر الخطيب

البغدادى : أخبرنى الأزهرى ثنا محمد بن المظفر ثنا محمد بن أحمد بن ثابت قال : وجدت فى كتاب جدى محمد بن ثابت ثنا شعيب بن الحسن السلى عن جعفر الأحمر عن يونس بن الأرقم عن أبان عن خلود المصرى قال : سمعت عليا أمير المؤمنين يقول يوم النهروان : « أمرنى رسول الله (ص) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين » وقد رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث محمد بن فرج الجندى ساورى أنا هارون بن إسحاق ثنا أبو غسان عن جعفر - أحسبه الأحمر - عن عبد الجبار الهمدانى عن أنس بن عمرو عن أبيه عن علي . قال : « أمرت بقتال ثلاثة المارقين والقاسطين والناكثين » وقال الحاكم أبو عبد الله أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن غنم الحنظلى بقنطرة بردان ثنا محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفى حدثنى أبى حدثنى عمى عن عمرو بن عطية بن سعد عن أخيه الحسن بن عطية حدثنى جدى سعد بن جنادة عن علي رضى الله عنه قال : « أمرت بقتال ثلاثة : القاسطين ، والناكثين ، والمارقين . فأما القاسطون فأهل الشام ، وأما الناكثون فذكرهم ، وأما المارقون فأهل النهروان - يعنى الحرورية - وقال الحافظ ابن عساكر : أنا أبو القسم زاهر بن طاهر أنا أبو سعد الأديب أنا السيد أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين ثنا محمد بن أحمد الصوفى ثنا محمد بن عمرو الباهلى ثنا كثير بن يحيى ثنا أبو عوانة عن أبي الجارود عن زيد بن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده عن علي قال : « أمرنى رسول الله (ص) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين .

حديث ابن مسعود في ذلك

قال الحافظ : حدثنا الامام أبو بكر أحمد بن الحسن الفقيه أنا الحسن بن علي ثنا زكريا بن يحيى الخراز المقرئ ثنا إسماعيل بن عباد المقرئ ثنا شريك عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : « خرج رسول الله (ص) ، فأتى منزل أم سلمة فجاء على فقال رسول الله (ص) : « يا أم سلمة هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدى » .

حديث أبي سعيد في ذلك

قال الحاكم : حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني ثنا الحسين بن الحكم الحيرى ثنا إسماعيل بن أبان ثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى قال : « أمرنا رسول الله (ص) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلت : يا رسول الله ! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من ؟ فقال : مع علي بن أبي طالب معه يقتل عمار بن ياسر » .

حديث أبي أيوب في ذلك

قال الحاكم : أنا أبو الحسن علي بن حماد المعدل ثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ثنا عبد العزيز

ابن الخطاب ثنا محمد بن كثير عن الحرث بن خضيرة عن أبي صادق عن مخنف بن سليمان . قال :
 أتينا أبا أيوب فقلنا : قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله (ص) . ثم جئت تقاتل المسلمين ؟ فقال :
 « أمرني رسول الله (ص) ، بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين » قال الحاكم : وحدثنا أبو بكر محمد
 ابن أحمد بن بالويه ثنا الحسن بن علي بن شبيب العمري ثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل
 حدثني أبو زيد الأموي عن عتاب بن ثعلبة في خلافة عمر بن الخطاب قال : « أمرني رسول الله
 (ص) ، بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب وقال الخطيب البغدادي : حدثنا
 الحسن بن علي بن عبد الله المقرئ ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا محمد بن جعفر المطيري ثنا
 أحمد بن عبد الله المؤدب بسر من رأى ثنا المعلى بن عبد الرحمن ببغداد ثنا شريك عن سليمان بن
 مهران عن الأعشى عن علقمة والأسود قالوا : أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين
 فقلنا له : يا أبا أيوب ! إن الله أكرمك بنزول محمد (ص) ، وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك
 حين أناخت ببابك دون الناس ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله ؟ فقال :
 يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله ، وإن رسول الله (ص) ، أمرنا بقتال ثلاثة مع علي ، بقتال الناكثين
 والقاسطين والمارقين . فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل ، طلحة والزبير ، وأما القاسطون
 فهذا منصرفنا من سندهم - يعني معاوية وعمرأ - وأما المارقون فهم أهل الطرقات وأهل السعيفات
 وأهل النخيلات وأهل النهروان ، والله ما أدرى أين هم ولكن لابد من قتالهم إن شاء الله . قال :
 وسمعت رسول الله (ص) ، يقول لعمار : « يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت مذ ذاك مع الحق والحق
 معك ، يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس غيره فاسلك مع علي فإنه لن
 يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى ، يا عمار من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم
 القيامة وشاحين من در ، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو على عليه قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار
 فقلنا : يا هذا ! حسبك الله حسبك رحمتك الله » ، هذا السياق الظاهر أنه موضوع وآفته من
 جهة المعلى بن عبد الرحمن فإنه متروك الحديث .

فضيلة علي

قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي جمعه : في الخوارج وهو من أحسن ما صنف في ذلك قال :
 وذكر عيسى بن دآب قال : لما انصرف على رضى الله عنه من النهروان قام في الناس خطيباً فقال :
 بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله (ص) . أما بعد فإن الله قد أعز نصركم فتوجهوا من
 فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام فقاموا إليه فقالوا : يا أمير المؤمنين نفنت نبأنا وكلت سيوفنا

وفصلت أمتنا ، فانصرف بنا إلى مصرنا حتى نستعد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة من فارتما وهلاك منا قاله أقوى لنا على عدونا - وكان الذي تكلم بهذا الأشعث بن قيس الكندي فبايعهم - وأقبل بالناس ، نزل بالنخيلة وأمرهم أن يلزموا معسكرهم ويوطنوا أنفسهم على جهاد عدوهم ويقلوا زيارة نسائهم . بانهم ، فأقاموا معه أياما متمسكين برأيه وقوله ، ثم تسلاوا حتى لم يبق منهم أحد إلا رس أصحابه ، فقام على فيهم خطيباً فقال : الحمد لله فاطر الخلق وخالق الأصباح وناشر الموتى وباعث من في القبور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأوصيكم بتقوى الله فإن أفضل ما توسل به العبد الإيمان والجهاد في سبيله وكلمة الاخلاص فانها الفطرة ، وإقام الصلاة ، فانها الملة ، وإيتاء الزكاة فانها من فريضته ، وصوم شهر رمضان فانها جنة من عذابه ، وحج البيت فانها منقاة للقر مدحضة للذنوب ، وصلة الرحم فانها مثرأة في المال ، منسأة في الاجل ، محبة في الأهل ، وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وتطفى غضب الرب ، وصنع المعروف فانها يدفع ميتة السوء ويقي مصارع الهول ، أفيضوا في ذكر الله فانها أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وعد المتقون فان وعد الله أصدق الوعد ، واقتدوا بهدى نبيكم (ص) . فانها أفضل الهدى ، واستسنوا بسنته فانها أفضل السنن ، وتعلموا كتاب الله فانها أفضل الحديث ، وتفقهوا في الدين فانها ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فانها شفاء لما في الصدور ، وأحسنوا تلاوته فانها أحسن القصص ، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، وإذا هديتم لعلكم تفلحوا بما علمتم به لعلكم تهتدون ، فان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذي لا يستقيم عن جهله ، بل قد رأيت أن الحجة أعظم ، والحسرة أدم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير في جهله ، وكلاهما مضلل مشبور ، لا ترابوا فتشكوا ، ولا تشكوا فتكفروا ، ولا ترخصوا لأنفسكم فتهزلوا ، ولا تهزلوا في الحق فتخسروا ، ألا وإن من الحزم أن تثقوا ، ومن الثقة أن لا تغفروا ، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه ، من يطع الله يأمن ويستبشر ، ومن يعص الله يخف ويندم ، ثم سلوا الله اليقين وارغبوا إليه في العافية ، وخير مادام في القلب اليقين ، إن عوازم الأمور أفضلها ، وإن محدثاتها شرارها وكل محدث بدعة وكل محدث مبتدع ، ومن ابتدع فقد ضيع ، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة ، المغبون من غبن دينه ، والمغبون من خسر نفسه ، وإن الريا من الشرك ، وإن الاخلاص من العمل والإيمان ، ومجالس الله تنسى القرآن ويحضرها الشيطان ، وتدعو إلى كل غي ، ومجالسة النساء تزيغ القلوب وتطمع إليه الأبصار ، وهي مصائد الشيطان ، فأصدقوا الله فان الله مع من صدق وجانبوا الكذب فان الكذب بجانب للإيمان ألا إن الصدق على شرف منجاة وكرامة ، وإن الكذب على شرف ردى وهلكة ، ألا وقولوا الحق تعرفوا به

واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم وعودوا بالفضل على من حرمكم، وإذا عاهدتم فأوفوا، وإذا حكمتم فاعدلوا، ولا تفاخروا بالآباء، ولا تنابزوا بالألقاب، ولا تمازحوا، ولا يفضب بعضكم بعضاً، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وافشوا السلام وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها [وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب] وأكرموا الضيف، وأحسنوا إلى الجار، وعودوا المرضى، وشيعوا الجنائز، وكونوا عباد الله إخواناً، أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بدواع، وإن الآخرة قد أطلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغدا السباق وإن السبقة الجنة والغاية النار، ألا وإنكم في أيام مهل من ورأها أجل يحثه عجل، فمن أخلص لله عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمه، ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمه، وضره أمه، فاعملوا في الرغبة والرهبة فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنى، ولمن شكر بالزيادة، وإني لم أر مثل الجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ولا أكثر مكتسباً من شيء كسبه ليوم تدخر فيه الدخائر، وتبلى فيه السرائر، وتجتمع فيه الكبار، وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال، ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك، ومن لا ينفعه حاضره فعاز به عنه أعور، وغائبه عنه أعرج : وإنكم قد أمرتم بالظن ودلتم على الزاد، ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم إثنان طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسى الآخرة، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم، ولا تكونوا من بني الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل، وهذه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر. وقد روى لها شواهد من وجوه أخر متصلة والله الحمد والمنة. وقد ذكر ابن جرير : أن علياً رضي الله عنه لما نكل أهل العراق عن الذهاب إلى الشام خطبهم فوجهم وأنهم وتوعدهم وهددهم وتلا عليهم آيات في الجهاد من سور متفرقة، وحث على المسير إلى عدوم فأبوا من ذلك وخالفوه ولم يوافقوه، واستمروا في بلادهم، وتفرقوا عنه هاهنا وهاهنا، فدخل على الكوفة.

فَضْرُوءُ النَّاسِ

وقد ذكر الهيثم بن عدي أنه خرج على علي بعد النهروان رجل يقال له : الحارث بن راشد الناجي، قدم مع أهل البصرة، فقال لعل : إنك قد قاتلت أهل النهروان في كونهم أنكروا عليك

قصة التحكيم وتزعم أنك قد أعطيت أهل الشام عهدك ومواثيقك ، وأنت لست بناقضها ، وهذان الحكمان قد اتفقا على خلعك ثم اختلفا في ولاية معاوية فولاه عمرو وامتنع أبو موسى من ذلك ، فأنت مخلوع باتفاقهما ، وأنا قد خلمتك وخلمت معاوية معك ، وتبع الحارث هذا بشر كثير من قومه - بنى ناجية وغيرهم - وتحيزوا ناحية ، فبعث إليهم على معقل بن قيس الرماحي في جيش كثيف فقتلهم معقل قتلاً ذريعاً وسبى من بنى ناجية خمسمائة أهل بيت فقدم بهم ليقدم بهم على علي فتلقاه رجل يقال له : مصقلة بن هبيرة أبو المغلس - وكان عاملاً لعلي على بعض الأقاليم - فتضرعوا إليه وشكوا ما هم فيه من السبي ، فاشترأهم مصقلة من معقل بخمسمائة ألف درهم وأعتقهم ، فطالبه بالثمن فهرب منه إلى ابن عباس بالبصرة ، فكتب معقل إلى ابن عباس فقال له مصقلة : إني إنما جئت لأدفع ثمنهم إليك ثم هرب منه إلى علي فكتب ابن عباس ومعقل إلى علي فطالبه على فدفع من الثمن مائتي ألف ثم انشمر هارباً فلحق بمعاوية بن أبي سفيان بالشام ، فأمضى على عتقهم وقال : ما بقي من المال في ذمة مصقلة ؟ وأمر بداره في الكوفة فهدمت . وقد روى الهيثم عن سفيان الثوري وإسرائيل عن عمار الذهبي عن أبي الطفيل أن بنى ناجية ارتدوا فبعث إليهم : معقل بن قيس فسبأهم فاشترأهم مصقلة من علي بثلاثمائة ألف فأعتقهم ثم هرب إلى معاوية . قال الهيثم وهذا قول الشيعة ولم يسمع بحجى من العرب ارتدوا بعد الردة التي كانت في أيام الصديق . وقال الهيثم : حدثني عبد الله^(١) بن تميم بن طرفة الطائي حدثني أبي أن عدى بن حاتم قال مرة لعلي بن أبي طالب وهو يخطب : قتل أهل النهروان على أنكار الحكومة ، وقتلت الحريث بن راشد على مسألتهم إياك أيضاً الحكومة ، والله ما بينهما موضع قدم . فقال له علي : أسكت إنما كنت أعرايياً تأكل الضبع بجبل طى بالأمس . فقال له عدى : وأنت والله قد رأيناك بالأمس تأكل البلح بالمدينة . قال الهيثم : ثم خرج علي على رجل من أهل البصرة فقتل فأمر أصحابه عليهم الأشرس بن عوف الشيباني ، فقتل هو وأصحابه ، قال : ثم خرج علي على الأشهب بن بشر البجلي ثم أحد عرينة من أهل الكوفة فقتل هو وأصحابه . قال : ثم خرج علي على سعيد بن نعد التميمي ثم من بنى ثعلبة من أهل الكوفة فقتل بقنطرة دررجان فوق المدائن . قال الهيثم : أخبرني بذلك عبد الله بن عياش عن مشيخته .

قصته

ذكر ابن جرير عن أبي مخنف لوط بن يحيى - وهو أحد أئمة هذا الشأن - أن قتال علي للخوارج يوم النهروان ، كان في هذه السنة - أعني سنة سبع وثلاثين - قال ابن جرير : وأكثر أهل السير

(١) كذا في الأصل وفي نسخة : عبيد بن تميم .

على أن ذلك كان في سنة ثمان وثلاثين وصححه ابن جرير، قلت: وهو الأشبه كما سنفيه عليه في السنة الآتية إن شاء الله تعالى. قال ابن جرير: وحج بالناس في هذه السنة - يعني سنة سبع وثلاثين - عبيد الله بن عباس نائب على علي اليمن ومخالفها. وكان نائب مكة قثم بن العباس، وعلى المدينة تمام بن عباس، وقيل سهل بن حنيف، وعلى البصرة عبد الله بن عباس، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي، وعلى مصر محمد بن أبي بكر، وعلى بن أبي طالب أمير المؤمنين مقيم بالكوفة، ومعاوية بن أبي سفيان مستحوذ على الشام. قلت: ومن نيته أن يأخذ مصر من محمد بن أبي بكر.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

خباب بن الارت بن جندلة بن سعد بن خزيمه كان قد أصابه سبي في الجاهلية فأشترته أنمار الخزاعية التي كانت تحت النساء، وهي أم سباع بن عبد العزى الذي قتله حمزة يوم أحد وحالف بني زهرة، أسلم خباب قديماً قبل دار الأرقم، وكان ممن يؤذى في الله فيصبر ويحتسب، وهاجر وشهد بدرًا وما بعدها من المشاهد. قال الشعبي: دخل يوماً على عمر فأكرم مجلسه وقال: ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا بلال. فقال: يا أمير المؤمنين إن بلالا كان يؤذى وكان له من يمنعه، وإني كنت لا ناصر لي والله لقد سلقوني يوماً في نار أجوها ووضع رجله على صدرى فما اتقيت الأرض إلا بظهري، ثم كشف عن ظهره فإذا هو برص رضى الله عنه، ولما مرض دخل عليه أناس من الصحابة يعودونه فقالوا: أبشر غداً تلقى الأجنة محمداً وحزبه فقال: والله إن إخواني مضوا ولم يأكلوا من دنياهم شيئاً، وإنا قد أينعت لنا ثمرتها فنحن نهديها، فهذا الذي يهمني. قال: وتوفي بالكوفة في هذه السنة عن ثلاث وستين سنة وهو أول من دفن بظاهر الكوفة

خزيمة بن ثابت

ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأنصاري ذو الشهادتين وكانت راية بني حطمة معه يوم الفتح، وشهد صفين مع علي، وقتل يومئذ رضى الله عنه
سفينة مولى رسول الله ص. قد قدمنا ترجمته في الموالى المنسوبين إليه صلوات الله وسلامه عليه.

عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم

أسلم عام الفتح وكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد تقدم مع كتاب الوحي * عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، قتل يوم صفين وكان أمير الميمنة لعلى فصارت امرتها للأشتر النخعي * عبد الله بن خباب بن الارت. ولد في حياة النبي (ص) وكان موصوفاً بالخير، قتله الخوارج كما قدمنا بالنهران في هذه السنة، فلما جاء على قال لهم: أعطونا قتلته ثم أنتم آمنون فقالوا: كلنا قتله فقاتلهم * عبد الله بن سعد بن أبي سرح: أحد كتاب الوحي أيضاً، أسلم قديماً وكتب الوحي

ثم ارتد ثم عاد إلى الاسلام عام الفتح واستأمن له عثمان - وكان أخاه لأمه - وحسن إسلامه وقد ولاه عثمان نيابة مصر بعد موت عمرو بن العاص ، ففزا إفريقية وبلاد النوبة ، وفتح الأندلس وغزا ذات الصواري مع الروم في البحر فقتل منهم ما صبغ وجه الماء من الدماء ، ثم لما حصر عثمان تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة وأخرجه من مصر فات في هذه السنة وهو معتزل عليا ومعاوية ، في صلاة الفجر بين التسليمتين رضى الله عنه .

عمار بن ياسر / أبو اليقظان العبسي

من عبس اليمن ، وهو حليف بنى مخزوم ، أسلم قديماً وكان ممن يعذب في الله هو وأبوه وأمه سمية ، ويقال إنه أول من اتخذ مسجداً في بيته يتعبد فيه ، وقد شهد بدرًا وما بعدها وقد قدمنا كيفية مقتله يوم صفين وأن رسول الله (ص) قال : « تقتلك الفئة الباغية » وروى الترمذي من حديث الحسن عن أنس أن رسول الله (ص) قال : « إن الجنة تشاق إلى ثلاثة ، علي وعمار وسلمان » وفي الحديث الآخر الذي رواه الثوري وقيس بن الربيع وشريك القاضي وغيرهم عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني عن علي أن عماراً استأذن على رسول الله (ص) فقال : « مرحباً بالطيب المطيب » وقال إبراهيم ابن الحسين : حدثنا يحيى حدثني نصر ثنا سفيان الثوري عن أبي الأعمش عن أبي عمار عن عمرو ابن شرحبيل عن رجل من أصحاب رسول الله أن رسول الله (ص) قال : « لقد ملئ عماراً إيماناً من قدمه إلى مشاشه » وحدثنا يحيى بن معلى عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت : « مامن أحد من أصحاب رسول الله (ص) بأشياء أن أقول فيه إلا عمار بن ياسر فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : إن عمار بن ياسر حشى ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أذنه إيماناً » وحدثنا يحيى ثنا عمرو بن عون أنا هشيم عن العوام بن حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة قال : أنبت أهل الشام فلقيت خالد بن الوليد فحدثني قال : كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام في شيء فشكاني إلى رسول الله (ص) فقال : « يا خالد ! لا تؤذ عماراً فإنه من يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يعاد عماراً يعاده الله » قال : فعرضت له بعد ذلك فسالت ما في نفسه . وله أحاديث كثيرة في فضائله رضى الله عنه قتل بصفين عن إحدى وقيل ثلاث وقيل أربع وتسعين سنة طعنه أبو الغادية فسقط ثم أكب عليه رجل فاحتر رأسه ، ثم اختصما إلى معاوية أيهما قتله فقال لهما عمرو بن العاص : اندرا فوالله إنكما لتختصمان في النار ، فسمعها منه معاوية فلامه على تسميته إياهما ذلك ، فقال له عمرو : والله إنك لتعلم ذلك ، ولوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة . قال الواقدي ، حدثني الحسن بن الحسين بن عمار عن أني إسحاق عن عاصم أن علياً صلى عليه ولم يغسله وصلى معه على هاشم بن عتبة ، فكان عمار مما يلي عليا ، وهاشم إلى نحو القبلة . قالوا : وقبر هنالك ، وكان آدم اللون ، طويلاً بعيداً ما بين

المنكين : أشهل العينين ، رجلاً لا يغير شبيهه رضى الله عنه .

الريبع بن معوز بن عفرأ

أسلمت قديماً وكانت تخرج مع رسول الله (ص) ، إلى الغزوات فتداوى الجرحى ، وتسقى الماء للكلبي ، وروى أحاديث كثيرة * وقد قتل في هذه السنة في أيام صفين خلق كثير وجم غفير ، فقتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً . وقيل قتل من أهل العراق أربعون ألفاً - من مائة وعشرين ألفاً - وقتل من أهل الشام عشرون ألفاً من ستين ألفاً وبالجملة فقد كان فيهم أعيان ومشاهير يطول استقصاؤهم وفيما ذكرنا كفاية والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

فيها بعث معاوية عمرو بن العاص إلى ديار مصر فأخذها من محمد بن أبي بكر واستتاب معاوية عمراً عليها ، وذلك كما سنبينه ، وقد كان على رضى الله عنه استتاب عليها قيس بن سعد بن عبادة وانزعها من يد محمد بن أبي حذيفة حين كان استحوذ عليها ومنع عبد الله بن سعد بن أبي سرح من التصرف فيها ، حين حصر عثمان - وقد كان عثمان استخلفه عليها وعزل عنها عمرو بن العاص - وعمرو كان هو الذى افتتحها كما قدمنا ذكر ذلك . ثم إن علياً عزل قيس بن سعد عنها وولى عليها محمد بن أبي بكر وتد ندم على على عزل قيس بن سعد عنها ، وذلك أنه كان كفواً لمعاوية وعمرو ، ولما ولى محمد بن أبي بكر لم يكن فيه قوة تعادل معاوية وعمراً ، وحين عزل قيس بن سعد عنها رجع إلى المدينة ثم سار إلى على بالعراق فكان معه ، وكان معاوية يقول : والله لقيس بن سعد عند على أبغض إلى من مائة ألف مقاتل بذله عنده ، فشهد معه صفين فلما فرغ على من صفين وبلغه أن أهل مصر قد استخفوا بمحمد بن أبي بكر لكونه شاب ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك عزم على رد مصر إلى قيس بن سعد وكان قد جعله على شرطته أو إلى الأشتر النخعي وقد كان نائبه على الموصل ونصيبين ، فكتب إليه بعد صفين فاستقدمه عليه ثم ولاء مصر ، فلما بلغ معاوية تولية على للأشتر النخعي ديار مصر بدل محمد بن أبي بكر عظم ذلك عليه ، وذلك أنه كان قد طمع في مصر واستزاعها من يد محمد ابن أبي بكر ، وعلم أن الأشتر سيمنعها منه لحزبه وشجاعته ، فلما سار الأشتر إليها وانتهى إلى القلزم استقبله الخانसार وهو مقدم على الخراج فقدم إليه طعاماً وسقاه شراباً من غسل فمات منه ، فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً وأهل الشام قالوا : إن الله جنوداً من غسل . وقد ذكر ابن جرير في تاريخه أن معاوية كان قد تقدم إلى هذا الرجل في أن يحتال على الأشتر ليقته ووعده على ذلك بأموه ففعل ذلك ، وفي هذا نظر ، وبتقدير صحته فمعاوية يستجيز قتل الأشتر لأنه من قتلة عثمان رضى الله عنه . والمقصود أن معاوية وأهل الشام فرحوا فرحاً شديداً بموت الأشتر النخعي ، ولما بلغ ذلك علياً

تأسف على شجاعته وغناؤه ، وكتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره واستمراره بديار مصر ، غير أنه ضعف جأشه مع ما كان فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين يبذلون خربنا وقد كانوا استنجدوا أمرهم حين انصرف على من صفين ، وحين كان من أمر التحكيم ما كان ، وحين نكل أهل العراق عن قتال أهل الشام ، وقد كان أهل الشام حين انقضت الحكومة بدومة الجندل سلموا على معاوية بالخلافة وقوى أمرهم جداً ، فعند ذلك جمع معاوية أمراءه عمرو بن العاص ، وشرحبيل بن السمط وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد ، والضحاك بن قيس ، وبسر بن أبي أرطاة ، وأبا الأعور السلمي ، وحزمة بن سنان الهمداني وغيرهم ، فاستشارهم في المسير إلى ديار مصر فاستجابوا له وقالوا : سر حيث شئت فنحن معك ، وعين معاوية نيايتها لعمرو بن العاص إذا فتحها ففرح بذلك عمرو بن العاص ، ثم قال عمرو لمعاوية : أرى أن تبعث إليهم رجالاً مع رجل مأمون عارف بالحرب ، فإن بها جماعة ممن يوالى عثمان فيسباعدونه على حرب من خالفهم ، فقال معاوية : لكن أرى أن أبعث إلى شيعتنا من هنالك كتاباً يعلمهم بقدمهم عليهم ، ونبعث إلى مخالفينا كتاباً ندعوهم فيه إلى الصلح . وقال معاوية : إنك يا عمرو رجل بورك لك في العجلة وإني امرؤ بورك لي في التؤدة ، فقال عمرو : افعل ما أراك الله ، فوالله ما أملك وأمرهم الأسير إلى الحرب العوان ، فكتب عند ذلك معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري ، وإلى معاوية بن خديج السكوني - وهما رئيسا العثمانية ببلاد مصر ممن لم يبايع علياً ولم يأتمر بأمر نوابه بمصر في نحو من عشرة آلاف - يخبرهم بقدم الجيش عليهم سريعاً ، وبعث به مع مولى له يقال له سبيع ، فلما وصل الكتاب إلى مسلمة ومعاوية بن خديج فرحا به وردا جوابه بالاستبشار والمعاونة والمناصرة له ولمن يبعثه من الجيوش والجند والمدد إن شاء الله تعالى ، فعند ذلك جهز معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف ، وأخرج معاوية مودعاً وأوصاه بتقوى الله والرفق والمهل والتؤدة ، وأن يقتل من قاتل ويعفو عن أدبر ، وأن يدعو الناس إلى الصلح والجماعة ، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عندك ، فسار عمرو بن العاص إلى مصر ، فلما قدمها اجتمعت عليه العثمانية فقادهم ، وكتب عمرو بن العاص إلى محمد بن أبي بكر : أما بعد ففتح فاني لا أحب أن يصيبك مني ظفر ، فإن الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافتك ورفض أمرك ، وندموا على اتباعك ، فهم مسلموك لو قد التقت خلقتنا البطان ، فأخرج منها فاني لك لمن الناصحين والسلام . وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه : أما بعد فإن غيب البني والظلم عظيم الوبال ، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النعمة في الدنيا والتبعة الموبقة في الآخرة وإنا لا نعلم أحداً كان أشد خلافاً على عثمان منك حين تظن بمشاقصك بين حشاشته وأوداجه ، ثم إنك تظن أني عنك نائم أو ناس ذلك لك ، حتى تأتي فتأمر على بلاد أنت بها جاري وجل أهلها أنصاري وقد بعثت إليك بجيوش يتقربون إلى الله

بجهادك ولن يسلمك الله من القصاص أبنا كنت والسلام . قال : فطوى محمد بن أبي بكر الكتابين وبعث بهما إلى علي وأعلمه بقدم عمرو إلى مصر في جيش من قبل معاوية ، فان كانت لك بأرض مصر حاجة فابعث إلى أموال ورجال والسلام . فكتب إليه يأمره بالصبر وبمجاهدة العدو ، وأنه سيبعث إليه الرجال والأموال ، ويعد به بما أمكنه من الجيوش . وكتب محمد بن أبي بكر كتاباً إلى معاوية في جواب ما قال وفيه غلظة ، وكذلك كتب إلى عمرو بن العاص وفيه كلام غليظ وقام محمد ابن أبي بكر في الناس فخطبهم وحثهم على الجهاد ومناجزة من قصدهم من أهل الشام ، وتقدم عمرو ابن العاص إلى مصر في جيوشه ، ومن لحق به من العثمانية المصريين ، والجميع في قريب من ستة عشر ألفاً ، وركب محمد بن أبي بكر في ألني فارس الذين انتدبوا معه من المصريين وقدم على جيشه بين يديه كنانة بن بشر فجعل لا يلقاه أحد من الشاميين إلا قاتلهم حتى يلحقهم مغلوبين إلى عمرو ابن العاص ، فبعث عمرو بن العاص إليه معاوية بن خديج فجاءه من ورائه وأقبل إليه الشاميون حتى أحاطوا به من كل جانب ، فترجل عند ذلك كنانة وهو يتلو [وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً] الآية ، ثم قاتل حتى قتل وتفرق أصحاب محمد بن أبي بكر عنه ورجع يمشى فرأى خربة فأوى إليها ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر وذهب معاوية بن خديج في طلب محمد بن أبي بكر فمر بعروج في الطريق فقال لهم : هل مر بكم أحد تستنكرونه ؟ قالوا : لا ! فقال رجل منهم : إنني رأيت رجلاً جالساً في هذه الخربة ، فقال : هو هرو رب الكعبة : فدخلوا عليه فاستخرجوه منها . وقد كاد يموت عطشاً . فانطلق أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص . وكان قد قدم معه إلى مصر . فقال : أقتل أخى صبراً ؟ فبعث عمرو بن العاص إلى معاوية بن خديج أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر ولا يقتله فقال معاوية : كلا والله ، أقتلون كنانة بن بشر وأترك محمد بن أبي بكر ، وقد كان ممن قتل عثمان وقد سألهم عثمان الماء ، وقد سألهم محمد بن أبي بكر أن يسقوه شربة من الماء فقال معاوية : لاسقاني الله إن سقيتك قطرة من الماء أبداً ، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً فتلناه الله بالحريق الخنوم . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن محمد بن أبي بكر قال من معاوية بن خديج هذا ومن عمرو بن العاص ومن معاوية ومن عثمان بن عفان أيضاً ، فعند ذلك غضب معاوية بن خديج فقدمه فقتله ثم جعله في جيفة حمار فأحرقه بالنار ، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وضمت عياله إليها ، وكان فيهم ابنه القاسم وجعلت تدعو على معاوية وعمرو بن العاص دبر الصلوات .

وذكر الواقدي أن عمرو بن العاص قدم مصر في أربعة آلاف فيهم أبو الأعور السلمي فالتقوا مع المصريين بالمساة فقتلوا قتلاً شديداً حتى قتل كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي ، فهرب عند

ذلك محمد بن أبي بكر فاختبأ عند رجل يقال له جبلة بن مسروق ، فدل عليه فجاء معاوية بن خديج وأصحابه فأحاطوا به فخرج إليهم محمد بن أبي بكر فقاتل حتى قتل . قال الواقدي : وكان ذلك في صفر من هذه السنة ، قال الواقدي : ولما قتل محمد بن أبي بكر بعثت على الأشر النخعي إلى مصر فمات في الطريق فآله أعلم . قال : وكانت أدرخ في شعبان في هذه السنة أيضاً ، وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يخبره بما كان من الأمر وأن الله قد فتح عليه بلاد مصر ورجعوا إلى السمع والطاعة واجتماع الجماعة ، وبما عهد لهم من الأمر . وقد زعم هشام بن محمد الكلبي أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة مسك بعد مقتل محمد بن أبي بكر . وكان من جملة المحرضين على قتل عثمان - فبعثه عمرو بن العاص إلى معاوية ولم يبادر إلى قتله لأنه ابن خال معاوية ، فحبسه معاوية بفلسطين فهرب من السجن ، فلحقته رجل يقال له عبد الله بن عمرو بن ظلام بأرض البلقاء ، فاختفى محمد بفار فجاءت حمر وحش لتأوى إليه فلما رآته فيه نفرت فتعجب من نفرها جماعة من الحصادين هنالك ، فذهبوا إلى الغار فوجدوه فيه ، فجاء أولئك إليه فخشى عبد الله بن عمرو بن ظلام أن يرده إلى معاوية فيعفو عنه ، فضرب عنقه ، هكذا ذكر ذلك ابن الكلبي . وقد ذكر الواقدي وغيره أن محمد بن أبي حذيفة قتل في سنة ست وثلاثين كما قدمنا فآله أعلم .

وقال إبراهيم بن الحسين بن دزير في كتابه : ثنا عبد الله بن صالح حدثني ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبلي من قبط مصر لأنه استقر عنده أنه كان يظهر الروم على عورات المسلمين - يكتب إليهم بذلك - فاستخرج منه بضعا وخمسين أردبا دنائير ، قال أبو صالح : والأردب ست وبيات والووية مثل القفيز واعتبرنا الووية فوجدناها تسعا وثلاثين ألف دينار ، قلت : فعلى هذا يكون يبلغ ما كان أخذ من القبطي ما يقارب ثلاثة عشر ألف ألف دينار . قال أبو مخنف بإسناده : ولما بلغ على بن أبي طالب مقتل محمد بن أبي بكر وما كان بمصر من الأمر ، وتملك عمرو لها ، واجتمع الناس عليه وعلى معاوية قام في الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر والمسير إلى أعدائهم من الشاميين والمصريين ، وواعدهم الجرعة بين الكوفة والحيرة ، فلما كان الغد خرج يمشي إليها فلم يخرج إليه أحد من الجيش ، فلما كان العشي بعث إلى أشراف الناس فدخلوا عليه وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيباً فقال : الحمد لله على ما قضى من أمر وقدر من فعل وابتلاني بكم وبمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، أو ليس عجبا أن معاوية يدعوا الجفأة الطعام فيدعونه بغير عطاء ولا معونة ، ويحجبونه في السنة مرتين والثلاث إلى أي وجه ساء ؟ وأنا أدعوك وأنتم أولوا النهي وبقية الناس على المعونة وطائفة من العطاء تفرقون عني وتعضونني وتختلفون على ؟

فقام إليه مالك بن كعب الأوسى فندب الناس إلى امتثال أمر على والسمع والطاعة له فانتدب ألفان فأمروهم مالك بن كعب هذا فصار بهم خمساً ، ثم قدم على علي جماعة ممن كان مع محمد بن أبي بكر بمصر فأخبروه كيف وقع الأمر وكيف قتل محمد بن أبي بكر وكيف استقر أمر عمرو بها ، فبعث إلى مالك بن كعب فردده من الطريق - وذلك أنه خشى عليهم من أهل الشام قبل وصولهم إلى مصر واستقر أمر العراقيين على مخالفة علي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ، والخروج عليه والبعد عن أحكامه وأقواله وأفعاله ، لجهلهم وقلة علمهم وجفائهم وغلظتهم وفجور كثير منهم ، فكتب علي عند ذلك إلى ابن عباس - وهو نائبه على البصرة - يشكو إليه ما يلقاه من الناس من المخالفة والمعاندة ، فرد عليه ابن عباس يسليه في ذلك ، ويمزيه في عهد بن أبي بكر ويحثه على تلافى الناس والصبر على مسيئتهم ، فان ثواب الله خير من الدنيا ، ثم ركب ابن عباس من البصرة إلى علي وهو بالكوفة واستخلف ابن عباس على البصرة زياداً ، وفي هذا الحين بعث معاوية بن أبي سفيان كتاباً مع عبد الله بن عمرو الحضرمي إلى أهل البصرة يدعومهم إلى الإقرار بما حكم له عمرو بن العاص ، فلما قدما نزل علي بنى تميم فأجاروه فنهض إليه زياد وبعث إليه أعين بن ضبيعة في جماعة من الناس فصاروا إليهم فاقتتلوا فقتل أعين بن ضبيعة ، فكتب زياد إلى علي يعلمه بما وقع بالبصرة بعد خروج ابن عباس منها ، فبعث عند ذلك على جارية بن قدامة التميمي في خمسين رجلاً إلى قومه بني تميم ، وكتب معه كتاباً إليهم فرجع أكثرهم عن ابن الحضرمي وقصده جارية فحصره في دار هو وجماعة معه ، قيل : كان عددهم أربعين ، وقيل سبعين ، فخرقهم بالنار بعد أن أعذر إليهم وأنذرهم فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما جاؤا له .

قصص من التاريخ

وقد صحح ابن جرير أن قتال علي لأهل النهروان كان في هذه السنة ، وكذلك خروج الحريث ابن راشد الناجي كان في هذه السنة أيضاً ، وكان مع الحريث ثلثمائة رجل من قومه بني ناجية - وكان مع علي بالكوفة - فجاء إلى علي فقام بين يديه وقال : والله يا علي لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك ، إني لك غدا لمفارق . فقال له علي : ثكلتك أمك إذا تعصى ربك وتنقض عهدك ولا تضر إلا نفسك ، ولم تفعل ذلك ؟ قال : لأنك حكمت في الكتاب وضعت عن قيام الحق إذ جد الجد ، وركنت إلى القوم الظالمين ، فانا عليك زارى وعليك ناقم ، وإنا لكم جميعاً مباينون . ثم رجع إلى أصحابه فصار بهم نحو بلاد البصرة فبعث إليهم معقل بن قيس ثم أردفه بخالد بن معدان الطائي - وكان من أهل الصلاح والدين والبأس والنجدة - وأمره أن يسمع له ويطيع ، فلما اجتمعوا صاروا جيشاً واحداً ، ثم خرجوا في آثار الحريث وأصحابه فلحقوهم - وقد أخذوا في جبال رامهرمز قال فصفنا لهم ثم أقبلنا

إليهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن معقل ، وعلى ميسرته منجابه بن راشد الضبي ، ووقف الحريث فيمن معه من العرب فكانوا ميمنة ، وجعل من اتبعه من الأكراد والعلوج ميسرة ، قال : وسار فينا معقل بن قيس فقال : عباد الله ! لا تبدؤا القوم وغضوا أبصاركم ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب ، وأبشروا في قتالكم بالأجر إنما تقاتلون مارقة مرقت من الدين ، وعلوجاً كسروا الخراج ، ولصوصاً وأكراداً ، فإذا حملت فشدوا شدة رجل واحد . ثم تقدم فرك دابته فحريكيتين ثم حمل عليهم في الثالثة وحملنا معه جميعنا فوالله ما صبروا لنا ساعة واحدة حتى ولوا منهزمين ، وقتلنا من العلوج والأكراد نحواً من ثلثمائة ، وفر الحريث منهزماً حتى لحق بأساف - وبها جماعة من قومه كثيرة - فاتبعوه فقتلوه مع جماعة من أصحابه بسيف البحر ، قتله النعمان بن صهبان ، وقتل معه في المعركة مائة وسبعون رجلاً . ثم ذكر ابن جرير وقعت كثيرة كانت بين أصحاب على والخوارج فيها أيضاً ثم قال : حدثني عمر بن شبة ثنا أبو الحسن - يعني المدائني - علي بن محمد بن علي بن مجاهد قال قال الشعبي : لما قتل على أهل النهر خالفه قوم كثير ، وانتقضت أطرافه وخالفه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمي إلى البصرة ، وانتقض أهل الجبال ، وطمع أهل الخراج في كسره وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس - وكان عاملاً عليها - فأشار عليه ابن عباس بزياد بن أبيه أن يوليه إياها فولاه إياها فسار إليها في السنة الآتية في جمع كثير ، فوطئهم حتى أدوا الخراج قال ابن جرير وغيره : وحج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس ، نائب على على مكة ، وأخوه عبيد الله ابن عباس نائب اليمن ، وأخوهما عبد الله نائب البصرة ، وأخوه تمام بن عباس نائب المدينة ، وعلى خراسان خالد بن قرة البربوعي وقيل ابن أبزي ، وأما مصر فقد استقرت بيد معاوية فاستناب عليها عمرو بن العاص .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

سهل بن حنيف

ابن واهب بن العليم بن ثعلبة الأنصاري الأوسي ، شهد بدرًا ، وثبت يوم أحد ، وحضر بقية المشاهد ، وكان صاحباً لعلي بن أبي طالب ، وقد شهد معه مشاهد كلها أيضاً غير الجمل فانه كان قد استخلفه على المدينة ، ومات سهل بن حنيف في سنة ثمان وثلاثين بالكوفة ، وصلى عليه على فكبّر خساً وقيل ستاً وقال إنه من أهل بدر رضي الله عنه .

صنوان بن بيضاء اخو سهيل بن بيضاء

شهد المشاهد كلها وتوفي في هذه السنة في رمضانها وليس له عقب .

صهيب بن سنان بن مالك

الرومي وأصله من اليمن أبو يحيى بن قاسط وكان أبوه أو عمه عاملاً لكسرى على اليلة ، وكانت

منازلهم على دجلة عند الموصل ، وقيل على الفرات ، فاغارت على بلادهم الروم فأسرتهم وهو صغير ، فأقام عندهم حيناً ثم اشترته بنو كلب فحملوه إلى مكة فابتناعه عبد الله بن جدعان فأعتقه وأقام بمكة حيناً ، فلما بعث رسول الله (ص) آمن به ، وكان ممن أسلم قديماً هو وعمار في يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلاً ، وكان من المستضعفين الذين يعذبون في الله عز وجل ، ولما هاجر رسول الله (ص) هاجر صهيب بعده بأيام فلحقه قوم من المشركين يريدون أن يصدوه عن الهجرة ، فلما أحس بهم نزل كنيسته فوضعها بين يديه وقال : والله لقد علمتم أني من أركم ، والله لا تصلون إلى حتى أقتل بكل سهم من هذه رجلاً منكم ، ثم أقاتلكم بسيفي حتى أقتل . وإن كنتم تريدون المال فانا أدلكم على مالى هو مدفون في مكان كذا وكذا ، فانصرفوا عنه فأخذوا ماله ، فلما قدم قال له رسول الله (ص) : « ربح البيع أبا يحيى » وأنزل الله (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب ، وشهد بداراً وأحداً وما بعدهما ، ولما جعل عمر الأمر شورى كان هو الذى يصلى بالناس حتى تعين عثمان ، وهو الذى ولى الصلاة على عمر - وكان له صاحباً - وكان أحر شديداً الحرة ليس بالطويل ولا بالقصير أقرن الحاجبين كثير الشعر وكان لسانه فيه عجمة شديدة ، وكان مع فضله ودينه فيه دعاة وفكاهة وانشراح ، روى أن رسول الله (ص) : « رأه يأكل بقاء رطباً وهو أرمد إحدى العينين ، فقال : « أتأكل رطباً وأنت أرمد » ؟ فقال : إنما آكل من ناحية عيني الصحيحة ، فضحك رسول الله (ص) . وكانت وفاته بالمدينة سنة ثمان وثلاثين ، وقيل سنة تسع وثلاثين ، وقد نيف على السبعين .

محمد بن أبي بكر الصديق

ولد في حياة النبي (ص) ، في حجة الوداع تحت الشجرة عند الحرم وأمه أسماء بنت عميس ، ولما احتضر الصديق أوصى أن تغسله فغسلته ، ثم لما انقضت عدها تزوجها على فنشأ في حجره ، فلما صارت إليه الخلافة استنابه على بلاد مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة كما قدمنا ، فلما كانت هذه السنة بعث معاوية عمرو بن العاص فاستلب منه بلاد مصر وقتل محمد بن أبي بكر كما تقدم ، وله من العمر دون الثلاثين ، رحمه الله ورضى عنه .

اسماء بنت عميس

ابن معبد بن الحارث النخعية ، أسلمت بمكة وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة وقدمت معه إلى خيبر ، ولها منه عبد الله ، ومحمد ، وعون . ولما قتل جعفر بموتة تزوجها بعده أبو بكر الصديق فولدت منه محمد بن أبي بكر أمير مصر ثم لما مات الصديق تزوجها بعده على بن أبي طالب فولدت له يحيى وعونا ، وهى أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأما . وكذلك هى أخت أم

الفضل امرأة العباس لأُمها ، وكان لها من الأخوات لأُمها تسع أخوات ، وهي أخت سلمى بنت عيسى امرأة العباس التي له منها بنت اسمها عمارة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

فيها جهز معاوية بن أبي سفيان جيوشاً كثيرة ففرقها في أطراف معاملات على بن أبي طالب ، وذلك أن معاوية رأى بعد أن ولاء عمرو بن العاص بعد اتفائه مع أبي موسى على عزل على ، أن ولايته وقعت الموقع ، فهو الذي يجب طاعته فيما يعتقده ، ولأن جيوش على من أهل العراق لا تطيعه في كثير من الأمور ولا ياتمرون بأمره ، فلا يحصل بمباشرة المقصود من الإمارة والحالة هذه ، فهو يزعم أنه أولى منه إذ كان الأمر كذلك . وكان ممن بعث في هذه السنة النعمان بن بشير في ألفي فارس إلى عين التمر ، وعليها مالك بن كعب الأرحبي في ألف فارس مسلحة لعل ، فلما سمعوا بقدوم الشاميين أرفضوا عنه فلم يبق مع مالك بن كعب إلا مائة رجل فكتب عند ذلك إلى على يعلم بما كان من الأمر ، فندب على الناس إلى مالك بن كعب فثاقلوا ونكلوا عنه ولم يجيبوا إلى الخروج ، فخطبهم على عند ذلك فقال في خطبته : « يا أهل الكوفة ! كلما سمعتم بمنسر من مناسر أهل الشام أنجركم كل منكم في بيته ، وغلق عليه بابه . أنجحار الضب في جحره ، والضبغ في وجاره ، المفرور والله من غررتموه ، ولئن فارقكم فاز بالسهم الأصيب ، لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا منيت به منكم ، عى لا تبصرون ، وبكم لا تنطقون ، وصم لا تسمعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون » ودهمهم النعمان بن بشير فاقتلوا قتلاً شديداً وليس مع مالك بن كعب إلا مائة رجل قد كسر واجفون سيوفهم واستقتلوا ، فبيناهم كذلك إذ جاءهم نجدة من جهة مخنف بن سليم مع ابنه عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً ، فلما رآهم الشاميون ظنوا أنهم مدد عظيم ففروا هرباً ، فاتبهم مالك بن كعب فقتل منهم ثلاثة أنفس وذهب الباقون على وجوههم ولم يتم لهم أمر من هذا الوجه . وفيها بعث معاوية سفيان بن عوف في ستة آلاف وأمره بأن يأتي هيت فيغير عليها ، ثم يأتي الأنبار والمدائن . فسار حتى انتهى إلى هيت فلم يجد بها أحداً ، ثم إلى الأنبار وفيها مسلحة لعل نحو من خمسمائة ، فتفرقوا ولم يبق منهم إلا مائة رجل ، فقاتلوا مع قتلهم وصبروا حتى قتل أميرهم - وهو أشرس بن حسان البلوى - في ثلاثين رجلاً من أصحابه ، واحتملوا ما كان بالأنبار من الأموال وكرروا راجعين إلى الشام ، فلما بلغ الخبر علياً رضي الله عنه ركب بنفسه فنزل بالنخيلة فقال له الناس : نحن نكفيك ذلك يا أمير المؤمنين . فقال : والله ما تكفونني ولا أنفسكم ، وسرح سعد بن قيس في أثر القوم فسار وراءهم حتى بلغ هيت فلم يلحقهم فرجع . وفيها بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة إلى تباه وأمره أن يصدق أهل البوادي ومن

امتنع من إعطائه فليقتله ثم يأتي المدينة ومكة والحجاز . فسار إلى تباء واجتمع عليه بشر كثير ، فلما بلغ عليا بمث المسيب بن نجبة الفزاري في ألقي رجل فالتقوا بتبء فاقتلوا قتالا شديداً عند زوال الشمس ، وحمل المسيب بن نجبة على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات وهو لا يريد قتله بل يقول له : النجا النجا ، فأنحاز ابن مسعدة في طائفة من قومه إلى حصن هناك فتحصنوا به وهرب بقيتهم إلى الشام ، وانتهبت الأعراب ما كان جمعه ابن نجبة من إبل الصدقة ، وحاصروا المسيب بن نجبة ثلاثة أيام ثم ألقي الحطب على الباب وألهب فيه النار ، فلما أحسوا بالهلاك أشرفوا من الحصن ، ومتوا إليه بانهم من قومه فرق لهم وأطفأ النار ، فلما كان الليل فتح باب الحصن وخرجوا هرباً إلى الشام ، فقال عبد الرحمن بن شبيب للمسيب بن نجبة : سر حتى ألحقهم ! فقال : لا ! فقال : غششت أمير المؤمنين داهنت في أمرهم . وفيها وجه معاوية الضحاك بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره أن يغير على أطراف جيش علي ، فجهز على حجر بن عدي في أربعة آلاف وأنفق فيهم خمسين درهماً وخمسين درهماً ، فالتقوا بتدمر قتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً ، ومن أصحاب حجر بن عدي رجلان ، وغشبهم الليل ففرقوا ، واستمر الضحاك بأصحابه فاراً إلى الشام . وفيها سار معاوية بنفسه في جيش كثيف حتى بلغ دجلة ثم كر راجعاً . ذكره محمد بن سعد عن الواقدي بإسناده وأبو معشر أيضاً

وفي هذه السنة ولي علي بن أبي طالب زياد بن أبيه على أرض فارس ، وكانوا قد منعوا الخراج والطاعة ، وسبب ذلك حين قتل ابن الحضرمي وأصحابه بالنار حين حرقهم جارية بن قدامة في تلك الدار كما قدمنا ، فلما اشتهر هذا الصنيع في البلاد تشوش قلوب كثير من الناس على علي ، واختلفوا على علي ، ومنع أكثر أهل تلك النواحي خراجهم ، ولاسيما أهل فارس فانهم تمردوا وأخرجوا عاملهم سهل بن حنيف - كما تقدم في العام الماضي - من بين أظهرهم ، فاستشار على الناس فيمن يوليه عليهم ، فأشار ابن عباس وجارية بن قدامة أن يولي عليهم زياد بن أبيه ، فانه صليب الرأي ، عالم بالسياسة . فقال علي : هو لها ، فولاه فارس وكرمان وجزه إليهما في أربعة آلاف فارس ، فسار إليها في هذه السنة فدوخ أهلها وقهرهم حتى استقاموا وأدوا الخراج وما كان عليهم من الحقوق ، ورجعوا إلى السمع والطاعة ، وسار فيهم بالمدلة والامانة ، حتى كان أهل تلك البلاد يقولون : ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أو ثروان من سيرة هذا العربي في اللين والمدارة والعلم بما يأتي ، وصفت له تلك البلاد بعدله وعلمه وصرامته ، واتخذ للمال قلعة حصينة ، فكانت تعرف بقلعة زياد ، ثم لما تحصن فيها منصور اليشكري فيها بعد ذلك عرفت به فكان يقال لها قلعة منصور .

قال الواقدي : وفي هذه السنة بمث علي بن أبي طالب عبد الله بن عباس على الموسم و بمث معاوية يزيد بن سبخرة الرهاوي ليقم للناس الحج فلما اجتمعا بمكة تنازعا وأبى كل واحد

منهما أن يسلم لصاحبه فاصطلحا على شيبه بن عثمان بن أبي طلحة الحنظلي فحج بالناس وصلى بهم في أيام الموسم قال أبو الحسن المدائني : لم يشهد عبد الله بن عباس الموسم في أيام على حتى قتل ، والذي نازعه يزيد بن سخبرة إنما هو قثم بن العباس حتى اصطلحا على شيبه بن عثمان . قال ابن جرير : وكما قال أبو الحسن المدائني قال أبو مصعب . قال ابن جرير : وأما عمال على على الأمصار فهم الذين ذكرنا في السنة الماضية غير أن ابن عباس كان قد سار من البصرة إلى الكوفة واستخلف على البصرة زياد بن أبيه ثم سار زياد في هذه السنة إلى فارس وكرمان كما ذكرنا .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

سعد القرظي

مؤذن مسجد قبا في زمان رسول الله (ص) ، فلما ولي عمر الخلافة رلاه أذان المسجد النبوي وكان أصله مولى لعمار بن ياسر ، وهو الذي كان يحمل العترة بين يدي أبي بكر وعمر وعلى إلى المصلى يوم العيد وبقى الأذان في ذريته مدة طويلة .

عقبة بن عمرو بن ثعلبة

أبو مسعود البدرى سكن ماء بدر ولم يشهد الوقعة بها على الصحيح ، وقد شهد العقبة ، وهو من سادات الصحابة وكان ينوب لعل بالكوفة إذا خرج لصفين وغيرها .
سنة أربعين من الهجرة .

قال ابن جرير : فما كان في هذه السنة من الأمور الجليلة توجيه معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز ، فذكر عن زياد بن عبد الله البكائي عن عوانة قال : أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بسر بن أبي أرطاة - وهو رجل من بني عامر بن لؤي - في جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة - وعامل على عليها يومئذ أبو أيوب - ففر منهم أبو أيوب فأثى عليا بالكوفة ، ودخل بسر المدينة ولم يقاتله أحد ، فصعد منبرها فنادى على المنبر : يا دينار ويا نجار ويا رزيق شيخي شيخي عهدي به ها هنا بالأمس فأين هو ؟ - يعني عثمان بن عفان - ثم قال : يا أهل المدينة والله لولا ما عهد إلى معاوية ما تركت بها محتلا إلا قتلته ، ثم بايع أهل المدينة وأرسل إلى بني سلمة فقال : والله مالكم عندي من أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله - يعني حتى يبايعه - فانطلق جابر إلى أم سلمة فقال لها : ماذا ترين إني خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة ؟ فقالت : أرى أن تبايع فاني قد أمرت ابني عمر وختي عبد الله بن زمعة - وهو زوج ابنتها زينب - أن يبايعا فأماه جابر فبايعه . قال : وهدم بسر دوراً بالمدينة ثم مضى حتى أتى مكة تخافه أبو موسى الأشعري أن يقتله فقال

له بسر : ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله (ص) ذلك ، نفخى عنه ، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى أهل اليمن أن خيلاً مبعوثاً من عند معاوية تقتل من أبي أن يقر بالحكومة ، ثم مضى بسر إلى اليمن وعليها عبيد الله بن عباس ففر إلى الكوفة حتى لحق بعلي ، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد الله بن المدان الحارثي ، فلما دخل بسر اليمن قتله وقتل ابنه ، ولقي بسر قتل عبيد الله بن عباس وفيه ابنان صغيران له قتلتهما وهما عبد الرحمن وقثم ، ويقال إن بسرّاً قتل خلقاً من شيعة علي في مسيره هذا وهذا الخبر مشهور عند أصحاب المغازي والسير ، وفي صحته عندي نظر والله تعالى أعلم . ولما بلغ علياً خبر بسر وجه جارية بن قدامة في ألفين ، ووهب بن مسعود في ألفين ، فسار جارية حتى بلغ نجران فخرق بها وقتل ناساً من شيعة عثمان ، وهرب بسر وأصحابه فاتبعهم حتى بلغ مكة ، فقال لهم جارية : بايعوا فقالوا : لمن نبايع وقد هلك أمير المؤمنين فلن نبايع ؟ فقال : بايعوا لمن بايع له أصحاب علي ، فتناقلوا ثم بايعوا من خوف ، ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم فهرب منه فقال جارية : والله لو أخت أبا سنور لضربت عنقه ، ثم قال لأهل المدينة : بايعوا للحسن ابن علي ، فبايعوا وأقام عندهم ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة وعاد أبو هريرة يصلي بهم . قال ابن جرير : وفي هذه السنة جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات يطول ذكرها على وضع الحرب بينهما ، وأن يكون ملك العراق لعلي ومعاوية الشام ، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزوة . ثم ذكر عن زياد عن ابن إسحاق ما هذا مضمونه أن معاوية كتب إلى علي : أما بعد فإن الأمانة قد قتل بعضها بعضاً يعني فلك العراق ولي الشام . فأقر بذلك علي رضي الله عنه . وأمسك كل واحد منهما عن قتال الآخر ، وبعث الجيوش إلى بلاده ، واستقر الأمر على ذلك . قال ابن جرير : وفي هذه السنة خرج ابن عباس من البصرة إلى مكة وترك العمل في قول عامة أهل السير ، وقد أنكروا ذلك بعضهم وزعم أنه لم يزل عاملاً على البصرة حتى صالح على معاوية ، وأنه كان شاهداً للصالح ، ممن نص على ذلك أبو عبيدة كاسياني . ثم ذكر ابن جرير سبب خروج ابن عباس عن البصرة وذلك أنه كلم أبا الأسود الدؤلي القاضي بكلام فيه غض من أبي الأسود فكتب أبو الأسود إلى علي يشكو إليه ابن عباس وينال من عرضه فانه تناول شيئاً من أموال بيت المال فبعث علي بن ابن عباس فعاتبه في ذلك وحرر عليه التبعة فغضب ابن عباس من ذلك وكتب إلى علي : ابعث إلى عمك من أحببت فاني ظاعن عنه والسلام . ثم سار ابن عباس إلى مكة مع أخوا له بني هلال وتبعهم قيس كلها ، وقد أخذ شيئاً من بيت المال مما كان اجتمع له من العالة والنقود ، ولما سار تبعته أقوام آخر فلحقهم بنو غنم وأرادوا منعهم من السير فكان بينهم قتال ، ثم تحاجزوا ودخل ابن عباس مكة .

✓ ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وما ورد من الأحاديث النبوية من الأخبار بمقتله وكيفيته

كان أمير المؤمنين رضي الله عنه قد تنفصت عليه الأمور ، واضطرب عليه جيشه ، وخالفه أهل العراق ، ونكلوا عن القيام معه ، واستفحل أمر أهل الشام ، وصالوا وجالوا بيننا وشمالا ، زاعمين أن المرأة لمعاوية بمقتضى حكم الحكيمين في خلعهما عليا وتولية عمرو بن العاص معاوية عند خلو الامرة عن أحد ، وقد كان أهل الشام بعد التحكيم يسمون معاوية الأمير ، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جأش أهل العراق ، وهذا وأمرهم علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان ، أعبدتهم وأزهدهم ، وأعلمهم وأخشاهم لله عز وجل ، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه حتى كره الحياة وتمنى الموت ، وذلك لكثرة الفتن وظهور الحن ، فكان يكثر أن يقول : ما يجبس أشقاها ، أى ما ينتظر ؟ ماله لا يقتل ؟ ثم يقول : والله لتخضبن هذه ويشير إلى لحيته من هذه ويشير إلى هامته ، كما قال البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعاني ثنا أبو الحراب الأحمص بن حراب ثنا عمار بن زريق عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد قال قال علي : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه للحية من رأسه فما يجبس أشقاها » ؟ فقال عبد الله بن سبع : والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلا فعل ذلك لأبدنا عترته : فقال أنشدكم بالله أن يقتل غير قاتلي . فقالوا : يا أسير المؤمنين ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله . قالوا : فما تقول لربك إذا لقينه وقد تركتنا هملا ؟ قال : أقول اللهم استخلفتنى فيهم ما بدالك ثم قبضتنى وتركتنك فيهم فان شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم .

طريق أخرى

قال أبو داود الطيالسي في مسنده : ثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب . قال : جاءت الخوارج إلى علي فقالوا له : اتق الله فانك ميت . قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ولكن مقتول من ضربة على هذه تخضب هذه - وأشار بيده إلى لحيته - عهد معهود وقضى مقضى ، وقد خاب من افترى .

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو يعلى : ثنا سويد بن سعيد ثنا رشدين بن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة عن عثمان بن صهيب عن أبيه . قال قال علي : قال لى رسول الله ص : « من أشقى الأولين ؟ قلت : عاقرة الناقة ، قال : صدقت فن أشقى الآخرين ؟ قلت : لا علم لى يارسول الله ، قال : الذى يضربك

على هذه - وأشار بيده - على يافوخه فيخضب هذه من هذه يعني لحيته من دم رأسه قال : « فكان يقول : وددت أنه قد انبعث أشقاكم » .

طريق أخرى عن علي

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن سبيع . قال : سمعت علياً يقول لتخضبن هذه من هذه فما ينتظرن بي إلا شقي ، فقالوا : يا أمير المؤمنين أخبرنا به نبدعتره ، قال : إذا قال الله تقتلون بي غير قاتلي ، قالوا : فاستخلف علينا ، قال : لا ! ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله (س) ، قالوا : فما تقول لربك إذا أتيتك ؟ قال : أقول : اللهم تركتني فيهم ما بدالك ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، إن شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم

وقال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عبد الله ابن بسع قال : خطبنا على فقال : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه ، قال فقال الناس : فأعلمنا من هو والله لنبيدنه أو لنبيدن عترته . قال : أنشدكم بالله أن يقتل غير قاتلي ، قالوا : إن كنت علمت ذلك فاستخلف قال لا ولكن أكلمكم إلى ما وكلكم إليه رسول الله (س) ، « تفرد به أحمد .

طريق أخرى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ثنا محمد - يعني ابن راشد - عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري - وكان ابن فضالة من أهل بدر - : وقال « خرجت مع أبي عائلاً لعلني بن أبي طالب من مرض أصابه ثقل منه ، قال فقال له أبي : ما يقيمك بمنزلك هذا لو أصابك أجلك إلا أعراب جبيته ؟ تحمل إلى المدينة فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك . قال علي : إن رسول الله (س) عهد إلى أن لا أموت حتى أوامر ثم تخضب هذه - يعني لحيته - من دم هذه - يعني هامته - قال فقتل وقتل ابن فضالة يوم صفين « تفرد به أحمد أيضاً . وقد رواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن أبي النضر هاشم بن القاسم به .

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا أحمد بن أبان القرشي ثنا سفيان بن عيينة ثنا كوفي يقال له عبد الملك بن أعين عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : « قال لي عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في غرز الركب لا تأتي العراق فانك إن أتيتها أصابك بها خيل السيف قال : وايم الله لقد قالها ولقد قالها النبي (س) لي قبله . قال أبو الأسود فقلت : فأنه ما رأيته رجلاً محارباً يحدث بهذا قبلك غيرك » . ثم قال البزار : ولا نعلم رواه إلا علي ابن أبي طالب بهذا الاسناد ، ولا نعلم رواه إلا عبد الملك بن أعين عن أبي حرب ، ولا رواه عنه

إلا ابن عيينة . هكذا قال : وقد رأيت من الطرق المتعددة خلاف ذلك . وقال البيهقي بعد ذكره طرفاً من هذه الطرق : وقد روينا في كتاب السنن بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم عن أبي سنان الدؤلي عن علي في إخبار النبي (س) بقتله .

حديث آخر في ذلك

قال الخطيب البغدادي . أخبرني علي بن القاسم البصري ثنا علي بن إسحاق المارداني أنا محمد ابن إسحاق الصنعاني ثنا إسماعيل بن أبان الوراق ثنا ناصح بن عبد الله الحلبي عن سماك عن جابر ابن سمرة قال قال رسول الله (س) : « من أشقى الأولين ، قال : عاقر الناقة ، قال : فمن أشقى الآخرين ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال : فانتك » .

حديث آخر في معنى ذلك

وروى البيهقي من طريق فطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه كلاهما عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة الحماني قال سمعت علياً علي المنبر وهو يقول : « والله إنه لعهد النبي الأُمي إلى إن الامة ستفتر بك بعدى » قال البخاري : ثعلبة بن زيد الحماني في حديثه هذا نظر . قال البيهقي : وقد روينا بإسناد آخر عن علي ان كان محفوظاً . أخبرنا أبو علي الروذباري أنا أبو محمد بن شاذب الواسطي بهاتنا شعيب بن أيوب ثنا عمرو بن عون عن هشيم عن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الازدي عن علي . قال : « إن مما عهد إلى رسول الله (س) ، أن الامة ستفتر بك بعدى » قال البيهقي : فان صح فيحتمل أن يكون المراد به والله أعلم في خروج من خرج عليه ثم في قتله . وقال الأعمش عن عمرو بن مرة ابن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأرقم . قال : خطبنا على يوم الجمعة فقال نبئت أن بسراً قد طلع اليمن ، وإني والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم ، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم ، وخيانتكم وأمانتهم ، وإفسادكم في أرضكم وإصلاحهم ، قد بعثت فلاناً نغان وغدر ، وبعثت فلاناً نغان وغدر ، وبعث المال إلى معاوية لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقته ، اللهم ستمهم وستموني ، وكرههم وكرهوني ، اللهم فأرحهم مني وأرحني منهم » قال : فاصلى الجمعة الأخرى حتى قتل رضى الله عنه وأرضاه .

صفة مقتله رضى الله عنه

ذكر ابن جرير وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس : أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحيرى ثم الكندى حليف بنى حنيفة من كندة المصرى وكان أصغر حسن الوجه أبلج شعره مع شحمة أذنيه وفي وجهه أثر السجود . والبرك بن عبد الله التميمي . وعمرو بن بكر التميمي أيضاً - اجتمعوا فتذاكروا قتل علي إخوانهم من أهل النهر وانفترحوهم عليهم

وقالوا : ماذا نصنع بالبقاء بعدهم ؟ كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال قتلناهم فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا ؟ فقال ابن ملجم : أما أنا فأكفيكم على ابن أبي طالب . وقال البرك وأنا أكفيكم معاوية : وقال عمرو بن بكر وأنا أكفيكم عمرو بن العاص . فتماهدوا وتواتقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسياهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة فدخلها وكنم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها ، فبينما هو جالس في قوم من بني الرباب يتذاكرون قتلاهم يوم النهر وان إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها قطام بنت الشحنة ، قد قتل على يوم النهر وان أباه وأخاه ، وكانت فائقة الجمال مشهورة به ، وكانت قد انقطعت في المسجد الجامع تتعبد فيه ، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله ونسى حاجته التي جاء لها ، وخطبها إلى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادما وقينة . وأن يقتل لها على بن أبي طالب . قال : فهولك والله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل على ، فترجوها ودخل بها ثم شرعت تحرضه على ذلك وندبت له رجلا من قومها ، من تيم الرباب يقال له وردان ، ليكون معه ردها ، واستمال عبد الرحمن ابن ملجم رجلا آخر يقال له شبيب بن نجدة الأشجعي الحروري قال له ابن ملجم : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك : قال ؟ قتل على ، فقال : ثكلتك أمك ، لقد جئت شيئا إدا كيف تقدر عليه ؟ قال أكن له في المسجد فاذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فان نجونا شفيانا أنفسنا وأدركنا ثأرنا ، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا . فقال : ويحك لو غير على كان أهون على ؟ قد عرفت سابقته في الاسلام وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله فما أجدني أنشرح صدرا لقتله . فقال : أما تعلم أنه قتل أهل النهر وان ؟ فقال : بلى قال : فنقتله بمن قتل من إخواننا . فأجابه إلى ذلك بعدلأى ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت ، وقال : هذه الليلة التي واعدت أصحابي فيها أن يثأروا بمعاوية وعمرو بن العاص فجاء هؤلاء الثلاثة - وهم ابن ملجم ، ووردان ، وشبيب - وهم مشتملون على سيوفهم فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها على ، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة ، ويقول : الصلاة الصلاة فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوق في الطاق ، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضى الله عنه ، ولما ضربه ابن ملجم قال : لاحكم الا الله ليس لك يا على ولا لأصحابك ، وجعل يتلو قوله تعالى [ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد] ونادى على : عليكم به ، وهرب وردان فأدركه رجل من حضر موت فقتله ، وذهب شبيب فجاء بنفسه وفات الناس ، ومسك ابن ملجم وقدم على جمعة بن هبيرة بن أبي وهب فضلى بالناس صلاة الفجر ، وحمل

على إلى منزله ، وحمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف - قبحه الله - فقال له : أى عبد الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى : قال : فما حملك على هذا : قال ؟ شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال له على لا أراك إلا مقتولاً به ، ولا أراك إلا من شر خلق الله ، ثم قال : إن مت فاقتلوه وإن عشت فانا أعلم كيف أصنع به ، فقال جنذب بن عبد الله : يا أمير المؤمنين إن مت نبأ بع الحسن ؟ فقال لا آمركم ولا أنهيكم ، أنتم أبصر . ولما احتضر على جمل يكثر من قول لا إله إلا الله ، لا يتلفظ بغيرها . وقد قيل إن آخر ما تكلم به [فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره] . وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش ، ووصاهما بأخييهما محمد بن الحنفية ووصاهما بما وصاهما به ، وأن يعظمهما ولا يقطع أمراً دونهما وكسب ذلك كله في كتاب وصيته رضى الله عنه وأرضاه .

وصورة الوصية : « بسم الله الرحمن الرحيم ! هذا ما أوصى به على بن أبى طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، أوصيك يا حسن وجميع ولدى ومن بلغه كتابى بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فإني سمعت أبا القاسم (س) يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » أنظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوا ليهون الله عليكم الحساب الله أنفى الأيتام فلا تعفوا أفواههم ولا يضيعن محضرتكم ، والله الله في جيرانكم فانهم وصية نبيكم ، مازال يوصى بهم حتى ظننا أنه سيورثهم ، والله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم ، والله الله في الصلاة فانها عمود دينكم ، والله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فانه إن ترك لم تناظروا ، والله الله في شهر رمضان فان صيامه جنة من النار ، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله في الزكاة فانها تطفى غضب الرب ، والله الله في ذمة نبيكم لا تظنن بين ظهرانيكم ، والله الله في أصحاب نبيكم فان رسول الله (س) أوصى بهم ، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم ، والله الله فيما ملكت أيماكم فان آخر ما تكلم به رسول الله (س) أن قال : « أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيماكم » الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبني عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم

والندابرو التقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ عليكم نبيكم ، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله . ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض في شهر رمضان سنة أربعين .

وقد غسله ابنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد الزبيري ثنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبي يحيى قال : لما ضرب ابن ملجم عليا قال لهم « افعلوا به كما أراد رسول الله (س) » أن يفعل برجل أراد قتله فقال : اقتلوه ثم حرقوه . وقد روى أن أم كلثوم قالت لابن ملجم وهو واقف : ويحك ! لم ضربت أمير المؤمنين ؟ قال : إنما ضربت أباك فقالت : إنه لا بأس عليه ، فقال : لم تبكين ؟ والله لقد ضربته ضربة لو أصابت أهل المصر لما أتوا أجمعين ، والله لقد سممت هذا السيف شهراً ولقد اشتريته بألف وسممته بألف .

قال الهيثم بن عدي : حدثني رجل من بجيلة عن مشيخة قومه أن عبد الرحمن بن ملجم رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام كانت من أجل النساء ترى رأى الخوارج ، قد قتل على قومها على هذا الرأي فلما أبصرها عشقها فخطبها فقالت : لا أنزجك إلا على ثلاثة آلاف وعبد وقينة ، فتزوجها على ذلك فلما بنى بها قالت له : يا هذا قد فرغت فافرع فخرج ملبساً سلاحه وخرجت معه فضربت له قبة في المسجد وخرج على يقول : الصلاة الصلاة ، فاتبعه عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه فقال الشاعر : - قال ابن جرير : هو ابن مباس المرادي .

فلم أر مهراً ساقه ذو ساحة * كهر قطام بيناً غير معجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وقتل علي بالحسام المصمم
فلا مهر أعلا من علي وإن غلا * ولا فتك إلا دون فتك^(١) ابن ملجم
وقد عزى ابن جرير هذه الأبيات إلى ابن شاس المرادي وأنشد له ابن جرير في قتلهم عليا :

ونحن ضربنا مالك الخير حيدراً * أبا حسن مأموماً فتقطراً
ونحن خلعنا ملكه من نظامه * بضربة سيف إذ علا ونجبراً
ونحن كرام في الهياج أعزة * إذا الموت بالموت ارتدى وتأزراً
وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج المتأخرين في زمن التابعين وهو عمران بن حطان وكان أحد العباد ممن يروى عن عائشة في صحيح البخاري فقال فيه :

يا ضربة من تقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

(١) كذا في الأصل وفي نسخة : ولا قتل إلا دون قتل . فلعلها رواية .

إني لأذكره يوماً فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

وأما صاحب معاوية - وهو البرك - فانه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا اليوم فضر به بالسيف ، وقيل بخنجر مسموم فجاءت الضربة في وركه فجرحت إلتنه ومسك الخارجى فقتل ، وقد قال لمعاوية : اتركنى فانى أبشرك ببشارة ، فقال : وما هى ؟ فقال : إن أخى قد قتل في هذا اليوم على بن أبى طالب ، قال : فلمله لم يقدر عليه ، قال : بلى إنه ، لاحرس معه ، فأمر به فقتل ، وجاء الطبيب فقال لمعاوية : إن جرحك مسموم فاما أن أكويك وأما أن أسقيك شربة فيذهب السم ولكن ينقطع نسلك فقال معاوية : أما النار فلا طاقة لى بها ، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني . فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحه واستقل وسلم رضى الله عنه . ومن حينئذ عملت المقصورة في المسجد الجامع وجعل الحرس حولها في حال السجود ، فكان أول من اتخذها معاوية لهذه الحادثة . وأما صاحب عمرو بن العاص - وهو عمرو بن بكر - فانه كمن له ليخرج إلى الصلاة فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مفعص شديد في ذلك اليوم فلم يخرج إلا نائبه إلى الصلاة - وهو خارجة بن أبى حبيبة من بنى عامر بن لؤى وكان على شرطة عمرو بن العاص فحمل عليه الخارجى فقتله وهو يعتقد عمرو بن العاص ، فلما أخذ الخارجى قال : أردت عمرا وأراد الله خارجة ، فأرسلها مثلاً ، وقتل قبحه الله ، وقد قيل إن الذى قاتلها عمرو بن العاص ، وذلك حين جى بالخارجى فقال : ما هذا ؟ قالوا قتل نائبك خارجة ، ثم أمر به فضربت عنقه .

والمقصود أن علياً رضى الله عنه لما مات صلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات ودفن بدار الامارة بالكوفة خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته ، هذا هو المشهور ومن قال إنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدري أين ذهب فقد أخطأ وتكاف مالا علم له به ولا يسيغه عقل ولا شرع ، وما يعتقد كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له ، ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة ، حكاه الخطيب البغدادي عن أبى نعيم الحافظ عن أبى بكر الطلحى عن محمد بن عبد الله الحضرمى الحافظ عن مطر أنه قال : لو علمت الشيعة قبر هذا الذى يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة ، هذا قبر المغيرة بن شعبة . قال الواقدي : حدثني أبو بكر ابن عبد الله بن أبى سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة قال : سألت أبا جعفر محمد بن على الباقر كم كان سن على يوم قتل ؟ قال : ثلاثاً وستين سنة . قلت : أين دفن ؟ قال : دفن بالكوفة ليلاً وقد غبي عن دفنه ، وفي رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمانية وخمسين سنة ، وقد قيل إن علياً دفن قبلى المسجد الجامع من الكوفة . قاله الواقدي ، والمشهور بدار الامارة . وقد حكى الخطيب البغدادي عن أبى نعيم الفضل بن دكين أن الحسن والحسين حولاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبيع

عند قبر فاطمة ، وقيل إنهم لما حملاه على البعير ضل منهم فأخذته طي ، يظنون أنه مالا فلما رأوا أن الذي في الصندوق ميت ولم يعرفوه دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم أحد أين قبره ، حكاه الخطيب أيضاً .

وروى الحافظ ابن عساكر عن الحسن قال : دفنت علياً في حجرة من دور آل جمعة . وعن عبد الملك بن عمير قال : لما حفر خالد بن عبد الله أساس دار ابنه يزيد استخرجوا شيخاً مدفوناً أبيض الرأس واللحية كأنما دفن بالأمس فهم باحراه ثم صرفه الله عن ذلك فاستدعى بقباطي فلفه فيها وطيبه وتركه مكانه . قالوا وذلك المكان بمحذاً باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد في بيت اسكاف وما يكاد يقر في ذلك الموضع أحد إلا انتقل منه . وعن جعفر بن محمد الصادق قال : صلى على علي ليلة ودفن بالكوفة وعمى موضع قبره ولكنه عند قصر الامارة . وقال ابن الكلبي : شهد دفنه في الليل الحسن والحسين وابن الحنفية وعبد الله بن جعفر وغيرهم من أهل بيتهم فدفنوه في ظاهر الكوفة وعموا قبره خيفة عليه من الخوارج وغيرهم ، وحاصل الأمر أن علياً قتل يوم الجمعة سحراً وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين وقيل إنه قتل في ربيع الأول والأول هو الأصح الأشهر والله أعلم . ودفن بالكوفة عن ثلاث وستين سنة وصححه الواقدي وابن جرير وغير واحد ، وقيل عن خمس وستين وقيل عن ثمان وستين سنة رضى الله عنه . وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر . فلما مات على رضى الله عنه استدعى الحسن بابن ملجم فقال له ابن ملجم : إني أعرض عليك خصلة قال : وما هي ؟ قال : إني كنت عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، فان خيلتني ذهبت إلى معاوية على أني إن لم أقتله أو قتلته وبقيت فله على أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك . فقال له الحسن : كلا والله حتى تعان النار ، ثم قدمه فقتله ثم أخذه الناس فأدرجوه في بوارى ثم أحرقوه بالنار ، وقد قيل إن عبد الله بن جعفر قطع يديه ورجليه وكحلت عيناه وهو مع ذلك يقرأ سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى آخرها ثم جاءوا ليقطعوا لسانه فجزع وقال : إني أخشى أن تمر على ساعة لا أذكر الله فيها ثم قطعوا لسانه ثم قتلوه ثم حرقوه في قوصرة والله أعلم . وروى ابن جرير قال : حدثني الحارث ثنا ابن سعد عن محمد بن عمر قال : ضرب علي يوم الجمعة فكش يوم الجمعة ، وليلة السبت وتوفي ليلة الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة . قال الواقدي : وهو المثبت عندنا والله أعلم بالصواب .

ذكر زوجاته وبنيه وبناته

قال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني عن علي قال : « لما ولد الحسن جاء رسول الله (ص) فقال : أروني ابني ، ما سميتوه ؟ فقلت : سميتته حرباً ، فقال : بل هو حسن ، فلما ولد الحسين قال : أروني ابني ، ما سميتوه ؟ فقلت : سميتته حرباً قال : بل هو

حسين ، فلما ولد الثالث جاء النبي (ص) فقال أروني ابني ما سميتوه ؟ فقلت : حرباً فقال : بل هو محسن ، ثم قال : إني سميتهم باسم ولد هارون شبر وشبير ومشير » وقد رواه محمد بن سعد عن يحيى ابن عيسى التيمي عن الأعشى عن سالم بن أبي الجعد قال قال علي : كنت رجلاً أحب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حرباً ، فذكر الحديث بنحو ما تقدم لكن لم يذكر الثالث . وقد ورد في بعض الأحاديث أن علياً سمي الحسن أولاً بحمزة وحسيناً بجعفر فقير اسميهما رسول الله (ص) .

فأول زوجة تزوجها علي رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله (ص) . بنى بها بعد وقعة بدر فولدت له الحسن وحسينا ويقال ومحسناً ومات وهو صغير ، وولدت له زينب الكبرى وأم كلثوم وهذه تزوج بها عمر بن الخطاب كما تقدم . ولم يتزوج علي على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله (ص) بستة أشهر ، فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة ، منهن من توفيت في حياته ومنهن من طلقها ، وتوفى عن أربع كما سيأتي ، فن زواجه أم البنين بنت حرام وهو الحل بن خالد بن ربيعة بن كعب بن عامر ابن كلاب فولدت له العباس وجعفرًا وعبد الله وعثمان . وقد قتل هؤلاء مع أخيهما الحسين بكر بلاء ولا عقب لهم سوى العباس . ومنهن ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم فولدت له عبيد الله وأبا بكر ، قال هشام بن الكلبي : وقد قتل بكر بلاء أيضاً . وزعم الواقدي أن عبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد يوم الدار . ومنهن أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له يحيى ومحمداً الأصغر قاله الكلبي . وقال الواقدي : ولدت له يحيى وعونا قال الواقدي : فأما محمد الأصغر فمن أم ولد . ومنهن أم حبيبة بنت زمعة بن بجر بن العبد بن علقمة وهي أم ولد من السبي الذين سباهم خالد من بني تغلب حين أغار على عين التمر فولدت له عمر - وقد عمر خمساً وثلاثين سنة - ورقية . ومنهن أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن مغيث بن مالك الثقفي فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى . ومنهن ابنة امرئ قيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب الكلبية فولدت له جارية فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها : من أخوالك ؟ فتقول : وه وه تعني بني كلب . ومنهن بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأما زينب بنت رسول الله (ص) ، وهي التي كان رسول (ص) يحملها وهو في الصلاة إذا قام حملها وإذا سجد وضعها ، فولدت له محمداً الأوسط ، وأما ابنه محمد الأكبر فهو ابن الحنفية وهي خولة بنت جعفر بن قيس ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل سبأها خالد أيام الصديق أيام الردة من بني حنيفة فصارت لعلي بن أبي طالب فولدت له محمداً هذا ، ومن الشيعة من يدعى فيه الامامة والعصمة ، وقد كان من سادات المسلمين ولكن ليس بمعصوم ولا أبوه معصوم بل ولا من هو أفضل من أبيه من الخلفاء الراشدين قبله ليسوا

بواجبي العصمة كما هو مقرر في موضعه والله أعلم . وقد كان لعل أولاد كثيرة آخرون من أمهات أولاد شتى ، فإنه مات عن أربع نسوة وتسع عشرة سرية رضى الله عنه فمن أولاده رضى الله عنهم ممن لا يعرف أسماء أمهاتهم أم هانيء وميمونة وزينب الصغرى ورملة الكبرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم جعفر وأم سلمة وجمانة . قال ابن جرير : فجميع ولد على أربعة عشر ذكراً وسبع عشرة أنثى . قال الواقدي : وإنما كان النسل من خمسة وهم الحسن والحسين ومحمد [ابن الحنفية والعباس بن] ^(١) الكلابة وعمر بن التغلبي رضى الله عنهم أجمعين . وقد قال ابن جرير : حدثني ابن سنان القزاز ثنا أبو عاصم ثنا مسكين بن عبد العزيز أنا حفص بن خالد حدثني أبي خالد بن جابر قال : « سمعت الحسن لما قتل على قام خطيباً فقال : لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن ، ورفع فيها عيسى بن مريم ، وفيها قتل يوشع بن نون ففى موسى والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده ، والله أن كان رسول الله (س) ، ليعثه في السرية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمائة أو تسعمائة أرصدها لحادثة » وهذا غريب جداً وفيه نكارة والله أعلم . وهكذا رواه أبو يعلى عن إبراهيم بن الحجاج عن مسكين به . وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن شريك عن أبي إسحاق عن هبيرة قال : خطبنا الحسن بن علي قال : « لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم ولا يدركه الآخرون ، كان رسول الله (س) ، يبعثه بالراية جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح له . ورواه زيد العمى وشعيب ابن خالد عن أبي إسحاق به وقال « ما ترك إلا سبعائة كان أرصدها يشتري بها خادماً » : وقال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا شريك عن عاصم بن كريب عن محمد بن كعب القرظي أن علياً قال : « لقد رأيتني مع رسول الله وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع ، وإن صدقتى اليوم لتبلغ أربعين ألفاً » ورواه عن أسود عن شريك به وقال « إن صدقتى لتبلغ أربعين ألف دينار » .

شيء من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

من ذلك أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسباً من رسول الله (س) ، فإنه علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب واسمه شيبه بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو الحسن القرشي الهاشمي فهو ابن عم رسول الله (س) ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . قال الزبير بن بكار : وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً . وقد أسلمت وهاجرت ، وأبوه هو العلم الشقيق الرفيق أبو طالب واسمه عبد مناف كذا

(١) ما بين المربعين تصحيح من ابن الأثير وبياض في الأصل .

نص على ذلك الامام احمد بن حنبل هو وغير واحد من علماء النسب وأيام الناس . وزعمت الروافض أن اسم أبي طالب عمران وأنه المراد من قوله تعالى [إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين] وقد أخطأوا في ذلك خطأ كثيراً ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان من القول في تفسيرهم له على غير مراد الله تعالى ، فانه قد ذكر بعد هذه قوله تعالى [إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً] فذكر ميلاد مريم بنت عمران عليها السلام وهذا ظاهر والله الحمد . وقد كان أبو طالب كثير المحبة الطبيعية لرسول الله (ص) ، ولم يؤمن به إلى أن مات على دينه كما ثبت ذلك فى صحيح البخارى من رواية سعيد بن المسيب عن أبيه فى عرضه عليه السلام على عمه أبي طالب وهو فى السياق أن يقول لا إله إلا الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال كان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فخرج رسول الله وهو يقول « أما لا ستغفرن لك ما لم أنه عنك » فنزل فى ذلك قوله تعالى [إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين] ثم نزل بالمدينة قوله تعالى [ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم] . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حلیم] وقد قررنا ذلك فى أوائل المبعث ونهنا على خطأ الرافضة فى دعواهم أنه أسلم وافترائهم ذلك بلا دليل على مخالفة النصوص الصريحة . وأما على رضى الله عنه فانه أسلم قديماً وهو دون البلوغ على المشهور ، ويقال إنه أول من أسلم من العلمان ، كما أن خديجة أول من أسلم من النساء ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى . وقد روى الترمذى وأبو يعلى عن إسماعيل بن السدى عن على بن عياش عن مسلم الملائى عن حبة بن جوين عن على - وحبة لا يساوى حبة - عن أنس بن مالك قال : « بعث رسول الله يوم الاثنين وصلى على يوم الثلاثاء » ورواه بعضهم عن مسلم الملائى عن حبة ابن جوين عن على - وحبة لا يساوى حبة - وقد روى سلمة بن كهيل عن حبة عن على قال : عبت الله مع رسول الله سبع سنين قبل أن يعبد أحد » وهذا لا يصح أبداً وهو كذب وروى سفيان الثورى وشعبة عن سلمة عن حبة عن على قال : « أنا أول من أسلم » وهذا لا يصح أيضاً وحبة ضعيف وقال سويد بن سعيد ثنا نوح بن قيس بن سليمان بن عبد الله عن معاذة العدوية قالت سمعت على بن أبي طالب على منبر البصرة يقول : « أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم » وهذا لا يصح قاله البخارى ، وقد ثبت عنه بالتواتر أنه قال على منبر الكوفة : « أها الناس ! إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ولو شئت أن أسمى الثالث لسميت »

وقد تقدم ذلك في فضائل الشيخين رضى الله عنهما وارضاهما . قال الامام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال : « أول من صلى - وفي رواية أسلم - مع رسول الله بعد خديجة على بن أبي طالب » ورواه الترمذى من حديث شعبة عن أبي بلج به وقد روى عن زيد بن أرقم وأبي أيوب الأنصارى أنه صلى قبل الناس بسبع سنين وهذا لا يصح من أى وجه كان روى عنه . وقد ورد فى أنه أول من أسلم من هذه الأمة أحاديث كثيرة لا يصح منها شئ ، وأجود ما فى ذلك ما ذكرنا . على أنه قد خولف فيه وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه بتطريق هذه الروايات ، فمن أراد كشف ذلك فعليه بكتابه التاريخ والله الموفق للصواب . وقد روى الترمذى والنسائى عن عمرو بن مرة عن طلحة بن زيد عن زيد ابن أرقم قال : « أول من أسلم على » قال الترمذى : حسن صحيح وصحبه على رسول الله (س) مدة مقامه بمكة ، وكان عنده فى المنزل وفى كفالاته فى حياة أبيه لفقير حصل لأبيه فى بعض السنين مع كثرة العيال ، ثم استمر فى نفقة رسول الله (س) بعد ذلك إلى زمن الهجرة ، وقد خلفه رسول الله (س) ليؤدى ما كان عنده عليه السلام من ودائع الناس ، فانه كان يعرف قومهم بالأمين ، فكانوا يودعونه الأموال والأشياء النفيسة ثم هاجر على بعد رسول الله (س) وصحبه رسول الله (س) إلى أن توفى وهو راض عنه وحضر معه مشاهدته كلها وجرت له مواقف شريفة بين يديه فى مواطن الحرب كما بينا ذلك فى السيرة بما أغنى عن إعادته هاهنا ، كيوم بدر وأحد والأحزاب وخيبر وغيرها ، ولما استخلفه عام تبوك على أهله بالمدينة قال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » وقد ذكرنا تزويجه فاطمة بنت رسول الله ودخوله بها بعد وقعة بدر بما أغنى عن إعادته . ولما رجع عليه السلام من حجة الوداع فكان بين مكة والمدينة بمكان يقال له غدیر خم خطب الناس هنالك فى اليوم الثانى عشر من ذى الحجة فقال فى خطبته : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وفى بعض الروايات : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » والمخفوظ الأول ، وإنما كان سبب هذه الخطبة والتنبيه على فضله ما ذكره ابن إسحاق من أن علياً لما بعثه رسول الله (س) إلى اليمن أميراً هو وخالد بن الوليد ورجع على فوافى رسول الله (س) بمكة فى حجة الوداع وقد كثرت فيه المقالة وتكلم فيه بعض من كان معه بسبب استرجاعه منهم خلعاً كان خلعها فأنبه عليهم لما تعجل السير إلى رسول الله (س) ، فلما تفرغ رسول الله من حجة الوداع أحب أن يبرئ ساحة على مما نسب إليه من القول الذى لا أصل له ، وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً ، فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد فى أيام بنى بويه فى حدود الأربعمائة كما سننبه عليه إذا انتهينا إليه إن شاء الله . ثم بعد ذلك بنحو من عشرين يوماً تعلق المسوح على أبواب

الدكاكين ويندر التبن والرماد ، وتدور الذراري والنساء في سكك البلد تتوح عن الحسين بن علي يوم عاشوراء صبيحة قراءتهم المصراع المكذوب في قتله ، وسنبين الحق في صفة قتله كيف وقع الأمر على الجلية إن شاء الله تعالى . وقد كان بعض بني أمية يعيب علياً بتسميته أبا تراب وهذا الاسم إنما سماه به رسول الله (ص) . كما ثبت في الصحيحين عن سهل بن سعد أن علياً غاضب فاطمة فراح إلى المسجد فجاهه رسول الله فوجده نائماً وقد لصق التراب بجلده فجعل ينفض عنه التراب ويقول : « إجلس أبا تراب » .

حديث المؤاخاة

قال الحاكم حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجنيد ثنا الحسين بن جعفر القرشي ثنا العلاء بن عمرو الحنفي ثنا أيوب بن مدرك عن مكحول عن أبي أمامة قال : « لما آخى رسول الله (ص) بين الناس آخى بينه وبين علي » ثم قال الحاكم لم نكتبه من حديث مكحول إلا من هذا الوجه وكان المشايخ يعجبهم هذا الحديث لكونه من رواية أهل الشام . قلت : وفي صحة هذا الحديث نظر ، وورد من طريق أنس وعمر أن رسول الله (ص) قال : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » وكذلك من طريق زيد بن أبي أوفى وابن عباس ومخدوج بن زيد الذهلي وجابر بن عبد الله وعامر بن ربيعة وأبي ذر وعلى نفسه نحو ذلك وأسانيدها كلها ضعيفة لا يقوم بشيء منها حجة والله أعلم . وقد جاء من غير وجه أنه قال : « أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها بعدى إلا كذاب » وقال الترمذي : ثنا يوسف بن موسى القطان البغدادى ثنا علي بن قادم ثنا علي بن صالح بن حي عن حكيم بن جبير عن جميع بن عمير التيمي عن ابن عمر قال : « آخى رسول الله (ص) بين أصحابه فجاه علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخى بيني وبين أحد ، فقال رسول الله (ص) أنت أخي في الدنيا والآخرة » ثم قال : هذا حديث حسن غريب وفيه عن زيد بن أبي أوفى ، وقد شهد بدرا . وقد قال رسول الله لعمر : « وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ؟ وبارز يومئذ كما تقدم وكانت له اليد البيضاء ودفع إليه رسول الله (ص) الراية يومئذ وهو ابن عشرين سنة قاله الحكم عن مقسم عن ابن عباس . قال : وكانت تكون معه راية المهاجرين في المواقف كلها ، وكذلك قال سعيد بن المسيب وقتادة . وقال خيشمة بن سليمان الاطرابلسي الحافظ : حدثنا أحمد بن حازم عن ابن أبي غرزة ثنا إسماعيل بن أبان ثنا ناصح بن عبد الله المحلى عن سمالك بن حرب عن جابر بن سمرة قال قالوا يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة ؟ قال : « ومن عسى أن يحملها يوم القيامة إلا من كان يحملها في الدنيا علي بن أبي طالب » ؟ وهذا إسناد ضعيف . ورواه ابن عساكر عن أنس بن مالك ولا يصح أيضاً . وقال الحسن بن عرفة : حدثني عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الحنظلي عن أبي جعفر محمد بن علي قال نادى مناد في السماء يوم بدر :

« لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على » قال الحافظ ابن عساكر وهذا مرسل وإنما تنقل رسول الله (ص) سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه لعلي بعد ذلك . وقال الزبير بن بكار : حدثني علي بن المغيرة عن معمر بن المثنى قال : كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبي طلحة فقتله علي بن أبي طالب فني ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمي .

لله أي مذنب عن حربه * أعنى ابن فاطمة الميم الخولا
جاءت يدك له بما جل طعنة * تركت طليحة للجبين مجندلا
وشددت شدة بأسك فكشفتهم * بالحق إذ يهون أخولا
وعلت سيفك بالدماء ولم تكن * لترده حران حتى ينهلا

وشهد بيعة الرضوان وقد قال الله تعالى [لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة]
وقال رسول الله (ص) « لن يدخل أحد بايع تحت الشجرة النار » . وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن رسول الله (ص) قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ليس بفرار يفتح الله على يديه » فبات الناس يدعون أيهم يعطاها حتى قال عمر : ما أحببت الأمانة إلا يومئذ . فلما أصبح أعطاه علياً ففتح الله على يديه ، ورواه جماعة منهم مالك والحسن ويعقوب ابن عبد الرحمن وجري بن عبد الحميد وحماد بن سلمة وعبد العزيز بن المختار وخالد بن عبد الله ابن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أخرجه مسلم . ورواه ابن أبي حازم عن سهل بن سعد أخرجاه في الصحيحين وقال في حديثه : « فدعا به رسول الله وهو أرمد فبصق في عينيه فبرأ » ورواه إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه ويزيد بن أبي عبيد عن مولاة سلمة أيضاً ، وحديثه عنه في الصحيحين . وقال محمد بن إسحاق : حدثني بريدة عن سفيان عن أبي فروة الأسلمي عن أبيه عن سلمة بن عمرو ابن الأكوع قال : بعث رسول الله (ص) إلى أبي بكر الصديق برأيه إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد ، ثم بعث عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله (ص) « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه اس بفرار ، قال سلمة : فدعا رسول الله علياً وهو أرمد فقل في عينيه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ، قال سلمة فخرج والله بها يهول هرولة وإنا خلفه نقبع أثره حتى ركز أيتنه في رجم من حجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : علي بن أبي طالب ، قال اليهودى : غلبتم ومن أنزل التوراة على موسى قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه » وقد رواه عكرمة بن عمار عن عطاء مولى السائب عن سلمة بن الأكوع وفيه أنه هو الذى جاء به يقوده وهو أرمد حتى بصق رسول الله في عينه فبرأ .

رواية بريدة بن الحصيبي . وقال الامام أحمد : حدثنا زيد [بن الحباب] ثنا الحسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة - حدثني بريدة بن الحصيبي قال : حاصرنا خير فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ، ثم أخذه من القدر عمر فخرج فرجع ولم يفتح له ، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله : إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له - وبنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً - قال : فلما أصبح رسول الله (ص) ، صلى الفداة ، ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا علياً وهو أرمد فقتل في عينيه ودفع إليه اللواء ففتح له ، قال بريدة : وأنا فيمن تطاول لها ، ورواه النسائي من حديث الحسين بن واقد به أطول منه ثم رواه أحمد عن محمد بن جعفر وروح كلاهما عن عوف عن ميمون أبي عبد الله الكردي عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه به نحوه ، وأخرجه النسائي عن بندار وغند ربه وفيه الشعر .

رواية عبد الله بن عمر ورواه هشيم عن العوام بن حوشب عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر فذكر سياق حديث بريدة ورواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر نحوه وفيه « قال علي : فارميت بعد يومئذ » ورواه أحمد عن وكيع عن هشام بن سعيد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر كما سأتى .

رواية ابن عباس وقال أبو يعلى : حدثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فقال أين علي ؟ قالوا : يطحن ، قال وما أحد منهم يرضى أن يطحن ، فأتى به فدفع إليه الراية فجاء بصفية بنت حيي بن أخطب » وهذا غريب من هذا الوجه وهو مختصر من حديث طويل ، ورواه الامام أحمد عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس فذكره بتمامه فقال الامام أحمد عن يحيى بن حماد : ثنا أبو عوانة ثنا أبو بلج ثنا عمرو بن ميمون قال : إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا : يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلونا هؤلاء ؟ فقال : بل أقوم معكم - وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى - قال : وابتدأوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا قال فجاء ينفذ ثوبه ويقول : أف وتف ، وقموا في رجل له عشر وقموا في رجل قال له النبي (ص) : « لا تبئتم رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله قال : فاستشرف لها من استشرف قال : أين علي ؟ قالوا : هو في الرحا يطحن ، قال : وما كان أحدكم ليطحن ، قال فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر ففتفت في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاه إياه فجاء بصفية بنت حيي بن أخطب قال : ثم بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها ثم قال : لا ينهب بها إلا رجل مني وأنا منه . قال وقال ليني عمه : أيكم باليني في الدنيا والآخرة ؟ فأبوا

قال : وعلى معه جالس فقال علي : أنا أوأليك في الدنيا والآخرة قال فتركه ثم أقبل على رجال منهم فقال : أيكم يواليني في الدنيا والآخرة فأبوا فقال علي : أنا أوأليك في الدنيا والآخرة فقال : أنت ولي في الدنيا والآخرة قال : وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة ، قال : وأخذ رسول الله نوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال : « إنما يريد الله لينهي عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » قال وشري علي نفسه لبس ثوب النبي (ص) ثم نام مكانه ، قال وكان المشركون يرومون رسول الله (ص) فجاء أبو بكر وعلي قائم وأبو بكر يحسب أنه نبي الله فقال : يا نبي الله ! فقال له علي : إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمونة فأدركه ، قال : فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال : وجعل علي يرمي بالحجارة كما كان يرمي رسول الله (ص) وهو يتضرر وقد لف رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا : إنك لثيم كان صاحبك نرميه فلا يتضرر وأنت تتضرر وقد استنكرنا ذلك ، قال : وخرج - يعني رسول الله (ص) - في غزوة تبوك - فقال له علي : أخرج معك ؟ فقال له النبي (ص) : لا ! فبكي علي فقال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي ؟ إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفة » قال وقال له رسول الله (ص) : « أنت ولي كل مؤمن » بعدى قال وسد أبواب المسجد غير باب علي قال فدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره ، قال وقال « من كنت مولاه فأنا علياً مولاه » قال : وأخبرنا الله في القرآن أنه قد رضى عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم - ثم فهل حدثنا أنه سخط عليهم بعد . قال وقال نبي الله (ص) : لعمري حين قال ائذن لي أن أضرب عنق هذا المنافق - يعني حاطب بن أبي بلتعة - قال : « وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وقد روى الترمذي بعضه من طريق شعبة عن أبي بلج يحيى بن أبي سليم واستغفره ، وأخرج النسائي بعضه أيضاً عن محمد بن المنثري عن يحيى بن حماد به . وقال البخاري في التاريخ : ثنا عمر بن عبد الوهاب الرماحي ثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن منصور عن ربي عن عمران بن حصين . قال قال رسول الله (ص) : « لأدفن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبعث إلى علي وهو أرمد فتنف في عينيه واعطاه الراية فما رد وجهه وما اشتكاهما بعد » ورواه أبو القاسم البغوي عن إسحاق ابن إبراهيم عن أبي موسى الهروي عن علي بن هاشم عن محمد بن علي عن منصور عن ربي عن عمران فذكره . وأخرجه النسائي عن عباس العنبري عن عمر بن عبد الوهاب به .

رواية أبي سعيد في ذلك قال الامام أحمد : حدثنا مصعب بن المقدام وحجين بن المنثري قالا : ثنا إسرائيل ثنا عبد الله بن عصمة قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول : إن رسول الله (ص) أخذ الراية فهزأ ثم قال : « من يأخذها بحقها فجاء فلان فقال أنا فقال : امض ثم جاء رجل آخر فقال

أنا فقال امض ثم قال النبي (ص)، والذي أكرم وجهه محلاً لأعطينها رجلاً لا يفر، فجاء على فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفكك وجاء بمعجوتهما وقديدهما». ورواه أبو يعلى عن حسين بن محمد عن إسرائيل وقال في سياقه «فجاء الزبير فقال أنا فقال : امض ثم جاء آخر فقال : امض » وذكره تفرد به أحمد .

رواية علي بن أبي طالب في ذلك وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان أبي يسير مع علي وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف فقيل له لو سأله فسأله فقال : « إن رسول الله (ص)، بعث إلى وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت يا رسول الله إني أرمد العين فتفل في عيني فقال اللهم أذهب عنه الحر والبرد فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ، وقال لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ليس بفرار فتشرف لها أصحاب النبي (ص)، فأعطانيها » تفرد به أحمد وقد رواه غير واحد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن علي به مطولاً . وقال أبو يعلى : حدثنا زهير ثنا جرير عن مغيرة عن أم موسى قالت سمعت علياً يقول : « ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله وجهي وتفل في عيني يوم خيبر وأعطاني الراية »

رواية سعد بن أبي وقاص في ذلك . ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (ص)، قال لعلي : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » ؟ قال أحمد ومسلم والترمذي : حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال له : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما يمنعك أن تسب أبا تراب ؟ [فقال] أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (ص)، ؟ لأن تكون لي واحدة منهم أحب إلى من حمر النعم سمعت رسول الله (ص)، يقول - وخلفه في بعض مغازيه - فقال له علي يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال رسول الله (ص)، : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » ؟ وسمعت يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتناولت لها قال ادعوا لي علياً فأتى به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه » ولما نزلت هذه الآية [فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم] « دعا رسول الله (ص)، علياً وفاطمة وحسناً ثم قال اللهم هؤلاء أهلي » : وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن المسيب عن سعد أن رسول الله (ص)، قال لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » وقال الترمذي : ويستغرب من رواية سعيد عن سعد . وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد الزبيري ثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن حمزة بن عبد الله عن أبيه - يعني عبد الله بن عمر - عن سعد قال : لما خرج رسول الله إلى تبوك خلف علياً فقال :

أتخلفني؟ قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه. وقال الحسن بن عرفة العبدي: ثنا محمد بن حازم أبو معاوية الضريبر عن موسى بن مسلم الشيباني عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجاته فأثاه سعد بن أبي وقاص فذكر وأبلى فقال سعد: له ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من الدنيا وما فيها. سمعت رسول الله (ص) يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسمعت يقول: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وسمعت يقول: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» لم يخرجوه وإسناده حسن. وقال أبو زرعة الدمشقي: ثنا أحمد بن خالد الذهبي أبو سعيد ثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن أبيه قال: «لما حج معاوية أخذ بيد سعد بن أبي وقاص فقال يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجبنا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا أن ننسى بعض سننه فطف نطف بطوافك، قال: فلما فرغ أدخله دار النسوة فاجلسه معه على سريره ثم ذكر علي بن أبي طالب فوقع فيه فقال: أدخلتني دارك وأجلستني على سريرك ثم زعمت في علي تشتمه؟ والله لأن يكون في إحدى خلاله الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له حين غزات بوكا» ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار» أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد ماله أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، لا أدخل عليك داراً بعد هذا اليوم، ثم نفذ رداءه ثم خرج. وقال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول الله (ص) علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟» إسناده على شرطهما ولم يخرجاه. وهكذا رواه أبو عوانة عن الأعمش عن الحكم بن مصعب عن أبيه ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن عاصم عن مصعب عن أبيه فأنه أعلم. وقال أحمد: ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ثنا سليمان بن بلال حدثنا الجعد بن عبد الرحمن الجعفي عن عائشة بنت سعد عن أبيها: أن علياً خرج مع رسول الله (ص)، حتى جاء ثنية الوداع وعلى يميني يقول: تخلفني مع الخولاف؟ فقال: «أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة؟» وهذا إسناد صحيح أيضاً ولم يخرجوه. وقد رواه غير واحد عن عائشة بنت سعد عن أبيها، قال الحافظ ابن عساكر: وقد روى هذا الحديث عن رسول الله (ص)، جماعة من الصحابة منهم عمر وعلي وابن عباس وعبد الله

ابن جعفر ومعاوية وجابر بن عبد الله وجابر بن حمزة وأبو سعيد والبراء بن عازر - زيد بن أرقم وزيد بن أبي أوفى ونييط بن شريط وحبشي بن جنادة ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبو الفضل ، وأم سلمة وأسما بنت عميس ، وفاطمة بنت حمزة . وقد تقصى الحافظ ابن عساكر هذه الأحاديث في ترجمة علي في تاريخه فأجاد وأفاد وبرز على النظراء والأشباه والانداد . رحمه رب العباد يوم التناد . **رواية عمر رضي الله عنه في ذلك** قال أبو يعلى : حدثنا عبد الله بن عمر ثنا عبد الله بن جعفر أخبرني سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال عمر : لقد أعطى علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من حمر النعم قيل وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزويجه فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وسكناه المسجد مع رسول الله (ص) ، يحمل له فيه ما يحمل له ، والراية يوم خيبر . وقد روى عن عمر من غير وجه **رواية ابن عمر رضي الله عنهما** وقد رواه الامام أحمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر قال : « كنا نقول في زمان رسول الله (ص) خير الناس أبو بكر ثم عمر ولقد أوتي ابن أبي طالب ثلاثاً لأن أكون أعطيتن أحب إلي من حمر النعم » . فذكر هذه الثلاث . وقد روى أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر أن رسول الله (ص) قال لعل : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » ؟ ورواه أحمد من حديث عطية عن أبي سعيد عن النبي (ص) قال : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » . ورواه الطبراني من طريق عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر مرفوعاً ورواه سلمة بن كهيل عن عامر بن سعد عن أبيه عن أم سلمة أن رسول الله قال لعل : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » قال سلمة وسمعت مولى لبني موهب يقول : سمعت ابن عباس يقول قال النبي (ص) مثله . **تزيجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها** . قال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن أبيه مع رجل علياً على منبر الكوفة يقول : « أردت أن أخطب إلى رسول الله ابنته ثم ذكرت أن لا شيء لي ثم ذكرت عائده وصلته فخطبتها ، فقال : هل عندك شيء ؟ قلت : لا ! قال فأين درعك الخطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ قلت : عندي ، قال : فأعطها فأعطيتها فزوجني فلما كان ليلة دخلت عليها قال لا تحبنا شيئاً حتى آتيكما ، قال : فاتانا وعلينا قطيفة أو كساء فتحبنا فقال مكانكما ، ثم دعا بقدر من ماء فدعا فيه ثم رشه علي وعليها ، قلت : يا رسول الله أنا أحب إليك أم هي ؟ قال : هي أحب إلي وأنت أعز علي منها » . وقد روى النسائي من طريق عبد الكريم بن سليط عن ابن بريدة عن أبيه فذكره بأبسط من هذا السياق ، وفيه أنه أولم عليها بكبش من عند سعد وأصع من الذرة من عند جماعة من الأنصار ، وأنه دعا لهما بعد ما صب عليهما الماء ، فقال : « اللهم بارك لهما في شملهما » - يعني

الجماع - وقال محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : لما خطب على فاطمة دخل عليها رسول الله فقال لها : « أى بنية ! إن ابن عمك عليا قد خطبك فاذا تقولين ؟ فبكت ثم قالت : كأنك يا أبت إنما دخرتني لفقير قریش ؟ فقال : والذي بعثني بالحق ما تكلمت فيه حتى أذن الله لي فيه من السموات ، فقالت فاطمة : رضيت بما رضى الله ورسوله . فخرج من عندها واجتمع المسلمون إليه ثم قال : يا علي اخطب لنفسك فقال علي الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله زوجني ابنته على صداق مبلغة أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا ، قالوا : ما تقول يا رسول الله ؟ قال : أشهدكم إني قد زوجته . » . رواه ابن عساكر وهو منكر وقد ورد في هذا الفصل أحاديث كثيرة منكورة وموضوعة ضربنا عنها لثلا يطول الكتاب بها . وقد أورد منها طرفاً جيداً الحافظ ابن عساكر في تاريخه . وقال وكيع عن أبي خالد عن الشعبي قال قال علي : « ما كان لنا إلا إهاب كبش ننام على ناحيته وتعمجن فاطمة على ناحيته » وفي رواية مجاهد عن الشعبي « ونعلمف عليه الناضح بالتهاروما لي خادم عليها غيرها » . • حديث آخر قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن ميمون بن عبد الله عن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من أصحاب رسول الله (ص) أبواب شائعة في المسجد قال فقال يوماً : « سدوا هذه الأبواب إلا باب علي » قال فتكلم في ذلك أناس فقام رسول الله (ص) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فاني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحتة ، ولكن أمرت بشئ فاتبعتة . » . وقد رواه أبو الأشهب عن عوف عن ميمون عن البراء بن عازب فذكره . وقد تقدم ما رواه أحمد والنسائي من حديث أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس الحديث الطويل وفيه سد الأبواب غير باب علي . وكذا رواه شعبة عن أبي بلج . ورواه سعد بن أبي وقاص قال أبو يعلى ثنا موسى بن محمد بن حسان ثنا محمد بن إسماعيل بن جعفر الطحان ثنا غسان بن بسر الكاهلي عن مسلم عن خيثم عن سعد « أن رسول الله (ص) سد أبواب المسجد وفتح باب علي فقال الناس في ذلك فقال : ما أنا بفتحتة ولكن الله فتحه » وهذا لا ينافي ما ثبت في صحيح البخاري من أمره عليه السلام في مرض الموت بسد الأبواب الشائعة إلى المسجد إلا باب أبي بكر الصديق لأن نفي هذا في حق علي كان في حال حياته لاحتياج فاطمة إلى المرور من بيتها إلى بيت أبيها ، فجعل هذا رفقا بها ، وأما بعد وفاته فزال هذه العلة فاحتيج إلى فتح باب الصديق لأجل خروجه إلى المسجد ليصلي بالناس إذ كان الخليفة عليهم بعد موته عليه السلام وفيه إشارة إلى خلافته . وقال الترمذي : ثنا علي بن المنذر ثنا ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد . قال قال رسول الله (ص) : « يا علي لا يحل لأحد يجنب في المسجد غيري وغيرك » قال علي بن

النذر : قلت لضرار بن صرد : ما معنى هذا الحديث ؟ قال : لا يحل لأحد يستطرقة جنباً غيرى وغيرك . ثم قال الترمذى : وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقد سمع محمد ابن إسماعيل هذا الحديث . وقد رواه ابن عساكر من طريق كثير النواء عن عطية عن أبي سعيد به ، ثم أوردته من طريق أبي نعيم ثنا عبد الملك بن أبي عيينة عن أبي الخطاب عمر الهروى عن محدوج عن جصرة بنت دجاجة أخبرتنى أم سلمة قالت : خرج النبي (ص) في مرضه حتى انتهى إلى صرحه المسجد فنادى بأعلى صوته : « إنه لا يحل المسجد للجنب ولا للحائض إلا للحمد وأزواجه وعلى وفاطمة بنت محمد أهل بيته لسم الأسماء أن تضلوا » وهذا إسناد غريب وفيه ضعف ، ثم ساقه من حديث أبي رافع بنحوه وفي إسناده غرابة أيضاً .

حديث آخر قال الحاكم وغير واحد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة بن الحصيب : قال غزوت مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة فقدمت على رسول الله (ص) فذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله (ص) يتغير فقال : « يا بريدة ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ فقلت بلى يا رسول الله فقال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » . وقال الامام أحمد : حدثنا ابن نمير ثنا الأجلح الكندى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة قال : « بعث رسول الله (ص) بعثتين إلى اليمن على إحداهما على بن أبي طالب وعلى الأخرى خالد بن الوليد وقال إذا التقيتما فعلى على الناس وإذا افترقتما فكل واحد منكما على جنده ، قال : فلقينا بنى زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية فاصطفى على امرأة من السبي لنفسه ، قال بريدة : فبكت معى خالد بن الوليد إلى رسول الله (ص) يخبره بذلك ، فلما أتيت رسول الله دفعته إليه الكتاب فقرأ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول الله فقلت : يا رسول الله هذا مكان المائد بعثتنى مع رجل وأمرتني أن أطيعه فبلغت ما أرسلت به ، فقال رسول الله (ص) لا تقع في على فإنه منى وأنا منه ، وهو وليكم بعدى » هذه الفظة منكورة والاجلح شيعى ومثله لا يقبل إذا تفرد بمثلها ، وقد تابعه فيها من هو أضعف منه والله أعلم . والمحفوظ في هذا رواية أحمد عن وكيع عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله (ص) : « من كنت مولاه فعلى وليه » . ورواه أحمد أيضاً والحسن بن عرفة عن الأعمش به . ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية به . وقال أحمد : حدثنا روح بن علي ابن سويد بن منجوف عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : « بعث رسول الله علياً إلى خالد بن الوليد ليقيض الخمس قال فأصبح ورأسه تقطر ، فقال خالد لبريدة : ألا ترى ما يصنع هذا ؟ قال : فلما رجعت إلى رسول الله أخبرته ما صنع على ، قال : - وكنت أبغض علياً - فقال : يا بريدة أتبغض علياً ؟ فقلت : نعم ! قال : لا تبغضه وأحبه فإن له في الخمس أكثر من ذلك » . وقد رواه البخارى في

الصحيح عن بشار عن روح به مطولا . وقال أحد : حدثنا يحيى بن سعيد ثنا عبد الجليل قال انتهيت إلى حلقة فيها أبو مجاز وابنا بريدة فقال عبد الله بن بريدة : حدثني أبي بريدة قال « أبغضت عليا بغضا لم أبغضه أحدا » قال وأحببت رجلا من قریش لم أحبه إلا على بغضه عليا ، قال فبعث ذلك الرجل على خيل قل فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه عليا فأصبنا سبياً فكتبنا إلى رسول الله أن ابعث إلينا من يخمس ، فبعث إلينا عليا قال وفي السبي وصيفة هي من أفضل السبي - نخمس وقسم نفرج ورأسه يقطر ، فقلنا : يا أبا الحسن ما هذا ؟ قال : ألم تروا إلى الوصفة التي كانت في السبي ؟ فاني قسمت وخمس فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي (س) ، ثم صارت في آل علي فوعدت بها ، قال وكتب الرجل إلى نبي الله (س) ، قلت : ابعتني ؟ فبعثني مصدقا ، قال : فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق ، قال : فأمسك النبي (س) ، يدي والكتاب قال : أتبغض عليا ؟ قال : قلت نعم ! قال : فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حبا ، فوالذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة ، قال : فما كان في الناس أحد بعد قول رسول الله (س) ، أحب إلى من علي قال عبد الله : فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي (س) ، في هذا الحديث غير أبي بريدة « تفرد به أحمد وقد روى غير واحد هذا الحديث عن أبي الجواب عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن البراء بن عازب نحو رواية بريدة بن الحصيب وهذا غريب . وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن أبي زياد عن أبي الجواب الأحوص بن جواب به وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا جعفر بن سليمان حدثني يزيد الرشك عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال : « بعث رسول الله سرية وأمر عليها على بن أبي طالب فأحدث شيئا في سفره فتعاقد أربعة من أصحاب محمد أن يذكروا أمره إلى رسول الله (س) ، قال عمران . وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله فسلمنا عليه ، قال : فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال : يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا فأعرض عنه ثم قام الثاني فقال يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا ، فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال : يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا ثم قام الرابع فقال : يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا ، قال : فأقبل رسول الله على الرابع وقد تغير وجهه وقال : دعوا عليا ، دعوا عليا ، دعوا عليا إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي » . وقد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة عن جعفر بن سليمان وسياق الترمذي مطول وفيه « أنه أصاب جفرة من السبي » ثم قال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان . ورواه أبو يعلى الموصلي عن عبد الله بن عمر القواريري والحسن بن عمر بن شقيق الحرمي والمعل بن مهدي كلهم عن جعفر بن سليمان به . وقال خيثمة بن سليمان حدثنا أحمد بن حازم أخبرنا عبيد الله بن موسى بن يوسف بن صبيب عن دكين

عن وهب بن حمزة قال « سافرت مع علي بن أبي طالب من المدينة إلى مكة ، فرأيت منه جفوة فقلت : لئن رجعت فلقيت رسول الله لأفالن منه ، قال : فرجعت فلقيت رسول الله فذكرت عليا فقلت منه ، فقال لي رسول الله (ص) : « لا تقولن هذا لعلي فان عليا وليكم بعدي » : وقال أبو داود الطيالسي : عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال لعلي : « أنت ولي كل مؤمن بعدي » . وقال الامام أحمد : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبي عن أبي إسحاق حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب - وكانت عند أبي سعيد الخدري - عن أبي سعيد قالت : اشتكى عليا الناس فقام رسول الله فينا خطيباً فسمعته يقول : « أيها الناس لا تشكوا عليا فوالله إنه لأجيش في ذات الله - أوفى سبيل الله » . تفرد به أحمد . وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطلبي أن أبا سهل بن زياد القطان ثنا أبو إسحاق القاضي ثنا إسماعيل بن أبي إدريس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة عن أبي سعيد قال : « بعث رسول الله (ص) علي بن أبي طالب إلى اليمن ، قال أبو سعيد : فكنت فيمن خرج معه فلما أحضر إبل الصدقة سأله أن تركب منها ونريح إبلنا - وكنا قد رأينا في إبلنا خلا - فأبى عليا وقال : إنما لكم منها سهم كما للمسلمين ، قال : فلما فرغ علي وانصرف من اليمن راجعاً ، أمر عليا إنساناً فأسرع هو فأدرك الحج ، فلما قضى حجه قال له النبي (ص) : ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم . قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان على منننا إياه ففعل ، فلما جاء على عرف في إبل الصدقة أنها قد ركب - رأى أثر المراكب - فدم الذي أمره ولامه ، فقلت أما إن الله على إن قدمت المدينة وغدت إلى رسول الله (ص) ، لأذكرن لرسول الله (ص) ولأخبرته ما لقينا من الغلظة والتضييق ، قال : فلما قدمنا المدينة غدت إلى رسول الله (ص) ، أريد أن أذكر له ما كنت حلفت عليه فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله (ص) فلما رأيته وقف معي ورحب بي وساءلني وساءلته وقال : متى قدمت ؟ قلت : قدمت البارحة ، فرجع معي إلى رسول الله (ص) ، وقال : هذا سعد بن مالك بن الشهيد ، قال : ائذن ، له فدخلت فحييت رسول الله (ص) وحياتي وسلمت عليه وسألني عن نفسي وعن أهلي فأخني المسألة فقلت : يا رسول الله لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق ، فابتدر رسول الله وجعلت أنا أعد ما لقينا منه حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله (ص) على فخذي - وكنت منه قريباً - وقال : سعد بن مالك بن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي ، فوالله لقد علمت أنه جيش في سبيل الله ، قال فقلت في نفسي : شككتك أمك سعد بن مالك ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري لأجرم ، والله لا أذكره

بسوء أبدأ سرّاً ولا علانية» : وقال يونس بن بكير . عن محمد بن إسحاق حدثني أبان بن صالح عن عبد الله بن دينار الأسدي عن خاله عمرو بن شاش الأسدي - وكان من أصحاب الحديبية - قال : « كنت مع علي في خيله التي بعثه فيها رسول الله إلى اليمن ، فجفاني على بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي ، فلما قدمت المدينة اشتكيتني في مجالس المدينة وعند من لقيته فأقبلت يوماً ورسول الله جالس في المسجد فلما رأيته أنظر إلى عينيهِ نظر إلى حتى جلست إليه فلما جلست إليه قال : أما إنه والله يا عمرو لقد آذيتني ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والاسلام أن أؤذي رسول الله . فقال : من آذى علياً فقد آذاني » وقد رواه الامام أحمد عن يعقوب عن أبيه إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن الفضل بن معقل عن عبد الله بن دينار عن خاله عمرو بن شاش فذكره . وكذا رواه غير واحد عن محمد بن إسحاق عن أبان بن الفضل . وكذلك رواه سيف بن عمر عن عبد الله بن سعيد عن أبان بن صالح به ولفظه : « فقال رسول الله من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله » . وروى عباد بن يعقوب الرواجني عن موسى بن عمير عن عقيل بن نجيعة بن هبيرة عن عمرو بن شاش قال قال رسول الله : « يا عمرو إن من آذى علياً فقد آذاني » وقال أبو يعلى : ثنا محمود بن خدّاش ثنا مروان بن معاوية ثنا فنان بن عبد الله النهدي ثنا مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : كنت جالساً في المسجد أنا ورجلان معي فنلنا من علي فأقبل رسول الله يعرف في وجهه الغضب فتعوذت بالله من غضبه فقال : « مالكم ومالي ؟ من آذى علياً فقد آذاني » . حديث غدير خم قال الامام أحمد : حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعنى قالا : ثنا فطر عن أبي الطفيل قال : جمع على الناس في الرحبة ثم قال لهم : أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام ، فقام كثير من الناس قال أبو نعيم ! - فقام ناس كثير - فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس : « أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا نعم يا رسول الله قال : من كن - مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . قال فخرجت كأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له : إني سمعت علياً يقول كذا وكذا : قال . فما تنكر ؟ قد سمعت رسول الله . يقول ذلك له . ورواه النسائي من حديث حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عنه أتم من ذلك ، وقال أبو بكر الشافعي : ثنا محمد بن سليمان بن الحارث ثنا عبيد الله ابن موسى ثنا أبو إسرائيل الملائي عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن عن زيد بن أرقم أن علياً انتشد الناس : من سمع رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا بذلك وكنت فيهم . وقال أبو يعلى وعبد الله بن أحمد في مسند أبيه : حدثنا القواريري ثنا يونس بن أرقم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :

« شهدت علياً في الرحبة يناشد الناس : أنشد بالله من سمع رسول الله يقول يوم غدیرخم : من كنت مولاه فعلي مولاه لما قام فشهد قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر بديراً كأني أنظر إلى أحدهم عليه سراويل فقالوا : نشهد أنا سمعنا رسول الله (ص) يقول يوم غدیرخم : أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : فن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . » ثم رواه عبد الله بن أحمد عن أحمد بن عمر الوكيعي عن زيد بن الحباب عن الوليد بن عقبة بن نيار عن سالك بن عبيد بن الوليد العبسي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره ، قال : « فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا : قد رأيناه وسمعناه حين أخذ بيدك يقول : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله . » وهكذا رواه أبو داود الطهوي - واسمه عيسى ابن مسلم - عن عمرو بن عبد الله بن هند الجلي وعبد الأعلى بن عامر التغلبي كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره بنحوه ، قال الدارقطني غريب تفرد به عنهما أبو داود الطهوي . وقال الطبراني : ثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن كيسان المدني سنة تسعين ومائتين . حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ثنا مسعر عن طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد قال : شهدت علياً على المنبر يناشد أصحاب رسول الله من سمع رسول الله يقول ما قال ؟ فقام اثنا عشر رجلاً منهم أبو هريرة وأبوسعيد وأنس بن مالك فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ورواه أبو العباس بن عقدة الحافظ الشيعي عن الحسن بن علي بن عفان العامري عن عبد الله بن موسى عن قطن عن عمرو بن مرة وسعيد بن وهب وعن زيد بن نثيع قالوا : سمعنا علياً يقول في الرحبة فذكر نحوه فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه وابغض من أبغضه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » قال أبو إسحاق حين فرغ من هذا الحديث : يا أبا بكر أي أشياخ هم ؟ . وكذلك رواه عبد الله بن أحمد عن علي بن حكيم الأودي عن إسرائيل عن أبي إسحاق فذكر نحوه . وقال عبد الرزاق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعبد خير قالا سمعنا علياً برحبة الكوفة يقول : أنشد الله رجلاً سمع رسول الله (ص) يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » فقام عدة من أصحاب رسول الله فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول ذلك . وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت سعيد بن وهب قال : نشد علي الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب رسول الله فشهدوا أن رسول الله (ص) قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » وقال أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ثنا حسين بن الحرث بن لقيط الأشجعي عن رباح بن الحرث قال : جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا : السلام عليك يا مولانا : فقال ، كيف أكون مولاً كم

وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله يوم غدیرخم يقول: «من كنت مولاه فإن هذا على مولاه» قال رباح فلما مضوا اتبعهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري. وقال أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا شريك عن حنش عن رباح بن الحرث قال: بينا نحن جلوس في الرحبة مع علي إذ جاء رجل عليه أثر السفر فقال: السلام عليك يا مولاي قالوا: من هذا؟ فقال أبو أيوب: سمعت رسول الله يقول: «من كنت مولاه فعلى مولاه» وقال أحمد: ثنا محمد بن عبد الله ثنا الربيع - يعني ابن أبي صالح الأسلمي - حدثني زياد بن أبي زياد الأسلمي سمعت علي بن أبي طالب ينشد الناس فقال أنشد الله رجلا مسلما سمع رسول الله يقول يوم غدیرخم ما قال، فقام اثنا عشر رجلا بدرياً فشهدوا. وقال أحمد: حدثنا ابن نمير ثنا عبد الملك عن أبي عبد الرحمن الكندي عن زاذان أن ابن عمر قال: سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله يوم غدیرخم وهو يقول ما قال؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول: «من كنت مولاه فعلى مولاه» وقال أحمد: ثنا حجاج بن الشاعر ثنا شبابة ثنا نعيم بن حكيم حدثني أبو مريم ورجل من جلساء علي عن علي أن رسول الله (ص) قال يوم غدیرخم: «من كنت مولاه فعلى مولاه» قال فزاد الناس بعد «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». وقد روى هذا من طرق متعددة عن علي رضي الله عنه، وله طرق متعددة عن زيد بن أرقم. وقال غندر عن شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي مريم أو زيد بن أرقم - شعبة الشاك - قال قال رسول الله (ص): «من كنت مولاه فعلى مولاه» قال سعيد بن جبیر: وأنا قد سمعته قبل هذا من ابن عباس. رواه الترمذي عن بندار عن غندر وقال حسن غريب. وقال الامام أحمد: حدثنا عفان ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي عبيد عن ميمون بن أبي عبد الله قال قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله بواد يقال له وادخم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال: نخطبنا وظلل لرسول الله (ص) بثوب على شجرة سمر من الشمس فقال: «ألسنتم تعلمون - أو ألسنتم تشهدون - أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى! قال: فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه». وكذا رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن ميمون بن أبي عبد الله عن زيد بن أرقم. وقد رواه عن زيد بن أرقم جماعة منهم أبو إسحاق السبيعي وحبيب الأساف وعطية العوفي وأبو عبد الله الشامي وأبو الطفيل عامر ابن وائلة. وقد رواه معروف بن حربوذ عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد قال: لما قفل رسول الله من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالطعام متقاربات أن ينزلوا حولهن، ثم بعث إليهن فصلى تحتهن ثم قام فقال: «أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإني لأظن أن يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسئول وأنتم مسئولون، فإذا أنتم فاعلمون»

قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت ووجهت فجزاك الله خيراً ، قال : ألسم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ؟ قالوا : بلى نشهد بذلك ، قال : اللهم اشهد . ثم قال : يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، ثم قال : أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون على الحوض حوض أعرض مما بين بصري وصنعاء فيه آتية عدد النجوم قدحان من فضة ، وإني سائلكم حين تردون على الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؟ النقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي فانه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » . رواه ابن عساکر بطوله من طريق معروف كما ذكرنا . وقال عبد الرزاق : أنا معمر بن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله حتى زلنا غدیرخم بعث منادياً ينادي ، فلما اجتمعنا قال : « ألسن أولى بكم من أنفسكم ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ! قال : ألسن أولى بكم من أمهاتكم ؟ قلنا : بلى يا رسول الله : قال : ألسن أولى بكم من آبائكم ؟ قلنا بلى يا رسول الله ! قال : ألسن ألسن ألسن ؟ قلنا : بلى يا رسول الله قال : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقال عمر بن الخطاب : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت اليوم ولي كل مؤمن . وكذا رواه ابن ماجه من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد وأبي هارون العبدى عن عدي بن ثابت عن البراء به . وهكذا رواه موسى بن عثمان الحضرمي عن أبي إسحاق عن البراء به . وقد روى هذا الحديث عن سعد وطلحة بن عبيد الله وجابر بن عبد الله وله طرق عنه وأبي سعيد الخدري وحشبي بن جنادة وجري بن عبد الله وعمر بن الخطاب وأبي هريرة ، وله عنه طرق منها - وهي أغربها - الطريق الذي قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي : 'نما عبد الله بن علي بن محمد بن بشران أنا علي بن عمر الحافظ أنا أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال ثنا علي بن سعيد الرملي ثنا ضمرة بن ربيعة القرشي عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر ابن حوشب عن أبي هريرة قال : « من صام يوم ثمانى عشرة من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدیرخم لما أخذ النبي (ص) بيد علي بن أبي طالب فقال : « ألسن ولي المؤمنين ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : من كنت مولاه فعلى مولاه » فقال عمر بن الخطاب يخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم فأنزل الله عز وجل [أليوم أكملت لكم دينكم] ومن صام يوم سبعة ^(١) وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو أول يوم نزل جبريل بالرسالة . قال

الخطيب : اشهر هذا الحديث برواية حبشون وكان يقال إنه تفرد به ، وقد تابعه عليه أحمد بن عبيد الله بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن التبري عن علي بن سعيد الشامي ، قلت وفيه نكارة من وجوه منها قوله نزل فيه [اليوم أكملت لكم دينكم] وقد ورد مثله من طريق ابن هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى ولا يصح أيضاً ، وإنما نزل ذلك يوم عرفة كما ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب وقد تقدم . وقد روى عن جماعة من الصحابة غير من ذكرنا في قوله عليه السلام « من كنت مولاه » والأسانيد إليهم ضيعة . حديث الطير وهذا الحديث قد صنف الناس فيه وله طرق متعددة وفي كل منها نظر ونحن نشير إلى شئ من ذلك قال الترمذى : حدثنا سفيان بن وكيع ثنا عبد الله بن موسى عن عيسى بن عمر عن السرى عن أنس قال : « كان عند النبي (ص) طير فقال : اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يا كل معى من هذا الطير » فجاء على فأكل معه ، ثم قال الترمذى : غريب لا نعرفه من حديث السرى إلا من هذا الوجه ، قال : وقد روى من غير وجه عن أنس وقد رواه أبو يعلى عن الحسين بن حماد عن شهر بن عبد الملك عن عيسى بن عمر به . وقال أبو يعلى : ثنا قطن بن بشر ثنا جعفر بن سليمان الضبى ثنا عبد الله بن مثنى ثنا عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك قال : أهدى لرسول الله (ص) حجل مشوى بخبز وضيافته ، فقال رسول الله (ص) : « اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطعام » قالت عائشة : اللهم اجعله أبى ، وقالت حفصة : اللهم اجعله أبى ، وقال أنس : وقلت : اللهم اجعله سعد بن عبادة ، قال أنس : فسمعت حركة بالبواب فقلت إن رسول الله (ص) على حاجة فأنصرف ثم سمعت حركة بالبواب فخرجت فاذا على بالبواب ، فقلت : إن رسول الله (ص) على حاجة فأنصرف ثم سمعت حركة بالبواب فسلم على فسمع رسول الله (ص) صوته فقال : انظر من هذا ؟ فخرجت فاذا هو على فجئت إلى رسول الله (ص) فأخبرته فقال : « ائذن له يدخل على فأذنت له فدخل ، فقال رسول الله (ص) اللهم وال من والاه » . والى ورواه الحاكم في مستدركه عن أبي على الحافظ عن محمد بن أحمد الصفار وحيد بن يونس الزيات كلاهما عن محمد بن أحمد بن عياض عن أبي غسان أحمد بن عياض عن أبي ظبية عن يحيى بن حسان عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس فذكره ، وهذا إسناد غريب . ثم قال الحاكم : هذا الحديث على شرط البخارى وسلم وهذا فيه نظر ، فان أبا علاثة محمد بن أحمد بن عياض هذا غير معروف لكن روى هذا الحديث عنه جماعة عن أبيه ، ومن رواه عنه أبو القاسم الطبرانى ثم قال : تفرد به عن أبيه والله أعلم . قال الحاكم وقد رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً قال شيخنا الحافظ الكبير أبو عبد الله الذهبى فصلهم بثقة يصح الاسناد إليه ثم قال الحاكم : وصحت الرواية عن على وأبي سعيد وسفيانة ، قال شيخنا أبو عبد الله لا والله ما صح

شيء من ذلك ، ورواه الحاكم من طريق إبراهيم بن ثابت القصار وهو مجهول عن ثابت البناني عن أنس قال : دخل عهد بن الحجاج فجعل يسب علياً فقال أنس : اسكت عن سب علي فذكر الحديث مطولاً وهو منكر سنداً ومتناً ، لم يورد الحاكم في مستدركه غير هذين الحديثين وقد رواه ابن أبي حاتم عن عمار بن خالد الواسطي عن إسحاق الأزرق عن عبد الملك بن أبي سليمان عن أنس ، وهذا أجود من إسناد الحاكم . ورواه عبد الله بن زياد أبو العلاء عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أنس بن مالك . فقال : أهدى لرسول الله (ص) « طير مشوى فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير » فذكر نحوه ، ورواه محمد بن مصفى عن حفص بن عمر عن موسى ابن سعد عن الحسن عن أنس فذكره ، ورواه علي بن الحسن الشامي عن خليل بن دعلج عن قتادة عن أنس بنحوه ، ورواه أحمد بن يزيد الورتيس عن زهير عن عثمان الطويل عن أنس فذكره ، ورواه عبيد الله بن موسى عن مسكين بن عبد العزيز عن ميمون أبي خلف حدثني أنس ابن مالك فذكره ، قال الدارقطني : من حديث ميمون أبي خلف تفرد به مسكين بن عبد العزيز ورواه الحجاج بن يوسف بن قتيبة عن بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس . ورواه ابن يعقوب إسحاق بن الفيض ثنا المضاء بن الجارود عن عبد العزيز بن زياد أن الحجاج بن يوسف دعا أنس بن مالك من البصرة فسأله عن علي بن أبي طالب فقال : أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم الأرقم به فطبخ وصنع فقال : « اللهم ائتني بأحب الخلق إلى يأكل معي » . فذكره . وقال الخطيب البغدادي : أنا الحسن بن أبي بكير أنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجيب ثنا محمد بن القاسم النحوي أبو عبد الله ثنا أبو عاصم عن أبي الهندي عن أنس فذكره . ورواه الحاكم بن محمد عن محمد بن سليم عن أنس بن مالك فذكره . وقال أبو يهلى : حدثنا الحسن بن حماد الوراق ثنا مسهر بن عبد الملك ابن سلع ثقة ثنا عيسى بن عمر عن إسماعيل السدي أن رسول الله (ص) كان عنده طائر فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ، فجاء أبو بكر فردّه ، ثم جاء عمر فردّه ثم جاء عثمان فردّه ثم جاء علي فأذن له » . وقال أبو القاسم بن عقبة ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا يوسف بن عدي ثنا حماد بن المختار الكوفي ثنا عبد الملك بن عمير عن أنس بن مالك قال : أهدى لرسول الله (ص) طائر فوضع بين يديه فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي قال : فجاء علي فشق الباب فقلت من ذا ؟ فقال : أنا علي ، فقلت إن رسول الله على حاجة حتى فعل ذلك ثلاثاً ، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فدخل فقال النبي (ص) . « ما حبسك ؟ فقال : قد جئت ثلاث مرات فيحبسني أنس ، فقال النبي (ص) : « ما حبسك على ذلك ؟ قال قلت : كنت أحب أن يكون رجلاً من قومي » وقد رواه الحاكم النيسابوري عن عبدان بن يزيد عن يعقوب الدقاق عن إبراهيم بن الحسين

الشامي عن أبي توبة الربيع بن نافع عن حسين بن سليمان بن عبد الملك بن عمير عن أنس فذكره ،
ثم قال الحاكم : لم نكتبه إلا بهذا الاسناد ، وساقه ابن عساكر من حديث الحرث بن زهبان عن
إسماعيل - رجل من أهل الكوفة - عن أنس بن مالك فذكره . ومن حديث حفص بن عمر المهرقاني عن
الحكم بن شبير بن إسماعيل أبي سليمان أخى إسحاق بن سليمان الرازي عن عبد الملك بن أبي
سليمان عن أنس فذكره . ومن حديث سليمان بن قرم عن محمد بن علي السلمي عن أبي حذيفة العقيلي
عن أنس فذكره . وقال أبو يعلى : ثنا أبو هشام ثنا ابن فضيل ثنا مسلم الملائى عن أنس قال : أهدت
أم أيمن إلى رسول الله (ص) طيراً مشوياً فقال : « اللهم ائتنى بن نجبة يأكل معى من هذا الطير ،
قال أنس فجاء على فاستأذن فقلت : هو على حاجته ، فرجع ثم عاد فاستأذن فقلت : هو على حاجته
فرجع ، ثم عاد فاستأذن فسمع النبي (ص) : « صوته فقال : ائذن له فدخل وهو موضوع بين يديه فأكل
منه وحمد الله » فهذه طرق متعددة عن أنس بن مالك وكل منها فيه ضعف ومقال . وقال شيخنا
أبو عبد الله الذهبي - في جزء جمعه في هذا الحديث بعد ما أورد طرقاً متعددة نحواً مما ذكرنا -
ويروى هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة عن حجاج بن يوسف وأبي عصام خالد بن عبيد
ودينار أبي كيسان وزيد بن محمد الثقفي وزيد بن المنذر وسعد بن ميسرة البكري
وسليمان التيمي وسليمان بن علي الأمير وسلمة بن وردان وصباح بن محارب وطلحة بن مصرف وأبي
الزناد وعبد الأعلى بن عامر وعمر بن راشد وعمر بن أبي حفص الثقفي والضرب وعمر بن سليم البجلي
وعمر بن يحيى الثقفي وعثمان الطويل وعيسى بن أبي رافع وعيسى بن طهمان وعطية العوفي وعباد بن
عبد الصمد وعمار الذهبي وعباس بن علي وفضيل بن غزوان وقاسم بن جندب وكنوم بن جبر ومحمد
ابن علي الباقر والزهرى ومحمد بن عمرو بن علقمة ومحمد بن مالك الثقفي ومحمد بن جحادة وميمون بن
مهران وموسى الطويل وميمون بن جابر السلمي ومنصور بن عبد الحميد ومعل بن أنس وميمون بن
خلف الجراف وقيل أبو خالد ومطر بن خالد ومعاوية بن عبد الله بن جعفر وموسى بن عبد الله الجهنى
ونافع مولى ابن عمر والنضر بن أنس بن مالك ويوسف بن إبراهيم ويونس بن حيان ويزيد بن سفيان
ويزيد بن أبي حبيب وأبي المليح وأبي الحكم وأبي داود السبيعي وأبي حمزة الواسطي وأبي حذيفة
العقيلي وإبراهيم بن هذبة ثم قال بعد أن ذكر الجميع : الجميع بضعة وتسعون نفساً أقربها غرائب
ضعيفة وأردوها طرق مختلفة متعلة وغالبها طرق واهية . وقد روى من حديث سفينة مولى رسول الله
(ص) ، فقال أبو القاسم البغوي وأبو يعلى الموصلى قالا : حدثنا القواريري ثنا يونس بن أرقم ثنا مطير
ابن أبي خالد عن ثابت البجلي عن سفينة مولى رسول الله (ص) ، قال : أهدت امرأة من الأنصار
طائر بين رغيين - ولم يكن في البيت غيري وغير أنس - فجاء رسول الله (ص) ، فدعا بفدائه . فقلت :

يلرسول الله قد اهدت لك امرأة من الانصار هدية ، قدمت الطائر ين إليه فقال رسول الله (ص) :
 اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولاك ، فجاء علي بن أبي طالب ف ضرب الباب خفيا فقات :
 من هذا ؟ قال أبو الحسن ، ثم ضرب الباب ورفع صوته فقال رسول الله من هذا : قلت علي بن أبي
 طالب قال افتح له ، ففتحت له فأكل معه رسول الله (ص) ، من الطير ين حتى فنيا . وروى عن
 ابن عباس فقال أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد : ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ثنا حسين بن محمد
 ثنا سليمان بن قرم عن محمد بن شعيب عن داود بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده ابن
 عباس قال : إن النبي (ص) أتى بطائر فقال : « اللهم ائتني برجل يحبه الله ورسوله فجاء علي فقال :
 اللهم وإلى » وروى عن علي نفسه فقال عباد بن يعقوب : ثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن
 علي حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي قال : أهدى لرسول الله (ص) طير يقال له الحباري
 فوضعت بين يديه - وكان أنس بن مالك يحجبه - فرفع النبي (ص) يده إلى الله ثم قال : « اللهم
 ائتني بأحب خلقك إليك يا كل معي هذا الطير . قال فجاء علي فاستأذن فقال له أنس : إن رسول
 الله يعني علي حاجته فرجع ثم أعاد رسول الله (ص) الدعاء فرجع ثم دعا الثالثة فجاء علي فأدخله ،
 فلما رآه رسول الله قال : اللهم وإلى . فأكل معه فلما أكل رسول الله وخرج علي قال أنس : سمعت
 عليا قتل يا أبا الحسن استغفر لي فإن لي إليك ذنب وإن عندي بشارة ، فأخبرته بما كان من النبي
 (ص) ، فحمد الله واستغفر لي ورضي عني أذهب ذنبي عنده بشارتي إياه » ومن حديث جابر بن
 عبد الله الأنصاري أوردته ابن عساكر من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث عن ابن لهيعة
 عن محمد بن المنكدر عن جابر فذكره بطوله . وقد روى أيضا من حديث أبي سعيد الخدري ومحممه
 الحاكم ولكن إسناده مظلم وفيه ضعفاء . وروى من حديث حبشي بن جنادة ولا يصح أيضا ومن
 حديث يعلى بن مرة والاسناد إليه مظلم ، ومن حديث أبي رافع نحوه وليس بصحيح . وقد جمع الناس
 في هذا الحديث مصنفات مفردة منهم أبو بكر بن مردويه والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان
 فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي ورأيت فيه مجلدا في جمع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير
 الطبري المفسر صاحب التاريخ ، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سندا ومتنا للقاضي أبي
 بكر الباقلاني المتكلم . وبالجملة ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه والله أعلم .

حديث آخر في فضل علي قال أبو بكر الشافعي : ثنا بشر بن موسى الأسدي ثنا
 زكريا بن عدي ثنا عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال :
 خرجت مع رسول الله (ص) إلى امرأة من الأنصار في نخل لها يقال له الاسراف فقرشت لرسول الله
 (ص) تحت صور لها مرشوش فقال رسول الله (ص) : « الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة ، فجاءه

أبو بكر، ثم قال: الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة، فجاء عمر، ثم قال: الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة قال: فلقد رأيته مطاطياً رأسه تحت الصور ثم يقول: اللهم إن شئت جعلته علياً، فجاء علي، ثم إن الأنصارية ذبحت لرسول الله (ص). شاة وصنعها فأكل وأكلنا فلما حضرت الظهر قام يصلي وصلينا ماتوضاً ولا توضأنا، فلما حضرت العصر صلى وما توضأ ولا توضأنا». حديث آخر قال أبو يعلى: حدثنا الحسن بن حماد الكوفي ثنا ابن أبي عتبة عن أبيه عن الشيباني عن جميع بن عمير قال: «دخلت مع أبي علي عائشة فسألها عن علي فقالت: ما رأيت رجلاً كان أحب إلى رسول الله (ص) منه، ولا امرأة كانت أحب إلى رسول الله (ص) من امرأته» وقد رواه غير واحد من الشيعة عن جميع بن عمير به. حديث آخر قال الامام أحمد: ثنا يحيى بن أبي بكير ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجذلي البجلي قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله (ص) فيكم؟ فقلت معاذ الله - أو سبحان الله أو كلمة نحوها - قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: «من سب علياً فقد سبني» وقد رواه أبو يعلى عن عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بجليه من سليم عن السدي عن أبي عبد الله البجلي قال: «قالت لي أم سلمة أيسب رسول الله فيكم على المنابر؟ قال: قلت وأتى ذلك؟ قالت: أليس يسب على ومن أحبه؟ فأشهد أن رسول الله (ص) كان يحبه» وقد روى من غير هذا الوجه عن أم سلمة. وقد ورد من حديثها وحديث جابر وأبي سعيد أن رسول الله (ص) قال لعلي: «كنب من زعم أنه يجنني ويبغضك» ولكن أسانيدها كلها ضعيفة لا يحتاج بها حديث آخر قال عماد الزقاق «أنا الثوري عن الأعشى عن عدي بن ثابت عن زر بن حبیش قال: سمعت علياً يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي (ص) إلى أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» ورواه أحمد عن ابن عمير ووكيع عن الأعشى. وكذلك رواه أبو معاوية ومحمد بن فضيل وعبد الله بن داود الحرابي وعبيد الله بن موسى ومحاضر بن المورع ويحيى بن عيسى الرملي عن الأعشى به وأخرجه مسلم في صحيحه عن (١) ورواه غسان بن حسان عن شعبة عن عدي بن ثابت عن علي فذكره. وقد روى من غير وجه عن علي. وهذا الذي أوردناه هو الصحيح من ذلك والله أعلم. وقال الامام أحمد: ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن فضيل عن عبيد الله بن عبد الرحمن أبي نصر حدثني مساور الحيري عن أبيه قال: سمعت أم سلمة تقول: سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي: «لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق» وقد روى من غير هذا الوجه عن أم سلمة بلفظ آخر ولا يصح وروى ابن عقدة عن الحسن بن علي بن بزيع ثنا عمرو بن إبراهيم ثنا سوار بن مصعب عن الحكم عن يحيى

الحراز عن عبد الله بن مسعود سمعت رسول الله (ص)، يقول : « من زعم أنه آمن بي وبما جئت به وهو ينفض عليا فهو كاذب ليس بمؤمن » وهذا بهذا الاسناد مختلف لا يثبت والله أعلم . وقال الحسن ابن عرفة : حدثني سعيد بن محمد الوراق عن علي بن الحراز سمعت أبا مريم الثقي سمعت عمار بن ياسر يقول : سمعت النبي (ص)، يقول لعلي : « طوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك » وقد روى في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة لا أصل لها . وقال غير واحد عن أبي الأزهر أحمد بن الأزهر : ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبيد الله عن ابن عباس أن رسول الله (ص)، نظر إلى علي فقال : « أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة ، من أحبك فقد أحبني وحبيبك حبيب الله ، ومن أبغضك فقد أبغضني وبغضك بغض الله ، وويل لمن أبغضك من بعدى » وروى غير واحد أيضاً عن الحارث بن حصيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجد عن علي قال : دعاني رسول الله فقال : « إن فيك من عيسى ابن مريم مثلاً أبغضته يهود حتى بهتوا أمه ، وأحبوه النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذى ليس هو له » قال علي : ألا وإنه يهلك في أثنان محب مطرى مفرط يفرطني بما ليس في . ومبغض يحمله شئني على أن يهتني ، ألا وإنى لست بنبي ولا يوحى إلى ، ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ، فما أمرتكم من طاعة الله حق عليكم طاعتي فيما أحببتهم وكرهتهم ، لفظ عبد الله بن أحمد . قال يعقوب بن سفيان : ثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا علي بن مسهر عن الأعشى عن موسى بن طريف عن عباية عن علي قال : أنا قسيم النار ، إذا كان يوم القيامة قلت هذا لك وهذا لي . قال يعقوب : وموسى بن طريف ضعيف محتاج إلى من يعمله ، وعباية أقل منه ليس بشئ حديثه . وذكر أن أبا معاوية لام الأعشى على تحديثه بهذا ، فقال له الأعشى : إذا نسيت فذكرني ، ويقال إن الأعشى إنما رواه على سبيل الاستهزاء بالروافض والتنقيص لهم في تصديقهم ذلك . قلت : وما يتوهمه بعض العوام بل هو مشهور بين كثير منهم ، أن عليا هو الساقى على الحوض فليس له أصل ولم يحيى من طريق مرضى يعتمد عليه ، والذي ثبت أن رسول الله (ص)، هو الذى يسقى الناس . وهكذا الحديث الوارد في أنه ليس أحد يأتى يوم القيامة ركباً إلا أربعة رسول الله على البراق ، وصالح على ناقته ، وحمزة على العضباء ، وعلى على ناقته من ق الجنة رافعاً صوته بالتهليل ، وكذلك ما في أفواه الناس من اليمين بعلى يقول أحدهم : خذ بعلى ، اعطنى بعلى ، ونحو ذلك كل ذلك لا أصل له بل ذلك من نزعات الروافض ومقالاتهم ولا يصح من شئ من الوجوه ، وهو من وضع الرافضة ويخشى على من اعتاد ذلك سلب الإيمان عند الموت ، ومن حلف بنير الله فقد أشرك . حديث آخر قال الامام أحمد : حدثني يحيى عن شعبة ثنا عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي قال : مر بي رسول الله (ص)، وأنا وجع وأنا أقول : اللهم إن كان

أجلى قد حضر فأرحني ، وإن كان أجلاً فأرفع عني ، وإن كان بلاء فصبرني . قال : ما قلت :
« فأعدت عليه فضر بني برجله وقال : ماقلت ؟ فأعدت عليه فقال ؟ اللهم عافه أو اشفه » فاشتكت
ذلك الوجع بعد . حديث آخر قال محمد بن مسلم بن داره : ثنا عبيد الله بن موسى ثنا أبو عمر
الأزدى عن أبي راشد الحراني عن أبي الحمراء قال قال رسول الله (ص) : « من أراد أن ينظر إلى
آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى في بطشه
فلينظر إلى علي بن أبي طالب » وهذا منكر جداً ولا يصح إسناده . حديث آخر في رد الشمس
قد ذكرناه في دلائل النبوة بأسانيد وألفاظه فأغنى له عن إعادته . حديث آخر قال أبو عيسى
الترمذي : حدثنا علي بن المنذر الكوفي ثنا محمد بن فضيل عن الأجلح عن أبي الزبير عن جابر قال :
« دعا رسول الله (ص) علياً يوم الطائف فانتجاء فقال الناس : لقد طال بخواه مع ابن عمه ، فقال
رسول (ص) ما انتجيته ولكن الله انتجاء » ثم قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث
الأجلح وقد رواه غير ابن فضيل عن الأجلح ومعنى قوله « ولكن الله انتجاء » أن الله أمرني أن
انتجى معه . حديث آخر قال الترمذي : ثنا محمد بن بشار ويعقوب بن إبراهيم وغير واحد ثنا
أبو عاصم عن أبي الجراح عن جابر بن صبح حدثني أمي أم شراحيل حدثني أم عطية قالت : بعث
رسول الله (ص) جيشاً فيهم علياً قالت سمعت رسول الله (ص) رافعاً يديه يقول : « اللهم لا تمنني
حتى ترى علياً » ثم قال هذا حديث حسن . حديث آخر قال الامام أحمد : حدثنا علي بن
عاصم قال حصين أنا علي بن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم المازني قال : لما خرج معاوية من
الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة قال فأقام خطباء يقولون في علي ، قال وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن
عمر بن نفيل قال : فغضب فقام وأخذ بيدي وتبعته فقال : ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه الذي
يأمر بلعن رجل من أهل الكوفة وأشهد على التسعة أنهم من أهل الجنة ، ولو شهدت على العاشر لم
آثم ، قال قلت : وما ذلك ؟ قال قال رسول الله (ص) : « اثبت حراً فليس عليك إلا نبي أو صديق
أو شهيد » قال قلت : من هم ؟ فقال : رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن
ابن عوف وسعد بن مالك . قال قلت : ومن العاشر ؟ قال قال أنا . وينبغي أن يكتب هاهنا حديث
أم سلمة المتقدم قريباً أنها قالت لأبي عبد الله الجدلي : « أيسب رسول الله فيكم على المنابر » ؟
الحديث رواه أحمد . حديث آخر قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وابن أبي بكير قال
ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حبشي بن جادة السلولي - وكان قد شهد حجة الوداع - قال قال
رسول الله (ص) : « علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا وأعلى » ثم رواه أحمد عن أبي أحمد
الزبيري عن إسرائيل . حديث آخر قال أحمد : حدثنا وكيع قال قال إسرائيل قال أبو إسحاق

عن زيد بن بغيض عن أبي بكر « أن رسول الله (ص) بعثه براءة إلى أهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، من كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته والله بريء من المشركين ورسوله . قال فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي الحقه ورد على أبا بكر وبلغها أنت ، قال فلما قدم أبو بكر على رسول الله بكى وقال يا رسول الله حدث في شيء ؟ قال ما حدث فيك إلا خير ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل من أهل بيتي » وقال عبد الله بن أحمد : حدثني محمد بن سليمان لوين ثنا محمد بن جابر عن سمك عن حبشي عن علي قال : « لما نزلت عشر آيات من براءة دعا رسول الله أبا بكر فبعثه بها ليقراها على أهل مكة ثم دعاني فقال لي أدرك أبا بكر فحيث لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم ، فالحقته بالجحفة فأخنت الكتاب منه ورجع أبو بكر فقال : يا رسول الله نزل في شيء ؟ قال لا ولكن جبريل جاءني فقال لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل من بيتك » وقد رواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر بنحوه وفيه نكارة من جهة أمره برد الصديق فان الصديق لم يرجع بل كان هو أمير الحج في سنة تسع وكان على هو وجماعة معه بعثهم الصديق يطوفون برحاب منى في يوم النحر وأيام التشريق ينادون ببراءة ؟ وقد قرنا ذلك في حجة الصديق وفي أول تفسير سورة براءة . حديث آخر روى من حديث أبي بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس ونوبان وعائشة وأبي ذر وجابر أن رسول الله (ص) قال : « النظر إلى وجهه على عبادة » وفي حديث عن عائشة « ذكر على عبادة » ولكن لا يصح شيء منها فانه لا يخلو كل سند منها عن كذاب أو مجبول لا يعرف حاله وهو شيعي . حديث الصدقة بالخاتم وهو راكم : قال الطبراني : ثنا عبد الرحمن بن مسلم الرازي ثنا محمد بن يحيى عن ضريس العبدي ثنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي قال : نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) [إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون] فخرج رسول الله (ص) فدخل المسجد والناس يصلون بين راكم وقائم وإذا سائل فقال : يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً فقال : لا ! إلا هاذك الراكع - لعلي - أعطاني خاتمه . وقال الحافظ ابن عساكر : أنا خالي أبو المعالي القاضي أنا أبو الحسن الخلمي أنا أبو العباس أحمد بن محمد الشاهد ثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحارث الرملي ثنا القاضي جملة بن محمد ثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو نعيم الأحول عن موسى بن قيس عن سلمة قال : تصدق على بخاتمه وهو راكم فتزلت [إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون] وهذا لا يصح بوجه من الوجوه لضعف أسانيدهم ولم ينزل في شيء من القرآن بخصوصيته وكل ما يريدونه في قوله تعالى [إنما أنت منذر

ولكل قوم هاد [وقوله] ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا [وقوله] أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر [وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في أنها نزلت في علي لا يصح شيء منها ، وأما قوله تعالى [هذان خصان اختصموا في ربهم] فثبت في الصحيح أنه نزل في علي وحزرة وعبيدة من المؤمنين ، وفي عتبة وشيبة والوليد بن عتبة من الكافرين . وما روى عن ابن عباس أنه قال : ما نزل في أحد من الناس ما نزل في علي . وفي رواية عنه أنه قال : نزل فيه ثلثمائة . آية فلا يصح ذلك عنه لا هذا ولا هذا . حديث آخر قال أبو سعيد بن الأعرابي : ثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا العباس بن بكار أبو الوليد ثنا عبد الله بن المنثري الانصاري عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس قال : « كان رسول الله (ص) ، جالسا بالمسجد وقد أطاف به أصحابه إذ أقبل علي فلم يلم ولم يفتن فجلس فيه فنظر رسول الله (ص) ، إلى وجهه أصحابه أيهم يوسع له - وكان أبو بكر عن يمين رسول الله (ص) ، جالسا - فترشح أبو بكر عن مجلسه وقال : هاهنا يا أبا الحسن ، فجلس بين رسول الله (ص) ، وبين أبي بكر فرأينا السرور في وجه رسول الله (ص) ، ، ثم أقبل على أبي بكر فقال : يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل » فأما الحديث الوارد عن علي وحذيفة مرفوعا « على خير البشر ، من أبي فقد كفر ومن رضى فقد شكر » فهو موضوع من الطريقين معاً فصح الله من وضعه واختلقه . حديث آخر قال أبو عيسى الترمذي : ثنا إسماعيل بن موسى بن عمر الرومي ثنا شريك عن كهيل عن سويد بن غفلة عن الصنابحي عن علي قال : قال رسول الله (ص) : « أنا دار الحكمة وعلى بابها » ثم قال هذا الحديث غريب قال : وري بعضهم هذا الحديث عن ابن عباس قلت : رواه سويد بن سعيد عن شريك عن سلمة عن الصنابحي عن علي مرفوعا : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت باب المدينة » وأما حديث ابن عباس فرواه ابن عدي من طريق أحمد بن سلمة أبي عمرو الجرحاني ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها » ثم قال ابن عدي : وهذا الحديث يعرف بأبي الصلت الهروي عن أبي معاوية سرقه منه أحمد بن سلمة هذا ومعه جماعة من الضعفاء ، هكذا قال رحمه الله . وقد روى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن ابن معين أنه قال : أخبرني ابن أيمن أن أبا معاوية حدث بهذا الحديث قديماً ثم كف عنه ، قال : وكان أبو الصلت رجلاً موسراً يكرم المشايخ ويحدثونه بهذه الأحاديث وساقه ابن عساكر بإسناد مظلم عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن جابر بن عبد الله فذكره مرفوعاً ، ومن طريق أخرى عن جابر : قال ابن عدي وهو موضوع أيضاً . وقال أبو الفتح الأودي : لا يصح في هذا الباب شيء . حديث آخر يقرب مما قبله يقال ابن عدي : ثنا أحمد بن

خبرون النيسابوري ثنا ابن أيوب أبو أسامة - هو جعفر بن هذيل - ثنا ضرار بن صرد ثنا يحيى بن
 عيسى الرملي عن الأعمش عن ابن عباس عن النبي (ص) قال : « على عينة على » .
 حديث آخر في معنى ما تقدم قال ابن عدى : ثنا أبو يعلى ثنا كامل بن طلحة ثنا ابن لهيعة ثنا
 يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجليلى عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله (ص) قال في
 مرضه : « ادعوا لى أخى فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه ثم قال ادعوا لى أخى فدعوا له عمر فأعرض عنه
 ثم قال ادعوا لى أخى فدعوا له عثمان فأعرض عنه ، ثم قال ادعوا لى أخى فدعى له على بن أبى طالب
 فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له : ما قال ؟ قال : علمنى ألف باب يفتح كل
 باب إلى ألف باب » قال ابن عدى هذا حديث منكر ولعل البلاء فيه من ابن لهيعة فانه شديد
 الإفراط فى التشيع وقد تكلم فيه الأئمة ونسبوه إلى الضعف حديث آخر قال ابن عساكر :
 أنبأنا أبو يعلى ثنا المقرئ أنا أبو نعيم الحافظ أنا أبو أحمد الغطريفي ثنا أبو الحسين بن أبى مقاتل ثنا
 محمد بن عبيد بن عتبة ثنا محمد بن على الوهبي الكوفي ثنا أحمد بن عمران بن سلمة - وكان ثقة عدلا
 مرضياً - ثنا سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنت عند النبي
 (ص) فسئل عن على فقال : « قسمت الحكمة عشرة أجزاء أعطى على تسعة والناس جزءاً واحداً »
 وسكت الحافظ ابن عساكر على هذا الحديث ولم ينبه على أمره وهو منكر بل موضوع مركب على
 سفيان الثوري بإسناده قبح الله واضعه ومن افتراه واختلقه . حديث آخر قال أبو يعلى ثنا
 عبيد الله بن عمر القواريري ثنا يحيى عن سعيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى البختري
 عن على . قال : « بعثنى رسول الله (ص) إلى اليمن وأنا حديث السن ليس لى علم بالقضاء قال :
 فضرب فى صدرى وقال : إن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك قال : فما شككت فى قضاء بين
 اثنين بعد » وقد ثبت عن عمر أنه كان يقول : على أقضانا وأبى أقرؤنا للقرآن . وكان عمر يقول أعوذ
 بالله من معضلة ولا أبو حسن لها . حديث آخر قال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا
 جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن أم موسى عن أم سلمة قالت والذى أ - أف به إن كان على بن أبى
 طالب لا أقرب الناس عهداً برسول الله عدنا رسول الله غداة بعد غداة يقول : « جاء على ؟ مراراً -
 وأظنه كان بعثه فى حاجة - قالت فجاء بعد فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت عند الباب
 فقعنا عند الباب فكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه على فجعل يساره ويناجيه ثم قبض من
 يومه ذلك فكان أقرب الناس به عهداً » وهكذا رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى عن أبى بكر بن
 أبى شيبة به حديث آخر فى معناه قال أبو يعلى : ثنا عبد الرحمن بن صالح ثنا أبو بكر بن عياش
 عن صدقة عن جميع بن عمير أن أمه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا : يأم المؤمنين أخبرينا عن على ،

قالت : أى شئ تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله موضعاً فسالت نفسه فى يده ففسح بها وجهه ثم اختلفوا فى دفنه فقال : إن أحب الاماكن إلى الله مكان قبض فيه نبيه (س) ؟ قالتا : فلم خرجت عليه ؟ قالت أمر قضى لوددت أنى أفديه بما على الأرض « وهذا منكر جداً وفى الصحيح ما يرد هذا والله أعلم . حديث آخر قال الامام أحمد : ثنا أسود بن عامر حدثنى عبد الحميد بن أبى جعفر - يعنى الفراء - عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيغ عن على قال : قيل يا رسول الله من تؤمر بعدك ؟ قال : إن تؤمروا أبابكر تجده أميناً زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة ، وإن تؤمروا عمر تجده قوياً أميناً لا يخاف فى الله لومة لائم ، وإن تؤمروا علياً - ولا أراكم فاعلين - تجده هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم » وقد روى هذا الحديث من طريق عبد الرزاق عن النعمان ابن أبى شيبه وعن يحيى بن العلاء عن الثورى عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيغ عن حذيفة عن النبي (س) بنحوه . ورواه أبو الصلت الهروى عبد السلام بن صالح عن ابن نمير عن الثورى عن شريك عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيغ عن حذيفة به . وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : أنا أبو عبد الله محمد بن على الآدمى بمكة ثنا إسحاق بن إبراهيم الصنعائى أنا عبد الرزاق بن همام عن أبيه عن ابن ميناء عن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع النبي (س) ليلة وفد الجن قال : فتنفس فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : « نعت إلى نفسى . قلت : فاستخلف . قال من ؟ قلت أبابكر قال فسكت ثم مضى ثم تنفس قلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال نعت إلى نفسى يا ابن مسعود ، قلت : فاستخلف قال : من قلت : عمر قال : فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس قال : قلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : نعت إلى نفسى يا ابن مسعود ، قلت : فاستخلف قال من ؟ قلت : على بن أبى طالب قال : أما الذى نفسى بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتمين » قال ابن عساكر همام وابن ميناء مجهولان . حديث آخر قال أبو يعلى : ثنا أبو موسى - يعنى محمد بن المثنى - ثنا سهيل ابن حماد أبو غياث الدلال ثنا مختار بن نافع الفهمى ثنا أبو حيان التميمى عن أبيه عن على قال قال رسول الله (س) : « رحم الله أبابكر زوجنى ابنته وحملنى إلى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق ، رحم الله عثمان تستحيه الملائكة رحم الله علياً دار الحق معه حيث دار . » وقد ورد عن أبى سعيد وأم سلمة أن الحق مع على رضى الله عنه وفى كل منهما نظر الله أعلم . حديث آخر قال أبو يعلى : ثنا عثمان بن جرير عن الأعمش عن إسماعيل ابن رجاء عن أبيه عن أبى سعيد قال : سمعت رسول الله (س) يقول : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تزييه ، فقال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ، قال : لا ! فقال عمر : أنا هو يا رسول الله ، قال : لا ! ولكنه خاف النمل - وكان قد أعطى علياً نعله يخصفه » - ورواه الامام

البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي معاوية عن الأعمش به . ورواه الامام أحمد عن وكيع وحسين بن محمد عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء به . ورواه البيهقي أيضاً من حديث أبي نعيم عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد به . ورواه فضيل ابن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد . وروى من حديث علي نفسه . وقد قدمنا هذا الحديث في موضعه في قتال علي أهل البغي والخوارج ولله الحمد ، وقدّمنا أيضاً حديث علي للزبير أن رسول الله ﷺ قال لك : إنك تقاتلني وأنت ظالم . فرجع الزبير وذلك يوم الجمل ثم قتل بعد مرجعه في وادي السباع . وقدّمنا صبره وصرامته وشجاعته في يومى الجمل وصفين ، وبسالته وفضله في يوم الثروان ، وما ورد في فضل طائفته الذين قتلوا الخوارج من الأحاديث وذكرنا الحديث الوارد من غير طريق عن علي وأبي سعيد وأبي أيوب أن رسول الله ﷺ أمره بقتال المارقين والقاسطين والناكثين وفسروا الناكثين بأصحاب الجمل والقاسطين بأهل الشام والمارقين بالخوارج والحديث ضعيف

ﷺ

تم الجزء السابع من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء الثامن وأوله فصل في ذكر شيء من سيرته العادلة وسيرته الفاضلة وخطبه الكاملة



فهرست المجلد السابع من كتاب البداية والنهاية

صفحة	محتوى	صفحة
٤٩	ذكرى من توفي في هذا العام من المشاهير	٢ سنة ثلاث عشرة من الهجرة
٥١	تم دخلت سنة خمس عشرة	٤ وقعة اليرموك
٥٣	وقعة حمص الأولى	١٦ انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبي عبيدة بعد ووقعة اليرموك
٥٣	وقعة قيسارية	وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد إلى الشام
٥٤	وقعة اجنادين	١٨ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٥٥	فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب	١٩ فتح دمشق
٦١	وقعة نهر شير	٢٣ فَضْرَبَ
	من توفي في هذه السنة مرتين على الحروف	٢٤ فَضْرَبَ
٦٢	تم دخلت سنة ست عشرة	٢٥ ووقعة فحل
٦٤	ذكر فتح المدائن	٢٦ ما وقع بأرض العراق آنذاك من القتال
٦٩	وقعة جلولاء	٢٧ ووقعة النارق
٧١	ذكر فتح حلوان	وقعة جسر أبي عبيد ومقتل امير المسلمين وخلق كثير منهم
٧٢	فتح تكريت والموصل	٢٩ وقعت البويب التي اقتص فيها المسلمون من الفرس
٧٢	فتح ما سبذان من ارض العراق	٣٠ ذكر اجتماع الفرس على يزدجرد بعد اختلافهم
٧٢	فتح قرقيسيا وهيت في هذه السنة	٣١ ما وقع سنة ثلاث عشر من الحوادث
٧٤	تم دخلت سنة سبع عشرة	٣٢ ذكر المتوفين في هذه السنة مرتين على الحروف كما ذكرهم الحافظ الذهبي
٧٥	أبو عبيدة وحصر الروم له	٣٥ سنة اربع عشرة من الهجرة
	بحمص وفدوم عمر إلى الشام	٣٧ غزوة القادسية
٧٦	فتح الجزيرة	٥٢ فَضْرَبَ
٧٨	شيء من أخبار طاعون عمواس	
٨٢	فتح الأهواز ومناذر ونهر تيري	
٨٣	فتح تستر المرة الأولى صلحاً	
	ذكر غزو بلاد فارس من ناحية البحرين عن ابن جرير عن سيف	

صحيفة	صحيفة
١١٨ طليحة بن خويلد	٨٥ ذكر فتح تستر ثانية وأسر الهرمزان
١١٩ عمرو بن معدى كرب	وبعثه الى عمر بن الخطاب
١٢٠ العلاء بن الحضرمي	٨٧ فتح السوس
النعمان بن مقرن بن عائذ المزني	٩٠ ثم دخلت سنة ثمانى عشرة
ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين	٩٣ الحارث بن هشام
١٢١ فتح الرمي	شرحبيل بن حسنة
١٢٢ فتح قومس	٩٤ عامر بن عبد الله بن الجراح
فتح جرجان	الفضل بن عباس بن عبد المطلب
وهذا فتح اذربيجان	معاذ بن جبل
فتح الباب	٩٥ يزيد بن أبي سفيان
١٢٣ اول غزو الترك	أبو جندل بن سهيل
١٢٤ قصة السد	ثم دخلت سنة تسع عشرة
١٢٥ بقية من خبر السد	٩٧ ذكر من توفي فيها من الأعيان
١٢٦ قصة يزجرد بن شهر يار بن كسري	سنة عشرين من الهجرة
١٢٧ خراسان مع الاحنف بن قيس	صفة فتح مصر عن ابن اسحق وسيف
١٣٠ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين	١٠٠ قصة ذيل مصر
فتح قسا ودار أبجرد وقصة سارية بن	١٠١ ذكر المتوفين من الأعيان -
زئيم	أسد بن الحضير
١٣٢ غزوة الأكراد	١٠٢ أنيس بن مرثد بن ابي مرثد الغنوي
١٣٣ خبر سامة بن قيس الأشجعي والأكراد	بلال بن ابي رباح الحبشي المؤذن ،
١٣٨ صفته رضي الله عنه	مولى ابي بكر
١٣٩ ذكر زوجاته وأبنائه وبناته	١٠٣ سعيد بن عامر بن خذيم
١٤٠ ذكر بعض ما رثي به	عياض بن غنم
١٤١ الأقرع بن حابس	أبو سفيان بن الحارث
١٤٢ حباب بن المنذر، ربيعة بن الحارث	١٠٤ أبو الهيثم بن التيهان
علقمة بن علاثة	زينب بنت جحش
١٤٣ علقمة بن مجزز	صفية بنت عبد المطلب عمه الرسول
عويم بن ساعدة	١٠٥ عويم بن ساعدة الأنصاري
غيلان بن سامة الثقفي	ثم دخلت سنة احدى وعشرين
معمر بن الحارث	وكانت <u>وقعة نهاوند</u>
	١١٣ ذكر من توفي سنة احدى وعشرين

صحيفة	صحيفة
١٦١ ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة	ميسرة بن مسروق العبسي
العباس بن عبد المطلب	واقد بن عبد الله
عبد الله بن مسعود	١٤٤ ابو خراش الهدلي الشاعر
عبد الرحمن بن عوف	ابو ليلى عبد الرحمن بن كعب
أبو ذر الغفاري	سودة بنت زمعة
١٦٥ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين	هند بن عتبة
١٦٦ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين	خلافه امير المؤمنين عثمان بن عفان
١٧٠ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ففيها مقتل عثمان	ثم استهلكت سنة أربع وعشرين
١٧٣ ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية	ثم دخلت سنة خمس وعشرين
١٧٦ ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان	ثم دخلت سنة ست وعشرين
١٧٧ طريق أخرى	ثم دخلت سنة سبع وعشرين
١٧٨ طريق أخرى	غزوة افرريقية
١٧٩ طريق أخرى	١٥٢ غزوة الأندلس
١٨١ فضيلة	وقعة جرجير والبربر مع المسلمين
١٨٤ صفة قتله رضي الله عنه	ثم دخلت سنة ثمان وعشرين
١٨٩ فضيلة	فتح قبرص
١٩٠ فضيلة	ثم دخلت سنة تسع وعشرين
١٩٢ ذكر صفته رضي الله عنه	١٥٤ سنة ثلاثين من الهجرة النبوية
طريق أخرى	١٥٦ فضيلة
١٩٦ وهذا ذكر بعض ما رُئي به رضي الله عنه	جبار بن صخر
	حاطب بن بلتعة
	الطفيل بن الحارث عبد الله بن كعب
	عبد الله بن مظعون
	عباد بن زهير
	مسعود بن ربيعة
	معمر بن أبي سرح
	١٥٧ أبو أسيد
	ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين
	١٥٨ كيفية قتل كسرى ملك الفرس وهو يزدرجرد
	١٥٩ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين

١٩٧ فضيلة

١٩٩ بعض الأحاديث الواردة في فضائل

عثمان بن عفان

٢٠٢ حديث آخر

٢٠٣ حديث آخر

٢٠٤ طريق أخرى عن حفصة

طريق أخرى عن ابن عباس

طريق أخرى عن ابن عمر

حديث آخر

٢٠٥ حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

٢٠٦ حديث آخر

حديث آخر

طريق أخرى عن ابن عمر

طريق أخرى عن ابن عمر بلفظ آخر

٢٠٧ القسم الثاني فيما ورد من فضائله وحده

حديث آخر

حديث آخر

٢٠٨ حديث آخر

٢٠٩ طريق أخرى

حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

٢١٠ حديث آخر

طريق أخرى

٢١١ حديث آخر

٢١٢ حديث آخر

حديث آخر عن طلحة

حديث آخر

٢١٣ حديث آخر

٢١٣ حديث آخر

حديث آخر

٢١٤ ذكر شيء من سيرته وهي دالة

على فضيلته

٢١٥ شيء من خطبه

٢١٦ فضيلة

٢١٧ فضيلة

٢١٩ ذكر زوجاته وبنيه وبناته

فضيلة

فضيلة

٢٢٠ في ذكر من توفي زمان عثمان

٢٢٢ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب رضي الله عنه

٢٢٦ ذكر بيعة علي رضي الله عنه

بالخلافة

٢٢٩ ثم دخلت سنة ست وثلاثين من

الهجرة

٢٣٠ ابتداء وقعة الجمل

٢٣٤ مسير علي بن أبي طالب من المدينة

الى البصرة بدلاً من الشام

٢٤٦ فضيلة

٢٤٧ فضيلة

طلحة بن عبيد الله

٢٤٩ والزيير بن العوام بن خويلد

٢٥١ وفي هذه السنة اعني سنة ست وثلاثين

٢٥٣ فضيلة

- ٢٥٧ في وقعة صفين
٢٥٨ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين
٢٧٣ رفع أهل الشام المصاحف
٢٧٦ قصة التحكيم
٢٧٨ خروج الخوارج
٢٨٠ فضيلة
٢٨٢ اجتماع الحكمين أبي موسى وعمرو
بن العاص بدومة الجندل
٢٨٥ خروج الخوارج من الكوفة
ومبارزتهم علياً
٢٨٨ مسير أمير المؤمنين علي إلى الخوارج
٢٩٠ ما ورد فيهم من الأحاديث الشريفة
٢٩١ الطريق الأولى
طريق أخرى عن علي
٢٩٢ طريق أخرى
طريق أخرى
طريق أخرى عن علي
طريق أخرى
٢٩٣ طريق أخرى
طريق أخرى
٢٩٤ طريق أخرى
طريق أخرى
طريق أخرى
٢٩٥ طريق أخرى
طريق أخرى
٢٩٦ الحديث الثاني عن ابن مسعود رضي
- الله عنه
٢٩٧ الحديث الثالث عن أنس بن مالك
طريق أخرى
الحديث الرابع عن جابر بن
عبدالله
٢٩٨ الحديث الخامس عن سعد بن
أبي وقاص
الحديث السادس عن أبي سعيد
سعد بن مالك بن سنان
الأنصاري
٢٩٩ الطريق الثاني
الطريق الثالث
الطريق الرابع
٣٠٠ الطريق الخامس
الطريق السادس
الطريق السابع
٣٠١ الطريق الثامن
الحديث الثامن
عن سلمان الفارسي
الحديث التاسع
عن سهل بن حنيف الأنصاري
٣٠٢ الحديث العاشر عن ابن عباس
الحديث الحادي عشر عن ابن عمر
الحديث الثاني عشر عن عبدالله بن
عمرو
٣٠٣ الحديث الثالث عشر عن أبي ذر

٣٠٤ الحديث الرابع عشر عن أم المؤمنين عائشة

٣٠٥ حديث آخر عن رجلين من الصحابة

حديث في مدح علي رضي الله عنه علق قتال الخوارج
حديث ابن مسعود في ذلك

٣٠٦ حديث أبي سعيد في ذلك

حديث أبي أيوب في ذلك

٣٠٧ فضائل

٣٠٩ فضائل

٣١٠ فضائل

٣١١ ذكر من توفي فيها من الأعيان خزيمة بن ثابت

عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم

٣١٢ عمار بن ياسر أبو البقطان العبسي

٣١٣ الربيع بن معوز بن عفراء

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

فضائل

٣١٨ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان سهل بن حنيف

صفوان بن بيضاء أخو سهل بن بيضاء

صهيب بن سنان بن مالك

٣١٩ محمد بن أبي بكر الصديق

اسماء بنت عميس

٣٢٠ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

٣٢٢ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

سعد القرظي

عقبة بن عمرو بن ثعلبة

سنة أربعين من الهجرة

٣٢٤ ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

طريق أخرى

طريق أخرى عنه

٣٢٥ طريق أخرى عن علي

طريق أخرى عن علي بن أبي طالب

طريق أخرى عنه

٣٢٦ حديث آخر في ذلك

حديث آخر في معنى ذلك

صفة مقتله رضي الله عنه

٣٢٧ ذكر زوجاته وبنه وبناته

٣٢٨ شيء من فضائل أمير المؤمنين علي

بن أبي طالب

٣٢٩ حديث المؤاخاة

٣٣٨ رواية بريدة بن الحصيب

رواية عبد الله بن عمر

رواية ابن عباس

٣٣٩ رواية أبي سعيد في ذلك

٣٤٠ رواية علي بن أبي طالب في ذلك

رواية سعد بن أبي وقاص في ذلك

٣٤٢ رواية عمر رضي الله عنه في ذلك

رواية ابن عمر رضي الله عنهما
ترويه فاطمة الزهراء رضي الله عنها

٣٤٣ حديث آخر

٣٤٤ حديث آخر

٣٤٧ حديث غدير خم

صحيفة

٣٥١ حديث الطير

٣٥٤ حديث آخر في فضل علي

٣٥٥ حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

٣٥٦ حديث آخر

٣٥٧ حديث آخر

حديث آخر في رد الشمس

حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

صحيفة

٣٥٨ حديث آخر

حديث الصدقة بالخاتم وهو راع

٣٥٩ حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

٣٦٠ حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر في معناه

٣٦١ حديث آخر

حديث آخر

حديث آخر

انتهى الفهرست



